
حياة
الإمام الحسين بن علي عليه السلام



القرشي، باقر شريف، ١٩٢٦-   م.

حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: دراسة وتحليل / تأليف باقر شريف القرشي؛ تحقيق مهدي باقر القرشي. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٢٩ ق. = ٢٠٠٨م.

٣ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٢١).

عنوان العطف: حياة الإمام الحسين عليه السلام.

المصادر.

١. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - السيرة. ٢. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - فضائل. ٣. سقيفة بني ساعدة - نتائج وتأثيرات. ٤. علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ ق. - السياسة والحكومة. ٥. واقعة كربلاء، ٦١ ق. - دراسة وتحقيق. ٦. الإسلام - القرن ١ ق. - تأريخ شبهات وردود. ألف. القرشي، مهدي باقر، محقق. ب. العنوان. ج. عنوان: حياة الإمام الحسين عليه السلام.

BP ٤١ / ٤ / ق ٤ ح ٩ .١٤٢٩ق

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

دراسة وتحليل

الجزء الثالث

تأليف

باقر شريف القرشي

تحقيق

مهدي باقر القرشي

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com


بسم الله الرحمن الرحیم

تقديم

١ لقد صنع الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف الكرامة الإنسانية التي يسمو بها كلّ إنسان ، وحسبه أنّه وحده في تاريخ هذه الدنيا قد قدّم أنبل التضحيات في سبيل ما يرتأي ضميره من إشاعة الحقّ والعدل بين الناس .

لقد كانت صور الفداء التي بذلها الإمام الحسين عليه السلام لإقامة الحياة الكريمة في الإسلام مذهلة ومدهشة ، فقد اهتزّ من هولها الضمير العالمي ، وتركت أثراً عميقاً للحزن في دخائل القلوب ، وأثّرت حتى في نفوس أقلّ الناس إحساساً .

والشيء المهم الذي تميزت به قضية الإمام الحسين عليه السلام هو الصمود الرائع أمام الأحداث المفزعة ، فقد تسلّح عليه السلام بصبر لا حدّ لأبعاده ، فكان ـ فيما يقول المؤرخون ـ يستقبل المحن الشاقّة التي تواكبت عليه بالرضا والتسليم لأمر الله من دون أن تبدو عليه أيّة بادرة من بوادر الضعف والانهيار ، فكان كلّما رزئ بكارثة تعصف بالصبر تنفرج شفتاه بكلمة الإيمان العميق الذي صار من أبرز ذاتياته ، قائلاً : « هَوَّنَّ ما نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَينِ اللهِ . . . »[(١)] .

لقد كان هذا الإيمان هو سرّ الإعجاز وسرّ الخلود في قضية الحسين عليه السلام ، وستبقى بمُثُلِها مدرسة للأجيال تضيء لها الطريق ، وتوفّر لها العطاء ، وهي نديّة تتفجر بينابيع

---

(١) اللهوف : ٦٩ .

الخير والإصلاح حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد كان يوم الطف ـ حقّاً ـ مسرحاً للقيم الكريمة التي تميّزت بالوفاء والإخلاص ونكران الذات ، وهو ليس ممّا يخص المسلمين أو طائفة منهم؛ وإنّما هو لجميع أُمم العالم وشعوب الأرض يمدّها بالإلهام والوعي ، والتحرر من ربقة العبودية والاستغلال .

لقد انتصرت رسالة الإمام الحسين عليه السلام ، وعُدّ مع أصحابه في عرف المجتمع الإنساني الروّاد الأوائل للحقّ والعدل بين الناس ، وليس هناك أسمى من هذا الانتصار ولا أروع منه .

٢ ولم ينتهِ يوم الطف بأشجانه و أحزانه حتى أقبل الناس بلهفة على التعرّف على شؤون هذه الحادثة التي سجلت فخراً للإسلام وعزّاً للمسلمين ، وقد عنى بها العلماء والكتّاب من مختلف الطوائف ، واحتلّت الصدارة في الأحداث العالمية التي غيّرت مجرى التاريخ ، وقد حفل بها القُدامى بصورة موضوعية فدوّنوا جميع شؤونها ودقائقها ، وكان من بينهم المؤرّخ الإسلامي الكبير أبو مِخْنَف لوط بن يحيى بن سعيد ابن مِخْنَف بن سليم الأزدي(١) فقد ألّف كتاباً باسم (مقتل الحسين) ، وإليه يستند

---

(١) **أبو مِخْنَف :**

راوية عالم بالسّير والأخبار ، إمامي من أهل الكوفة ، وإليه يرجع الفضل في تدوين أكثر الأحداث التي جرت في عصره ، وأثنى عليه المستشرقون .

يقول موسين : « لو أنّ أبا مخنف لم يكتب لخسر التاريخ خسارة كبيرة » .

ويقول فلهوزن : « والطبري قد حفظ لنا قطعاً كبيرة جداً من روايات أبي مخنف الراوية المحقق ، فحفظ لنا بذلك أقدم وأحسن ما كتبه ناثر عربي نعرفه » .

ويقول المستشرق پل في دائرة المعارف الإسلامية البريطانية : ١ : ٣٩٩ : « صنّف أبو مخنف اثنتين وثلاثين رسالة في التاريخ عن حوادث مختلفة وقعت إبّان القرن الأول للهجرة ، وقد حفظ لنا الطبري معظمها » . ⇦

الطبري فيما أثبته في تاريخه من أحداث كربلاء ، إلّا أنّ النسخة المطبوعة المنسوبة له لم تتفق مع روايات الطبري التي نقلها عنه ، وأكبر الظن أنّ هذا الكتاب لشخص غيره ممّن ألّف في مقتل الحسين عليه‌السلام ونسب إليه .

وممّن الّف في مقتل الحسين عليه‌السلام نصر بن مزاحم بن سيّار التميمي الكوفي(١) ، ولا وجود لهذا الكتاب في المكتبات التي راجعناها . وألّف الواقدي ، ومحمّد بن زكريا ، وجابر بن يزيد وغيرهم من أعلام تلك العصور ما يربو على ستين مؤلفاً كلها بعنوان (مقتل الحسين) ، إلّا أنّا لم نعثر على واحد منها بالرغم من شدّة التتبع والفحص في المكتبات ، ولعلّ بعضها توجد في المكتبات في خارج بلادنا الحافلة بكثير من المخطوطات العربية .

٣ وبهذا الجزء تنتهي دراستنا عن حياة الإمام الحسين عليه‌السلام ، وقد عانيت جهداً شاقّاً وعسيراً في مراجعة المخطوطات العربية والأفلام المصورة التي جلبت من الخارج ، وقد حفلت بها مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، ومكتبة الإمام الحكيم ،

⇨ توجد ترجمته مفصلة في معجم الأُدباء : ١٧ : ٤١ . تاج العروس : ٦ : ١٠٥ . فوات الوفيات : ٢ : ٢٨٨ . رجال النجاشي : ٣٢٠ . الفهرست / الطوسي : ٣٨١ . الذريعة : ١ : ٣٤٨ . الأعلام : ٥ : ٢٤٥ .

(١) **نصر بن مزاحم :**

من مؤرخي الشيعة القدامى . من كتبه : (الجمل) و (أخبار المختار الثقفي) و (وقعة صفين) و (النهروان) وغيرها ، وقد اتّهمه بعض المترجمين له أنّه من غلاة الشيعة ، وقالوا : « إنّه كان زائغاً عن الحقّ مائلاً » ، ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه : ١٣ : ٢٨٣ .

وقال ابن أبي الحديد فيه : « هو ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوىً » ـ شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٠٦ توجد ترجمته في ميزان الاعتدال : ٤ : ٢٥٣ . لسان الميزان : ٦ : ١٥٧ . الذريعة : ١ : ٣٤٩ . الأعلام : ٨ : ٢٨ . روضات الجنّات : ٨ : ١٦٥ .

ومكتبة الإمام كاشف الغطاء ، ويجد القارئ في هامش الكتاب أسماء تلك الكتب التي راجعتها ، ومع هذا التتبع المرهق لا أدّعي أنّي ألمَمْتُ بالموضوع أو أحطت به ، فإنّي ـ فيما أعتقد ـ لم أعطِ في دراستي عن الإمام الحسين عليه السلام إلّا أضواءً خافتة عن شخصيته الكريمة التي هي أثرى شخصية عرفها التاريخ في معطياتها الفكرية والاجتماعية للناس ، فإنّ الإلمام بها ـ أو ما يقرب من ذلك ـ يحتاج إلى المزيد من المراجعات في المخطوطات العربية الموجودة في الخارج .

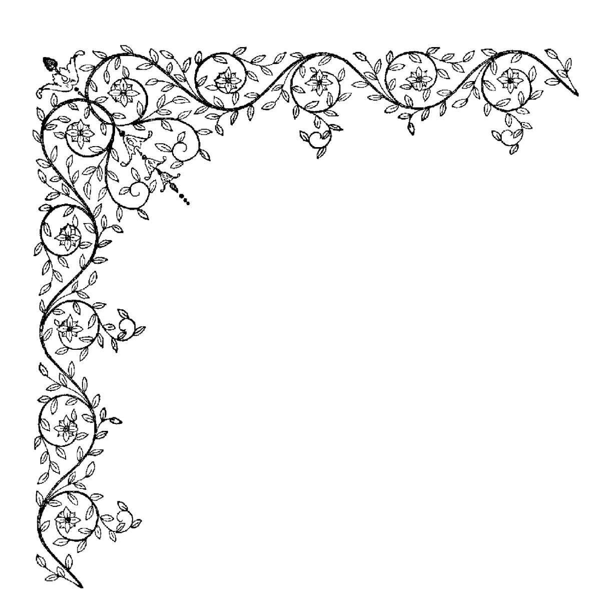
وعلى أيّة حال فإنّ هذا الكتاب ما هو إلّا صفحة من حياة الإمام الحسين عليه السلام ، ومثل موجز عن حياته الطيبة التي يعتزّ بها كل إنسان .

وقبل أن أُنهي هذا التقديم أكرر شكري الجزيل إلى سيادة المحسن الكبير الحاج رشاد عجينة على ما أبداه من الإحسان لي في تأليف هذا الكتاب والإنفاق على طبعه من مبرّات والده المغفور له الحاج محمّد جواد عجينة ، سائلاً من الله تعالى أن يثيبه على ذلك أجزل الثواب ، كما أنّ من الحقّ عليَّ أن أذكر بالخير ما أسداه عليَّ من ألطاف سماحة الحجّة العلّامة أخي الشيخ هادي القرشي من مراجعة كثير من المصادر التي تخصّ الموضوع ، وملاحظاته القيّمة في كثير من البحوث ، والله هو الذي يتولّى جزاءه عن ذلك إنّه وليّ التوفيق .

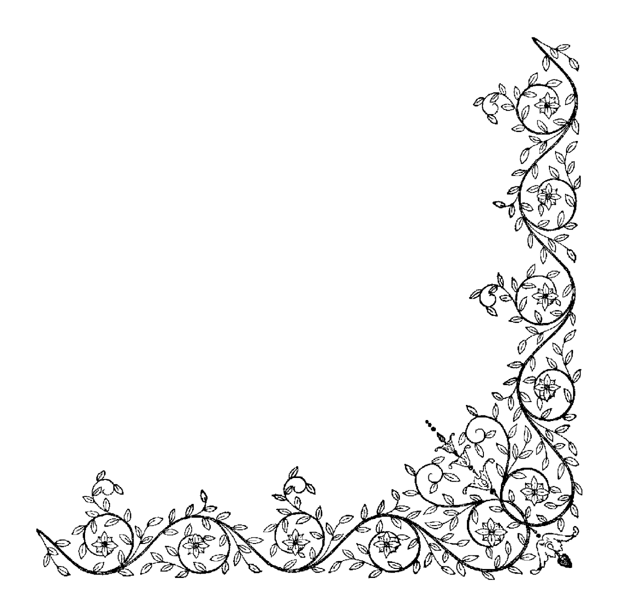
مكتبة الإمام الحسن العامة
النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

١٣٩٦ / 1976



اِخْتِيارُ الهِجْرَةِ إِلى العِراقِ



واختار الإمام الحسين عليه السلام الهجرة إلى العراق دون غيره من أقاليم العالم الإسلامي، وهو على علم بما مني به أهل العراق من التذبذب والاضطراب في سلوكهم، ولعلّ سبب اختياره له دون غيره يعود لما يلي:

أوّلاً: إنّ العراق في ذلك العصر كان قلب الدولة الإسلاميّة وموطن المال والرجال، وقد أُنشئت فيه الكوفة حامية الجيوش الإسلامية، وقد لعبت دوراً خطيراً في حركة الفتح الإسلامي، فقد شاركت في فتح رامهرمز، والسوس، وتستر، ونهاوند، وكان عمر بن الخطاب يستنجد بها، فقد كتب إلى واليه سعد بن أبي وقاص: أن ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن[1].

وكثيراً ما تمرّ في أخبار الفتوح الإسلامية هذه العبارة: وأمدّهم عمر بأهل الكوفة.

وكان عمر يثني عليهم ويقول: جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفّون حوزتهم، ويمدّون أهل الأمصار[2].

وقال فيهم رجل من أهل الشام: إنّكم كنز أهل الإسلام، إن استمدّكم أهل البصرة أمددتموهم، وإن استمدّكم أهل الشام أمددتموهم[3].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٣: ٤٨٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٣: ٤٥٥.

(٣) الطبقات الكبرى: ٦: ١٢٤.

ومضافاً إلى أنّ العراق كان قاعدة حربية ، فإنّه قد اشتهر منذ القدم بثرائه ، « فهو قلب الأرض ، وخُزانة المُلك الأعظم ، وما قد خصّ الله جلّ وعلا به أهل الكوفة من عمل الوشي والخز ، وغير ذلك من حاصلات أنواع الفواكه والتمور »[١] .

وكان الأُمويون قد اتّخذوه مورداً مهمّاً لبيت المال في دمشق[٢] ، وقد بلغت جباية معاوية للكوفة وسوادها مائة ألف ألف درهم[٣] ، وبلغ خراج البطائح[٤] خمسة آلاف ألف درهم[٥] .

لقد كان العراق قلب الدولة الإسلامية النابض ، وقد بزّ سائر الأمصار في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وقد تهافت عليه جميع الثائرين ليتّخذوه منطلقاً لأهدافهم السياسية[٦] .

إنّ الكوفة كانت البلد الوحيد في الأقطار الإسلامية التي تفقه قيم الأحداث ومغزى التيارات السياسية ، فقد ساد فيها الوعي الاجتماعي إلى حدّ كبير ، وقد كان الكوفيون يفرضون آراءهم على حكّامهم ، وإذا لم يحققوا رغباتهم سلّوا في وجوههم السيوف وثاروا عليهم .

وعلى أيّة حال فقد اختار الإمام الحسين عليه السلام الهجرة إلى الكوفة باعتبارها مركز القوة في العالم الإسلامي .

---

(١) مختصر كتاب البلدان / الهمداني : ٥٢ .

(٢) فتوح البلدان : ٢٩١ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ١٤٤ .

(٤) **البطائح** : أرض واسعة تقع ما بين واسط والبصرة ، كانت قرى متصلة وأرضاً واسعة ، معجم البلدان : ١ : ٥٣٤ .

(٥) فتوح البلدان : ٢٩١ . الخراج وصنعة الكتابة / قدامة بن جعفر : ٢٤٠ .

(٦) تاريخ العراق في ظلّ الحكم الأموي : ٩ .

يقول عبد المتعال الصعيدي : « ولم يخطئ الإمام الحسين عليه السلام حينما أزمع على الهجرة إلى العراق ؛ لأنّه المركز الصالح لقيام حكم عام يجمع أمر المسلمين ، ولهذا اختاره مَنْ قَبله ، وقد حققت الأيام للعراق هذا الحكم فقامت به الدولة العباسية التي حكمت المسلمين نحو خمسمائة سنة »(١).

ثانياً : إنّ الكوفة كانت مهداً للشيعة وموطناً من مواطن العلويين ، وقد أعلنت إخلاصها لأهل البيت عليهم السلام في كثير من المواقف ، فقد اندفعت جموع الثائرين تحت قيادة مالك الأشتر النخعي أحد أعلام الشيعة إلى يثرب فحاصروا عثمان وأجهزوا عليه ، وقاموا بترشيح الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام للخلافة ، وقد غرست بذرة التشيّع في الكوفة منذ خلافة عمر .

فقد كان من ولاتها عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود ، فأخذا يشيعان في أوساطها مآثر الإمام علي عليه السلام وفضائله ، وما أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه حتى تغذّوا على حبّه والولاء له ، وقد خاض الكوفيون حرب الجمل وصفين معه عليه السلام ، وكانوا يقولون له : سر بنا يا أميرالمؤمنين حيث أحببت ، فنحن حزبك وأنصارك ، نعادي من عاداك ونشايع من أناب إليك إلى طاعتك(٢).

وكان الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام يثني عليهم ثناءً عاطراً فيرى أنّهم أنصاره وأعوانه المخلصون له ، يقول لهم : « **يا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَنْتُم إِخْوانِي وَأَنْصارِي وَأَعْوانِي عَلَى الْحَقِّ ، وَمُجِيبِي إِلىٰ جِهادِ الْمُحِلِّينَ ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدبِرَ ، وَأَرْجُو إِتْمامَ طاعَةِ الْمُقْبِلِ** »(٣).

ويقول عليه السلام : « **الْكُوفَةُ كَنْزُ الْإِيْمانِ ، وَجُمْجُمَةُ الْإِسْلَامِ ، وَسَيْفُ اللهِ وَرُمْحُهُ يَضَعُهُ**

---

(١) مجلة الغريّ : العدد ١١ و ١٤ : ١٠٨ / السنة التاسعة .

(٢) و (٣) الإمامة والسياسة : ١ : ١٤٥ .

حَيْثُ يَشاءُ ، وَأَيْمُ اللهِ ، لَيُنْصَرَنَّ اللهُ بأَهْلِها في مَشارِقِ الْأَرْضِ وَمَغارِبِها ، كَما انْتَصَرَ بِالْحِجازِ»[١].

وقد خاض العراق أعنف المعارك وأشدّها ضراوة من أجل أهل البيت عليهم السلام ، فانتقم من قتلتهم ، وأخذ بثأرهم على يد الثائر العظيم المختار بن أبي عبيد الثقفي.

لقد كان اختيار الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام الهجرة إلى الكوفة ناشئاً عمّا عُرف به أهل هذه المدينة من الولاء العميق لأهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً : إنّ الكوفة كانت المقر الرئيسي لمعارضة الحكم الأموي ، فقدكان الكوفيون طوال فترة حكم الأُمويين لم يكفّوا عن معارضتهم ، ويتمنون زوال دولتهم.

ويعزو (فلهوزن) سبب بغض الكوفيين للأُمويين إلى أنّ الخلافة قد انتقلت من الكوفة إلى دمشق ، وأنّهم ـ بعد أن كانوا أصحاب الدولة ـ أصبحت مدينتهم مجرّد ولاية في الدولة الجديدة ، وأنّ دخلهم من خراج الأرض التي فتحوها قد فقدوه ، ولم يعد أمامهم إلّا أن يقنعوا بالفُتات الذي يتساقط عليهم من موائد سادتهم الأُمويين ، ولكنّهم ـ مع الأسف ـ لم يشعروا بهذه المرارة إلّا بعد فوات الأوان ، ومن هنا لم يكن من الغريب أن يروا في حكم أهل الشام نِيراً ثقيلاً على رقابهم يتربّصون به الفرصة الملائمة ليتخلّصوا منه ، ويلقوه بعيداً عنهم.

وممّا زاد في نقمة الكوفيين على الأُمويين أنّ معاوية ولّى عليهم شُذّاذ الآفاق كالمغيرة بن شعبة ، وزياد بن أبيه ، وبُسْر بن أبي أرطاة ، فأشاعوا فيهم الظلم والجور ، وأخرجوهم من الدعة والاستقرار ، وبالغوا في حرمانهم الاقتصادي ، واتّبعوا فيهم سياسة التجويع والحرمان ، وظلّت الكوفة مركزاً للثورات على حكم الأُمويين ، ولم يثنهم عن ذلك ما عانوه من التعذيب والقتل والبطش على أيدي الولاة.

---

(١) الطبقات الكبرى : ٦ : ٦. معجم البلدان : ٤ : ٤٩٢. مختصر البلدان / ابن الفقيه : ١٦٣.

لقد كانت هجرة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الكوفة واختيارها مقرّاً لحكومته باعتبارها البلد الوحيد المعادي للأُمويين ، وقد وصل الحماس فيها ضد الأُمويين ذروته بعد هلاك معاوية .

رابعاً : إنّ الإمام الحسين عليه السلام إنّما اختار الهجرة للعراق للدعوات الملحّة ، والإصرار البالغ من الأغلبية الساحقة من أهل الكوفة للقدوم عليهم حتى في زمن معاوية ، فقد توافدت عليه كتبهم وهي تحثّه على المسير إليهم ، وتحمّله المسؤولية أمام الله والأُمّة إن تأخّر عن إجابتهم ، لا سيما بعد أن كتب إليه سفيره مسلم بن عقيل يخبره باجتماع الناس على بيعته ، وتطلّعهم إلى قدومه ويحثّه على السفر إليهم ، فلم يرَ عليه السلام بُدّاً من إجابتهم .

يقول الدكتور محمّد حلمي : « إنّه لم يخرج الحسين عليه السلام من الحجاز في اتجاه الكوفة استجابة للدعوات التي وصلته من أهلها طالبة إليه القدوم عليهم ليتزعّم ثورتهم على خلافة يزيد ... لم يخرج الحسين عليه السلام إلّا بعد أن اختبر استعداد الكوفيين للقيام بهذه الثورة ، وذلك بإرسال ممثل له ؛ ليتعرّف على مدى هذا الاستعداد ، وذهب مسلم بن عقيل بن أبي طالب في هذه المهمة ، ونجح في فترة قصيرة في قيادة اثني عشر ألفاً في ثورة عارمة بايعت الحسين عليه السلام ونزعت بيعة يزيد ، وكتب مسلم بهذا إلى الحسين عليه السلام[1] الذي قرر الخروج لقيادة الحركة بنفسه ، وبهذا لم يكن الحسين عليه السلام متسرّعاً في خروجه ولا مندفعاً ، فقد أتته الكتب وأراد أن يطمئنّ على مدى جدّيتها ، فاطمأنّ بخروج هؤلاء الآلاف في الفترة القصيرة التي نشط فيها ممثله »[2] .

خامساً : إنّ الإمام الحسين عليه السلام لو نزح إلى قُطْر آخر غير الكوفة فإنّ الجيش الأموي

---

(١) المنتظم : ٥ : ٣٢٦ . تذكرة الخواص : ٢١٨ .

(٢) الخلافة والدولة في العصر الأموي : ١١٥ و ١١٦ .

لا بدّ أن يلاحقه ، ولابدّ أن يستشهد فيتّجه له اللوم والتقريع ، ويقال له : لماذا لم تتجه إلى العراق البلد الذي يضم أنصارك وشيعتك ، وقد بعث إليك أهله آلاف الرسائل تحثّك على القدوم إليهم ؟! فماذا يكون حينئذٍ جوابه لو سار إلى قُطْر آخر ولاحقته جيوش الأُمويين ؟!

هذه بعض الأسباب التي حفّزت الإمام إلى اختيار الهجرة إلى الكوفة ليجعلها مقرّاً لثورته .

الإعراض عن الحجاز

بقي هنا شيء ، وهو أنّ الإمام الحسين عليه السلام لماذا لم يبقَ بالحجاز ويتّخذه منطلقاً للثورة ؟ ولعلّ السبب في رفضه لذلك يعود إلى ما يلي :

١ ـ إنّ البيئة الحجازية كانت تتصف بقلّة الموارد الاقتصادية ، فقد أشاع معاوية فيها الفقر والبؤس ، ومن الطبيعي أنّ الثورة تحتاج إلى دعم مالي كبير ، ومع انعدام المال في الحجاز كيف يفجّر الإمام الحسين عليه السلام ثورته فيه ؟!

٢ ـ انعدام الوعي السياسي في الحجاز ، فقد انصرفت الأكثرية الساحقة فيه عن الشؤون السياسية ، في حين أنّ العراق كان مشعل الوعي السياسي في البلاد العربية .

٣ ـ إنّ الحجاز كان لا يصلح لأن يكون مركزاً للثورة ، فقد أصبح مهدداً بالغزو من الجيوش الأُموية ، فقد بعث يزيد بجيش جرار لقتال ابن الزبير بقيادة أخيه عمرو بن الزبير .

٤ ـ إنّ الحجاز لم تكن فيه حامية عسكرية حتى يلجأ إليها الإمام الحسين عليه السلام لتقوم بالذبّ والدفاع عنه .

٥ ـ إنّ الأغلبية الساحقة في الحجاز كانت تحقد على أهل البيت عليهم السلام ، وكان ميولها لبني أُمية . يقول أبو جعفر الإسكافي : « أمّا أهل مكة فكلهم كانوا يبغضونه

قاطبة ، وكانت قريش كلها على خلافه ، وكان جمهور الخلق مع بني أُمية عليه »[١] أي علي عليه السلام .

ويقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام : « **ما بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ عِشْرُونَ رَجُلاً يُحِبُّنا** »[٢] .

ومع شيوع الكراهية في الحجاز لأهل البيت عليهم السلام كيف يتّخذه الإمام الحسين عليه السلام مقراً له ؟ !

لقد نزح الإمام الحسين عليه السلام من الحجاز بمرأىً وَمَسمعٍ من جميع الحجازيين فلم يخفّوا معه ، ولم يتبعه أحد منهم سوى أهل بيته ، للقيام بنصرته والذبّ عنه .

الإعراض عن مصر

وأعرض الإمام الحسين عليه السلام عن مصر ، ولم يراسل أحداً منهم ؛ وذلك لأنّ أهلها كانوا طيلة عهد الخلفاء وطيلة الحكم الأموي ميّالين إلى الدعة والسلام ، والبعد عن التيارات السياسية ، على أنّه لم ترد منهم أيّة رسالة للإمام الحسين عليه السلام يدعونه فيها للقدوم إليهم ، فكيف يهاجر إليهم ؟ ! ومضافاً إلى ذلك فإنّ في مصر نزعة عثمانية ، وقد كان واليها من قِبل معاوية عمرو بن العاص ، فأشاع فيها البغض والكراهية لأهل البيت عليهم السلام ، وغرس فيها الولاء لبني أُمية ، فكيف يقصدها ؟ !

الإعراض عن اليمن

وأشار ابن عباس وغيره على الإمام الحسين عليه السلام أن يهاجر إلى اليمن ؛ لأنّ فيها شيعة له ولأبيه ، فلم يستجب عليه السلام إلى هذا الرأي ، وفيما نحسب أنّ أسباب إعراضه عنه تعود إلى ما يلي :

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٤ : ١٠٣ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ : ١٤٣ . الغارات : ٣٩٣ . شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٤ : ١٠٤ .

الأوّل: إنّه لم تكن في اليمن حامية عسكرية حتى تتمكن من حمايته والذبّ عنه إذا داهمته جيوش بني أُمية ، فقد كان اليمانيون عزّلاً من السلاح والعتاد ، ولا قابلية لهم على الخوض في عمليات الحروب .

الثاني: إنّ جماهير اليمن لم تقم بحماية بلادهم حينما دهمتهم جيوش معاوية بقيادة الباغي بُسْر بن أبي أرطاة ، فأشاع فيهم القتل ، وسبى نساءهم وباعها في الأسواق ، فمن كانت أعظم ساقاً بيعت بثمن أكثر[١] ، ولم يثأروا للدفاع عن أعراضهم ، وإنّما استسلموا للعدوان الأموي الذي أصاب من دمائهم وأموالهم حسبما شاء ، ومع هذه الحال كيف يهاجر الإمام الحسين عليه السلام إليها ؟!

الثالث: إنّ اليمن قد مُنيت بالفقر والبؤس ، فكانت الحياة الاقتصادية فيها مشلولة ، ولا قدرة لأهلها على مدّ الثورة بما تحتاج إليه من المال والسلاح ، وقد نزح الكثيرون منها إلى الكوفة طلباً للرزق والرفاهية .

الرابع: إنّ الإمام الحسين عليه السلام لو ذهب إلى اليمن لما تركه يزيد وأرسل إليه جيوشه لمناجزته وتسفك بذلك الدماء ، ويُتّهم عليه السلام بإثارة الفتنة وشقّ عصا الطاعة ، وتضيع بذلك عدالة قضيته حسبما يقول الدكتور أحمد محمود صبحي[٢] .

وبما ذكرناه من هذا التحقيق يتّضح وهن ما ذهب إليه الدكتور علي حسني الخربوطلي من تخطئة الإمام الحسين عليه السلام على عدم ذهابه لليمن وتخلّيه عن الحجاز ؛ لأنّ بهما أنصاره الحقيقيين وشيعة أبيه المخلصين ، وإنّ اليمن كانت تمتاز ببعدها عن مركز الخلافة ، ومناعة حصونها وكثرة شعابها[٣] .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤: ٣٨٩ و ٣٩٠. الغارات : ٤٠٤ ـ ٤٢٦.

(٢) نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشريّة : ٣٤٣.

(٣) تاريخ العراق في ظلّ الحكم الأموي : ١٢١ ، وذهب لذلك النصولي في كتابه : الدولة الأُمويّة في الشام : ٥٣.

وهذا الرأي لا يحمل أيّ طابع من التحقيق ؛ إذ لو كان في اليمن أنصار للإمام الحسين عليه السلام لكاتبوه وطلبوا مجيئه إليهم ، ولم يذكر التاريخ أيّة بادرة من ذلك ، مع أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن عنده أنصار حقيقيون في الحجاز ، ولو كانوا لخفّوا معه حينما أعلن الذهاب إلى العراق ، وما تركوه وحده فريسة بيد الطاغية ابن مرجانة ، وأمّا اليمن فقد ذكرنا أنّها غير صالحة استراتيجياً لأن يتخذها الإمام الحسين عليه السلام مقرّاً لثورته .

الإعراض عن فارس

وأعرض الإمام الحسين عليه السلام عن فارس ؛ لأنّه لم يكن له فيها أيّ رصيد ، ولم تتبلور فيها الدعوة لأهل البيت عليهم السلام ، وإنّما كانت مركزاً لدعوة العلويين بعد ردح من الزمن حينما نزحت إليها المجموعة الكبيرة من الشيعة التي نفاها زياد إليها ، فقد أخذت تعمل على نشر التشيّع هناك ، وقد استغل دعاة بني العباس تلك الثمرة التي أوجدتها دعاة الشيعة في فارس فاتخذوها مقراً لهم ، ومنها انطلقت الثورة على بني أُمية فأطاحت بعرشهم وسلطانهم .

الإعراض عن البصرة

وأعرض الإمام الحسين عليه السلام عن البصرة ؛ لأنّها كانت عثمانية الهوى ، وكان الكثيرون من أبنائها شيعة للزبير وطلحة . يقول أبو جعفر الإسكافي :كان أهل البصرة كلهم يبغضون علياً عليه السلام (١) ، وسبب ذلك حرب الجمل التي حصدت رؤوس الكثيرين من أبنائها فأترعت نفوسهم بالكراهية للإمام علي عليه السلام وأبنائه .

نعم ، فيها بعض الشيعة ، وقد كاتبهم الإمام الحسين عليه السلام عندما أراد التوجّه إلى

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٤: ٩٤ ، ١٠٣ .

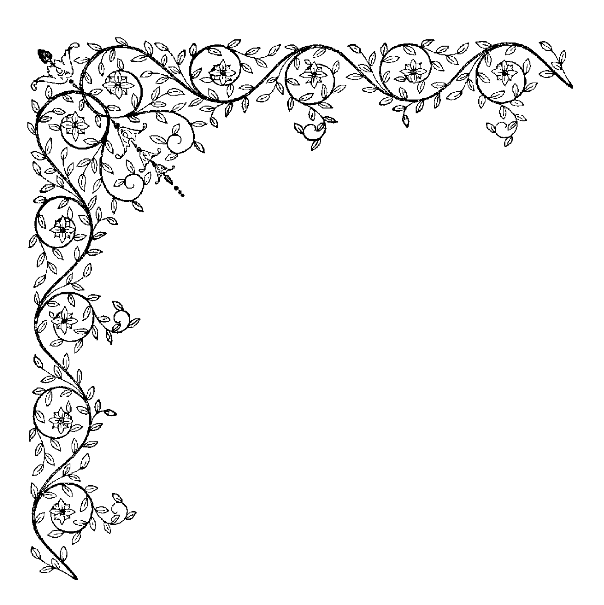
الكوفة فلم ينفر منهم إلّا اثنان حسبما يذكره التاريخ[١].

وعلى أيّة حال فإنّ الكوفة كانت أصلح مركز لإعلان الثورة على الأُمويين، فقد تزعّمت هذه المدينة الثائرة الحركة المعارضة لبني أُمية، كما كانت أهم موقع استراتيجي في العالم الإسلامي، وقد تهيأت تهيؤاً تاماً ـ بعد هلاك معاوية ـ لدعوة الإمام الحسين عليه السلام، كما كانت الوطن الأُم لشيعته، فقد كانت قلوب أهلها تفيض بالحب والولاء له.

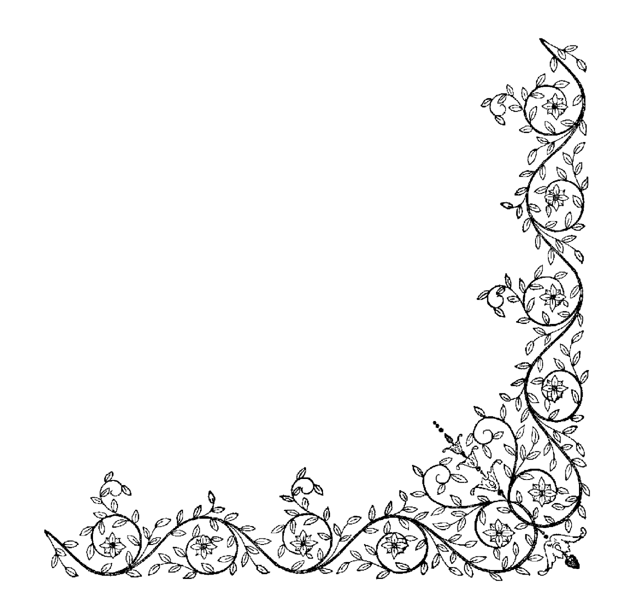
لقد كان اختيار الإمام الحسين عليه السلام الهجرة إلى الكوفة دون غيرها مبنياً على دراسته الوثيقة لواقع الأقطار الإسلامية، وإحاطته باتجاهات المواطنين فيها سواء في الميادين السياسية أم العقائدية، ومدى قدرتهم الاقتصادية والعسكرية، فقد خَبَرَ الإمام الحسين عليه السلام كل ذلك ووقف عليه، فلم يرَ هناك قطراً تتوفر فيه الاستراتيجية الكاملة لحماية الثورة وضمان نجاحها سوى الكوفة التي كانت تضم القوى المؤيدة له والمنحرفة عن الحكم الأموي، فكان الاتجاه إليها ضرورة ملحّة لا غنىً له عنها.

---

(١) إبصار العين: ١٤٥ و ـ١٤٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٦١.



مُشفِقونَ ومُندّدونَ



ولما أُذيع تصميم الإمام الحسين عليه السلام وعزمه على مغادرة الحجاز والتوجّه إلى الكوفة أشفق عليه جماعة من أهل بيته وشيعته، كما أظهر له الإخلاص رياءً بعض ذوي الأطماع السياسية ـ كعبدالله بن الزبير، وعمر بن عبد الرحمن المخزومي، وعمرو بن سعيد الأشدق الذي أشفق عليه بالخروج خوفاً على انهيار الحكم الأموي ـ وقد حذّروه عليه السلام، وخافوا عليه من انقلاب أهل الكوفة وغدرهم به كما غدروا بأخيه الإمام الحسن عليه السلام من قبل، وقد أشاروا عليه بألاّ يتوجه لهذا القطر ولا يقرب منه، كما ندد بخروجه جماعة من عملاء السلطة وأذنابها خوفاً على تصدّع الحكم الأموي وانهياره، وقال بمثل مقالتهم جماعة من المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام في كثير من العصور، وفيما يلي آراء كلا الفريقين.

مشفقون

أمّا المشفقون من شيعة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته فكانت قلوبهم تذوب أسىً وحزناً على مغادرته عليه السلام للحجاز، وكانوا يتكلمون بلغة العاطفة، ويفكرون في شيء لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يفكر به، فكانوا يشيرون عليه بمهادنة السلطة والبيعة ليزيد؛ ليكون بمأمن من شروره واعتدائه، وكان عليه السلام يرى دين جدّه صلى الله عليه وآله قد صار أُلعوبة بيد حفيد أبي سفيان فلابدّ أن يثأر لكرامة هذا الدين، ويضحّي بكل شيء لحمايته، فهذا هو مغزاه الذي كان لا يثنيه عنه شيء؛ ولنستمع إلى حديث

المشفقين عليه، والعاذلين له:

١ ـ المِسْوَر بن مخرمة

وذعر المِسْوَر بن مخرمة[١] حينما سمع بعزم الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة الحجاز والتوجّه إلى العراق، فكتب إليه هذه الرسالة:

«إيّاك أن تغتر بكتب أهل العراق، ويقول لك ابن الزبير: الحق بهم فإنّهم ناصروك، إيّاك أن تبرح الحرم، فإنّهم ـ أي أهل العراق ـ إن كانت لهم بك حاجة فسيضربون آباط الإبل حتى يوافوك، فتخرج إليهم في قوة وعِدّة»[٢].

ولما قرأ الإمام الحسين عليه السلام رسالته أثنى على عواطفه، وقال لرسوله: «**أَسْتَخِيرُ اللهَ في ذلِكَ**»[٣].

٢ ـ عبدالله بن جعفر

وخاف عبدالله بن جعفر على ابن عمّه حينما علم بعزمه على التوجه إلى العراق، فأحاطت به موجات من الأسى، فبعث إليه بابنيه عون ومحمّد، وكتب معهما هذه الرسالة:

«أمّا بعد، فإنّي أسألك الله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإنّي مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك. إن هلكت اليوم أُطفئ

---

(١) **المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري:**
ولد بعد الهجرة بسنتين، وقد روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وكان من أهل الفضل والدين، كان مع ابن الزبير فلمّا كان حصار مكة أصابه حجر من حجارة المنجنيق فتوفي سنة (٦٤هـ) ـ الإصابة: ٦: ٩٩. تاريخ خليفة بن خياط: ١٥٨. تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠): ٢٤٤ ـ ٢٤٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٠٨ و ٢٠٩. البداية والنهاية: ٨: ١٦٥.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٠٩. تهذيب الكمال: ٦: ٤١٧.

نور الأرض ، فإنّك علم المهتدين ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فإنّي في أثر كتابي ، والسلام »[١].

وأسرع ابن جعفر وهو خائر القوى ذاهل اللب إلى عمرو بن سعيد الأشدق حاكم مكة فأخذ منه كتاباً فيه أمان للحسين عليه‌السلام ، وجاء مسرعاً إليه ، وكان معه يحيى بن سعيد بن العاص ، فعرض عليه الإقامة في مكة وعدم النزوح إلى العراق فلم يستجب الإمام الحسين عليه‌السلام له ، وأخذ يتضرّع إليه عبدالله ويتوسّل في أن ينصرف عن نيته.

فقال الإمام الحسين عليه‌السلام : **إِنِّي رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله في مَنامِي ، وَأَسَرَّنِي بِأَمْرٍ لَابُدَّ أَنْ أَنْتَهِيَ إِلَيْهِ**.

فسأله ابن جعفر عن الرؤيا ، فأبى أن يحدّثه بها ، وقال له : **ما حَدَّثْتُ بِها أَحَداً ، وَما أَنا بِمُحَدِّثٍ بِها حَتّىٰ أَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ**[٢].

وانصرف ابن جعفر وهو غارق بالأسى والشجون ، وأيقن بنزول الرزء القاصم ، وقد أمر ابنيه بمصاحبة خالهما الإمام الحسين عليه‌السلام.

٣ ـ عبدالله بن عباس

وأسرع عبدالله بن عباس وهو حزين كئيب إلى الإمام الحسين عليه‌السلام ، فقال له : إنّ الناس أرجفوا بأنّك سائر إلى العراق ، فهل عزمت على شيء من ذلك ؟

قال عليه‌السلام : **إِنِّي قَدْ أَجْمَعْتُ الْمَسِيرَ فِي أَحَدِ يَوْمَيَّ هٰذَيْنِ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ**.

وفزع ابن عباس ، فقال للإمام الحسين عليه‌السلام : إنِّي أُعيذك بالله من ذلك ، أخبرني

---

(١) الفتوح : ٥ : ٦٧. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٩١. الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٦ و ٢٧٧.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٩١. تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٠٩. سير أعلام النبلاء : ٣ : ٢٩٧. البداية والنهاية : ٨ : ١٦٥.

ـ رحمك الله ـ أتسيرُ إلى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك سِر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبي بلادهم، وتأخذ خراجهم، فإنّما دعوك إلى الحرب، ولا آمن عليك أن يغرّوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك.

ولم يخفَ شيء من هذه النقاط الحسّاسة على الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان على بصيرة من أمره، فقال لابن عباس: **فَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللهَ، وَأَنْظُرُ مَا يَكونُ؟**[1].

وأحاطت بابن عباس موجات من القلق والاضطراب، فلم يتمكن أن يُهدّئ أعصابه، فراجع الإمام الحسين عليه السلام، وقال له: يا بن عمّي، إنّي أتصبّر ولا أصبر، إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال. إنّ أهل العراق قومٌ غُدرٌ فلا تقربهم، أقم في هذا البلد فإنّك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك ـ كما زعموا ـ فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوّهم، ثمّ أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج فسر إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبثّ دعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية[2].

وأخبره الإمام الحسين عليه السلام عن تصميمه على السفر، وأنّه قد بتّ به.

فقال له ابن عباس: إن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فإنّي لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٨٦ و ٥٨٧. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧٥. وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل: ١٨٧ من مصورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وكذلك روي في الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ / السيّد محمود الشيخاني القادري: ٢٨٥، من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٨٧. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧٦.

ثم قال ابن عباس : لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك .

ولم يتمالك ابن عباس روعه ، واندفع بثورة عارمة ، فقال ـ حسبما يروي المؤرخون ـ : والله الذي لا إله إلّا هو ، لو أعلم أنّي إن أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعتني فأقمت لفعلت ذلك .

ولم يخفَ على الإمام الحسين عليه السلام كل ما قاله ابن عباس ، فقد كان مصمماً على غايته التي بها انتصار الإسلام .

وخرج ابن عباس وهو يتعثّر في خطاه ، قد نخر الحزن قلبه فاتجه نحو ابن الزبير فقال له : لقد قرّت عينك يابن الزبير ، ثمّ أنشد :

يَـا لَكِ مِـنْ قُـبَّرَةٍ بِـمَعْمَرِ خَلَا لَكِ الجَوُّ فَبِيضِي وَاصفِرِي
وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِي

هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخلّيك والحجاز ...[1].

إنّ الإمام الحسين عليه السلام لو كان يروم الملك والسلطان لاستجاب لرأي ابن عباس ، ولكنّه عليه السلام كان يبغي الإصلاح ، وإعادة الحياة الإسلامية إلى واقعها المشرق ، وأيقن أنّ ذلك لا يتحقق إلّا بالتضحية الحمراء ، فهي وحدها التي تحقق ما يصبو إليه .

٤ ـ أبو بكر المخزومي

وهرع أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي[2] إلى الإمام ، فقال له : يابن عمٍّ إنّ

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٨٧ و ٥٨٨ . مروج الذهب : ٣ : ٥٥ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١١ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٦ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ٢٩٧ .

(٢) **أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي القرشي :**

أحد الفقهاء السبعة . ولد في خلافة عمر ، وكان يقال له راهب قريش لكثرة صلاته ، ⇦

الرحم يظأرني[1] عليك ولا أدري كيف أنا في النصيحة ؟

فقال عليه السلام : **يا أَبا بَكْرٍ ، ما أَنْتَ مِمَّنْ يُسْتَغَشُّ وَلَا يُتَّهَمُ ، فَقُلْ .**

فقال أبو بكر : كان أبوك أقدم سابقة ، وأحسن في الإسلام أثراً ، وأشدّ بأساً ، والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع ، فسار إلى معاوية والناس مجتمعون عليه إلّا أهل الشام ـ وهو أعزّ منه ـ فخذلوه ، وتثاقلوا عنه حرصاً على الدنيا وضنّاً بها ، فجرّعوه الغيظ وخالفوه ؛ حتى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه ، ثمّ صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا وقد شهدت ذلك كله ورأيته ، ثمّ أنت تسير إلى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ، ومن هو أعدّ منك وأقوى ، والناس منه أخوف وله أرجى ، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطغوا الناس بالأموال ـ وهم عبيد الدنيا ـ فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحبّ إليه ممّن ينصره ، فاذكر الله في نفسك .

وشكر له الإمام الحسين عليه السلام نصيحته وعواطفه ، وعرّفه أنّه مصمم على ما عزم عليه .

ويئس أبو بكر المخزومي فانطلق ، وهو يقول : إنّا لله ، عند الله نحتسب أبا عبدالله .

وأقبل أبو بكر على والي مكة ، وهو يقول :

كَمْ نَرىٰ ناصِحاً يَقُولُ فَيُعْصىٰ   وَظَنِينُ المَغِيبِ يُلْفَى نَصِيحا

فقال له : وما ذاك يا أبا بكر ؟

⇦ وكان مكفوفاً ، وهو من سادات قريش . توفي سنة (٩٥ هـ) ، جاء ذلك في تهذيب التهذيب : ١٢ : ٣٤ .

(١) **يظأرني** : أي يدفعني عليك العطف والحنو . ومنه المثل : «الطَّعْنُ يَظْأَرُ» يُضْرب لمن يحمل على الصلح خوفاً ـ مجمع الأمثال : ١ : ٤٤٢ .

فأخبره بما قال للحسين ، فقال له : نصحت له وربِّ الكعبة[١] .

٥ ـ عبدالله بن جعدة

وأشفق عبدالله بن جعدة بن هبيرة على الإمام الحسين عليه السلام فألحقه بولده عون وبعث إليه رسالة يسأله فيها الرجوع ، ويذكر فيها تخوّفه من مسيره إلى العراق ، فلم يعجب الإمام ذلك[٢] .

٦ ـ جابر بن عبدالله

وخفّ جابر بن عبدالله الأنصاري إلى الإمام الحسين عليه السلام وطلب منه ألّا يخرج ، فأبى عليه السلام[٣] .

٧ ـ عبدالله بن مطيع

والتقى الإمام الحسين عليه السلام بعبدالله بن مطيع ، وكان في طريقه إلى العراق ، وعرف عبدالله قصده ، فقال له : يابن رسول الله ، أُذكّرك الله في حرمة الإسلام أن تنتهك ، أُنشدك الله في حرمة قريش وذمّة العرب ، والله لئن طلبت ما في يد بني أُمية ليقتلوك ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً ، والله إنّها لحرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب ، فالله الله لا تفعل ، ولا تأتِ الكوفة ، ولا تعرّض نفسك لبني أُمية[٤] .

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٥٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٨٦ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٠٩ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٥ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧٧ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٠٨ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ٢٩٦ .

(٤) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ١٨٩ .

⇦

٨ ـ عمرو بن سعيد

وأرسل عمرو بن سعيد الأشدق رسالة للإمام الحسين عليه السلام يتعهّد فيها له بالأمان وعدم التعرّض له بمكروه، وقد جاء فيها:

«إنّي أسأل الله أن يُلهمك رشدك، وأن يصرفك عمّا يرديك. بلغني أنّك قد عزمت على الشخوص إلى العراق، فإنّي أُعيذك بالله من الشقاق، فإن كنت خائفاً فأقبل إليّ فلك عندي الأمان والصلة»[1].

وكيف يخضع أبيُّ الضيم للأشدق، ويطلب منه الأمان؟! لقد أراد الأشدق أن يكون الإمام الحسين عليه السلام تحت قبضته حتى لا يملك من أمره شيئاً، ولم يخفَ عليه ذلك، فأجابه عليه السلام: **إنْ كُنْتَ أَرَدْتَ بِكِتابِكَ بِرِّي وَصِلَتِي، فَجُزِيتَ خَيراً في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ. وَإِنَّهُ لَمْ يُشاقِقْ مَنْ دَعا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَيْرُ الْأَمانِ أَمانُ اللهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ مَنْ لَمْ يَخَفْهُ في الدُّنْيا، فَنَسْأَلُ اللهَ مَخافَةً في الدُّنْيا**

⇦ وفي تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٠٧: «أنّ عبدالله بن مطيع قال للحسين عليه السلام: فداك أبي وأمي، متعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتّخذونا خولاً وعبيداً».

وفي العقد الفريد: ٤: ٣٧٦: «أنّه لقي الإمام عليه السلام فقال له: يا أبا عبدالله، لا سقانا الله بعدك ماءً طيباً، أين تريد؟

قال عليه السلام: **العِرَاقَ**.

قال: سبحان الله! لِمَ؟

فقال عليه السلام: **مَاتَ مُعَاوِيَةُ، وَجَاءَنِي أَكْثَرُ مِن حِمْلِ صُحُفٍ**.

فقال عبدالله: لا تفعل أبا عبدالله، فوالله ما حفظوا أباك وكان خيراً منك فكيف يحفظونك؟ والله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلّا استحلت» ـ مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ١٨٩.

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٠٩. البداية والنهاية: ٨: ١٦٥.

تُوجِبُ لَنا أَمانَ الْآخِرَةِ عِنْدَهُ[١].

٩ ـ محمّد بن الحنفية

وكان محمّد بن الحنفية في يثرب ، فلمّا علم بعزم أخيه على الخروج إلى العراق توجّه إلى مكة[٢] ، وقد وصل إليها في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها إلى العراق ، وقصده فور وصوله فبادره قائلاً : يا أخي ، إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك ، وقد خِفْتُ أن يكون حالك حال من مضى ، فإن أردت أن تقيم في الحرم فإنّك أعزّ من بالحرم وأمنعهم .

وشكر له الإمام الحسين عليه السلام عواطفه ونصيحته ، وقال له : **خِفْتُ أَنْ يَغْتالَنِي يَزِيدُ ابنُ مُعاوِيَةَ في الْحَرَمِ ، فَأَكُونَ الَّذِي يُستَباحُ بِهِ حُرمَةُ هٰذَا الْبَيْتِ** .

فقال محمّد : فإن خِفْت ذلك فَصِر إلى اليمن ، أو بعض نواحي البر ، فإنّك أمنع الناس به ، ولا يقدر عليك أحد .

قال الحسين عليه السلام : **أَنْظُرُ فِيما قُلْتَ**[٣] .

ولمّا كان وقت السحر بلغه شخوصه إلى العراق وكان يتوضأ ، فبكى حتى سمع وقع دموعه في الطست[٤] ، وأسرع محمّد إلى أخيه ، فأخذ بزمام ناقته ، وقال له : يا أخي ، ألم تعدني النظر فيما سألتك ؟

قال عليه السلام : **بَلَى** .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٩١ و ٥٩٢ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١٠ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٥ و ١٦٦ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١١ . تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ٩ .

(٣) اللهوف : ٣٩ و ٤٠ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٦٤ . الدرّ المسلوك ١ : ١٠٩ ، وقريب من هذا الحديث جرى بين الإمام الحسين عليه السلام وأخيه حينما كان في يثرب .

(٤) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧٧ . الصواعق المحرقة : ١٩٦ .

قال : فما حداك على الخروج عاجلاً ؟

قال عليه السلام : **أَتانِي رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَعْدَ ما فارَقْتُكَ ، وَقالَ لِي : يا حُسَينُ ، أُخْرُجْ ، فَإِنَّ اللهَ شاءَ أَنْ يَراكَ قَتِيلاً** .

وذعر محمّد ، وسرت الرعدة بأوصاله ، ودموعه تتبلور على خدّيه وهو يقول : فما معنى حمل هؤلاء النساء والأطفال ، وأنت خارج على مثل هذا الحال ؟ !

فأجابه الإمام بعزم وطمأنينة قائلاً : **إِنَّ اللهَ قَدْ شاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبايا** [١] .

١٠ ـ السيدة أُم سلمة

وفزعت أُم المؤمنين السيدة أُم سلمة حينما علمت أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد عزم على الخروج إلى العراق ، وكان في ذلك الوقت في يثرب قبل أن يتوجّه إلى مكة ، فهرعت إليه قائلة بصوت حزين النبرات : يا بني ، لا تحزنّي بخروجك إلى العراق ، فإنّي سمعت جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « **يُقْتَلُ وَلَدِي الْحُسَيْنُ بِأَرْضِ الْعِراقِ في أَرْضٍ يُقالُ لَها كَرْبَلاءُ** » ، وعندي تربتك في قارورة دفعها إليّ النبيّ .

فأجابها الإمام الحسين عليه السلام بعزم ورباطة جأش ، قائلاً : **يا أُمّاهُ ، قَدْ شاءَ اللهُ أَنْ يَرانِي مَقْتُولاً مَذْبُوحاً ظُلماً وَعُدْوَاناً ، وَقَدْ شَاءَ أَنْ يَرَى حَرَمِي وَرَهْطِي وَنِسَائِي مُشَرَّدِينَ ، وَأَطفالِي مَذْبُوحِينَ مَظلُومِينَ ، مَأْسُورِينَ مُقَيَّدِينَ ، وَهُم يَسْتَغِيثُونَ فَلَا يَجِدُونَ نَاصِراً وَلَا مُعِيناً** [٢] .

فالتاعت أُم سلمة ، ورفعت صوتها قائلة : واعجباً ، فأين تذهب وأنت مقتول ؟

فأجابها الإمام الحسين عليه السلام وهو ساخر من الموت وهازئ من الحياة قائلاً : **يا أُمّاهُ ، إِنْ لَمْ أَذهَبِ الْيَوْمَ ذَهَبْتُ غَداً ، وَإِنْ لَمْ أَذْهَبْ في غَدٍ ذَهَبْتُ بَعْدَ غَدٍ ، وَما مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ** .

---

(١) اللهوف : ٤٠ . الدرّ المسلوك : ١ : ١٠٩ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٣١ و ٣٣٢ .

وَإِنِّي لَأَعْرِفُ الْيَوْمَ الَّذِي أُقْتَلُ فِيهِ ، وَالسّاعَةَ الَّتِي أُقْتَلُ فِيها ، وَالْحُفْرَةَ الَّتِي أُدْفَنُ فِيها كَما أَعْرِفُكِ ، وَأَنْظُرُ إِلَيْها كَما أَنْظُرُ إِلَيْكِ »[١] .

١١ ـ عبدالله بن الزبير

ولمّا عزم الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة مكة خفّ إليه عبدالله بن الزبير من باب المجاملة ، قال البلاذري : « وإنّما أراد ابن الزبير بذلك لئلا يتهمه ، وأن يعذر في القول »[٢] ، فأظهر له الحنان والولاء قائلاً : أين تذهب ؟ ! إلى قوم قتلوا أباك ، وطعنوا أخاك ؟

فقال عليه السلام : **لَئِنْ أُقْتَلُ بِمَكانِ كَذا وَكَذا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تُسْتَحَلَّ بِي** يعني مكّة[٣] .

وأصرّ الإمام الحسين عليه السلام على فكرته ، ولم يصدّه عنها عذل العاذلين ، وإشفاق المشفقين عليه ، فقد أيقن أنّه لا يمكن بأيّة حال أن تنتصر القضية الإسلامية ، وتعلو كلمة الله في الأرض إلّا بالتضحية والفداء .

يقول الأُستاذ خالد محمّد خالد : « إنّ القضية التي خرج البطل حاملاً لواءها لم تكن قضية شخصية تتعلّق بحقّ له في الخلافة ، أو ترجع إلى عداوة شخصية يضمرها ليزيد ، كما إنّها لم تكن قضية طموح يستحوذ على صاحبه ، ويدفعه إلى المغامرة التي يستوي فيها احتمال الربح والخسران . كانت القضية أجلّ وأسمى وأعظم . كانت قضية الإسلام ومصيره والمسلمين ومصيرهم .

---

(١) الهداية الكبرى : ٢٠٣ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٣١ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ١٥٢ ، وذكر الخوارزمي أنّ هذا الحديث كان بين الحسين عليه السلام وبين ابن عمر في مكة ، وكان قد دعاه إلى المضي معه إلى المدينة .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧٥ .

(٣) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧٥ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٠٣ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٣ .

وإذا صمت المسلمون جميعهم تجاه هذا الباطل الذي أنكره البعض بلسانه، وأنكره الجميع بقلوبهم فمعنى ذلك أنّ الإسلام قد كفّ عن إنجاب الرجال.

معناه أنّ المسلمين قد فقدوا أهلية الانتماء لهذا الدين العظيم، ومعناه أيضاً أنّ مصير الإسلام والمسلمين معاً قد أمسى معلّقاً بالقوة الباطشة، فمن غلب ركب، ولم يعد للقرآن ولا للحقيقة سلطان. تلك هي القضية في روع الحسين، وبهذا المنطق أصرّ على الخروج»[١].

لقد رغب إليه المشفقون ألاّ يجيب دعاة الكوفة، ويقبع في بيته مسالماً ليزيد، ولكن أبيّ الضيم كان يرى ما لا يرونه، كان يرى أنّ الحياة الإسلامية قد امتحنت بفقر الدم امتحاناً أدّى بها إلى الهلكة والدمار، وأنّه لابدّ أن يروّيها من دمه الزاكي؛ لتعود للمسلمين الحياة نشطة تتدفّق بها الحيوية من دمه الذي هو دم جدّه الرسول.

منـدّدون

وندد جماعة بخروج الإمام الحسين عليه السلام، وشجبوا إعلانه للجهاد؛ لأنّ فيه تصديعاً للحكم الأموي الذي كانوا ينعمون بخيراته وصلاته، وقد قال بمثل مقالتهم بعض المتأخرين من الكتّاب الذين اندلعت أقلامهم تحمل شرراً من نار لنقد الإمام؛ لخروجه على حكومة يزيد التي لا تحمل أيّ طابع شرعي، وهذه أقوالهم وآراؤهم:

أوّلاً: المتقدّمون

١ ـ عبدالله بن عمر

وندد عبدالله بن عمر بخروج الإمام الحسين عليه السلام، ونعى عليه الدخول في المعترك السياسي، فقال: غلبنا الحسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه

---

(١) أبناء الرسول في كربلاء: ١٢٣ و ١٢٤.

عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم، ما كان ينبغي ألّا يتحرّك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإنّ الجماعة خير[١].

٢ـ سعيد بن المُسَيّب

وشجب سعيد بن المسيب خروج الإمام الحسين عليه السلام، وقال: لو أنّ حسيناً لم يخرج لكان خيراً له[٢].

٣ـ أبو واقد الليثي

وكان أبو واقد الليثي من صنائع بني أُمية، فأقبل على الإمام الحسين عليه السلام،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٠٨. تذهيب التهذيب: ١: ١٥٢. تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠): ٨. البداية والنهاية: ٨: ١٦٤ و ١٦٥.

وجاء في تذهيب التهذيب ١: ١٥٥: «قال الشعبي: كان ابن عمر قدم المدينة فأُخبر أنّ الحسين عليه السلام قد توجّه إلى العراق فلحقه على مسيرة ليلتين ونهاه، وقال: هذه دولتهم، إنّ الله خيّر نبيه بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنّكم بضعة منه، لا يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها منكم إلّا للذي هو خير، فارجع، فأبى. فاعتنقه ابن عمر، وقال: استودعك الله من قتيل».

وجاء في الدر المسلوك ١: ١٠٦: أنّ عبدالله بن عمر أشار على الحسين عليه السلام بصلح أهل الضلال، وحذّره من القتل والقتال، فقال له الحسين عليه السلام: «... **يَا أَبا عَبْدِ الرَّحْمـٰنِ، أَما عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ هَوانِ الدُّنْيا عَلَى اللهِ أَنَّ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا أُهْدِيَ إِلَى بَغِيٍّ مِنْ بَغايا بَنِي إِسْرائِيلَ، أَما عَلِمْتَ أَنَّ بَنِي إِسْرائِيلَ كانوا يَقْتُلُونَ مِنْ طُلوعِ الْفَجْرِ إِلىٰ طُلوعِ الشَّمْسِ سَبْعِينَ نَبِيّاً، ثُمَّ يَجْلِسونَ في أَسْواقِهِمْ يَبِيعونَ وَيَشْتَرُونَ كَأَنْ لَمْ يَصنَعوا شَيْئاً، فَلَمْ يُعَجِّلِ اللهُ عَلَيْهِمْ، بَلْ أَمْهَلَهُمْ وَأَخَذَهُمْ بَعْدَ ذلِكَ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، اتَّقِ اللهَ يَا أَبا عَبْدِ الرَّحْمـٰنِ، وَلَا تَدَعَنَّ نُصْرَتِي...**». الفتوح: ٥: ٢٥. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٠٨. تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ـ٨٠): ٩ و ٨. البداية والنهاية: ٨: ١٦٥.

وجعل يناشده الله ألاّ يخرج على يزيد ، ولم يكن بذلك مدفوعاً بدافع الحبّ للإمام الحسين عليه السلام وإنّما خوفاً على ملك بني أُمية ، فلم يعنَ به وأعرض عنه[١] .

٤ ـ أبو سلمة

ومن الشاجبين لخروج الإمام الحسين عليه السلام على يزيد أبو سلمة بن عبد الرحمن[٢] قال : قد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ، ولا يخرج إليهم ، ولكن شجّعه على ذلك ابن الزبير[٣] .

٥ ـ أبو سعيد الخدري

وندد أبو سعيد بخروج الإمام الحسين عليه السلام ، وقال : غلبني الحسين على الخروج ، وقد قلت له : اتّقِ الله والزم بيتك ، ولا تخرج على إمامك[٤] .

ولا أدري كيف قال ذلك أبو سعيد ؟! وكيف يكون يزيد الخمور إماماً للإمام الحسين عليه السلام ؟! ولكن الأبصار يغشوها الهوى عن النور الساطع .

٦ ـ عمرة بنت عبد الرحمن

وكانت عمرة بنت عبد الرحمن[٥] تدين بالولاء لبني أُمية ، وتخشى على

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٠٨ . تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ٩ و ٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٥ .

(٢) **أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني :**
ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المدنيين ـ الطبقات الكبرى : ٥ : ١٥٥ ـ ١٥٧ ، توفي سنة (١٠٤هـ) ـ تهذيب التهذيب : ١٢ : ١٢٧ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٠٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٥ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٠٨ . تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ٨ .

(٥) **عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد الأنصارية المدنية :** ⇦

سلطانهم ، وقد رفعت إلى الإمام الحسين عليه السلام رسالة استعظمت فيها خروجه على يزيد ، وحثّته على الطاعة ولزوم الجماعة ، وحذّرته من الخروج ، وأنّه سوف يساق إلى مصرعه ، وذكرت في رسالتها أنّها سمعت عائشة تروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : **يُقْتَلُ الْحُسَيْنُ بِأَرْضِ بابِلَ** . ولمّا قرأ الإمام الحسين عليه السلام رسالتها ، وما جاء فيها من إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بقتله ، قال : **فَلَابُدَّ إذاً مِنْ مَصْرَعِي**[1] .

هؤلاء بعض المنددين بخروج الإمام الحسين عليه السلام من معاصريه ، ولم ينظروا إلى خروجه من زاوية الحكم الشرعي ، وإنّما نظروا إليه بعين المنفعة المادية ، فقد كان الحكم الأموي يغدق عليهم الأموال ، فخافوا عليه من الانهيار والدمار .

ثانياً : المستحدثون

وندد جماعة من المتأخرين بخروج الإمام الحسين عليه السلام على يزيد ، واعتبروه خروجاً على إرادة الأُمة .

١ ـ الشيخ محمّد الخضري

وتنكّر الشيخ الخضري في بحوثه التاريخية والإسلامية لأهل البيت عليهم السلام الذين أمر الله بمودّتهم والإخلاص إليهم ، فقال في الحسين عليه السلام : « فَإنّ الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا الذي جرّ على الأُمة وبال الفرقة والاختلاف ، وزعزع عماد أُلفتها إلى يومنا هذا »[2] .

⇨ كانت في حجر عائشة ، وروت عنها ، وهي أعلم الناس بحديثها . توفيت سنة (١٠٣هـ) ـ تهذيب التهذيب : ١٢ : ٤٦٦ .

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٠٩ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ٢٩٦ و ٢٩٧ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٥ .

(٢) محاضرات تاريخ الأُمم الإسلاميّة : ١ : ٥١٧ . الغدير ٣ : ٢٤٩ ـ ٢٦٥ .

إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أصاب كل الصواب، وأحسن إلى الأُمة في خروجه، فله الفضل على كل مسلم، فإنّه لولا تضحيته لما بقي للإسلام اسم ولا رسم، فقد قضى على المخططات الأُموية الهادفة إلى محو الإسلام وإزالة جميع أرصدته، وقد فدى الامام الحسين عليه السلام بتضحيته دين الإسلام وكلمة التوحيد.

٢ ـ محمّد النجّار

يقول محمّد النجّار: «أمّا أحقّية الحسين عليه السلام بالخلافة فهي فكرة تنطوي عليها قلوب الغالبية من الناس، ولكن ما قيمة هذه القلوب إذا لم تؤيّدها السيوف، وهي مع ذلك لا تقتضي الخروج، فإنّ إمامة المفضول مع وجود الأفضل جائزة، وقد كان علي ابن أبي طالب يعتقد أحقّيته بالخلافة ولم يخرج على أحد»[١].

ويرى النجار أنّ خلافة يزيد كانت شرعية، وأنّها من إمامة المفضول التي هي سائغة عندهم. أمّا إمامة المفضول مع وجود الأفضل فقد توفّرت الأدلة العلمية على بطلانها، وقد أقام المتكلمون من الشيعة الأدلة الحاسمة على زيفها، وذكروا أنّ الالتزام بذلك خروج على المنطق، وخروج على هدي الإسلام الذي يتّبع في تشريعاته سنن الحياة وما تمليه المصلحة العامة، وليس من المنطق في شيء تسويغ تقديم المفضول على الفاضل، فإنّ فيه هدماً للكفاءات وخروجاً على صالح الأُمة، وقد أنكر القرآن الكريم المساواة بينهما، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٢].

ولو سلّمنا ـ كما يقول الأصوليون ـ بهذه القاعدة، فإنّها لا تنطبق على خلافة يزيد، فقد كان بإجماع المسلمين لا فضل فيه، وإنّما كان إنساناً ممسوخاً، قد تمّرس

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشرق: ١٠٢ و ١٠٣.

(٢) الزمر ٣٩: ٩.

في الجرائم وهام في المنكرات ، فكان الخروج عليه واجباً شرعياً .

٣ـ محمّد الغزالي

ونَدد الشيخ محمّد الغزالي بنهضة الإمام الحسين عليه السلام ، ووصفها بأنّها مجازفة لا أثر فيها لحسن السياسة[1] ، وقد كان المتعيّن على الحسين عليه السلام ـ حسبما يراه الغزالي ـ أن يبايع ليزيد ، ويخضع لقيادة هذا الخليع الماجن الذي لا يملك أيّة كفاءة لقيادة الأُمة ، وهذا ممّا يأباه الإمام الحسين عليه السلام ، وتأباه مُثُله العليا ، وهو المسؤول بالدرجة الأُولى عن صيانة الإسلام والحفاظ على مقدّساته وقيمه .

٤ـ أحمد شلبي

وأحمد شلبي من المسعورين في الدفاع عن يزيد ، والإنكار على الإمام الحسين عليه السلام في خروجه عليه ، قال : « نجيء إلى الحسين عليه السلام لنقر ـ مع الأسف ـ أنّ تصرفاته كانت في بعض نواحي هذه المشكلة غير مقبولة ، فهو **أوّلاً** : لم يقبل نصح الناصحين وخاصة عبدالله بن عباس ، واستبدّ برأيه .

وثانياً : نسي أو تجاهل خُلُق أهل الكوفة وما فعلوه مع أبيه وأخيه .

وهو **ثالثاً** : يخرج بنسائه وأطفاله كأنّه ذاهب إلى نزهة خلوية أو زيارة قريب ، ويعرف في الطريق غدر أهل الكوفة ، ومع هذا يواصل السير إليهم وينقاد لرأي بني عقيل ، ويذهب بجماعة من الأطفال والنساء وقليل من الرجال ؛ ليأخذ بثأر مسلم . يالله قد تكون ولاية يزيد العهدَ عملاً خاطئاً ، ولكن هل هذا هو الطريق لمحاربة الخطأ والعودة إلى الصواب ؟ ! »[2] .

---

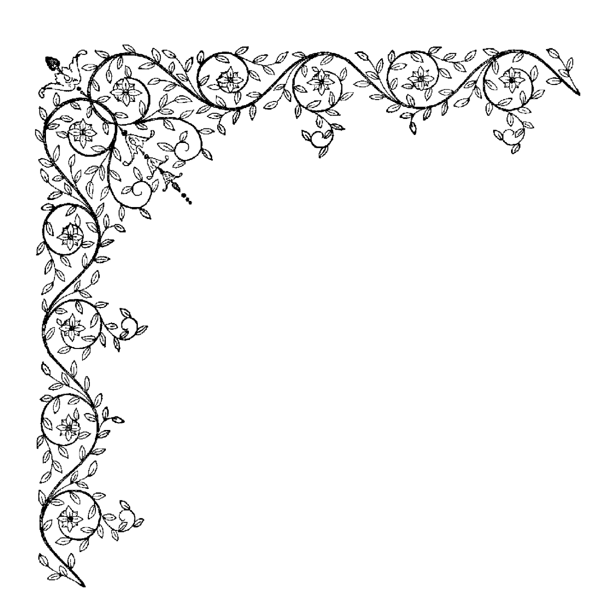
(١) من معالم الحقّ : ١٣١ .

(٢) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلاميّة : ٢ : ٢٠١ .

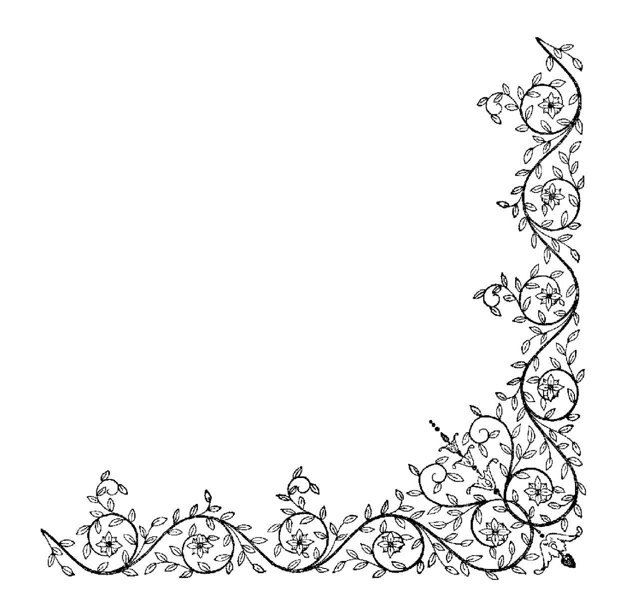
ولم ينظر شلبي بعمق ودراسة إلى واقع الحياة الإسلامية في عهد يزيد ، وإنّما نظر إليها حسب ميوله التقليدية والعاطفية ، فراح يشذّ ويسلك في المنعطفات فيما كتبه .

لقد كان الإسلام مهدداً بالخطر والدمار في عهد يزيد ، وإنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام كان من أجل إعادة الحياة إلى شرايين الأُمة الإسلامية ، وقد أعلن عليه السلام أنّه لم يخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ، وإنّما خرج ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحطّم معالم الحياة الجاهلية التي تبنّاها الحكم الأموي ، وقد أشرنا في الجزء الثاني إلى أسباب نهضته عليه السلام بما يوضّح القصد وينفي الشبهات .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن المنددين بخروج الإمام الحسين عليه السلام على حكومة يزيد .



الرِّحْلَةُ إِلَى العِرَاقِ



أُفٍ لهذه الدنيا، وبُعداً لهذه الحياة. مِثْلُ ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته تضيق عليه الدنيا، وتتقاذفه أمواج من الهموم فلا يدري إلى أين مسراه ومولجه؟ فقد وافته الأنباء أنّ الطاغية يزيد قد عهد إلى شرطته باغتياله ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.

لقد أيقن سبط رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ يزيد لا يتركه وشأنه، ولا بدّ أن يسفك دمه وينتهك حرمته، وقد أدلى بذلك في كثير من المواطن، وكان منها:

١ ـ ما رواه جعفر بن سليمان الضبعي، أنّه عليه السلام قال: «**وَاللهِ لَا يَدَعونِي حَتّىٰ يَسْتَخرِجوا هٰذِهِ الْعَلَقَةَ** ـ وأشار إلى قلبه الشريف ـ **مِنْ جَوْفِي، فَإِذا فَعَلوا ذٰلِكَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِلُّهُمْ حَتّىٰ يَكُونوا أَذَلَّ مِنْ فَرَمِ الْأَمَةِ**[1]»[2].

٢ ـ قال عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفية: «**وَاللهِ يا أَخِي، لَوْ كُنْتُ في جُحْرِ هامَّةٍ مِنْ هَوامِّ الْأَرْضِ لَاسْتَخْرَجونِي حَتّىٰ يَقْتُلوني**»[3].

٣ ـ ما رواه معاوية بن قرّة قال: «قال الإمام الحسين عليه السلام: **وَاللهِ لَيَعْتَدُنَّ عَلَيَّ كَما اعْتَدَتْ بَنو إِسْرائِيلَ في السَّبْتِ**»[4].

---

(١) **فَرَمُ الأَمَةِ:** هي خرقة الحيض التي تلقيها النساء ـ لسان العرب: ١٠: ٢٥١ ـ فرم.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٩٦. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٦. البداية والنهاية: ٨: ١٧١.

(٣) بحار الأنوار: ٤٥: ٩٩. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٨٩. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧٦.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٨٩. الكامل في التاريخ: ⇦

واستولت الحَيْرَة على الإمام الحسين عليه السلام ، وأحاطت به موجات من الأسى والشجون ، وتلبّد أمامه الجو بالمشاكل الرهيبة والأحداث المفزعة ، فهو إن بقي في مكة يخشَ من الاغتيال ، وإن ذهب إلى العراق فإنّه غير مطمئن من أهل الكوفة وأنّهم سيغدرون به ، وقد أدلى بذلك لبعض من شاهده في الطريق حسبما يرويه عنه يزيد الرشك يقول : « حدثني من شافه الحسين ، قال : إنّي رأيت أبنية مضروبة بفلاة من الأرض ، فقلت : لمن هذه ؟

قالوا : هذه للحسين .

قال : فأتيته ، فإذا شيخ يقرأ القرآن ، والدموع تسيل على خدّيه ولحيته .

قال : قلت له : بأبي وأُمي يابن رسول الله ، ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟

فقال : **هٰذِهِ كُتُبُ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَيَّ ، وَلَا أَراهُمْ إِلَّا قاتِلِي ، فَإِذا فَعَلوا ذٰلِكَ لَمْ يَدَعوا للهِ حُرْمَةً إِلَّا انْتَهَكوها ، فَيُسلِّطُ اللهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِلُّهُمْ حَتّىٰ يَكُونوا أَذَلَّ مِنْ فَرَمِ الْأَمَةِ** »[1] .

لقد كان متشائماً من أهل الكوفة ، فهو يعلم غدرهم وعدم وفائهم ، وأنّهم سيكونون إلباً عليه ، ويداً لأعدائه .

وعلى أيّة حال فإنّا نعرض لبعض الأحداث التي جرت على الإمام الحسين عليه السلام في مكة قبل سفره منها ، ونتبيّن دوافع هجرته إلى العراق وما جرى له في أثناء سفره .

رسالته عليه السلام لبني هاشم

ولمّا صمم الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة مكة إلى العراق كتب هذه الرسالة

⇨ ٣ : ٢٧٦ .

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١٦ . تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ١٢ . تذهيب التهذيب : ١ : ١٥٦ . البداية والنهاية : ٨ : ١٧١ . الدرّ النظيم : ١٦٧ .

لبني هاشم ، وقد جاء فيها ، بعد البسملة :

« مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلىٰ بَنِي هاشِمٍ . أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمُ اسْتُشْهِدَ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ ، وَالسَّلامُ »(١) .

لقد أخبر عليه السلام الأُسرة النبوية بأنّ مَنْ لحقه منهم سوف يظفر بالشهادة ، ومَنْ لم يلحق به فإنّه لا ينال الفتح ، فأيّ فتح هذا الذي عناه الإمام الحسين عليه السلام ؟!

إنّه الفتح الذي لم يحرزه غيره من قادة العالم وأبطال التاريخ ، فقد انتصرت مبادئه ، وانتصرت قيمه وتألّقت الدنيا بتضحيته ، وأصبح اسمه رمزاً للحقّ والعدل ، وأصبحت شخصيته العظيمة ليست ملكاً لأُمة دون أُمة ، ولا لطائفة دون أُخرى ، وإنّما هي ملك للإنسانية الفذّة في كل زمان ومكان ، فأيّ فتح أعظم من هذا الفتح ، وأيّ نصر أسمى من هذا النصر .

التحاق بني هاشم به عليه السلام

ولمّا وردت رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى بني هاشم في يثرب بادرت طائفة منهم إلى الالتحاق به ؛ ليفوزوا بالفتح والشهادة بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان فيهم أبناء عمومته وإخوته(٢) . كما لحق بهم محمّد بن الحنفية ليصدّ الإمام عليه السلام عن السفر إلى العراق ، إلّا أنّه لم يستجب له ، وقد ذكرنا حديثه في البحوث السابقة .

وممّن خرج مع الإمام الحسين عليه السلام المغيرة بن نوفل ، فأصابه مرض في الطريق فعزم عليه الإمام الحسين عليه السلام أن يرجع فرجع ، فلمّا بلغه قتله قال يرثيه :

أَحْـزَنَنِي الدَّهْـرُ وَأَبْكَـانِي ... وَالدَّهْرُ ذُو صَـرْفٍ وَأَلوانِ

---

(١) كامل الزيارات : ١٥٧ . دلائل الإمامة : ٧٧ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٧٦ . اللهوف : ٤٠ و ٤١ . بحار الأنوار : ٤٢ : ٨١ و : ٤٤ : ٣٣٠ و : ٤٥ : ٨٥ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١١ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ٣٠٤ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٧ .

أَفـرَدَنِي مِـنْ تِسـعَةٍ قُـتِلُوا — بِالطَّفِّ أَضْحَوا رَهْنَ أَكفانِ
وَسِــتَّةٍ لَيْسَ لَـهُم مُشْـبِهٌ — بَـنِي عَـقِيلٍ خَـيْرِ فُـرسانِ
وَالمَرءُ عَونٍ وَأَخِيهِ مَضَى — كِـلَاهُما هَـيَّجَ أَحـزانِـي
مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِـما نـالَنا — وَشامِتاً يَـوْماً فَـما الآنِ(١)

أسباب الهجرة من مكة

أمّا بواعث هجرة الإمام الحسين عليه السلام من مكة، وخروجه إلى العراق بهذه السرعة فهي ـ فيما نحسب ـ تعود إلى ما يلي:

الأوّل: الحفاظ على الحَرم

وخاف الإمام على انتهاك بيت الله الحرام الذي مَنْ دخله كان آمناً، فإنّ بني أُمية كانوا لا يرون له حرمة، فقد عهد يزيد إلى عمرو بن سعيد الأشدق أن يناجز الإمام الحسين عليه السلام الحرب، وإن عجز عن ذلك اغتاله. وقَدِمَ الأشدق في جند مُجنّدة إلى مكة، فلمّا علم الإمام الحسين عليه السلام خرج منها ولم يعتصم بالبيت الحرام حفظاً على قداسته(٢).

يقول عليه السلام: «**وَاللهِ لَئِنْ أُقْتَلَ خارِجاً مِنْها بِشِبْرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ ...**». ويقول عليه السلام لابن الزبير: «**وَاللهِ لَئِنْ أُقْتَلَ بِمَكانِ كَذا وَكَذا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُسْتَحَلَّ بِمَكَّةَ**»(٣).

وقد كشفت الأيام عدم تقديس الأُمويين لهذا البيت العظيم، فقد قذفوه بالمنجنيق، وأشعلوا فيه النار عندما حاربوا ابن الزبير، كما استباحوا المدينة قبل

---

(١) معجم الشعراء: ٢٤٣. بطل العلقمي: ١: ٢٥٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٨٨ و ٥٨٩. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧٦.

(٣) معالي السبطين: ١: ٢٤٦ و ٢٤٧. المعجم الكبير: ٣: ١١٩ ـ ١٢٠، الرقم ٢٨٥٩. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٨٨ و ٥٨٩. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١١. مجمع الزوائد: ٩: ١٩٢.

ذلك. لقد تحرّج الإمام الحسين عليه السلام أشدّ ما يكون التحرّج على قداسة بيت الله من أن تنتهك حرمته، فنزح عنه لئلا تسفك فيه الدماء.

الثاني: الخوف من الاغتيال

وخاف الإمام الحسين عليه السلام من الاغتيال في مكة أو يقع غنيمة باردة بأيدي الأُمويين، فقد دسّ إليه يزيد شرطته لاغتياله. يقول عبدالله بن عباس في رسالته ليزيد: «... وما أنسى من الأشياء فلست بناسٍ اطّرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حرم الله ودسّك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوّأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالاً...»[1].

الثالث: رسالة مسلم بن عقيل عليه السلام

وممّا دعا الإمام الحسين عليه السلام إلى الخروج من مكة رسالة سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام التي تحثّه على السفر إلى العراق، وقد جاء فيها أنّ جميع أهل الكوفة معه، وأنّ عدد المبايعين له يربو على اثني عشر ألفاً[2].

هذه بعض الأسباب التي حفّزت الإمام الحسين عليه السلام على الخروج إلى العراق، وإنّ من أوهى الأقوال القول بأنّ خروجه من مكة كان راجعاً إلى وجود ابن الزبير فيها، فإنّ ابن الزبير لم تكن له أيّة أهمية حتى يخرج الإمام الحسين عليه السلام منها، وإنّما الأسباب التي أشرنا إليها هي التي دعته إلى الخروج من مكة، ولأنّها لا تصلح لأن تكون مركزاً للحركات السياسية بعد أن أصبحت مهددة بغزو الجيوش الأُموية لها.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٦٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٥٦.

خطابه عليه السلام في مكة

ولمّا عزم الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة الحجاز والتوجّه إلى العراق أمر بجمع الناس ليلقي عليهم خطابه التاريخي، وقد اجتمع إليه خلق كثير في المسجد الحرام من الحجّاج وأهالي مكة، فقام فيهم خطيباً، فاستهلّ خطابه بقوله:

«الْحَمْدُ للهِ، ما شاءَ اللهُ، وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلىٰ وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلادَةِ عَلَى جِيْدِ الْفَتاةِ، وَما أَوْلَهَنِي إِلىٰ أَسْلافِي اشْتِياقُ يَعْقُوبَ إِلىٰ يُوسُفَ، وَخُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنا لاقِيهِ. كَأَنِّي بِأَوْصالِي تُقَطِّعُها عُسْلانُ الْفَلَواتِ بَيْنَ النَّواوِيسِ وَكَرْبَلاءَ، فَيَمْلأْنَ مِنِّي أَكْراشاً جَوْفاً، وَأَجْرِبَةً سَغْبىٰ، لا مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ. رِضا اللهِ رِضانا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلائِهِ وَيُوَفِّينا أُجُورَ الصّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لُحْمَتُهُ، بَلْ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدُهُ، أَلا وَمَنْ كانَ باذِلاً فِينا مُهْجَتَهُ، مُوَطِّناً عَلىٰ لِقاءِ اللهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنا فَإِنِّي راحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ»(١).

لا أعرف خطاباً أبلغ ولا أروع من هذا الخطاب، فقد حفل بالدعوة إلى الحق، والاستهانة بالحياة في سبيل الله، وقد جاء فيه هذه النقاط:

١ ـ إنّه نعى نفسه، ورحّب بالموت، واعتبره زينة للإنسان كالقلادة التي تتزين بها جيد الفتاة، وهذا التشبيه من أروع وأبدع ما جاء في الكلام العربي، ومن الطبيعي أنّ

---

(١) اللهوف: ٣٨. كشف الغمّة: ١: ٥٧٣. بحار الأنوار: ٤٤: ٣٦٦ و ٣٦٧. عوالم العلوم: ١٧: ٢١٦ و ٢١٧. الحدائق الورديّة: ١: ١١٧.

الموت الذي يتحلّى به الإنسان إنّما هو الموت في سبيل الله والحقّ.

٢ ـ إنّه أعرب عن شوقه البالغ إلى أسلافه الطيبين الذين استشهدوا في سبيل الله، وقد كان شوقه إليهم كاشتياق يعقوب إلى يوسف حسبما يقول.

٣ ـ إنّه أخبر أنّ الله تعالى قد اختار له الشهادة الكريمة، والميتة المشرّفة دفاعاً عن الحقّ وذوداً عن الإسلام.

٤ ـ إنّه أعلن عن البقعة الطيبة التي يسفك على صعيدها دمه الزاكي، وهي ما بين النواويس وكربلاء، فبها تتقطع أوصاله، وتتناهب الرماح جسمه الشريف.

٥ ـ إنّه أخبر أنّ الذئاب الكاسرة من وحوش بني أُمية وأذنابهم لا يقرّ لهم قرار حتى تمتلئ أكراشهم من لحمه ودمه، وبعدها يتم تسلّطهم على الأُمة، فيمعنون في نهب ثرواتها وخيراتها.

٦ ـ وأخبر عليه السلام أنّما يجري عليه من الخطوب والأهوال أمر لا محيص عنه، فقد خطّ عليه بالقلم وجرى في علم الله، وليس من الممكن بأيّة حال من الأحوال تبديل أو تغيير ما كتبه الله عليه.

٧ ـ أعلن أنّ الله تعالى قد قرن رضاه برضا أهل البيت عليهم السلام، وقرن طاعته بطاعتهم، وحقاً أن يكون ذلك، فهم دعاة دين الله والأدلّاء على مرضاته، وتحمّلوا من الأهوال التي لاتوصف في سبيله.

٨ ـ إنّه تحدّث عن نزعة كريمة من نزعات أهل البيت عليهم السلام وهي الخلود إلى الصبر، والتسليم لأمر الله على ما يجري عليهم من عظيم المحن والخطوب، وأنّ الله تعالى قد أجزل لهم الثواب، ووفّاهم بذلك أُجور الصابرين.

٩ ـ وأخبر عليه السلام أنّ الواقع المشرق لأهل البيت عليهم السلام إنّما هو امتداد ذاتي لواقع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فهم لحمته وفرعه، والفرع لا يختلف عن أصله، وسوف تقرّ عين النبيّ صلى الله عليه وآله في حظيرة القدس بعترته التي سهرت على أداء رسالته، وجاهدت

أعظم ما يكون الجهاد في الذود عن دينه .

١٠ ـ إنّه دعا المسلمين إلى خوض المعركة معه في ساحات الجهاد ، وأنّ مَنْ ينطلق معه فقد بذل مهجته ، ووطّن نفسه على لقاء الله .

هذه النقاط المشرقة في خطابه دلّت على أنّه آيس من الحياة ، وعازم على الموت ، ومصمم على التضحية ، ولو كان يروم الملك لما عرض لذلك وكان عليه أن يقدّم الوعود المعسولة ، والآمال البرّاقة لمن يسير معه .

ولم يستجب لنداء الإمام الحسين عليه السلام أحد من أهل مكة ، ولا أحد من الحجّاج الذين سمعوا خطابه سوى نفر يسير من المؤمنين . وهذا ممّا يكشف عن قلة الوعي الديني ، وتخدير المجتمع ، وانحرافه عن الحق .

إتمام العمرة

ولمّا عزم الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة مكة أحرم للعمرة المفردة ، فطاف بالبيت وسعى وقصّر ، وطاف طواف النساء ، وأحلّ من عمرته .

وذكر الشيخ المفيد أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا أراد التوجّه إلى العراق طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة ؛ لأنّه لم يتمكّن من إتمام الحج مخافة أن يقبض عليه بمكة فينفذ به إلى يزيد[١] .

وهذا لا يخلو من تأمّل ، فإنّ المصدود عن الحج يكون إحلاله بالهدي ـ حسبما نصّ عليه الفقهاء ـ لا بقلب إحرام الحج إلى عمرة ، فإنّ هذا لا يوجب الإحلال من إحرام الحج .

أمّا ما ذكرناه فتدعمه روايتان ذكرهما الشيخ الحر العاملي في (وسائل الشيعة) في كتاب الحج في باب : أنّه يجوز أن يعتمر في أشهر الحج عمرة مفردة ، ويذهب

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٦٧ . إعلام الورى : ١ : ٤٤٥ .

حيث شاء.

أمّا الروايتان فهما:

الأُولى: رواها إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبدالله عليه‌السلام: «أنّه سئل عن رجل خرج في أشهر الحج معتمراً، ثمّ خرج إلى بلاده، قال: **لَا بَأْسَ، وَإِنْ حَجَّ مِنْ عامِهِ ذلِكَ وَأَفْرَدَ الْحَجَّ فَلَيسَ عَلَيهِ دَمٌ، وَإِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه‌السلام خَرَجَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ إِلَى الْعِراقِ وَكانَ مُعْتَمِراً**»(١).

الثانية: رواها معاوية بن عمار، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام: من أين افترق المتمتّع والمعتمر؟

فقال عليه‌السلام: **إِنَّ الْمُتَمَتِّعَ مُرْتَبِطٌ بِالْحَجِّ، وَالْمُعْتَمِرَ إِذا فَرِغَ مِنْها ذَهَبَ حَيْثُ شاءَ، وَقَدِ اعْتَمَرَ الْحُسَيْنُ عليه‌السلام فِي ذِي الْحِجَّةِ، ثُمَّ راحَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ إِلَى الْعِراقِ، وَالنّاسُ يَرُوحونَ إِلىٰ مِنَىٰ، وَلَا بَأْسَ بِالْعُمْرَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ لِمَنْ لَا يُرِيدُ الْحَجَّ**»(٢). وهذه الرواية نصٌّ فيما ذكرناه.

الخروج قبل الحجّ

والشيء الذي يدعو إلى التساؤل هو أنّ الإمام الحسين عليه‌السلام قد غادر مكة في اليوم الثامن من ذي الحجّة وهو اليوم الذي يتأهّب فيه الحجّاج للخروج إلى عرفة، فلماذا لم يتم حجّه؟!

وفيما أحسب أنّ هناك عدّة عوامل دعته إلى الخروج من مكة بهذه السرعة، وهي:

الأوّل: إنّ السلطة قد ضايقته مضايقة شديدة حتى اطمئنّ أنّها ستفتح معه باب

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤: ٣١٠ و ٣١١، الباب ٧ من أبواب العمرة، الحديث ٢.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤: ٣١١، الباب ٧ من أبواب العمرة، الحديث ٣.

الحرب ، أو تغتاله وهو مشغول في أداء مناسك الحج ، وتستحل بذلك حرمة الحج ، كما تضيع أهدافه المقدّسة التي منها تحرير الأُمة تحريراً كاملاً من الذل والعبودية .

الثاني : إنّه إذا لم تناجزه السلطة أيام مناسك الحج ، فإنّها حتماً ستناجزه الحرب بعدها ، فيصبح في مكة إمّا مقاتلاً أو مقتولاً ، وفي كلا الأمرين سفك للدماء في البيت الحرام وفي الشهر الحرام ، فغادر مكة حفاظاً على المقدسات الإسلامية .

الثالث : إنّ خروجه في ذلك الوقت الحسّاس كان من أهم الوسائل الإعلامية ضد السلطة في ذلك العصر ، فإنّ حجّاج بيت الله الحرام قد حملوا إلى أقطارهم نبأ خروج الإمام الحسين عليه السلام في هذا الوقت من مكة وهو غضبان على الحكم الأموي ، وإنّه قد أعلن الثورة على يزيد ، ولم يبقَ في مكة صيانة للبيت الحرام من أن ينتهك على أيدي الأُمويين ، وقد أعلن ذلك أمام الحجيج .

فهذه بعض الأسباب التي حفّزت الإمام الحسين عليه السلام على الخروج قبل إتمام حجّه .

مع ابن الزبير

ولمّا علم ابن الزبير بمغادرة الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق خفّ إليه يسأله عن مسألة لم يهتدِ إليها ، فقال له : يابن رسول الله ، لعلّنا لا نلتقي بعد اليوم ، فأخبرني متى يرث المولود ويورث ؟ وعن جوائز السلطان هل تحل أم لا ؟

فأجابه عليه السلام : **أَمّا الْمَولُودُ فَإِذا اسْتَهَلَّ صارِخاً ، وَأَمّا جَوائِزُ السُّلْطَانِ فَحَلَالٌ مَا لَمْ يَغْصِبِ الْأَمْوالَ**[١] .

وقد سأله مرّة أُخرى : يا أبا عبدالله : ما تقول في فكاك الأسير على مَن هو ؟

قال عليه السلام : **عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ أَعانَهُمْ** . وربّما قال : **قاتَلَ مَعَهُمْ** .

---

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ٦٧ ، من مخطوطات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام .

وسأله أيضاً عن الشرب قائماً ، فدعا بِلَقْحَةٍ له فحلبت وشرب قائماً وناوله منه .

ولم تكن عند ابن الزبير أيّة بضاعة فقهية فراح يستفتي الإمام الحسين عليه‌السلام في مثل هذه الأُمور الواضحة ، والغريب أنّه مع هذه الحال كيف يتصدى لإمامة المسلمين وخلافتهم ؟!

السفر إلى العراق

وقبل أن يغادر الإمام الحسين عليه‌السلام مكة انطلق إلى البيت الحرام فأدّى له التحية بطوافه وصلاته ، وكان ذلك هو الوداع الأخير له ، وأدّى فيه فريضة صلاة الظهر ثمّ خرج مودّعاً له .

لقد انطلق الحسين عليه‌السلام مودّعاً الكعبة حاملاً روحها بين جنبيه وشعلتها بكلتا يديه ، تواكبه الملائك وتباركه ، وتطوف به كأنّها حذرة عليه ... فإنّه البقية من إرث السماء على الأرض(١) .

لقد نزح عن مكة خائفاً من حفيد أبي سفيان ، كما نزح عنها جدّه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله خوفاً من المشركين بزعامة أبي سفيان ، وقد صحبه اثنان وثمانون رجلاً من أهل بيته وخاصته ومواليه(٢) ، كما صحب معه السيدات من مخدّرات الرسالة وعقائل النبوة . لقد خرج الإمام الحسين عليه‌السلام وهو يحمل معه التحرير الكامل للأُمة الإسلامية يريد

---

(١) الحسين بن عليّ : ٥٥٧ .

(٢) الفتوح : ٥ : ٦٩ . وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ١٨٨ . دائرة المعارف / البستاني : ٧ : ٤٨ .

وفي تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١٢ : « فخرج متوجهاً إلى العراق في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة » .

وفي تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ٩ : « فسار من مكة وخفّ معه من بني عبد المطلب تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان » .

أن يقيم في ربوعها حكم القرآن ، وعدالة السماء ويردّ عنها كيد المعتدين .

وكان خروجه ـ فيما يقوله أكثر المؤرخين ـ في اليوم الثامن من ذي الحجّة سنة ستين من الهجرة(١) ، وقد خيّم الأسى على أهل مكة فلم يبقَ أحد إلّا حزن لخروجه(٢) ، وانفصل الركب عن مكة ، فلم ينزل الإمام الحسين عليه السلام منزلاً إلّا حدّث أهل بيته عن مقتل يحيى بن زكريا(٣) متنبئاً بما سيجري عليه من القتل كما جرى على يحيى .

ملاحقة السلطة له

ولم يبعد الإمام الحسين عليه السلام كثيراً عن مكة حتى لاحقته مفرزة من الشرطة بقيادة يحيى بن سعيد ، فقد بعثها والي مكة عمرو بن سعيد لصدّه عن السفر إلى العراق ، وجرت بينهما مناوشات ، وقد عجزت الشُّرَطة عن المقاومة(٤) .

وكان ذلك الإجراء فيما نحسب صورياً ، فقد خرج الإمام الحسين عليه السلام في وضح النهار من دون أيّة مقاومة تذكر ، لقد كان الغرض من إرسال هذه المفرزة العسكرية إبعاده عن مكة ، والتحجير عليه في الصحراء حتى يتمّ القضاء عليه بسهولة .

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٨٨ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧١ . الخطط المقريزيّة : ١ : ٤٢٨ . دائرة المعارف / البستاني : ٧ : ٤٨ .

(٢) الصواعق المحرقة : ١٩٦ . الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ : ٨٦ .

(٣) نظم درر السمطين : ٢١٥ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٦ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٨ .

وجاء في سمط النجوم : ٣ : ٥٧ ، وجواهر المطالب : ٢ : ٢٦٤ : « أنّ عمرو بن سعيد لمّا بلغه خروج الحسين عليه السلام من مكة قال لشرطته : اركبوا كل بعير بين السماء والأرض في طلبه ، وكان الناس يتعجبون من قوله ، فطلبوه فلم يدركوه » ـ العقد الفريد : ٤ : ٣٧٦ و ٣٧٧ .

وأكّد ذلك الدكتور عبد المنعم ماجد بقوله: «ويبدو لنا أنّ عامل يزيد على الحجاز لم يبذل محاولة جدّية لمنع الحسين عليه السلام من الخروج من مكة إلى الكوفة بسبب وجود كثير من شيعته في علمه، بل لعلّه قدّر سهولة القضاء عليه في الصحراء بعيداً عن أنصاره، بحيث إنّ بني هاشم فيما بعد اتهموا يزيد بأنّه هو الذي دسّ إليه الرجال حتى يخرج...»(١).

اتصال دمشق بالكوفة

وكانت دمشق على اتصال دائم بالكوفة، كما كانت على علم بجميع تحركات الإمام الحسين عليه السلام، وقد اضطربت من فشل المؤامرة التي دبرتها لاغتياله في مكة، ونزوحه إلى العراق ليتولّى بنفسه قيادة الثورة التي عهد بشؤونها إلى سفيره مسلم بن عقيل رضي الله عنه، وقد صدرت من يزيد عدّة رسائل إلى حاكم الكوفة الطاغية ابن زياد، وهي تضع له المخططات الرهيبة التي يسلكها وتأمره بالحزم أمام الأحداث التي تعترض طريقه، ومن بين هذه الرسائل:

الأُولى: كتب يزيد هذه الرسالة إلى ابن زياد بعدما خرج الإمام من مكة، وقد جاء فيها: «عليك بالحسين بن عليّ لا يفوتنّ، بادره قبل أن يصل إلى العراق»(٢).

ومنطق هذه الرسالة إلزام السلطة في الكوفة المبادرة التامة لقتال الإمام الحسين عليه السلام في الصحراء قبل أن يصل إلى العراق، وعدم التماهل في ذلك.

الثانية: وقد جاء فيها: «إنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليتَ به من بين العمّال، وعندها

---

(١) التاريخ السياسي للدولة العربيّة: ٢: ٧٢ و ٧٣.

(٢) المناقب والمثالب / القاضي النعمان المصري: ٢٨٨.

تعتق أو تعود عبداً كما يعتبد العبيد »[١].

وتحمل هذه الرسالة طابعاً من القسوة والشدّة، فقد أنذر فيها يزيد عامله ابن زياد فيما إذا قصّر في مهمته، ولم يخلص في حربه للحسين عليه السلام أن يفصم التحاقه ببني أُمية، ويعود إلى جدّه عُبيد الرومي، فيكون عبداً كسائر العبيد يباع ويعتق.

وقد أعلن ابن زياد ـ فور وصول هذه الرسالة إليه ـ الأحكام العرفية، وأغلق جميع الحدود العراقية، فأخذ ما بين (واقصة) إلى طريق الشام، وإلى طريق البصرة، فلم يدع أحداً يلج إلى صحراء العراق ولا أحداً يخرج منه[٢].

كما شكّل قطعات من الجيش تجوب في العراق للتفتيش عن الإمام الحسين عليه السلام، ومن بينها الكتيبة العسكرية التي تضم زهاء ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، وهي التي أرغمت الإمام الحسين عليه السلام على النزول في كربلاء، وصرفته من التوجّه إلى بلد آخر.

الثالثة: وعهد يزيد إلى ابن زياد أن يجزل العطاء إلى الزعماء والوجوه وغيرهم حتى يستميل ودّهم، وهذا نص رسالته: « أمّا بعد، فزد أهل الكوفة أهل السمع والطاعة في أُعطياتهم مائة مائة »[٣]، وأغدق ابن زياد الأموال على الأعيان والوجوه فاستمالهم لحرب ابن رسول الله.

موقف الأمويّين

أمّا موقف الأُمويين إزاء تحرّك الإمام الحسين عليه السلام ومغادرته الحجاز إلى العراق

---

(١) المعجم الكبير: ٣: ١١٥، الرقم ٢٨٤٦. أنساب الأشراف: ٣: ٣٧١. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٤. كفاية الطالب: ٤٣٢. تاريخ الإسلام: (حوادث ٦١ ـ ٨٠): ١٠. البداية والنهاية: ٨: ١٦٧.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٣٧٨. الفتوح: ٥: ٨٢.

(٣) أنساب الأشراف: ٣: ٤٢٠.

فقد كان مضطرباً ، فطائفة منهم كانت تحب العافية ، وتخاف عواقب الأُمور ، وتخشى عليه أن يناله ابن زياد بمكروه فيكون ذلك سبباً لزوال ملكهم ، وطائفة كانت تخاف على العرش الأموي ، وتحذر من ذهاب الملك منهم ، وترى ضرورة البطش بالإمام الحسين عليه‌السلام ومقابلته ؛ ليسلم لهم الملك والسلطان .

أمّا الطائفة الأُولى فيمثّلها الوليد ابن عتبة ، وأمّا الثانية فيمثّلها عمرو بن سعيد الأشدق ، وقد كتب كل منهما رسالة لابن زياد تمثّل رأيه واتجاهه :

رسالة الوليد بن عتبة

وليس في بني أُمية مثل الوليد بن عتبة في أصالة رأيه وعمق تفكيره ، فقد فزع حينما علم بمغادرة الإمام الحسين عليه‌السلام للحجاز وتوجّهه إلى الكوفة ، وهو يعلم بغرور يزيد وطيش ابن زياد ، فرفع رسالة إلى ابن زياد يحذّره فيها من أن يناله بمكروه ، فإنّ ذلك يعود بالأضرار البالغة على بني أُمية ، وهذا نص رسالته : « من الوليد بن عتبة إلى عبيد الله بن زياد ، أمّا بعد ، فإنّ الحسين بن علي قد توجّه نحو العراق ، وهو ابن فاطمة ، وفاطمة بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، فاحذر يا ابن زياد من أن تبعث إليه رسولاً فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخاص والعام ، والسلام »[1] .

ولم يعنَ به ابن زياد ، وإنّما مضى سادراً في غيّه وطيشه مطبّقاً لما عهدت إليه حكومة دمشق .

اشتباه ابن عساكر وابن كثير

واشتبه ابن كثير فزعم أنّ مروان كتب لابن زياد ينصحه بعدم التعرّض للحسين عليه‌السلام ، ويحذّره مغبّة الأمر ، ورسالته التي بعثها إليه تضارع رسالة الوليد

---

(١) الفتوح : ٥ : ٧٠.

السابقة مع بعض الزيادة عليها، وهذا نصها: «أمّا بعد، فإنّ الحسين بن عليّ قد توجّه إليك، وهو الحسين ابن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وتالله ما أحد يسلّمه الله أحب إلينا من الحسين، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء، ولا تنساه العامة، ولا تدع ذكره آخر الدهر، والسلام»[١].

إنّ من المقطوع به أنّ هذه الرسالة ليست من مروان، فإنّه لم يفكّر بأيّ خير يعود للأُمة، ولم يفعل في حياته أيّة مصلحة للمسلمين. يضاف إلى ذلك مواقفه العدائية للعترة الطاهرة وبالأخص للإمام الحسين عليه السلام، فهو الذي أشار على حاكم المدينة بقتله، وحينما بلغه مقتل الإمام الحسين عليه السلام أظهر الفرح والسرور، فكيف يوصي ابن زياد برعايته والحفاظ عليه؟!

رسالة الأشدق

وأرسل عمرو بن سعيد الأشدق إلى ابن زياد رسالة يأمره فيها بأن يتّخذ مع الإمام الحسين عليه السلام جميع الإجراءات الصارمة، وقد جاء فيها: «أمّا بعد، فقد توجّه إليك الحسين، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترق كما تسترق العبيد»[٢].

مصادرة أموال ليزيد

ولم يبعد الإمام الحسين عليه السلام كثيراً عن مكة حتى اجتازت عليه وهو في (التنعيم)[٣] قافلة من العِير تحمل ورساً[٤] وحللاً كثيرة أرسلها والي اليمن بحير

---

(١) و (٢) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٢. البداية والنهاية: ٨: ١٦٧.

(٣) **التنعيم**: موضع بمكّة في الحل يقع بين مكّة وسرف على فرسخين من مكة. وقيل: أربعة. سمي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه يقال له: نعيم، وآخر عن شماله يقال له: ناعم، والوادي نعمان ـ معجم البلدان: ٢: ٥٨.

(٤) **الورس**: نبت أصفر يستعمل لصبغ الثياب يكون باليمن ـ لسان العرب: ١٥: ٢٧٠ ـ ورس.

ابن ريسان إلى الطاغية يزيد ، فأمر الإمام الحسين عليه السلام بمصادرتها ، وقال لأصحاب الإبل : **مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعَنا إِلَى الْعِراقِ أَوْفَيْنا كِراءَهُ وَأَحْسَنّا صُحْبَتَهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْمُفارَقَةَ أَعْطَيْناهُ مِنَ الْكِراءِ عَلىٰ ما قَطَعَ مِنَ الْأَرْضِ .**

ففارقه بعضهم بعد أن استوفى كراءه ، ومضى في صحبته من أحب منهم[(١)] .

وقد أنقذ الإمام الحسين عليه السلام هذه الأموال من أن تنفق على موائد الخمور ، وتدعيم الظلم ، والإساءة إلى الناس . وقد تقدّم أنّ الإمام الحسين عليه السلام قام بنفس هذه العملية أيام معاوية .

وقد ذهب آية الله المغفور له السيد مهدي بحر العلوم إلى عدم صحة ذلك ، فإنّ مقام الإمام أسمى وأرفع من الإقدام على مثل هذه الأُمور[(٢)] .

والذي نراه أنّه لا مانع من ذلك إطلاقاً ، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يرى الحكم القائم في أيام معاوية ويزيد غير شرعي ، ويرى أنّ أموال المسلمين تنفق على فساد الأخلاق ونشر العبث والمجون ، فكان من الضروري إنقاذها لتنفق على الفقراء والمحتاجين ، وأيّ مانع شرعي أو اجتماعي من ذلك ؟

مع الفرزدق

ولمّا انتهى موكب الإمام الحسين عليه السلام إلى موضع يسمّى بـ : (الصِّفاح)[(٣)] التقى

---

(١) اللهوف : ٤٢ و ٤٣ . الإرشاد / المفيد : ٢ : ٦٨ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٨٩ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٢٠ . البداية والنهاية : ٨ : ١٦٨ .

(٢) الفوائد الرجاليّة : ٤ : ٤٨ ، والّذي ذهب السيد بحر العلوم إلى عدم صحته هي الحادثة في زمن معاوية لا في زمن يزيد .

(٣) **الصِّفاح :** موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش ، وقد نظم الفرزدق التقاءه بالإمام الحسين عليه السلام في هذا المكان بقوله : ⇦

الشاعر الكبير الفرزدق همّام بن غالب بالإمام، فسلم عليه وحيّاه، وقال له: بأبي أنت وأُمي يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أعجلك عن الحج؟

فقال عليه السلام: **لَوْ لَمْ أَعْجَلْ لأُخِذْتُ**[١].

وبادره الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: **مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يا أَبا فِراسٍ**.

فقال: من الكوفة.

- **أَخْبِرْنِي عَنِ النّاسِ خَلْفَكَ؟**

فقلت: على الخبير سقطت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أُمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء[٢].

واستصوب الإمام الحسين عليه السلام حديث الفرزدق فقال له: **صَدَقْتَ، للهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، يَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ، وكُلَّ يَوْمٍ رَبُّنا فِي شَأْنٍ.**

إِنْ نَزَلَ الْقَضاءُ بِمَا نُحِبُّ فَنَحْمَدُ اللهَ عَلىٰ نَعْمائِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ أَداءِ الشُّكْرِ، وَإِنْ حالَ الْقَضاءُ دُونَ الرَّجاءِ فَلَمْ يَتَعَدَّ مَنْ كانَ الْحَقُّ نِيَّتَهُ وَالتَّقْوىٰ سَرِيرَتَهُ[٣].

⇦ لَقِيتُ الحُسَينَ بِأَرضِ الصِّفَاحِ ... عَلَيهِ اليَلَامِقُ وَالدَّرَّقُ

جاء ذلك في معجم البلدان: ٣: ٤٦٧ و ٤٦٨. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٨٩ و ٥٩٠. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٢٢. الكامل في التاريخ: ٣: ٣٧٦.

وفي تذكرة الحفاظ / الذهبي: ١: ٣٧٢: «أنّ ملاقاته عليه السلام مع الفرزدق كانت بـ(ذات عرق)». وفي الفتوح: ٥: ٧١: «أنّها بـ(الشقوق)». وفي اللهوف: ٤٥: «أنّه التقاه بعد مسيره من (زُبَالة)». والصحيح أنّها كانت في (الصِّفاح) لنظم الفرزدق ذلك.

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٦٧. البداية والنهاية: ٨: ١٦٩.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ٦٧. بحار الأنوار: ٤٤: ٣٦٥. أنساب الأشراف: ٣: ٣٧٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٩٠. الفتوح: ٥: ٧١ ـ ٧٣. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧٦. وسيلة المآل: ١٨٨.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٩٠. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧٦. الصواعق المحرقة: ⇦

⇦ ١٩٦. البداية والنهاية: ٨: ١٦٨.

وأنشأ الإمام الحسين عليه السلام يقول :

«لَئِنْ كانَتِ الدُّنْيا تُعَدُّ نَفِيسَةً ... فَإِنَّ ثَوابَ اللهِ أَعْلىٰ وأَنْبَلُ

وَإنْ كانَتِ الْأَبْدانُ لِلمَوْتِ أُنشِئَتْ ... فَقَتلُ امرئٍ بِالسَّيفِ فِي اللهِ أَفضَلُ

وإنْ كانَتِ الأَرْزاقُ قِسْماً مُقَدَّراً ... فَقِلَّةُ حِرصِ المَرءِ فِي الرِّزْقِ أَجْمَلُ

وَإنْ كانَتِ الأَموالُ لِلتَّركِ جَمْعُها ... فَما بالُ مَترُوكٍ بِهِ المَرءُ يَبخَلُ »[١]

وسأله الفرزدق عن بعض المسائل الشرعية فأجابه عنها ، ثمّ سلّم عليه وانصرف عنه . ويعطينا هذا الالتقاء صورة عن خنوع الناس ، وعدم اندفاعهم لنصرة الحق ، فالفرزدق الذي كان يملك وعياً اجتماعياً ووعياً ثقافياً مع علمه بأنّ الإمام الحسين عليه السلام سيقتل لم يندفع إلى نصرته والالتحاق بموكبه ليذبَّ عنه ، فإذا كانت هذه حال الفرزدق ، فكيف بغيره من سواد الناس وجهّالهم ؟!

وعلى أيّة حال فقد واصل الإمام الحسين عليه السلام مسيرته بعزم وثبات ، ولم يثنهِ عن نيّته قول الفرزدق في تخاذل الناس عنه ، وتجاوبهم مع بني أُمية ، ولو كان يروم الملك ؛ لصدّه قول الفرزدق عن التوجّه إلى العراق .

كتاب الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة

ولمّا وافى الإمام الحسين عليه السلام (الحاجر)[٢] من بطن ذي الرمة[٣] ـ وهو أحد منازل الحج من طريق البادية ـ كتب كتاباً لشيعته من أهل الكوفة يعلمهم بالقدوم إليهم ،

---

(١) الفتوح : ٥ : ٧٢ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٢٣ . وسيلة المآل : ١٨٨ . الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ : ٨٦ .

(٢) **الحاجر :** هو موضع في ديار بني تميم ـ معجم ما استعجم : ١ : ٤١٦ .

(٣) **بطن الرُّمّة :** منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة ، بها يجتمع أهل البصرة والكوفة ـ معجم البلدان : ٣ : ٨٢ .

وقد جاء فيه بعد البسملة :

« مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى إِخْوانِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ .

سَلامٌ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ .

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتابَ مُسْلِمِ بْنِ عَقيلٍ جاءَنِي يُخْبِرُنِي بِحُسْنِ رَأْيِكُمْ وَاجْتِماعِ مَلَئِكُمْ عَلىٰ نَصْرِنا ، وَالطَّلَبِ بِحَقِّنا ، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنا الصَّنِيعَ ، وَأَنْ يُثِيبَكُمْ عَلىٰ ذٰلِكَ أَعْظَمَ الْأَجْرِ ، وَقَدْ شَخَصْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثُّلَاثاءِ لِثَمانٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، فَإِذا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَسُولِي فَاكْتُموا أَمْرَكُمْ ، وَجِدّوا فَإِنِّي قادِمٌ عَلَيْكُمْ مِنْ أَيّامِي هٰذِهِ إِنْ شاءَ اللهُ . وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ »[١] .

ودفع الكتاب بيد البطل الفذّ قيس بن مسهر الصيداوي ، فأخذ يجدّ في السير لا يلوي على شيء حتى انتهى إلى القادسية ، فاستولت عليه مفرزة من الشَّرَطة أُقيمت هناك تفتّش كل من يدخل للعراق ويخرج منه تفتيشاً دقيقاً ، وأسرع قيس إلى الكتاب فخرّقه لئلا تطّلع الشرطة على ما فيه ، وأرسلته الشرطة مخفوراً ومعه القطع المخرّقة من الكتاب إلى الطاغية ابن زياد ، فلمّا مَثُل عنده قال له : مَن أنت ؟

فقال : أنا رجل من شيعة أميرالمؤمنين الحسين بن عليّ عليه السلام .

قال : فَلِمَ خرقت الكتاب الذي كان معك ؟

فقال : خوفاً من أن تعلم ما فيه .

قال : ممّن الكتاب ؟ وإلى من ؟

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧١. البداية والنهاية : ٨ : ١٦٩ ـ ١٧٠. وفي الفتوح : ٥ : ٣٥ و ٣٦ ، صورة أُخرى للكتاب . وفي أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧٨ ، صورة ثالثة لهذا الكتاب .

فقال : كان من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم .

وغضب الطاغية وفقد صوابه وصاح به . والله لا تفارقني أبداً ، أو تدلّني على هؤلاء القوم الذين كتب إليهم هذا الكتاب ، أو تصعد المنبر فتسب الحسين وأباه وأخاه ، فتنجو من يدي أو لأقطّعنّك .

فقال له قيس : أمّا هؤلاء القوم فلا أعرفهم ، وأمّا اللعن فأفعل .

وظن ابن زياد أنّه من قبيل أوغاد أهل الكوفة الذين تغريهم المادة ويرهبهم الموت ، وما عرف أنّه من أفذاذ الأحرار الذين يصنعون تاريخ الأُمم والشعوب ، وترتفع بهم كلمة الحق والعدل في الأرض .

وأمر ابن مرجانة بجمع الناس في المسجد الأعظم ليريهم من لعن قيس لأهل البيت ـ كما توهّم ـ أمثلة لنكث العهد حتى يحملهم عليها ويجعلها من أخلاقهم وذاتياتهم .

وانبرى البطل العظيم وهو هازئ من الموت وساخر من الحياة ليؤدّي رسالة الله بأمانة وإخلاص ، فاعتلى منصّة المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وأكثر من الترحّم على علي وولده ، ثمّ لعن عبيد الله ولعن أباه وعتاة بني أُمية عن آخرهم[1] .

ثم رفع صوته الهادر الذي هو صوت الحق والإسلام قائلاً : أيّها الناس ، إنّ الحسين بن علي خير خلق الله ، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنا رسوله إليكم ، وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه[2] .

وأسرعت الجلاوزة إلى ابن زياد فأخبرته بشأنه فتميَّز غيظاً ، وأمر أن يُصعد به إلى أعلى القصر فيرمى منه وهو حي ، وأمسكته الشُّرَطة وألقت به من أعلى القصر

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧١ . الفتوح : ٥ : ٨٢ و ٨٣ .

(٢) اللهوف : ٤٦ و ٤٧ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٩٨ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٧ .

فتقطعت أوصاله وتهشّمت عظامه ، ومات ميتة الأبطال في سبيل مبدئه وعقيدته .

ولمّا بلغ مقتله الحسين عليه السلام بلغ به الحزن أقصاه ، واستعبر باكياً ، واندفع يقول : **اللّهُمَّ اجْعَلْ لَنا وَلِشِيعَتِنا مَنْزِلاً كَرِيماً عِنْدَكَ ، وَاجْمَعْ بَيْنَنا وَإِيّاهُمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**[1] .

مع أبي هرّة

ولمّا انتهى الإمام الحسين عليه السلام إلى (ذات عرق)[2] خفّ إليه أبو هـرّة فـقال له : يابن رسول الله ، ما الذي أخرجك عن حرم الله ، وحرم جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

وتأثّر الإمام الحسين عليه السلام ، فقال له : **وَيْحَكَ يا أَبا هِرَّةَ ، إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ أَخَـذوا مـالِي فَصَبَرْتُ ، وشَتَموا عِرْضِي فَـصَبَرْتُ ، وَطَـلَبوا دَمِـي فَـهَرَبْتُ . وَأَيْـمُ اللهِ لَـتَقْتُلُنِي الْـفِئَةُ الْباغِيَةُ ، وَلَيُلبِسُهُمُ اللهُ ذُلّاً شامِلاً ، وَسَيْفاً قاطِعاً ، وَلَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِلُّهُمْ حَتّىٰ يَكُونوا أَذَلَّ مِنْ قَوْمِ سَبَأٍ إِذْ مَلَكَتْهُمُ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ ، فَحَكَمَتْ في أَمْوالِهِمْ وَدِمائِهِمْ حَتّىٰ أَذَلَّتْهُمْ**[3] .

وانصرف الإمام الحسين عليه السلام وهو ملتاع حزين من هؤلاء الناس الذين لا يملكون وعياً لنصرة الحق ، قد آثروا العافية وكرهوا الجهاد في سبيل الله .

مع بعض مشايخ العرب

ولمّا انتهت قافلة الإمام الحسين عليه السلام إلى بطن (العقبة)[4] بادر إليه بعض مشايخ العرب المقيمين هناك فقال له : أنشدك الله إلّا ما انصرفت ، ما تقدم إلّا على الأسنّة

---

(١) الفتوح : ٥ : ٨٣.

(٢) **عِرق :** جبل بطريق مكة ، ومنه ذات عِرق ـ معجم البلدان : ٤ : ١٢٠ .

(٣) الدرّ المسلوك : ١ : ١١٠ . الفتوح : ٥ : ٧١. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٣٩.

(٤) **العقبة :** منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة ـ معجم البلدان : ٤ : ١٥١ .

وحدّ السيوف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال، ووطّأوا لك الأُمور فقدمت على غير حرب كان ذلك رأياً، وأمّا على هذا الحال الذي ترى فلا أرى لك ذلك[١].

فقال عليه السلام: **لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمّا ذَكَرْتَ، وَلٰكِنِّي صابِرٌ ومُحْتَسِبٌ إِلىٰ أَنْ يَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً**[٢].

فزع السيدة زينب عليها السلام

وسارت قافلة الإمام الحسين عليه السلام حتى انتهت إلى (الخُزَيمية)[٣] وهي إحدى منازل الحج، فأقام فيها يوماً وليلة؛ ليستريح من جهد الطريق وعناء السفر، وقد خفّت إليه أُخته الحوراء عقيلة بني هاشم، وهي تجرّ أذيالها، وقلبها الزاكي يتقطّع من الأسى والحزن، وهي تقول له بنبرات مشفوعة بالبكاء: إنّي سمعت هاتفاً يقول:

أَلَا يـا عَـينُ فَـاحْتَفِلِي بِـجُهْدِ ... فَمَن يَبكِي عَلَى الشُّهَداءِ بَعدِي

عَـلىٰ قَـوْمٍ تَسُـوقُهُمُ المَـنايا ... بِـمِقْدارٍ إِلىٰ إنـجازِ وَعـدِ

فقال لها أبيُّ الضيم: **يا أُخْتاهُ، كُلُّ الَّذِي قُضِيَ فَهُوَ كائِنٌ**[٤].

لقد أراد من شقيقته أن تخلد إلى الصبر، وأن تقابل الخطوب والرزايا برباطة جأش وعزم حتى تقوى على أداء رسالته.

مع زهير بن القين رضي الله عنه

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠١.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠١. الفصول المهمّة / ابن الصبّاغ: ١٨٩.

(٣) **الخُزيمية**: منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة وقبل الأجفر ـ معجم البلدان: ٢: ٤٢٣.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٩٥. الفتوح: ٥: ٧٠.

وانتهت قافلة الإمام الحسين عليه السلام إلى (زَرُود)[(١)] ، فأقام الإمام فيها بعض الوقت ، وقد نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي ، وكان عثمانيَّ الهوى ، وقد حج بيت الله في تلك السنة ، وكان يساير الإمام الحسين عليه السلام في طريقه ، ولا يحب أن ينزل معه مخافة الاجتماع به إلّا أنّه اضطر إلى النزول قريباً منه ، فبعث إليه رسولاً يدعوه إليه ، وكان زهير مع جماعته يتناولون طعاماً صنع لهم ، فأبلغه الرسول مقالة الحسين عليه السلام فذعر القوم وطرحوا ما في أيديهم من طعام حتى كأنّ على رؤوسهم الطير .

وقد أنكرت زوجة زهير عليه ذلك ، وقالت له : سبحان الله **!** أيبعث إليك ابن بنت رسول الله ثمّ لا تأتيه **؟** لو أتيته فسمعت كلامه **!**[(٢)] .

وانطلق زهير على كُره منه إليه ، فلم يلبث أن عاد مسرعاً وقد تهلل وجهه وامتلأ غبطة وسروراً ، فقد شرح الله صدره للإيمان فسارع للالتحاق بموكب النور ، فأمر بفسطاطه وماكان عنده من ثقل ومتاع فحوله إلى الإمام الحسين عليه السلام ، وقال لزوجته : أنت طالق .

وذكر العلامة المجلسي أنّه قال لها : لا أُحب أن يصيبك شيء بسببي ، وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بروحي وأقيه بنفسي ، ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها ، فقامت إليه وبكت وودّعته ، وقالت : خار الله لك ، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام ، وكان اسمها : ديلم بنت عمرو[(٣)] .

ماذا أسرَّ إليه ريحانة رسول الله حتى جعله يتغيَّر هذا التغيير **؟** هل وعده بمال

---

(١) **زَرُودُ** : لعلها سمّيت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحاب ؛ لأنّها رمال بين الثعلبية والخُزَيمية بطريق الحاج من الكوفة ـ معجم البلدان : **٣** : **١٥٦** .

(٢) الأخبار الطوال : **٢٤٦** . تاريخ الأُمم والملوك : **٤** : **٥٩٨** و **٥٩٩** .

(٣) بحار الأنوار : **٤٤** : **٣٧١** و **٣٧٢** . وقيل : دَلهم بنت عمرو . تاريخ الأُمم والملوك : **٤** : **٥٩٩** .

أو مغنم ؟! ولو وعده بذلك لما طلّق زوجته ، ولا ودّع أصحابه الوداع الأخير ، لقد بشَّره بالشهادة والفوز بالجنّة ، وذكّره بحديث طالت عليه الأيام فنساه ، وقد حدّث به أصحابه قائلاً : سأحدّثكم حديثاً : غزونا (بَلَنْجَر)[١] ففتح الله علينا ، وأصبنا غنائم ففرحنا ، وكان معنا سلمان الفارسي ، فقال لنا : أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم ؟

فقلنا : نعم .

فقال : إذا أدركتم سيد شباب آل محمّد صلى الله عليه وآله فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه ممّا أصبتم اليوم من الغنائم[٢] .

وروى إبراهيم بن سعيد وكان قد صحب زهيراً حينما مضى إلى الإمام الحسين عليه السلام قال له : إنّه يقتل في كربلاء ، وأنّ رأسه الشريف يحمله زَحْر بن قيس إلى يزيد يرجو نواله فلا يعطيه شيئاً[٣] .

لقد كان زهير يحمل في قلبه إيماناً وثباتاً ، ووعياً مشرقاً ، فالتحق بموكب العترة الطاهرة ، وصار من أصلب المدافعين عنها ، ومن ألمع أصحاب الإمام عليه السلام ، ففداه بروحه واستشهد في سبيل قضيته العادلة التي تحمل هدي الإسلام ودوافع الإيمان .

النبأ المفجع بمقتل مسلم رضي الله عنه

أمّا النبأ المفجع بمقتل مسلم رضي الله عنه فقد حمله إلى الإمام الحسين عليه السلام عبدالله بن

---

(١) **بَلَنْجَر** : اسم مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب ـ معجم البلدان : ١ : ٥٨١ .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧٣ . تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٥٩٨ و ٥٩٩ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧٨ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٧ . الدرّ النظيم : ١٦٧ .

(٣) دلائل الإمامة : ١٨٢ .

سليمان والمنذرُ بن المُشْمَعِلّ الأسديان[١]، وكانا ـ فيما يقول المؤرخون ـ قد انتهيا من أداء مناسك الحج، وكانت لهما رغبة ملحّة في الاتصال بالإمام الحسين عليه السلام والتعرّف على شؤونه، فأخذا يجدّان في السير حتى التحقا به في (زرود).

وبينما هما معه وإذا برجل قد أقبل من جهة الكوفة، فلمّا رأى الحسينَ عليه السلام عدل عن الطريق، وقد وقف الإمام الحسين عليه السلام يريد مسألته، فلمّا رآه قد مال عنه سار في طريقه.

ولمّا عرف الأسديان رغبة الإمام الحسين عليه السلام في سؤاله تبعاه حتى أدركاه فسلّما عليه وسألاه عن أُسرته، فأخبرهما أنّه أسدي فانتسبا له، ثمّ سألاه عن خبر الكوفة، فقال لهما: إنّه لم يخرج منها حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورآهما يجرّان بأرجلهما في الأسواق، وودّعاه، وأقبلا مُسرعينِ حتى لحقا بالإمام الحسين عليه السلام، فلمّا نزل بـ(الثعلبية)[٢] قالا له: رحمك الله، إنّ عندنا خبراً إن شئت حدّثناك علانية، وإن شئت سرّاً.

وتأمّل في أصحابه فقال عليه السلام: **ما دُونَ هـٰؤُلَاءِ سِرٌّ**.

فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلته عشيّ أمس ؟

قال عليه السلام: **نَعَمْ، وَقَدْ أَرَدْتُ مَسْأَلَتَهُ**.

فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منّا ذو رأي وصدق وعقل، وإنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهانئ ورآهما يُجرّان

---

(١) في تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٩٩، هما: عبدالله بن سليم، والمذري بن المشمعل. وقيل: الذي حمل النبأ إلى الإمام الحسين عليه السلام هو ابن يزيد التميمي، كما في الصواعق المحرقة: ١٩٦. وقيل: بكر بن المعنقة، كما في أنساب الأشراف: ٣: ٣٧٩.

(٢) **الثعلبية**: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق ـ معجم البلدان: ٢: ٩١.

في السوق بأرجلهما[١].

وكان النبأ المؤلم كالصاعقة على العلويين، فانفجروا بالبكاء على فقيدهم العظيم حتى ارتجّ الموضع بالبكاء وسالت الدموع كلَّ مسيل[٢]، واستبان للإمام الحسين عليه السلام غدر أهل الكوفة، وأيقن أنّه مع الصفوة من أهل بيته وأصحابه سيلاقون نفس المصير الذي لاقاه مسلم.

وانبرى إليه بعض أصحابه، فقال له: ننشدك الله إلّا رجعت من مكانك، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك.

والتفت الإمام الحسين عليه السلام إلى بني عقيل، فقال لهم: **ما تَرَوْنَ، فَقَدْ قُتِلَ مُسْلِمٌ؟**

ووثبت الفتية وهي تعلن استهانتها بالموت قائلين: لا والله، لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق مسلم.

وراح الإمام الحسين عليه السلام يقول بمقالتهم: **لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هٰؤُلاءِ**[٣].

ثمّ قال عليه السلام متمثلاً:

سَأَمْضِي وَمَا بِالمَوتِ عارٌ عَلَى الفَتَى ... إذا مَا نَوىٰ حَقّاً وَجاهَدَ مُسْلِما
وَآسى الرِّجالَ الصّالِحينَ بِنَفْسِهِ ... وَفارَقَ مَثْبُوراً وَخالَفَ مُجْرِما
فَإنْ عِشْتُ لَمْ أَنْدَمْ وإنْ مُتُّ لَمْ أُلَمْ ... كَفىٰ بِكَ عَاراً أنْ تُذَلَّ وتُرْغَما[٤]

لقد مضى الإمام الحسين عليه السلام قُدماً وهو مرفوع الجبين، وقد أيقن أنّه يسير إلى

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٧٤. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٩٩ و ٦٠٠.

(٢) الدرّ المسلوك: ١: ١١١.

(٣) الإرشاد / المفيد: ٢: ٧٥. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠٠.

(٤) الإرشاد / المفيد: ٢: ٨٠ و ٨١. أنساب الأشراف: ٣: ٣٨٢ و ٣٨٣. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠٦. الفتوح: ٥: ٧٩. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٠ و ٢٨١. الدرّ النظيم: ١٦٧.

الفتح الذي ليس مثله فتح ، لقد مضى ليؤدّي رسالة الله بأمانة وإخلاص كما أدّاها جدّه الرسول صلى الله عليه وآله من قبل .

وصول النبأ بمصرع عبدالله بن يقطر رضي الله عنه

ولمّا انتهت قافلة الإمام الحسين عليه السلام إلى (زُبَالَة)[١] وافاه النبأ الفظيع بقتل رسوله عبدالله بن يقطر ، وكان عليه السلام قد أوفده للقيا مسلم بن عقيل رضي الله عنه ، فألقت عليه الشُّرَطة القبض في القادسية ، وبعثته مخفوراً إلى ابن مرجانة ، فلمّا مَثُل عنده صاح به الخبيث : اصعد المنبر ، والعن الكذّاب ابن الكذّاب ، ثمّ انزل حتى أرى رأيي فيك[٢].

وظنّ ابن مرجانة أنّه يفعل ذلك ، وما درى أنّه من أفذاذ الأحرار الذين ترتفع بهم كلمة الله في الأرض . واعتلى البطل العظيم المنبر ، ورفع صوته الهادر قائلاً : أيّها الناس ، أنا رسول الحسين بن فاطمة ، لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة الدعي بن الدعي لعنه الله .

وأخذ يلعن ابن زياد ، ويذكر مساوئ بني أُمية ، ويدعو إلى نصرة ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله ، فاستشاط ابن زياد غضباً ، وأمر أن يُلقى من فوق القصر كما فعل بقيس ابن مسهر الصيداوي ، فرمته الشُّرَطة من أعلى القصر فتكسّرت عظامه ، وبقي به رمق من الحياة ، فأسرع إليه الوغد الخبيث عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه ؛ ليتقرّب به إلى سيده ابن مرجانة ، وقد عاب الناس عليه ذلك فاعتذر لهم أنّه أراد أن يريحه[٣].

---

(١) **زُبالة** ـ بضم أوّله ـ: وهو منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة لها أسواق بين واقصة والثعلبية ـ معجم البلدان : ٣ : ١٤٥ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٠ و ٦٠١ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٨ .

(٣) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧١ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧٩ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠١ .

ولمّا انتهى خبره إلى الإمام الحسينعليه‌السلام شقّ عليه ذلك ، ويئس من الحياة وأمر بجمع أصحابه والذين اتبعوه طلباً للعافية لا للحقّ ، فأخرج لهم كتاباً فقرأه عليهم :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

« أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَتانا خَبَرٌ فَظِيعٌ قُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ ، وَهانِئُ بْنُ عُرْوَةَ ، وَعَبْدُاللهِ بْنُ يَقْطُرٍ ، وَقَدْ خَذَلَنا شِيعَتُنا ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ الْإِنْصِرافَ فَلْيَنْصَرِفْ مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ عَلَيْهِ وَلَا ذِمام »[١] .

وتفرّق عنه ذباب المجتمع من أرباب المطامع الذين تبعوه لأجل الغنيمة ، وخلص إليه الصفوة من أصحابه الذين جاءوا معه من مكة[٢] ، ولو كان الإمام الحسينعليه‌السلام يروم الملك والسلطان لما صارح الذين اتبعوه بالأوضاع الراهنة التي تحيط به ، فقد أعلمهم أنّ من يلتحق به لا ينال منصباً أو مالاً وإنّما يقدم إلى ساحات الجهاد فيفوز بالشهادة ، ولو كان من عشّاق الملك لما أدلى بذلك في تلك الساعات الحرجة التي هو في أَمَسِّ الحاجة فيها إلى الناصر والصديق الذي يذبّ عنه .

لقد نصح أصحابه وأهل بيته مراراً في التخلّي عنه ، وما ذلك إلّا ليحاربوا على بصيرة وبيِّنة من أمرهم ، وفعلاً فقد تبعه خيرة الرجال وأصلبهم في الدفاع عن الحق ، تبعوه ونفوسهم مليئة بالإيمان بالله ، والإخلاص إلى الجهاد في سبيله .

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧٥ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠١ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٠ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٨ . تاريخ أبي الفداء : ١ : ٢٦٤ . تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ١١ . وسيلة المآل : ١٨٩ .

وجاء في روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان : ٦٧ : « أنّ الإمام الحسين عليه‌السلام لما أذن للناس بالتفرق عنه تفرقوا عنه ، ولم يبقَ معه إلّا اثنان وأربعون رجلاً من أهل بيته » .

رؤيا الإمام الحسين عليه السلام

وخفق الإمام الحسين عليه السلام وقت الظهيرة ، فانتبه وهو يحمد ويسترجع فأقبل عليه ولده البار عليّ الأكبر ، فقال له : يا أبةِ ، جعلتُ فداك ، مِمَّ حَمِدتَ اللهَ واسترجعتَ ؟!

فقال الحسين عليه السلام : **يا بُنَيَّ ، إنّي خَفَقْتُ بِرَأْسي خَفْقَةً فَعَنَّ لي فارِسٌ عَلىٰ فَرَسٍ فَقالَ : الْقَوْمُ يَسيرُونَ وَالْمَنايا تَسْري إلَيْهِمْ ، فَعَلِمْتُ أَنَّها أَنْفُسُنا نُعِيَتْ إلَيْنا** .

قال له : يا أَبَةِ ، لا أراك الله سوءاً ، ألسنا على الحق ؟!

قال عليه السلام : **بَلىٰ ، وَالَّذي إلَيْهِ مَرْجِعُ الْعِبادِ** .

وطفق فخر هاشم يلقي على الأجيال أروع صور الإيمان والتضحية في سبيل الله ، قائلاً لأبيه : يا أبة ، إذاً لا نبالي نموت محقّين .

ووجد الإمام الحسين عليه السلام في ولده خير عون له على أداء رسالته الكبرى ، فشكره على ذلك قائلاً : **جَزاكَ اللهُ يا بُنَيَّ خَيْرَ ما جُزِيَ بِهِ وَلَدٌ عَنْ والِدِهِ**[١] .

الالتقاء بالحرّ

وانتهى موكب الإمام الحسين عليه السلام إلى (شَرَاف)[٢] وفيها عين ماءٍ ، فأمر الإمام الحسين عليه السلام فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا منه ففعلوا ذلك ، ثمّ سارت القافلة تطوي البيداء ، وبادر بعض أصحابه فكبّر ، فاستغرب الإمام الحسين عليه السلام وقال له : **اللهُ أَكْبَرُ ، لِمَ كَبَّرْتَ ؟!**

قال : رأيت النخل .

---

(١) الدرّ المسلوك : ١٠٩ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٩ . الفتوح : ٥ : ٧١ . مقاتل الطالبيّين : ١١٢ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٢ . تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ١٣ .

(٢) **شَرَاف** ـ بفتح أوّله ـ : ماء بنجد بين واقصة والقرعاء ـ معجم البلدان : ٣ : ٣٧٥ .

وأنكر عليه رجل من أصحابه ممّن خبر الطريق وعرفه ، فقال له : ليس هاهنا نخل ، ولكنّها أسنة الرماح وآذان الخيل .

وتأملها الإمام الحسين عليه السلام فطفق يقول : **وَأَنا أَرىٰ ذٰلِكَ** .

فعرف أنّها طلائع جيش العدو جاءت لمناهضته ، فقال لأصحابه : **أَما لَنا مَلْجَأٌ نَلْجَأُ إِلَيْهِ فَنَجْعَلُهُ في ظُهورِنا ، ونَسْتَقْبِلُ الْقَوْمَ مِنْ وَجْهٍ واحِدٍ ؟**

وكان بعض أصحابه ممّن يعرف سَنَن الطريق ، فقال له : بلى هذا (ذو حُسَم)[١] إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت إليه فهو كما تريد[٢] .

ومال موكب الإمام الحسين عليه السلام إليه ، فما عادت الصحراء تسمع سوى تنهدات النساء ورغاء الإبل ، إلّا أنّه لم يبعد كثيراً حتى أدركه جيش مكثّف بقيادة الحر بن يزيد الرياحي كان ابن زياد قد عهد إليه أن يجوب في صحراء الجزيرة للتفتيش عن الإمام الحسين عليه السلام ، وإلقاء القبض عليه ، وكان عدد الجيش زهاء ألف فارس ، ووقفوا قِباله في وقت الظهيرة ، وكان الوقت شديد الحر ، فرآهم وقد أشرفوا على الهلاك من شدّة الظمأ فرقّ عليهم ، وغضّ نظره من أنّهم جاءوا لقتاله وسفك دمه ، فأمر أصحابه أن يسقوهم ، ويرشّفوا خيولهم ، وقام أصحابه فسقوا الجيش ، ثمّ انعطفوا إلى الخيل فجعلوا يملأون القِصاع والطساس ، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت وسقيت الأخرى حتّى سقوا الخيل عن آخرها[٣] .

---

(١) **حُسَم** ـ بضم الحاء وفتح السين ـ : اسم موضع ، وقد ذكره لبيد في شعره :

لِبَيْتِكِ عَلَى النُّعْمانِ شَرْبٌ وَقَينَةٌ　　وَمُخْتَبِطَاتٌ كَالسَّعالِي أَرامِلُ

بِذِي حُسَمٍ قَدْ عُرِّيَتْ وَيَزِينُها　　دِماثُ فُلَيجٍ رَهْوُها وَالمَحافِلُ

معجم البلدان : ٢ : ٢٥٨ . وفي بعض المصادر : « ذو جشم » ، « ذو حُسمَى » .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧٦ و ٧٧ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٢ و ٦٠٣ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٠ .

(٣) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧٧ و ٧٨ . الأخبار الطوال : ٢٤٨ و ٢٤٩ . تاريخ الأُمم والملوك : ⇦

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام على استعداد كامل في سفره ، فقد كانت الأواني وحدها تسع لسقاية ألف فارس مع خيولهم ، فضلاً عن سائر الأثاث والأمتعة الأُخرى .

وعلى أيّة حال ، فقد تكرّم الإمام الحسين عليه السلام بإنقاذ هذا الجيش الذي جاء لحربه ، ويقول المؤرخون : إنّه كان من بين هذا الجيش عليّ بن الطعّان المحاربي ، وقد تحدّث عن سماحة الإمام الحسين عليه السلام وعظيم أخلاقه ، يقول : «كنت ممّن أضرَّ بي العطش ، فأمرني الحسين بأن قال : **أَنِخِ الرّاوِيَةَ** فلم أفقه كلامه ؛ لأنّ الراوية بلغة الحجاز هي الجمل .

ولمّا عرف أنّي لم أفهم كلامه ، قال لي : **أَنِخِ الْجَمَلَ** فأنخته ، ولمّا أردت أن أشرب جعل الماء يسيل من السّقاء ، فقال لي **أَخْنِثِ السِّقاءَ** أي أعطفه ، فلم أدرِ ما أصنع ؟ فقام أبيُّ الضيم فخنث السّقاء حتّى ارتويت أنا وفرسي »(١) .

ولم تهز هذه الأريحية ولا هذا النبل نفس هذا الجيش ، وما تأثّر أحد منهم بهذا الخلق الرفيع إلّا الحرّ ، فقد تأثّر ضميره اليقظ الحسّاس بهذا المعروف والإحسان ، فاندفع بوحي من ضميره حتى التحق بالإمام الحسين عليه السلام واستشهد بين يديه .

خطاب الإمام الحسين عليه السلام

واستقبل الإمام الحسين عليه السلام قطعات ذلك الجيش فخطب فيهم خطاباً بليغاً ، أوضح لهم فيه أنّه لم يأتهم محارباً ، وإنّما قدمت عليه رسلهم وكتبهم تحثّه بالقدوم إليهم ، فاستجاب لهم ، وقد قال بعد حمد الله والثناء عليه :

«أَيُّها النّاسُ ، إِنَّها مَعْذِرَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَيْكُمْ ، إِنِّي لَمْ آتِكُمْ حَتّىٰ

⇦ ٤ : ٦٠٣ . الخطط المقريزيّة : ١ : ٤٢٩ .

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧٨ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٧٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٣ .

أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ، وقَدِمَتْ بِها عَلَيَّ رُسُلُكُمْ أَنْ أَقْدِمْ عَلَيْنا فَإِنَّهُ لَيْسَ لَنا إِمامٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْمَعَنا بِكَ عَلَى الْهُدىٰ، فَإِنْ كُنْتُمْ عَلىٰ ذلِكَ فَقَدْ جِئْتُكُمْ، فَإِنْ تُعْطُونِي مَا أَطْمَئِنُّ بِهِ مِن عُهُودِكُمْ وَمَواثِيقِكُمْ أَقْدِمُ مِصْرَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كارِهِينَ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ».

واحجموا عن الجواب؛ لأنّ أكثرهم كانوا ممّن كاتبوه بالقدوم إليهم، وبايعوه على يد سفيره مسلم بن عقيل رضي الله عنه.

ثم حضر وقت الصلاة فأمر الإمام الحسين عليه السلام مؤذنه الحجّاج بن مسروق أن يؤذّن ويقيم لصلاة الظهر، وبعد فراغه قال الإمام الحسين عليه السلام للحرّ: **أَتُرِيدُ أَنْ تُصَلِّيَ بِأَصْحابِكَ؟**

قال: لا، بل تصلّي ونصلّي بصلاتك. وائتمّوا بالإمام الحسين عليه السلام في صلاة الظهر، وبعد الفراغ منها انصرفوا إلى أخبيتهم، ولمّا حضر وقت صلاة العصر جاء الحرّ مع جيشه فاقتدوا به في صلاة العصر[١].

خطبة الإمام الحسين عليه السلام

وبعد ما فرغ الإمام الحسين عليه السلام من صلاة العصر انبرى بعزم وثيق فخطب في ذلك الجيش خطاباً رائعاً، فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

«أَمّا بَعْدُ أَيُّها النّاسُ، إِنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا اللهَ، وَتَعْرِفوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضىٰ للهِ عَنْكُمْ، ونَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلىٰ بِوِلَايَةِ هٰذَا الْأَمْرِ عَلَيْكُمْ

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٧٩. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠٣ و ٦٠٤.

مِنْ هٰؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ ما لَيْسَ لَهُمْ، وَالسّائِرينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوانِ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا كَراهِيَةً لَنا، وَالْجَهْلَ بِحَقِّنا، فَكانَ رَأْيُكُمُ الْآنَ عَلىٰ غَيْرِ ما أَتَتْنِي بِهِ كُتُبُكُمْ، وَقَدِمَتْ بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمُ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ»[١].

ودعاهم بهذا الخطاب إلى طاعةِ اللهِ، والتمسّك بدعاة الحقّ وأئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام، فهم أولى بهذا الأمر من بني أُمية الذين أشاعوا فيهم الجور والظلم، وعرض لهم أنّه ينصرف عنهم إذا تبدّل رأيهم، ونقضوا بيعتهم.

وانبرى إليه الحرّ وهو لا يعلم بشأن الكتب، فقد كان ـ فيما يبدو ـ في تلك الفترة بمعزل عن الحركات السياسية في الكوفة، فقال له: ما هذه الكتب التي تذكرها؟

فأمر الإمام الحسين عليه السلام عقبة بن سمعان بإحضارها، فأخرج خرجين مملوءين صُحُفاً نثرها بين يدي الحرّ، فبهر الحرّ، فتأمّلها وقال: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك[٢].

المشادّة بين الإمام الحسين عليه السلام والحرّ

ووقعت مشادّة عنيفة بين الإمام الحسين عليه السلام والحرّ، فقد قال الحرّ له: قد أُمرت ألاّ أُفارقك إذا لقيتك حتى أُقدمك الكوفة على ابن زياد. ولذعت الإمام الحسين عليه السلام هذه الكلمات القاسية، فثار في وجه الحرّ، وصاح به: **الْمَوْتُ أَدْنَى إِلَيْكَ مِنْ ذلِكَ**.

لقد ترفّع أبيُّ الضيم من مبايعة يزيد، فكيف يخضع لابن مرجانة الدعي بن الدعي؟! وكيف ينقاد أسيراً إليه؟! فالموت أدنى للحر من الوصول إلى

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٧٩ و ٨٠. اللهوف: ٤٧. أنساب الأشراف: ٣: ٣٨١. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠٤. الفتوح: ٥: ٧٨.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ٨٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠٤. الفتوح: ٥: ٧٨.

هذه الغاية الرخيصة .

وأمر الحسين عليه السلام أصحابه بالركوب ، فلمّا استووا على رواحلهم أمرهم بالتوجّه إلى يثرب ، فحال بينهم وبين ذلك ، فاندفع الحسين فصاح به : **ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ ، ما تُرِيدُ ؟**

وأطرق الحر برأسه إلى الأرض وتأمّل ، ثمّ رفع رأسه فخاطب الإمام الحسين عليه السلام بأدب ، فقال له : أما والله ، لو غيرك من العرب يقولها لي ، ما تركت ذكر أُمه بالثكل كائناً من كان ، ولكنّي والله ما لي إلى ذكر أُمك من سبيل إلّا بأحسن ما يُقدَر عليه .

وسكن غضب الإمام الحسين عليه السلام ، فقال له : **ما تُرِيدُ مِنّا ؟**

فقال الحر : أُريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد .

وثار الإمام الحسين عليه السلام فصاح به : **وَاللهِ لَا أَتَّبِعُكَ .**

قال : إذاً والله لا أدعك .

وكاد الوضع أن ينفجر باندلاع نار الحرب ، إلّا أنّ الحرّ ثاب إلى الهدوء ، فقال له : إنّي لم أُؤمر بقتالك ، وإنّما أُمرت ألاّ أُفارقك حتى أُقدمك الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يُدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد فلعلّ الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلي من أمرك[١] .

واتفقا على هذا ، فتياسر الإمام الحسين عليه السلام عن طريق (العذيب) و (القادسية) ، وأخذت قافلته تطوي البيداء ، وكان الحرّ يتابعه عن كثب ، ويراقبه أشدّ ما تكون المراقبة .

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨٠. أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٠ و ٣٨١. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٤. الفتوح : ٥ : ٧٨ و ٧٩. الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٠ و ٢٨١.

قول شاذّ

من الأقوال الشاذّة التي لا مدرك لها ما ذكره البستاني ، وهذا نصّه : « لمّا قرب الحسين من الكوفة لقيه الحرّ بن يزيد الرياحي ، ومعه ألف فارس من أصحاب ابن زياد ، وقال له : أرسلني عبيد الله عيناً عليك ، وقال لي : إن ظفرت به لا تفارقه أو تجيء به ، وأنا كاره أن يبتليني الله بشيء من أمرك ، فخذ غير هذا الطريق ، واذهب إلى حيث شئت ، وأنا أقول لابن زياد : إنّك خالفتني في الطريق ، وأنشدك الله في نفسك ، وفيمن معك ، فسلك الحسين طريقاً غير الجادّة ، ورجع قاصداً إلى الحجاز ، وسار هو وأصحابه ليلتهم ، فلمّا أصبحوا لقوا الحرّ .

فقال له الحسين : مَا جَاءَ بِكَ ؟

قال : سُعيَ بي إلى ابن زياد أنّي أطلقتك بعد ما ظفرت بك ، فكتب إليَّ أن أُدركك ، ولا أُفارقك حتى تأتي الجيوش »[١] .

وهذا القول من الأساطير ، فإنّ التقاء الإمام الحسين عليه السلام بالحرّ لم يكن قريباً من الكوفة ، وإنّما كان في أثناء الطريق في مرحلة قريبة من (شَرَاف) . ومضافاً إلى ذلك فإنّ الحرّ لم يعرض على الإمام الحسين عليه السلام أن يسير حيثما شاء ، وإنّما صدرت إليه الأوامر المشدّدة من ابن زياد أن يلقي عليه القبض ، ويأتي به إلى الكوفة حسبما ذكرناه ، وهو ممّا أجمع عليه المؤرخون وأرباب المقاتل .

خطأ ابن عنبة

من الأخطاء الفاحشة ما ذكره النسابة ابن عنبة من أنّ الحرّ أراد إرغام الإمام الحسين عليه السلام على الدخول إلى الكوفة فامتنع ، وعدل نحو الشام قاصداً إلى يزيد بن معاوية ، فلمّا صار إلى كربلاء منعوه عن المسير ، وأرسلوا إليه ثلاثين ألفاً عليهم

---

(١) دائرة المعارف / البستاني : ٧ : ٤٨ .

عمر بن سعد ، وأرادوا دخوله إلى الكوفة والنزول على حكم عبيد الله بن زياد فامتنع عليهم ، واختار المضي نحو يزيد فمنعوه وناجزوه الحرب[١].

ولم يذهب لهذا القول أحد من المؤرخين ، فقد أجمعوا على أنّه عليه السلام بقي مصمّماً على رفض البيعة ليزيد ، ولو أنّه أراد أن يبايع ليزيد لما فتحوا معه باب الحرب ، وما شهروا في وجهه السيوف .

خطبة الإمام الحسين عليه السلام

ولمّا انتهى موكبه عليه السلام إلى (البَيْضَةِ)[٢] ألقى خطاباً على الحرّ وأصحابه ، وقد أدلى بدوافعه في الثورة على يزيد ، ودعا القوم إلى نصرته ، وقد قال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أَيُّها النّاسُ ، إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ : مَنْ رَأىٰ سُلْطاناً جائِراً مُسْتَحِلّاً لِحُرَمِ اللهِ ، ناكِثاً لِعَهْدِ اللهِ ، مُخالِفاً لِسُنَّةِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله يَعْمَلُ في عِبادِ اللهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ .

أَلَا وَإِنَّ هٰؤُلاءِ قَدْ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ وتَرَكوا طاعَةَ الرَّحْمٰنِ ، وَأَظْهَروا الْفَسادَ ، وَعَطَّلوا الْحُدُودَ ، وَاسْتَأْثَروا بِالْفَيْءِ ، وَأَحَلُّوا حَرامَ اللهِ ، وحَرَّموا حَلالَهُ ، وَأَنا أَحَقُّ مَنْ غَيَّرَ[٣] ، وَقَد أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ ، وَقَدِمَتْ

---

(١) عمدة الطالب : ١٧١ .

(٢) **البيضة** : ـ بفتح أوّله ويكسر ـ : موضع بين العذيب وواقصة في أرض الحزن من ديار بني يربوع ابن حنظلة ـ معجم البلدان : ١ : ٥٣١ .

(٣) وفي الفتوح : ٥ : ٨١ : «**وَأَنا أَحَقُّ مِنْ غَيْري بِهٰذَا الْأَمْرِ؛ لِقَرابَتِي مِنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله**» .

عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ أَنَّكُمْ لَا تُسْلِمُوني ، وَلَا تَخْذُلوني ، فَإِنْ أَقَمْتُمْ عَلىٰ بَيْعَتِكُمْ تُصيبوا رُشْدَكُمْ وَأَنا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ فاطِمَةَ بِنْتِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، نَفْسي مَعَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِي مَعَ أَهْليكُمْ ، فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلوا ، وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ ، وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي ، فَلَعَمْري ما هِيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ ، لَقَدْ فَعَلْتُموها بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِم ، فَالْمَغْرورُ مَنِ اغْتَرَّ بِكُمْ ، فَحَظُّكُمْ أَخْطَأْتُمْ ، وَنَصِيبُكُمْ ضَيَّعْتُمْ ، وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلىٰ نَفْسِهِ ، وَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ ، وَالسَّلَامُ »[١] .

وحفل هذا الخطاب المشرق بكثير من النقاط المهمة ، وهي :

الأُولى : إنّه إنّما أعلن الثورة على حكومة يزيد استجابة للواجب الديني الذي كان يقضي عليه ، فإنّ الإسلام لا يقرّ السلطان الجائر ، ويلزم بمناهضته ، ومن لم يستجب للجهاد يكون مشاركاً له فيما يقترفه من الجور والظلم .

الثانية : إنّه ندد بالأُمويين ، وشجب سياستهم القائمة على طاعة الشيطان ، ومعصية الرحمٰن ، وإظهار الفساد ، وتعطيل حدود الله ، والاستئثار بالفيء ، وتحليل الحرام ، وتحريم الحلال .

الثالثة : إنّ الإمام الحسين عليه السلام أحقّ وأولى من غيره بالقيام بتغيير الأوضاع الراهنة التي تنذر بالخطر على الإسلام ، فإنّه عليه السلام المسؤول الأوّل عن القيام بأعباء هذه المهمة .

الرابعة : إنّه عليه السلام عرض لهم أنّه إذا تقلّد شؤون الحكم فسيجعل نفسه مع أنفسهم ، وأهله مع أهاليهم من دون أن يكون له أيّ امتياز عليهم .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٠ .

الخامسة: إنّهم إذا نكثوا بيعتهم ، ونقضوا عهودهم التي أعطوها له فإنّه ليس بغريب عليهم ، فقد غدروا من قبل بأبيه وأخيه وابن عمّه ، وقد أخطأوا بذلك حظّهم ، وحرموا نفوسهم السعادة .

لقد وضع الإمام الحسين عليه‌السلام بهذا الخطاب النقاط على الحروف ، وفتح لهم منافذ النور ، ودعاهم إلى الإصلاح الشامل الذي ينعمون في ظلاله .

ولمّا سمع الحرّ خطابه أقبل عليه ، فقال له : إنّي أُذكّرك الله في نفسك ، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ .

وانبرى عليه‌السلام قائلاً له : **أَفَبِالْمَوتِ تُخَوِّفُنِي ؟! وَهَلْ يَعْدو بِكُمُ الْخَطْبُ أَنْ تَقْتُلونِي وَسَأَقُولُ كَما قالَ أَخُو الْأَوْسِ لِابْنِ عَمِّهِ وَهُوَ يُرِيدُ نُصْرَةَ رَسولِ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله فَخَوَّفَهُ ابْنُ عَمِّهِ وَقالَ : أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ فَإِنَّكَ مَقْتولٌ ، فَقالَ :**

سَأَمْضِي وَمَا بِالمَوتِ عَارٌ عَلَى الفَتَى ... إذَا مَا نَوىٰ حَقّاً وَجاهَدَ مُسْلِما

وَآسى الرِّجالَ الصّالِحينَ بِنَفْسِهِ ... وَفارَقَ مَثْبُوراً وَخالَفَ مُجْرِما

فَإِنْ عِشْتُ لَمْ أَنْدَمْ وإِنْ مُتُّ لَمْ أُلَمْ ... كَفَى بِكَ ذُلّاً أَنْ تَعِيشَ وتُرْغَما»[(١)]

ولمّا سمع الحرّ ذلك تنحّى عنه وعرف أنّه مصمّم على الموت ، وعازم على التضحية في سبيل غايته الهادفة إلى الإصلاح الشامل .

استقبال جماعة من الكوفيين للإمام الحسين عليه‌السلام

ولمّا انتهى الإمام إلى (عذيب الهجانات)[(٢)] وافاه أربعة أشخاص من أهل الكوفة

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨٠ و ٨١ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٢ و ٣٨٣ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٦ . الفتوح : ٥ : ٧٩ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٠ و ٢٨١ .

(٢) **العُذيبُ :** تصغير العذب . وهو ماء بين القادسية والمغيثة . وقيل : هو حدّ السواد . وقال أبو عبدالله السكوني : العذيب يخرج من قادسية الكوفة إليه ، وكانت مسلحة للفُرس ، ⇐

جاءوا إلى نصرته ، وقد أقبلوا على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال ، ولم يخرج أحد لاستقبال الحسين عليه السلام من أهل الكوفة سواهم ، وهم :

١ ـ نافع بن هلال المرادي .

٢ ـ عمرو بن خالد الصيداوي .

٣ ـ سعد مولى عمرو بن خالد .

٤ ـ مجمع بن عبدالله العائذي .

وأراد الحرّ منعهم من الالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام ، فصاح به : **إذاً أَمْنَعُهُمْ مِمّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسي ، إِنَّما هٰؤُلاءِ أَنْصارِي ، وَأَعْوانِي ، وَقَدْ جَعَلْتَ لِي أَلّا تَعْرِضَ لي حَتّىٰ يَأْتِيكَ كِتابُ ابْنِ زِياد** .

وكفّ الحرّ عنهم ، فالتحقوا بالإمام الحسين عليه السلام فرحّب بهم ، وسألهم عن أهل الكوفة فقالوا له : أمّا الأشراف فقد عظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهم[(١)] ؛ ليستمال ودهم ، وتستنزف نصايحهم ، فهم عليك إِلبٌ واحد ، وما كتبوا إليك إلّا ليجعلوك سوقاً ومكسباً ، وأمّا سائرالناس فأفئدتهم تهوي إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك[(٢)] .

وكشف هذا الحديث عن نقاط بالغة الأهمية ، وهي :

الأُولى : إنّ السلطة قد اشترت ضمائر الوجوه والأشراف من أهل الكوفة بالأموال ، وأغرتهم بالجاه والنفوذ ، فصاروا إِلباً[(٣)] واحداً مجمعين ومتّفقين على

⇐ بينها وبين القادسية حائطان متّصلان ـ معجم البلدان : ٤ : ١٠٣ و ١٠٤ .

(١) **الغرائر :** جمع غرارة وهي الكيس من الشعر أو الصوف .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٢ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٦ و ٦٠٧ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨١ .

(٣) **الإِلب :** الجمع الكثير من الناس ، أو القوم يجتمعون على عداوة إنسان ـ لسان العرب : ⇐

حرب الإمام الحسين عليه السلام ، وقد مهر الأُمويون في هذه السياسة الماكرة ، فكانوا يستميلون الوجوه بكل الوسائل الممكنة ، وأمّا الرعاع فيلهبون ظهورهم بالسياط .

الثانية : إنّ أشراف أهل الكوفة إنّما كاتبوا الحسين عليه السلام بالقدوم إليهم لا إيماناً منهم بعدالة قضيته وباطل الأُمويين ، وإنّما كتبوا إليه ؛ ليكون سوقاً ومكسباً للظفر بأموال بني أُمية ، فكانوا يعلنون لهم أنّكم إن لم تغدقوا علينا بالأموال فسنكون من أنصار الحسين عليه السلام ، فكانت كتبهم إليه وسيلة من وسائل الكسب .

الثالثة : إنّ سواد الناس كانت قلوبهم مع الحسين عليه السلام ، ولكنّهم منقادون لزعمائهم من دون أن تكون لهم أيّة إرادة أو اختيار على متابعة ما يؤمنون به ، فكانوا جنود السلطة وأداتها الضاربة .

هذه بعض النقاط المهمة التي حفل بها كلام هؤلاء القوم ، وقد دلّت على دراستهم الوثيقة لشؤون مجتمعهم .

مع الطِرمّاح

والتحق الطِرمّاح بالإمام الحسين عليه السلام في أثناء الطريق ، وقد صحبه بعض الوقت وقد أقبل الإمام الحسين عليه السلام على أصحابه ، فقال لهم : **هَلْ فِيْكُمْ أَحَدٌ يَخْبُرُ الطَّرِيقَ عَلىٰ غَيْرِ الْجادَّةِ ؟**

فانبرى إليه الطِرمّاح بن عدي الطائي ، فقال له : يابن رسول الله ، أنا أخبر الطريق .

فقال الحسين عليه السلام : **إذاً سِرْ بَيْنَ أَيْدِينا .**

وسار الطرمّاح يتقدّم موكب العترة الطاهرة ، وقد ساورته الهموم فجعل يحدو بالإبل بصوت حزين ، وهو يرتجز :

يَا ناقَتِي لَا تَجْزَعِي مِنْ زَجْرِي   وَامْضِ بِنا قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ

⇦ ١ : ١٧٧ ـ ألب .

بِــــخَيرِ فِــتْيَانٍ وخَــيْرِ سَــفْرِ آلِ رَسُـــولِ اللهِ أَهْــلِ الفَــخْرِ

السّادةِ البِيضِ الوجُـوهِ الزُّهْـرِ الطّـــاعِنِينَ بِــالرِّماحِ السُّــمْرِ

الضّـــاربِينَ بِــالسُّيُوفِ البُـتْرِ حَــتّىٰ تَــحِلِّي بكَـرِيم النَّجرِ

بِماجِدِ الجَـدِّ رَحِـيبِ الصَّـدْرِ أَتَـــى بِـــهِ اللهُ لخَـــيْرِ أَمْــرِ

عَـــمَّرَهُ اللهُ بَـــقاءَ الدَّهْـــرِ يَــا مـالِكَ النَّـفْعِ مَـعاً وَالضُّـرِّ

امْدِدْ حُسَـيناً سَـيِّدِي بِـالنَّصْرِ عَلَى الطُّـغاةِ مِـن بَـقايا الكُـفْرِ

عَلَى اللَّـعِينَيْنِ سَـلِيلَي صَـخْرِ يَــزِيدَ لَا زالَ حَــلِيفَ الخَـمْرِ

وَالعُـودِ وَالصَّـنْجِ مَـعاً وَالزَّمْـرِ وَابْنِ زِيادِ العُهْرِ وَابْنِ العُهْرِ(١)

وأسرعت الإبل في سيرها على نغمات هذا الشعر الحزين، وقد فاضت عيون أصحابه وأهل بيته من الدموع، وهم يؤمّنون على دعاء الطِرمّاح للحسين عليه السلام بالنصر والتأييد.

وحلّل الدكتور يوسف خليف هذا الرجز بقوله: «والرجز هنا ـ ولعلّه أوّل شعر كوفي يظهر فيه الحديث عن الحسين عليه السلام ـ يعتمد على البساطة في عرض الفكرة، فهو لا يعدو أن يكون صورة من تحيّة البدو وترحيبهم بضيف عزيز قادم إليهم، وهم خارجون لاستقباله، فالراجز يحثّ ناقته على السير السريع؛ لتحلّ برحاب هذا الضيف الذي يضفي عليه صفات المدح المألوفة عند البدو، ويخلع عليه ما يتمثّله البَدَوي في الرجل من مُثل وفضائل، فهو عنده كريم الأصل، ماجد حرّ واسع الصدر؛ لأنّ هذا الضيف ليس شخصاً عادياً، وإنّما هو حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله ومبعوث العناية الإلهية إليهم لأمر هو خير الأُمور.

ثمّ يختم هذه التحية البَدَوية بدعاء فطري ساذج، ولكنّه معبّر عمّا يحمله له

(١) الفتوح: ٥: ٧٩ و ٨٠. أنساب الأشراف: ٣: ٣٨٣. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٦٠٦.

في نفسه من محبّة صادقة وإخلاص أكيد فيدعو أن يبقيه الله بقاء الدهر »[١].

وقال الطِرِمّاح للإمام الحسين عليه السلام : والله إنّي لأنظر فما أرى معك كبير أحد ، ولو لم يقاتلك غير هؤلاء الذين أراهم ملازمين لك مع الحرّ لكان ذلك بلاءً ، فكيف وقد رأيت ـ قبل خروجي من الكوفة بيوم ـ ظَهْرَ الكوفة مملوءاً رجالاً ، فسألت عنهم فقيل : عرضوا ليوَجَّهوا إلى الحسين ، أو قال : ليُسرَّحوا ؟ فنشدتك الله إن قدرت ألّا تقدم إليهم شبراً إلّا فعلت[٢].

وإلى أيّ مكان يرجع الإمام الحسين عليه السلام ؟! وأين يذهب والأرض كلها تحت قبضة الأُمويين ؟! فلم يكن له بُدّ من الاستمرار في سفره إلى الكوفة ، وعرض له الطِرِمّاح أن يسير معه إلى أحد جبلي طيء (أَجَأْ) أو (سَلمَى) ، وتعهّد له بعشرين ألف طائي يقاتلون بين يديه ، ولم يستجب الإمام الحسين عليه السلام لهذا الوعد الذي هو غير مضمون ، واستأذن الطرماح من الإمام الحسين عليه السلام أن يمضي لأهله ليوصل إليهم المِيرة ويعود إلى نصرته ، فأذن له وانصرف إلى أهله ، فمكث أياماً ثمّ قفل راجعاً إلى الإمام الحسين عليه السلام ، فلمّا وصل إلى (عذيب الهجانات) بلغه مقتله ، فأخذ يبكي على ما فاته من شرف الشهادة مع ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

مع عبيد الله بن الحر الجعفي

واجتازت قافلة الإمام الحسين عليه السلام على قصر بني مقاتل ، فنزل فيه ، وكان بالقرب منه بيت مضروب ، وأمامه رمح قد غرس في الأرض يدل على بسالة صاحبه وشجاعته ، وقِباله فرس ، فسأل الإمام الحسين عليه السلام عن صاحب البيت ، فقيل له :

---

(١) حياة الشعر في الكوفة : ٣٧٣.

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٣. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٧.

(٣) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٣. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٨.

إنّه عبيد الله بن الحرّ الجعفي ، فأوفد للقياه الحجّاجَ بنَ مسروق الجعفي فخفّ إليه ، فبادره عبيد الله قائلاً : ما وراءك ؟

فقال الحجاج : واللهِ ورائي يابن الحر ، والله قد أهدى الله إليك كرامة إن قبلتها .

قال : وما ذاك ؟

فقال : هذا الحسين بن عليّ يدعوك إلى نصرته ، فإن قاتلت بين يديه أُجرت ، وإن متّ فإنّك استشهدت .

فقال له عبيد الله : واللهِ ما خرجت من الكوفة إلّا مخافة أن يدخلها الحسين بن علي وأنا فيها فلا أنصره ؛ لأنّه ليس له فيها شيعة ولا أنصار إلّا وقد مالوا إلى الدنيا إلّا من عصم الله منهم ، فارجع إليه وخبّره بذاك[(١)] .

وقفل الحجّاج راجعاً فأدّى مقالته إلى الإمام الحسين عليه السلام ، فرأى عليه السلام أن يقيم عليه الحجّة ويجعله على بيّنة من أمره ، فانطلق إليه مع الصفوة الطيبة من أهل بيته وأصحابه ، واستقبله عبيد الله استقبالاً كريماً ، واحتفى به احتفاءً بالغاً ، وقد غمرته هيبته ، فراح يحدّث عنها بعد ذلك يقول : ما رأيت قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين ، ولا رققت على أحدٍ قطّ رِقّتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان من حوله . . . ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت : أسواد ما أرى أم خضاب ؟

قال : **يابْنَ الْحُرِّ عَجَّلَ عَلَيَّ الشَّيْبُ** ، فعرفت أنّه خضاب[(٢)] .

وتعاطى الإمام الحسين عليه السلام معه الشؤون السياسية العامة ، والأوضاع الراهنة ، ثمّ دعاه إلى نصرته ، فقال له : **يابْنَ الْحُرِّ ، فَإِنَّ مِصْرَكُمْ هٰذِهِ كَتَبوا إِلَيَّ وَخَبَّرونِي أَنَّهُمْ**

---

(١) الفتوح : ٥ : ٧٣ و ٧٤. الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨١ و ٨٢. أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٤. تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٦٠٨.

(٢) خزانة الأدب : ٢ : ١٥٨ و ١٥٩.

مُجْتَمِعُونَ عَلىٰ نُصْرَتِي ، وَأَنْ يَقُوموا دُونِي ، ويُقاتِلُوا عَدُوّي ، وَأَنَّهُمْ سَأَلُونِي الْقُدُومَ عَلَيْهِمْ فَقَدِمْتُ ، وَلَسْتُ أَدْرِي الْقَوْمَ عَلَى ما زَعَموا؛ لأَنَّهُمْ قَدْ أَعانوا عَلىٰ قَتْلِ ابْنِ عَمِّي مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَشِيعَتِهِ ، وَأَجْمَعوا عَلَى ابْنِ مَرجانَةَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيادٍ يُبايِعَنِي لِيَزيدَ بْنِ مُعاوِيَةَ ، وَأَنْتَ يابْنَ الْحُرِّ ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُؤاخِذُكَ بِما كَسَبْتَ وَأَسْلَفْتَ مِنَ الذُّنُوبِ فِي الْأَيّامِ الْخالِيَةِ ، وَأَنا أَدْعوكَ في وَقْتِي هٰذا إِلَى تَوْبَةٍ تَغْسِلُ بِها ما عَلَيْكَ مِنَ الذُّنوبِ ، وَأَدْعُوكَ إِلىٰ نُصْرَتِنا أَهْلَ الْبَيْتِ[١] .

وألقى ابن الحرّ معاذيره الواهية فحرم نفسه السعادة والفوز بنصرة سبط الرسول ، قائلاً : والله إنّي لأعلم أنّ مَن شايعك كان السعيد في الآخرة ، ولكن ما عسى أن أُغني عنك ، ولم أُخلّف لك بالكوفة ناصراً ، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطّة ؛ فإنّ نفسي لم تسمح بعدُ بالموت ، ولكن فرسي هذه المُلحقة[٢] والله ما طلبت عليها شيئاً إلّا لحقته ، ولا طلبني وأنا عليها أحد قط إلّا سبقته ، فخذها فهي لك[٣] .

وما قيمة فرسه عند الإمام الحسين عليه السلام ؟! فردّ عليه قائلاً : **يابْنَ الْحُرِّ ، ما جِئْناكَ لِفَرَسِكَ وَسَيْفِكَ ، إِنَّما أَتَيْناكَ لِنَسْأَلَكَ النُّصْرَةَ ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ بَخِلْتَ عَلَيْنا بِنَفْسِكَ فَلَا حاجَةَ لَنا في شَيْءٍ مِنْ مالِكَ ، وَلَمْ أَكُنْ بِالَّذِي اتَّخَذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**[٤] . **وَإِنِّي سَأَنْصَحُ لَكَ كَما نَصَحْتَ لِي ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَسْمَعَ صُراخَنا وَلَا تَشْهَدَ وَقْعَتَنا فَافْعَلْ ، فَوَاللهِ لَا يَسْمَعُ واعِيَتَنا أَحَدٌ وَلَا يَنْصُرُنا إِلَّا أَكَبَّهُ اللهُ في نارِ جَهَنَّمَ**[٥] .

فأطرق ابن الحرّ برأسه إلى الأرض ، وقال بصوت خافت حياءً منه : أمّا هذا

---

(١) الفتوح : ٥ : ٧٤.

(٢) وفي رواية : « وهذه فرسي ملجمة » ـ الفتوح : ٥ : ٧٤.

(٣) الدرّ النظيم : ١٦٨. الأخبار الطوال : ٢٥١. الفتوح : ٥ : ٧٤.

(٤) الفتوح : ٥ : ٧٤. الأخبار الطوال : ٢٥١.

(٥) خزانة الأدب : ٢ : ١٥٩.

فلا يكون أبداً إن شاء الله[١].

وما كان مثل ابن الحرّ وهو الذي اقترف الكثير من الجرائم أن يوفَّق إلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام، ويفوز بالشهادة بين يديه.

وقد ندم ابن الحرّ كأشد ما يكون الندم على ما فرّط في أمر نفسه من ترك نصرة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذت تعاوده خلجات حادّة من وخز الضمير، ونظم ذوب حشاه بأبيات سنذكرها عند البحث عن النادمين عن نصرة الحسين عليه السلام.

مع عمرو بن قيس

والتقى الإمام الحسين عليه السلام في (قصر بني مقاتل) بعمرو بن قيس المشرقي، وكان معه ابن عمّ له، فسلّم عليه، وقال له: يا أبا عبدالله، هذا الذي أرى خضاب أو شَعرك؟

فقال عليه السلام: **خِضابٌ، وَالشَّيْبُ إِلَيْنا بَنِي هاشِمٍ أَسْرَعُ وَأَعْجَلُ**، والتفت عليه السلام لهما فقال: **جِئْتُما لِنُصْرَتِي؟**

فقال له: لا، أنا كبير السنّ كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس، ولا أدري ما يكون؟ وأكره أن أضيع أمانتي.

ونصحهما الإمام الحسين عليه السلام، فقال لهما: **انْطَلِقا فَلَا تَسْمَعا لِي واعِيَةً، وَلَا تَرَيا لِي سَواداً، فَإِنَّهُ مَنْ سَمِعَ واعِيَتَنا، أَوْ رَأَىٰ سَوادَنا فَلَمْ يُجِبْنا؛ أَوْ يُغِثْنا كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُبَّهُ عَلىٰ مَنْخَرَيْهِ في النّارِ**[٢].

وارتحل الإمام الحسين عليه السلام من قصر بني مقاتل، وأخذت قافلته تقطع الصحاري

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠٨.

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٣٠٩. اختيار معرفة الرجال: ١١٣ ـ ١٨١/١١٤. نفس المهموم: ١٨٣.

الملتهبة ، وتجتاز أغوارها في جهد وعناء ، وتعاني لفحها الضارب كريح السموم .

رسالة ابن زياد للحر

وتابعت القافلة سيرها في البيداء ، وهي تارة تتيامن وأُخرى تتياسر ، وجنود الحُرّ يذودون الركب عن البادية ، ويدفعونه تجاه الكوفة والركب يمتنع عليهم ، وإذا براكب يجدّ في سيره ويطوي الرمال ، فلبثوا هنيهة ينتظرونه ، وإذا هو رسول من ابن زياد إلى الحرّ ، فسلّم الخبيث على الحرّ ، ولم يسلّم على الحسين عليه‌السلام ، وناول الحرّ رسالة من ابن زياد جاء فيها :

« أمّا بعد ، فجَعْجِعْ بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويقدم عليك رسولي ، فلا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسولي أن يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري ، والسلام »[1] .

واستثنى ابن مرجانة ما عهد به إلى الحر من إلقاء القبض على الإمام الحسين عليه‌السلام ، وإرساله مخفوراً إلى الكوفة ، ولعلّه خاف من تطوّر الأحداث وانقلاب الأوضاع عليه ، فرأى التحجير عليه في الصحراء بعيداً عن المدن لئلا يتجاوب أهلها إلى نصرته ؛ ليتم القضاء عليه بسهولة . وتلا الحرّ الكتاب على الإمام الحسين عليه‌السلام ، فأراد أن يستأنف سيره متّجهاً صوب قرية أو ماء ، فمنعهم الحرّ ، وقال : لا أستطيع . فقد كانت نظرات الرقيب الوافد من ابن زياد تتابع الحرّ ، وكان يسجّل كل بادرة يخالف بها الحرّ أوامر ابن زياد .

وانبرى زهير بن القين ، فقال للإمام الحسين عليه‌السلام : إنّه لا يكون بعد ما ترون إلّا ما هو أشدّ منه . يابن رسول الله ، وإنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨٢ و ٨٣ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٩٦ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٥ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٠٩ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٢ .

من بعدهم ، فلعمري ليأتيننا من بعدهم ما لا قبل لنا به .

فقال الحسين عليه السلام : **ما كُنْتُ لِأَبْدَأَهُمْ بِقِتالٍ .**

وتابع زهير حديثه قائلاً : سر بنا إلى هذه القرية حتى ننزلها فإنّها حصينة وهي على شاطئ الفرات ، فإن منعونا قاتلناهم ، فقتالهم أهون علينا من قتال من يجيء بعدهم .

وسأل الإمام الحسين عليه السلام عن اسم تلك الأرض ، فقالوا له : إنّها تسمى : (العقر) ، فتشاءَمَ منها ، وراح يقول : **اللّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْعَقْرِ**[١] .

وأصرّ الحرّ على الإمام الحسين عليه السلام أن ينزل في ذلك المكان ولا يتجاوزه ، ولم يجد عليه السلام بُدّاً من النزول في ذلك المكان ، وألقى ببصره عليه والتفت إلى أصحابه فقال لهم : **ما اسْمُ هـٰذَا الْمَكانُ ؟**

قالوا له : كربلاء .

ودمعت عيناه ، وراح يقول : **اللّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْبَلَاءِ**[٢] .

وطفق يحدّث أصحابه وقد أيقن بنزول الرزء القاصم ، قائلاً : **هـٰذا مَوْضِعُ كَرْبٍ**

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٢ . الأخبار الطوال : ٢٥٢ و ٢٥٣ . الفتوح : ٥ : ٨٠ و ٨١ .

(٢) الفتوح : ٥ : ٨١ .

وفي تذكرة الخواص : ٢٢٥ : « أنّه لمّا قيل للحسين عليه السلام : هذه أرض كربلاء أخذ ترابها فشمّها ، وقال : **هـٰذِهِ وَاللهِ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي أَخْبَرَ بِها جَبرَئيلُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّنِي أُقْتَلُ فِيها** » .

وجاء في حياة الحيوان / الدميري : ١ : ٨٧ : « أنّ الحسين سأل عن اسم المكان فقيل له : كربلاء ، فقال : **ذاتُ كَرْبٍ وَبَلاءٍ ، لَقَدْ مَرَّ أَبِي بِهـٰذَا الْمَكَانِ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلىٰ صِفِّينَ وَأَنا مَعَهُ ، فَوَقَفَ وَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ بِاسْمِهِ .**

فَقالَ : هَاهُنا مَحَطُّ رِحالِهِمْ ، وَهاهُنا مُهْراقُ دِمائِهِمْ .

فَسُئِلَ عَنْ ذلِكَ ، فَقالَ : نَفَرٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلونَ ها هُنا ، ثمّ أمر بأثقاله فحطّت في ذلك المكان » . وكذلك جاء في مختصر صفوة الصفوة : ٢٦٢ .

وَبَلاءٍ. انْزِلوا هاهُنا مَناخُ رِكابِنا، وَمَحَطُّ رِحالِنا، وَسَفْكُ دِمائِنا...[١].

وطافت به الذكريات، وقد مثل أمامه ذلك اليوم الذي تحدّث فيه أبوه أمير المؤمنين وهو في هذه البقعة وكان في طريقه إلى صفين، فقال: **هاهُنا مَحَطُّ رِحالِهِمْ، وَمُهْراقُ دِمائِهِمْ**، فسئل عن ذلك فقال: **نَفَرٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُونَ هاهُنا**[٢].

وانقطع كل أمل له في الحياة، وأيقن أنّ أوصاله سوف تتقطّع على صعيد هذه الأرض، إلّا أنّه خلد إلى الصبر، واستسلم لقضاء الله وقدره.

ونهض الإمام الحسين عليه السلام بقوة وعزم مع أصحابه وأهل بيته إلى توطين مخدرات الرسالة وعقائل الوحي، فنصبوا لهنَّ الخيام وكانت خيم الأصحاب، وخيم أهل البيت، محيطة بها عن اليمين والشمال، وأسرع فتيان بني هاشم فأنزلوا السيدات من المحامل، وجاءوا بهنّ إلى خيامهن، وقد استولى عليهن الرعب والذعر، فقد أحسسن بالأخطار الهائلة التي ستجري عليهن في هذه الأرض.

موضع الخيام

ونصبت خيام أهل البيت عليهم السلام في البقعة الطاهرة التي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم[٣].

يقول السيد هبة الدين الشهرستاني: وأقام الإمام الحسين عليه السلام في بقعة بعيدة عن الماء تحيط بها سلسلة ممدودة، وربوات تبدأ من الشمال الشرقي متصلة بموضع باب السدرة في الشمال، وهكذا إلى موضع الباب الزينبي إلى جهة الغرب، ثمّ تنزل

---

(١) اللهوف: ٤٩. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٣٧. ينابيع المودّة: ٣: ٦٣.

(٢) جواهر المطالب: ١: ٢٦٣. شرح الأخبار: ٣: ٥٣٩ و ٥٤٠. بحار الأنوار: ١٧: ٢٥٨ و: ٢٢: ٣٨٦. الأخبار الطوال: ٢٥٢ و ٢٥٣. ينابيع المودّة: ٢: ١٨٦ و: ٣: ١٣.

(٣) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: ٢: ٦.

موضع الباب القبلي من جهة الجنوب ، وكانت هذه التلال المتقاربة تشكّل للناظرين نصف دائرة ، وفي هذه الدائرة الهلالية حوصر ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله[١] .

ونفى صديقنا الأُستاذ السيد محمّد حسن الكليدار أن يكون الموضع المعروف بـ(مخيم الحسين) هو الموضع الذي أقام فيه الإمام الحسين عليه السلام أثقاله ، وإنّما يقع المخيم بمكان ناءٍ بالقرب من المستشفى الحسيني ، مستنداً في ذلك إلى أنّ التخطيط العسكري المتّبع في تلك العصور يقضي بالفصل بين القوى المتحاربة بما يقرب من ميلين ؛ وذلك لما تحتاجه العمليات الحربية من جولان الخيل وغيرها من مسافة ،كما أنّ نصب الخيام لابدّ أن يكون بعيداً عن رمي السهام والنبال المتبادلة بين المحاربين ، واستند أيضاً إلى بعض الشواهد التاريخية التي تؤيد ما ذهب إليه[٢] .

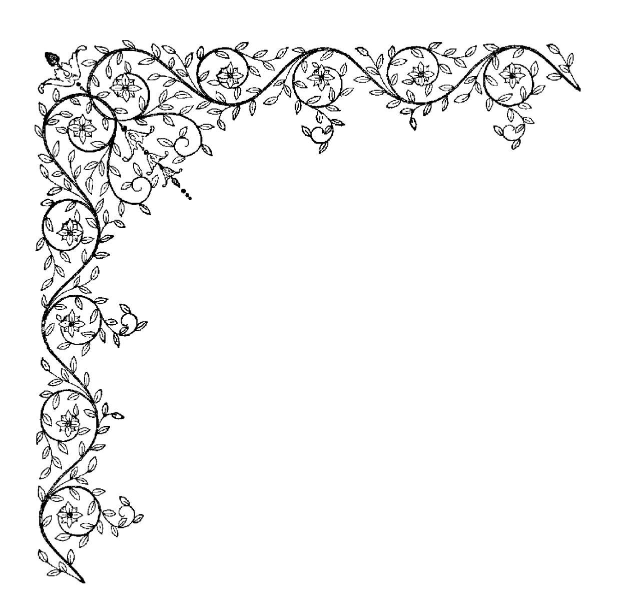
وأكبر الظن أنّ المخيم إنّما هو في موضعه الحالي ، أو يبعد عنه بقليل ؛ وذلك لأنّ الجيش الأموي المكثّف الذي زحف لحرب الإمام الحسين عليه السلام لم يكن قِباله إلّا معسكر صغير عبّر عنه الحسين عليه السلام بالأُسرة ، فلم تكن القوى العسكرية متكافئة في العدد حتى يفصل بينهما بميلين أو أكثر .

لقد أحاط الجيش الأموي بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام حتى إنّه لمّا أطلق ابن سعد السهم الذي أنذر به بداية القتال ، وأطلق الرماة من جيشه سهامهم لم يبقَ أحد من معسكره عليه السلام إلّا أصابه سهم حتى اخترقت السهام بعض أُزر النساء ، ولو كانت المسافة بعيدة لما أُصيبت نساء أهل البيت بسهامهم . وممّا يدعم ما ذكرناه أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا خطب في الجيش الأموي سمعت نساؤه خطابه فارتفعت أصواتهن بالبكاء ، ولو كانت المسافة بعيدة لما انتهى خطابه إليهنّ ، وهناك كثير من البوادر التي تدل على أنّ المخيم في وضعه الحالي .

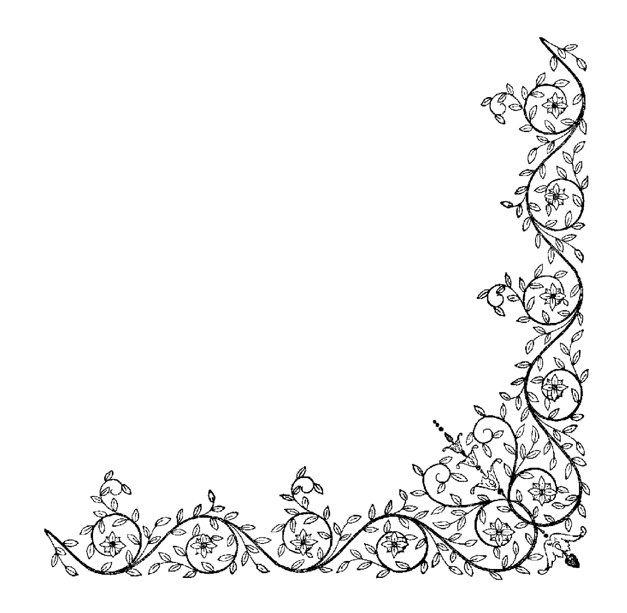
---

(١) نهضة الحسين عليه السلام : ٨٤ ، ٩٥ .

(٢) مدينة الحسين عليه السلام : ٢ : ٢٤ .



في كربلاء



وأقام موكب العترة الطاهرة في كربلاء يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة إحدى وستين[1]، وقد خيَّم الرعب على عيالات أهل البيت، وايقنوا بنزول الرزء القاصم، وعلم الإمام الحسين عليه السلام مغبّة الأمر، وتجلّت له الخطوب المفزعة، والأحداث الرهيبة التي سيعانيها على صعيد كربلاء.

ويقول المؤرخون: إنّه جمع أهل بيته وأصحابه فألقى عليهم نظرة حنان وعطف وأيقن أنّهم عن قريب سوف تتقطع أوصالهم، فأغرق في البكاء ورفع يديه بالدعاء يناجي ربّه، ويشكو إليه ما ألمّ به من عظيم الرزايا والخطوب، قائلاً: **اللّهُمَّ إنّا عِتْرَةُ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قَدْ أُخْرِجْنا وَأُزْعِجْنا وَطُرِدْنا عَنْ حَرَمِ جَدِّنا، وتَعَدَّتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَلَيْنا، اللّهُمَّ فَخُذْ لَنا بِحَقِّنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الظّالِمِينَ**.

ثمّ أقبل على أُولئك الأبطال فقال لهم: **النّاسُ عَبِيْدُ الدُّنْيا وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلىٰ أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ ما دَرَّتْ مَعايِشُهُم، فَإِذا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ**[2].

---

(١) وقعة الطفّ: ١٨٠. الإرشاد / المفيد: ٢: ٨٤. بحار الأنوار: ٤٤: ٣٨١. أنساب الأشراف: ٣: ٣٨٥. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٠. وكان هلال المحرم في تلك السنة يوم الأربعاء، جاء ذلك في مقاتل الطالبيّين: ٨٥.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٣٧. الفتوح: ٥: ٩٧.

وضبط أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري في كتابه (الصناعتين) كلام الإمام ⇦

يا لها من كلمات مشرقة حكت واقع الناس في جميع مراحل التاريخ ، فهم عبيد الدنيا في كل زمان ومكان ، وأمّا الدين فلا ظلّ له في أعماق نفوسهم ، فإذا دهمتهم عاصفة من البلاء تنكّروا له وابتعدوا منه .

نعم ، إنّ الدين بجوهره إنّما هو عند الإمام الحسين عليه السلام ، وعند الصفوة من أهل بيته وأصحابه فقد امتزج بمشاعرهم ، وتفاعل مع عواطفهم فانبروا إلى ساحات الموت ليرفعوا شأنه ، وقد أعطوا بتضحيتهم دروساً لأجيال الدنيا في الولاء الباهر للدين .

وبعد حمد الله والثناء عليه خاطب أصحابه قائلاً :

أَمّا بَعْدُ ، فَقَدْ نَزَلَ بِنا ما قَدْ تَرَوْنَ ، وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ ، وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْروفُها ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إِلَّا صَبابَةٌ كَصَبابَةِ الْإِناءِ ، وَخَسِيسُ عَيْشٍ كالْمَرْعَى الْوَبيلِ[1] ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَإِلَى الْباطِلِ لَا يُتَناهَى عَنْهُ ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقاءِ اللهِ ، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلّا سَعادَةً وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمِينَ إِلّا بَرَماً[2] .

لقد أدلى بهذا الخطاب عمّا نزل به من المحن والبلوى ، وأعلمهم أنّ الظروف مهما تلبّدت بالمشاكل والخطوب ، فإنّه لا ينثني عن عزمه الجبار لإقامة الحقّ الذي

⇦ الحسين بهذه الصورة : « **النّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيا ، وَالدِّينُ لَغْوٌ عَلىٰ أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ ، فَإِذا مُحِّصوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ** » .

(١) **المرعى الوبيل** : هو الطعام الوخيم الذي يخاف وباله ، أي سوء عاقبته ـ لسان العرب : ١٥ : ٢٠٢ ـ وبل .

(٢) المعجم الكبير : ٣ : ١١٤ و ١١٥ ، الرقم ٢٨٤٢ . حلية الأولياء : ٢ : ٣٩ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١٧ و ٢١٨ . تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ١٢ .

خلص له. وقد وجّهه عليه السلام هذا الخطاب لأصحابه لا ليستدرَّ عواطفهم، ولا ليستجلب نصرهم، فماذا يغنون عنه بعدما أحاطت به القوى المكثّفة التي ملأت البيداء، وإنّما قال ذلك ليشاركوه المسؤولية في إقامة الحق الذي آمن به، واختاره قاعدة صلبة لنهضته الخالدة، وقد جعل الموت في هذا السبيل هو الأمل الباسم في حياته الذي لا يضارعه أيُّ أمل آخر.

ولمّا أنهى خطابه هبَّ أصحابه جميعاً، وهم يضربون أروع الأمثلة للتضحية والفداء من أجل العدل والحق، وكان أوّل من تكلّم من أصحابه زهير بن القين وهو من أفذاذ الدنيا، فقد قال: قد سمعنا ـ هداك الله يابن رسول الله ـ مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها[١].

ومثّلت هذه الكلمات شرف الإنسان وانطلاقه في سبيل الخير، وبلغ كلام زهير في نفوس الأنصار أقصى الرضا، وحكى ما صمّموا عليه من الولاء له عليه السلام والتفاني في سبيله.

وانبرى بطل آخر من أصحابه وهو برير بن خضير الهَمْداني الذي أرخص حياته في سبيل الله فخاطب الإمام الحسين عليه السلام: يابن رسول الله، لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتقطّع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة[٢].

لقد أيقن برير أنّ نصرته للإمام الحسين عليه السلام فضل من الله عليه؛ ليفوز بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) اللهوف: ٤٨. بحار الأنوار: ٤٤: ٣٨١. عوالم العلوم: ١٧: ٢٣٢. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٦٠٥ و ٦٠٦، وفيه: «قد سمعنا... مخلدين إلّا أنّ فراقها في نصرك ومواساتك لآثرنا...».

(٢) اللهوف: ٤٨. بحار الأنوار: ٤٤: ٣٨١ و ٣٨٣. عوالم العلوم: ١٧: ٢٣٢.

وقام نافع بن هلال بن نافع الجملي[١] وهو يقرر نفس المصير الذي اختاره الأبطال من إخوانه قائلاً : أنت تعلم أنّ جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدر أن يشرب الناس محبته ، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب ، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ، ويضمرون له الغدر ، يلقونه بأحلى من العسل ويخلفونه بأمرّ من الحنظل ، حتّى قبضه الله إليه ، وإنّ أباك عليّاً قد كان في مثل ذلك ، فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتّى أتاه أجله فمضى إلى رحمة الله ورضوانه ، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة ، فمن نكث عهده ، وخلع بيعته فلن يضرّ إلّا نفسه والله مغنٍ عنه ، فسر بنا راشداً معافىً مشرِّقاً إن شئت وإن شئت مغرِّباً ، فوالله ما أشفقنا من قدر الله ، ولا كرهنا لقاء ربنا ، وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك »[٢] .

وتكلّم أكثر أصحابه بمثل هذا الكلام ، وقد شكرهم الإمام الحسين عليه السلام على هذا الإخلاص والتفاني في سبيل الله .

انتظار الأسدي للإمام الحسين عليه السلام

والتحق بالإمام الحسين عليه السلام فور قدومه إلى كربلاء رجل من بني أسد أهمل المؤرخون اسمه ، وقد حكى قصته العريان بن الهيثم ، قال : «كان أبي ينزل قريباً من الموضع الذي كانت فيه واقعة الطف ، وكنّا لا نجتاز في ذلك المكان إلّا وجدنا رجلاً من بني أسد مقيماً هناك ، فقال له أبي : إنّي أراك ملازماً هذا المكان ؟

فقال له : بلغني أنّ حسيناً يقتل هاهنا ، فأنا أخرج لعلّي أُصادفه فأُقتل معه ، فلمّا قتل الحسين عليه السلام قال أبي : انطلق معي لننظر إلى الأسدي هل قتل ؟ فأتينا

---

(١) وهو نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد العشيرة المذحجي الجملي ـ إبصار العين : ١١٤ .
(٢) بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٨٢ و ٣٨٣ . عوالم العلوم : ١٧ : ٢٣٣ .

المعركة وطفنا في القتلى فرأينا الأسدي معهم[١].

لقد فاز بالشهادة بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ونال أسمى المراتب، فكان في أعلى علّيّين مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أُولئك رفيقاً.

رسالة الإمام الحسين عليه السلام لابن الحنفية

ورفع الإمام الحسين عليه السلام رسالة من كربلاء إلى أخيه محمّد بن الحنفية وسائر بني هاشم نعى فيها نفسه، وأعرب عن دنوّ الأجل المحتوم منه، وهذا نصّها:

«أَمّا بَعْدُ، فَكَأَنَّ الدُّنْيا لَمْ تَكُنْ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ، وَالسَّلَامُ»[٢].

وهذه أوجز رسالة تكتب في مثل هذه المحن الشاقة التي تعصف بالصبر.

مع هرثمة بن سلمى

والتحق هرثمة بن سلمى بمعسكر ابن زياد، ولمّا انتهى إلى كربلاء تذكّر حديثاً مضت عليه حفنة من السنين فنساه، فقد كان مع الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في غزوة له، وقد مرَّ على كربلاء فنزل إلى شجرة، وصلى تحت ظلالها، فلمّا فرغ من صلاته أخذ قبضة من تلك الأرض وشمّها وأخذ يقول: **واهاً لَكِ مِنْ تُرْبَةٍ، لَيُقْتَلُنَّ بِكِ قَوْمٌ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ**.

ومضى هرثمة إلى الإمام الحسين عليه السلام مسرعاً فحدّثه بما سمعه من أبيه، فقال عليه السلام له: **مَعَنا أو عَلَينا؟**

قال: لا معك ولا عليك، تركت عيالاً.

وساق له الإمام الحسين عليه السلام نصيحته، فأمره بمغادرة كربلاء لئلا يشهد واعية

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٦ و ٢١٧.

(٢) كامل الزيارات: ١٥٧ و ١٥٨، الحديث ١٩٦.

أهل البيت عليهم السلام قائلاً له : **أَمّا لا ، فَوَلِّ فِي الْأَرْضِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ حُسَيْنٍ بِيَدِهِ لَا يَشْهَدُ قَتْلَنا الْيَوْمَ رَجُلٌ إِلَّا دَخَلَ جَهَنَّمَ** .

فانهزم هرثمة من كربلاء حتى وافته الأنباء بمقتل الإمام الحسين عليه السلام[(١)] ، وقد حرم من الشهادة بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله .

التحاق جماعة من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله بالإمام الحسين عليه السلام

إنّ الذين أتوا مع الإمام الحسين عليه السلام كان فيهم بدريون قاتلوا وقتلوا بنفس الدافع والهدف اللذين حاربوا من أجلهما مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، منهم عبدالله بن عمير الكلبي الذي قال : والله ، لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً ، وإنّي لأرجو أن يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيك أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إيايَ في جهاد المشركين .

ومنهم : جنادة بن الحرث ، وحبيب بن مظاهر ، ومسلم بن عوسجة ، والصحابي الجليل أنس بن الحارث ، وقد حدّث الإمام الحسين عليه السلام بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : « **إِنَّ ابْنِي هٰذا** ـ يعني الحسين عليه السلام ـ **يُقْتَلُ بِأَرْضٍ يُقالُ لَها : كَرْبَلاءُ ، فَمَنْ شَهِدَهُ مِنْكُمْ فَلْيَنْصُرْهُ** » وظلَّ أنس ملازماً له حتّى رزق الشهادة بين يديه[(٢)] .

رسالة ابن زياد للإمام الحسين عليه السلام

ولمّا علم ابن مرجانة أنّ الحرّ قد حاصر الحسين عليه السلام في كربلاء ، بعث إليه رسالة دلّت على مدى طيشه وغروره ، وهذا نصها : « أمّا بعد يا حسين ، فقد بلغني نزولك

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٢٢ و ٢٢٣ . وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ١٧٩ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٢٤ .

بكربلاء ، وقد كتب إليَّ أميرالمؤمنين يزيد ابن معاوية ألاّ أتوسّد الوثير[١] ولا أشبع من الخمير ، أو أُلحِقُك باللطيف الخبير ، أو ترجع على حكمي وحكم يزيد »[٢].

أنت يابن مرجانة وسيدك يزيد خليقان بألاّ تشبعا من الخمر ، وخليقان بأن تقترفا كل منكر في الإسلام .

ولمّا قرأ الإمام الحسين عليه السلام رسالة ابن مرجانة رماها من يده استهانة به واحتقاراً لهذا الإنسان الممسوخ ، وراح يقول : **لَا أَفْلَحَ قَوْمٌ اشْتَرَوا مَرْضاةَ الْـمَخلُوقِ بِسَخَطِ الْخالِقِ** .

وطالبه الرسول بجواب يرجع به إلى ابن زياد ، فقال عليه السلام : **ما لَهُ عِنْدِي جَوابٌ ؛ لأَنَّهُ قَدْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ**[٣] .

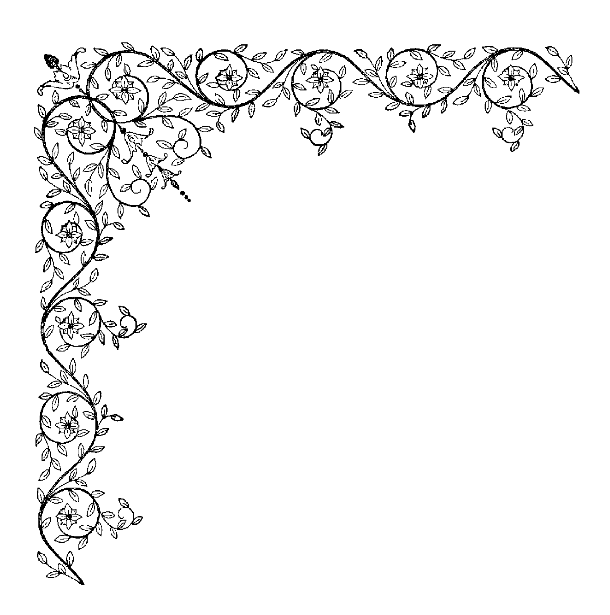
وقفل الرسول راجعاً ، فأخبر ابن مرجانة بمقالة الإمام الحسين عليه السلام ، فاستشاط غضباً وأخذ يتهيأ للحرب ، ويزج بجميع ما لديه من القوى العسكرية لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله .

---

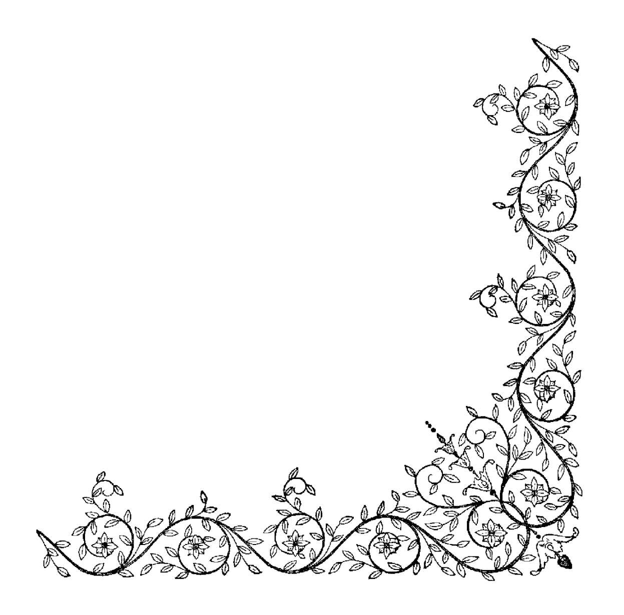
(١) **الوثير** : الفراش اللين ـ لسان العرب : ١٥ : ٢١١ ـ وثر .

(٢) الفتوح : ٥ : ٨٥. مطالب السؤول : ٢ : ٧٧.

(٣) الفتوح : ٥ : ٨٥.



زحف الكوفة للحرب



وحينما أُذيع النبأ باستيلاء جيش ابن زياد على الإمام الحسين عليه السلام ، وفرض الحصار عليه في كربلاء ، سادت موجات رهيبة من الذعر والخوف في جميع أوساط الكوفة ، وتخدّرت الجماهير تحت ضغط هائل من قوة السيوف والرماح . فقد أشاع ابن زياد الإرهاب ، وأعلن الأحكام العرفية في جميع أنحاء الكوفة ، فكان يحكم بالموت والإعدام لمجرّد الظنّة والتهمة ، وصار الناس لا يملكون من أمرهم شيئاً .

لقد تمّت بوارق ابن مرجانة ، وتحقّقت أحلامه حينما ظفر بابن فاتح مكة ومحطّم أوثان قريش ؛ ليتقرّب بقتله إلى حفيد أبي سفيان زعيم الأحزاب المناوئة للإسلام ، ويتّخذ من ذلك وسيلة لإقرار نسبه اللصيق ببني أُمية الذي شهد به أبو مريم الخمّار[1] .

وأنفق ابن مرجانة جميع وقته لتهيئة الحرب ، واتّخاذ جميع الوسائل والذرائع للتغلّب على مجريات الأحداث ، وقد احتفت به الوجوه والأشراف من الذين باعوا ضمائرهم عليه لوضع المخططات الرهيبة في عمليات الحرب .

انتخاب ابن سعد قائداً عاماً

وانتخب ابن مرجانة عمر بن سعد قائداً عاماً لقواته المسلحة التي زجّ بها لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقبل أن نعرض أسباب انتخابه نقدّم عرضاً لبعض شؤونه .

(١) مروج الذهب : ٣ : ٦ ـ ٨.

إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام بسوء عاقبته

اجتاز ابن سعد على النبيّ صلى الله عليه وآله فلمّا رآه نفر منه ، وأخبر صلى الله عليه وآله عن سوء عاقبته وقال : « **يَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يَأْكُلُونَ الدُّنْيا بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَلْحَسُ الْأَرْضَ الْبَقَرَةُ بِلِسانِها** »[١] .

وقد أخبر أميرالمؤمنين عليه السلام بسوء مصيره ، يقول الرواة : إنّه نظر إليه وحدّثه فرأى فيه طيشاً واستهانة بالحق ، وجرأة على ارتكاب الباطل ، فقال له : « **وَيْحَكَ يابْنَ سَعْدٍ ، كَيْفَ بِكَ إذا قُمْتَ مَقاماً تُخَيَّرُ فِيْهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنّارِ فَتَخْتارَ النّارَ ؟ !** »[٢] .

وعن سالم ، قال : « قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام : إنّ قوماً من السفهاء يزعمون أنّي أقتلك .

فقال الحسين عليه السلام : **لَيْسُوا سُفَهاءَ** .

ثمّ قال : **وَاللهِ لَا تَأْكُلْ بُرَّ الْعِراقِ بَعْدِي إلّا قَلِيلاً** »[٣] .

روى ابن عساكر أنّ عبدالله بن شريك قال : أدركت أصحاب الأردية المُعلّمة ، وأصحاب البرانس من أصحاب السواري إذا مرّ بهم عمر بن سعد ، قالوا : هذا قاتل الحسين ، ذلك قبل أن يقتله[٤] .

كراهيّة سعد له

وكان سعد ناقماً على ولده عمر ؛ لما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، ويقول الرواة : إنّه عهد إلى ورثته ألاّ يعطوه أيَّ شيء من مواريثه .

---

(١) مختصر كتاب البلدان : ٢٧١ .

(٢) أعيان الشيعة : ٤ : ٤٣٧ . تاريخ مدينة دمشق : ٤٥ : ٤٩ . تهذيب الكمال : ٢١ : ٣٥٩ . تذكرة الخواص : ٢٢٣ . كنز العمّال : ١٣ : ٦٧٣ ، الرقم ٣٧٧٢٣ .

(٣) تهذيب التهذيب : ٧ : ٣٩٦ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ٤٥ : ٤٨ و ٤٩ . تهذيب الكمال : ٢١ : ٣٥٩ .

لعن الرشيد له

ولعن هارون الرشيد عمر بن سعد وحكم عليه بالإلحاد والمروق من الدين ، وذلك في قصة طريفة لا تخلو من متعة نسوقها إلى القراء .

يقول الرواة : إنّه جيء بإسحاق بن إبراهيم مخفوراً إلى الرشيد بتهمة أنّه كان من الملحدين ، فقال له إسحاق : يا أميرالمؤمنين ، إنّي مؤمن بالله وبجميع رسله وأنبيائه ، وليس هذا ذنبي ، ولكنّ لي ذنباً آخر .

فبهر الرشيد وقال له : ما هو ؟

قال : الولاء لكم أهل البيت ، فهل من يدين بحبكم ويراه فرضاً عليه يحكم عليه بالإلحاد ؟

وتبسّم الرشيد ، وأمر بأن يرفع عنه النطع والسيف ، واندفع إسحاق فقال له : يا أميرالمؤمنين ، ما رأيك في عمر بن سعد قاتل الحسين الذي يقول :

يَقُولُونَ إنَّ اللهَ خالِقُ جَنَّةٍ ... وَنارٍ وَتَعْذِيبٍ وَغُلِّ يَدَيْنِ ؟

فأطرق الرشيد برأسه ، وتأمّل كثيراً ، ثمّ قال : لعن الله عمر بن سعد ، كان لا يثبت صانعاً ، ولا يقول ببعثة ولا نبوة . يا إسحاق ، أتدري من أين أخذ قوله هذا ؟

قال : نعم يا أميرالمؤمنين ، أخذه من شعر يزيد بن معاوية .

قال الرشيد : ما قال يزيد ؟

قال : إنّه قال :

عُلَيَّةُ هاتِي وَاعْلِني وتَرَنَّمِي ... بِذَلِّكِ إنِّي لَا أُحبُّ التَّناجِيا

حَدَيثَ أَبِي سُفْيانَ لَمّا سَما بِهِ ... إلىٰ أَحَدٍ حَتّىٰ أَقامَ البَواكِيا

أَلَا هاتِ فَاسقِيني عَلىٰ ذاكَ قَهْوَةً ... تَخَيَّرَها العَنْسِيُّ كَرْماً شآمِيا

إذا مَا نَظَرْنا في أُمُورٍ قَدِيمَةٍ ... وَجَدْنا حَلَالاً شِرْبُها مُتَوالِيا

فَـــرامَ بِـــهِ عَـــمْرٌو عَـــلِيّاً فَــفاتَهُ ... وَأَدْرَكَــهُ الشَّــيخُ اللَّعِينُ مُـعاوِيا
فَإِنْ مِتُّ يَا أُمَّ الأُحَـيمِرِ فَـانْكِحِي ... وَلَا تَـأمَلي بَـعْدَ المَـماتِ تَـلاقِيا
فَإِنَّ الَّذِي حُدِّثْتِ فِي يَـومِ بَـعثِنا ... أَحَادِيثُ زُورٍ تَـتْرُكُ القَـلْبَ سـاهِيا
وَلولَا فُضُولُ النّاسِ زُرْتُ مُحَمَّداً ... بِمَشْمُولَةٍ صَـفْراءَ تُـرْوي عِـظامِيا
وَلَا خُلْفَ بَيْنَ النّـاسِ أَنّ مُـحَمَّداً ... تَـــبَوَّأَ قَـــبْراً بِـــالمَدينَةِ ثـاوِيا
فَقَد يَنبُتُ المَرعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرىٰ ... لَـهُ غُـصُنٌ مِـنْ تَـحتِهِ السِّرُّ بـادِيا
وَنَفنَى ولا تَبقَى عَلَى الأَرضِ دِمْنَةٌ ... وتَبقىٰ حَزازاتُ النُّفُوسِ كَـما هِـيا

وتأثّر الرشيد فاندفع يقول: لعن الله يزيد ما كان يثبت صانعاً، ولا يـقول بـبعثة ولا نبوة، أتدري يا إسحاق من أين أخذه؟

قال: نعم يا أميرالمؤمنين، أخذه من شعر أبيه معاوية.

قال الرشيد: ما قال معاوية؟

قال: إنّه قال:

سَائِلُوا الدَّيرَ مِـن بُـصرىٰ صَـباباتُ ... فَـلَا تَـلُمْنِي فَـلَا تُـغْنِي المَـلَامـاتُ
قُمْ نَجْلُو فِي الظَّلماءِ شَمْسَ ضُحىً ... نُـجُومُها الزُّهْـرُ طـاساتٌ وكَـاساتُ
لَـعَلَّنا إنْ يَـدْعُ داعِـي الْـفِراقِ بِـنا ... نَـــمْضِي وَأَنْــفُسُنا مِـنها رَوِيّــاتُ
خُذْ مَا تَعَجَّلَ وَاتْرُكْ مَا وُعِدْتَ بِـهِ ... فِـــعْلَ اللَّـبِيبِ فَـلِلتَّأخِيرِ آفَـاتُ
قَـبْلَ ارْتِـجَاعِ اللَّـيَالِي كُـلَّ عَـارِيَةٍ ... فَـــإِنَّما خُــلَعُ الدُّنـيا اسـتِعاراتُ

فلعن الرشيد معاوية، وقال فيه ما قاله في يزيد[1].

---

(١) الثاقب في المناقب / الشيخ المفيد: من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. تـذكرة الخواص: ٢٩٠.

توثيق العجلي لابن سعد

ووثّق العجليُّ عُمَرَ بن سعد ، فقال : كان يروي عن أبيه أحاديث ، وروى الناس عنه ، وهو تابعي ثقة ، وهو الذي قتل الحسين[(١)] .

ولم نعلم كيف كان ابن سعد ثقة مع قتله لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وإبادته للعترة الطاهرة التي أوجب الله مودّتها على عموم المسلمين ؟ ! لقد كان العجلي منحرفاً عن الحقّ ، فكان ميزان التعديل عنده للرواة هو النصب لأهل البيت عليهم السلام وبغضهم ، كما أنّ مقياس الجرح عنده هو الولاء والمودّة لهم .

وقد أنكر الأخيار والمتحرّجون في دينهم على من يروي عن ابن سعد . فقد روى عنه العيزار بن حريث فأنكر عليه رجل في مجلسه ، وقال له : أما تخافُ الله تروي عن عمر بن سعد ؟ ! فبكى العيزار ، وقال : لا أعود لذلك[(٢)] .

ومن الغريب أنّ ابن حجر ترجمه في (تهذيب التهذيب)[(٣)] الذي لا يترجم فيه إلّا الثقات من الرواة عنده .

نزعات ابن سعد

ولم يحمل ابن سعد في دخائل نفسه أيّة نزعة شريفة ، فليس في ضميره المتحجّر أيّ بصيص من الكرامة والشرف والنبل ، وهذه بعض مظاهر ذاتياته .

١ ـ الخنوع للسلطة

وكان الخنوع للسلطة هو الظاهرة البارزة من ذاتيات ابن سعد ، فكان ـ فيما أجمع

---

(١) تاريخ الثقات : ٣٥٧ ، الرقم ١٢٣٠ .
(٢) ميزان الاعتدال : ٣ : ١٩٩ .
(٣) تهذيب التهذيب : ٧ : ٣٩٦ و ٣٩٧ .

عليه المؤرخون ـ يخنع أمام الولاة، ويفقد توازنه، طمعاً بالحصول على المنصب والإمارة، وقد جهد نفسه وحمّلها من أمره رهقاً على الظفر بثقة ابن مرجانة به. وقد قال عمر بن سعد لابن مرجانة بعد قتله للحسين عليه السلام: أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدّيت حقّه[١].

إنّه لم تكن له شخصية مستقلّة ولا إرادة كريمة، وإنّما كان ذَنَباً للسلطة يسعى لكسب عواطفها بأيّة وسيلة يملكها.

٢ ـ التهالك على السلطة

وظاهرة أُخرى من نزعات ابن سعد هي التهالك على السلطة والسعي وراء المناصب، وكان ابن سعد يطلب من أبيه أن يدعو لنفسه بالخلافة بعد مقتل عثمان فأبى[٢].

ويقول المؤرخون: إنّه كان يحثّ أباه على الحضور في التحكيم لعلّهم يعدلون عن عليّ ومعاوية ويولّونه، إلّا أنّ أباه امتنع من ذلك وقنع بما هو فيه[٣]، فهو مولع بذيوع الاسم واستطارة الذكر، وليس يضرّه أن يأتيه هذا الذيوع وهذه الاستطارة بأيّة وسيلة ومن أي طريق.

وهو القائل لأبيه بجلافة رعناء: يا أبة، أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون الملك في المدينة ؟!

فيقول له سعد: والله لا أشهد هذا الأمر أبداً[٤].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٦٠.

(٢) نهاية الأرب: ٢٠: ٢٣٤.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٣٢٩. البداية والنهاية: ٧: ٢٩٣.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، الحديث ١٤٤٤. سير أعلام النبلاء: ١: ١٠٢.

ولما ولّاه ابن زياد ولاية الري، وهدده بعزله عنها إن لم يخرج لحرب الحسين عليه السلام سمعه أهله يقول:

دَعانِي عُبَيْدُ اللهِ مِن دُونِ قَومِهِ إِلَى خُطَّةٍ فِيها خَرَجْتُ لِحَينِي

فَوَاللهِ مَا أَدرِي وَإِنِّي لَحائِرٌ أُفَكِّرُ فِي أَمرِي عَلىٰ خَطَرَينِ

أَأَترُكُ مُلْكَ الرَّيِّ وَالرَّيُّ مُنْيَتِي أَمْ أَرْجِعُ مَأْثُوماً بِقَتلِ حُسَينِ

وَفِي قَتلِهِ النّارُ التي لَيْسَ دَونَها حِجابٌ وَمُلْكُ الرَّيِّ قُرَّةُ عَينِي[1]

لقد رأى أنّه إذا حصل على ولاية الريّ فسوف يظفر بالعيش الوفير والثراء الفاحش، فأقدم على أخطر جريمة في الإسلام.

٣ـ خِسّة الطبع

ومن ذاتيات ابن سعد خسّة الطبع، فقد انمحت عن نفسه جميع سجايا الشرف والكرامة، فقد طلب منه مسلم بن عقيل رضي الله عنه حينما وقع أسيراً بيد ابن زياد أن يعهد بوصيته إليه فامتنع من إجابته؛ تقرّباً لسيده ابن مرجانة ولم يستجب له حتى سمح له بذلك، ولمّا عهد إليه مسلم رضي الله عنه بوصيته سرّاً انبرى مسرعاً إلى ابن زياد فأخبره بما أوصى به مسلم رضي الله عنه، فأنكر عليه ابن زياد ذلك وقال: لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن[2].

ومن خسّة طبعه أيضاً أنّه لمّا قتل الحسين عليه السلام عَمَد إلى سلب درعه فلبسها، ولو كانت عنده صفة من الشرف والنبل لما قدم على سلب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد فتح بذلك باب النهب للجفاة من جيشه فعمدوا إلى سلب حرائر النبوة حتى لم يتركوا عليهنّ مِلحفة ولا إزاراً إلّا سلبوه.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٤٨. الفتوح: ٥: ٩٦.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ٦١. روضة الواعظين: ١٧٧. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٥٨١.

٤ ـ الجبن

ولم تكن عند ابن سعد أيّة مُسْكَة من البسالة والشجاعة ، وإنّما كان جباناً خائر العزيمة ضعيف النفس ، ولمّا ظهر أمر التوّابين داخله خوف شديد فكان لا ينام في داره ، وإنّما ينام في قصر الإمارة لتحرسه جنود القصر ، وهو وجل القلب ينفق الليل ساهراً من شدّة الوجل والرعب .

ولمّا هجمت عليه شَرَطة المختار قام مرعوباً من فراشه ، ولكثرة ما داخله من الفزع عثر قبل أن يأخذ لامة حربه ، فقتلته الشَّرَطة وهو على فراشه ، وقد استجيبت بذلك دعوة الإمام عليه السلام عليه أن يذبحه الله على فراشه .

ومن الغريب أنّ خير الدين الزركلي وصفه بأنّه من القادة الشجعان[١] ، ولو كان شجاعاً ـ كما يقول الزركلي ـ لما ترك أهله ولجأ إلى قصر الإمارة يطارده الرعب والفزع .

٥ ـ الشك في البعث والنشور

ولم يكن ابن سعد يؤمن بالبعث والنشور ، فقد كان شاكّاً فيهما كما جاء في شعره حينما نُدب لحرب الحسين عليه السلام حيث يقول :

يَقُولُونَ إِنَّ اللهَ خالِقُ جَنَّةٍ وَنارٍ وَتَعذِيبٍ وَغُلِّ يَدَينِ[٢]

فهو لا يؤمن بحساب ولا جنة ولا نار كما يقول هارون الرشيد .

هذه بعض نزعات ابن سعد ، وهي تكشف عن إنسان ممسوخ متمرّس في الجريمة والإثم .

---

(١) الأعلام : ٥ : ٤٧ .

(٢) حكاية المختار في أخذ الثار (ضمن اللهوف) : ١٩٣ .

دوافع انتخابه

وإنّما انتخبه ابن مرجانة لحرب الإمام الحسين عليه السلام ؛ ليغري به سواد الناس وجهّالهم ، ويزجّ بهم لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإنّه ابن فاتح العراق وأحد المرشّحين الستة من قبل عمر بن الخطاب لزعامة الخلافة الإسلامية ، وإنّه قرشي وممّن يمتّ للإمام الحسين عليه السلام بصلة ، ومضافاً إلى ذلك فإنّه قد وقف على اتجاهاته الفكرية ، وعرف نقاط الضعف التي عنده ، فرأى أنّه لا يقوم أحد باقتراف هذه الجريمة سواه .

حَيرة ابن سعد

وكان ابن زياد قد كتب لابن سعد بولاية الريّ[١] وثغر دستبى والديلم[٢] ، فطلب منه أن يسير لحرب الحسين عليه السلام فاستعفى ابن سعد ، فهدّده باسترجاع ولاية الريّ منه ، وطلب منه ليلته لينظر في الأمر فأمهله ، ومضى إلى داره ، وقد أنفق ليله ساهراً يطيل التفكير في الأمر هل يقدم على حرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وفي قتله العذاب الدائم والخزي الخالد ، أو يستقيل من ذلك فتفوته إمارة الريّ التي تضمن له العيش الوفير ؟ وسمعه أهله يقول :

أَأَتْرُكُ مُلْكَ الرَّيِّ وَالرَّيُّ مُنْيَتِي ... أَمْ أَرْجِعُ مَأْثُوماً بِقَتْلِ حُسَينِ

وَفِي قَتلِهِ النّارُ الَّتِي لَيْسَ دُوْنَها ... حِجابٌ ومُلْكُ الرَّيِّ قُرَّةُ عَينِي[٣]

---

(١) **الريّ** : مدينة مشهورة من أُمهات البلاد ، كثيرة الخيرات والفواكه تقع في فارس .

قال الإصطخري : هي مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها .

وقال الأصمعي : هي عروس الدنيا إليها يتّجر الناس ـ معجم البلدان : ٣ : ١٣٢ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٥ و ٣٨٦ . الأخبار الطوال : ٢٥٣ .

(٣) مرآة الجنان : ١ : ١٠٧ . ويقول اليافعي : ولو قال :

⇦

لقد أتى ابنُ سعد ابنَ زياد فقال له : إنّك قد وليتني هذا العمل وسمع الناس به ، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك وتبعث إلى الحسين من أشراف الكوفة مَن لست أغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه ، وسمّى له أُناساً .

فقال ابن زياد : لا تعلّمني بأشراف الكوفة فلست استأمرك فيمن أُريد أن أبعث ، فإن سرت بجندنا وإلّا فابعث إلينا بعهدنا ، قال : فإنّي سائر ، فأقبل في ذلك الجيش حتى نزل بالحسين عليه السلام[(١)] .

العاذلون له

ويقول المؤرخون : إنّه بادر إليه جماعة من المشفقين عليه فأشاروا عليه باعتزال الحرب ، وكان ممّن أشار عليه ابن أُخته حمزة بن المغيرة بن شعبة ، فقال له : يا خال ، إن سرت إلى الحسين أثمت بربِّك ، وقطعت رحمك ، فوالله لئن تخرج من دنياك ومالك خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين[(٢)] .

ومنحه النصيحة قوم آخرون فقالوا له : اتقِ الله ولا تفعل[(٣)] .

وممّن لامه كامل ، وكان كاسمه ذا رأي وعقل ودين ، وكان صديقاً لأبيه سعد ، وقد جرى بينهما حديث وفيه أنّب ابنَ سعد وحذّره ، ثمّ قال له كامل : إنّي أُحدّثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفّقت لقبوله ، اعلم أنّي سافرت مع أبيك سعد إلى الشام فانقطعت بي مطيّتي عن أصحابي وتهت وعطشت ، فلاح لي

⇦ أَأَترُكُ مُلْكَ الرَّيِّ بَلْ هُوَ بُغْيَتِي ... وَإِنْ عُدْتُ مَأْثُوماً بِقَتلِ حُسَينِ

لكان هذا الإنشاد أدلّ على المراد .

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١١ . نهاية الأرب : ٤٢٦ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٣ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٥ و ٣٨٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٠ . الفتوح : ٥ : ٨٥ .

(٣) الفتوح : ٥ : ٨٥ .

دير راهب فملت إليه ، ونزلت عن فرسي وأتيت إلى باب الدير لأشرب ماءً ، فأشرف عليّ راهب من ذلك الدير وقال : ما تريد ؟

فقلت له : إنّي عطشان .

فقال لي : أنت من أُمّة هذا النبيّ الذين يقتل بعضهم بعضاً على حبّ الدنيا مكالبة ويتنافسون فيها على حطامها ؟

فقلت له : أنا من الأُمة المرحومة أُمة محمّد صلى الله عليه وآله .

فقال : إنّكم أشرّ أُمة ، فالويل لكم يوم القيامة ، وقد غدوتم إلى عترة نبيكم تقتلونهم وتسبون نساءه وتنهبون أمواله .

فقلت له : يا راهب ، نحن نفعل ذلك ؟!

قال : نعم ، وإنكم إذا فعلتم ذلك عجّت السماء والأرضون والبحار والجبال والبراري والقفار والوحوش والأطيار باللعنة على قاتله ، ثمّ لا يلبث قاتله في الدنيا إلّا قليلاً ، ثمَّ يظهر رجل يطلب بثأره ، فلا يدع أحداً شرك في دمه إلّا قتله وعجّل بروحه إلى النار .

ثمّ إنّ الراهب قال : إنّي لأرى لك قرابة من قاتل هذا الابن الطيب ، والله إنّي لو أدركت أيامه لوقيته بنفسي من حرّ السيوف .

فقلت : إنّي أُعيذ نفسي أن أكون ممّن يقاتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال : إن لم تكن أنت فرجل قريب منك قاتله عليه نصف عذاب أهل النار ، وإنّ عذابه أشدّ من عذاب فرعون وهامان .

ثمّ ردم الباب في وجهي ودخل يعبدالله وأبى أن يسقيني الماء .

قال كامل : فركبت فرسي ولحقت أصحابي ، فقال لي أبوك سعد : ما أبطأك عنّا يا كامل ؟ فحدثته بما سمعته من الراهب .

فقال : صدقت .

ثمّ إنّ سعداً أخبرني أنّه نزل بدير هذا الراهب مرّة من قبلي فأخبره أنّه هو الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول الله ، فخاف أبوك سعد من ذلك وخشي أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك ، فاحذر يا عمر أن تخرج عليه ، يكون عليك نصف عذاب أهل النار . فبلغ الخبر ابن زياد فاستدعى بكامل وقطع لسانه ، فعاش يوماً أو بعض يوم ومات رحمه الله[1] .

وعن عمّار بن عبدالله الجهني ، عن أبيه ، قال : « دخلت على عمر بن سعد وقد أُمر بالمسير إلى الحسين ، فقال لي : إنّ الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين .

فأبيت ذلك عليه ، فقلت له : أصاب الله بك ، أرشدك الله أجّل فلا تفعل ولا تسر إليه .

قال : فخرجت منه فأتاني آتٍ ، وقال : هذا عمر بن سعد يندب الناس لحرب الحسين ، قال : فأتيته فإذا هو جالس ، فلمّا رآني أعرض بوجهه ، فعرفت أنّه قد عزم على المسير إليه فخرجت من عنده »[2] .

وقد حاول أن يجهد نفسه على اعتزال الحرب إلّا أنّه لم يطق صبراً عن ولاية الريّ ، فقد سال لها لعابه ، وضعفت نفسه عن مقاومة رغباته فلم يسفر الصبح حتى استقر رأيه على حرب ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسرع إلى ابن مرجانة يخبره باستجابته ، وقد فرح ابن زياد برضا ابن سعد ؛ لأنّه قد وجد فيه حجّة تسند أباطيله إن لامه الناس على حرب ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولو استجاب أحد غيره لما كان له مثل هذا السرور والرضا .

وسار ابن سعد ومعه جيشه البالغ أربعة آلاف ، وهو يعلم اتجاهه وأنّه خرج ليقاتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله الذين هم خيرة من في الأرض ، وانتهى إلى كربلاء فانضمّ

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٠٦ ـ ٣٠٨ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١١ . تاريخ مدينة دمشق : ٤٥ : ٥٠ .

إلى الجيش الرابض هناك بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحي.

الاستعراض العسكري

واستعرض ابن مرجانة جميع الكتائب التي بعثها لحرب الحسين عليه السلام؛ ليرى قدرتها على القتال ومدى استعدادها للخوض في المعركة.

يقول الطِرمّاح: رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة، وفيه من الناس ما لم ترَ عيناي في صعيد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم. فقيل: اجتمعوا ليعرضوا، ثمّ يسرّحوا إلى حرب الحسين(١)، وقد زجّ بجميع ثقله العسكري في الحرب خوفاً من الطوارئ وتقلّب الأوضاع.

خطبة ابن مرجانة

وأمر الطاغية بجمع الناس في رحاب المسجد الأعظم، فهرعوا كالأغنام خوفاً من الطاغية ورهبة منه ومؤمّلين الزيادة في أرزاقهم، وقد امتلأ الجامع منهم، فقام فيهم خطيباً فقال: أيّها الناس، إنّكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبّون، وهذا أميرالمؤمنين يزيد قد عرفتموه حَسَن السيرة محمود الطريقة محسناً إلى الرعية، يعطي العطاء في حقّه، وقد أمنت السبل على عهده، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد من بعده يكرم العباد ويغنيهم بالأموال ويكرمهم، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أُوفرها عليكم، وأُخرجكم إلى حرب عدوه الحسين فاسمعوا له وأطيعوا(٢).

لقد خاطبهم باللغة التي يخضعون لها، فمنّاهم بالأموال وزجّهم لاقتراف أفظع

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٠٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤: ٣٨٥. الفتوح: ٥: ٨٩. أنساب الأشراف: ٣: ٣٨٦ و ٣٨٧.

جريمة في تاريخ الإنسانية.

وأوعز إلى كل من الحصين بن تميم التميمي، وحجّار بن أبجر، وشمر بن ذي الجوشن بالخروج إلى حرب الإمام الحسين عليه السلام بعد أن أسند لكل واحد منهم القيادة على بعض الوحدات العسكرية، فزحفوا بمن معهم إلى كربلاء لمساعدة ابن سعد.

تحريض سَمُرَة لحرب الحسين عليه السلام

ولعب سَمُرَةُ بن جندب الصحابي الكذّاب دوراً مهماً في حثّ الناس على حرب ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كان على شَرَطة عبيد الله بن زياد، وأخذ يدفع الناس إلى قتال ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

تمارض شَبَث بن ربعي

وكان المنافق شَبَث بن ربعي كارهاً للخروج إلى حرب الحسين عليه السلام، فأظهر المرض تصنّعاً، وهو الشخص الّذي عرف بالتحوّل والتقلّب. فقد أسلم ثمّ ارتد، وكان مؤذّناً لسَجاح، ثمّ عاد إلى الإسلام، وكان من الثائرين على عثمان، وكان مع عليّ عليه السلام في صفين، ثمّ شارك الخوارج في حروبهم، وكاتب الحسين عليه السلام، ثمّ انضمّ إلى ابن زياد، ثمّ تحوّل مع المختار، ثمّ كان مع ابن الزبير في حربه للمختار، فهو يتجه نحو أطماعه[٢].

ولم يكن يخفى على ابن زياد ذلك، فأرسل إليه أنّ رسولي يخبرني بتمارضك، وأخاف أن تكون من الذين **﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾**[٣]، فإن كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٧٨ و ٧٩.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩١. الإصابة: ٣: ٢٢٠، الحديث ٣٩٥٠. الأعلام: ٣: ١٥٤.

(٣) البقرة ٢: ١٤.

وأقبل إليه شَبَث مسرعاً بعد العشاء ؛ لئلا ينظر إلى وجهه فلا يجد عليه أثر العلة ، وقد أجابه لما أراد ، فخرج لحرب الحسين عليه السلام وتولى قيادة بعض الفرق[١] .

النفير العام

وأصدر ابن زياد أوامره المشدّدة بحمل أهل الكوفة في الحرب ، وإرغامهم على الخوض في قتال الإمام الحسين عليه السلام ، وقد أصدر مرسوماً ـ قبل أن يعسكر في النخيلة ـ جاء فيه : فلا يبقى رجل من العرفاء والمناكب[٢] والتجّار والسكّان إلّا خرج فعسكر معي ، فأيُّما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفاً عن المعسكر إلّا برئت منه الذمة[٣] .

وأمر بإذاعة ذلك بين الناس ، وقد أوعز إلى كل من كثير بن شهاب الحارثي ، ومحمّد بن الأشعث بن قيس ، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمن المنقري ، وأسماء ابن خارجة الفزاري ، أن يطوفوا في الناس يحثونهم على الطاعة ، ويحذرونهم من المعصية ، ويخوّفونهم عواقب الأُمور ، وقد طافوا بالكوفة وأذاعوا ما أُمروا به ، ثمّ لحقوا به في النخيلة إلّا كثير بن شهاب فإنّه ظلّ مقيماً بالكوفة يخذّل الناس عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام ، ويشيع الإرهاب والخوف على المتخلفين عن الحرب[٤] .

وقد ألقت الشرطة القبض على رجل من هَمْدان قدم الكوفة يطلب ميراثاً له ، فأُتي به إلى ابن زياد فأمر بقتله ، ولمّا رأى الناس ذلك هرعوا إلى الحرب حتى لم يبقَ في الكوفة محتلم إلّا خرج إلى المعسكر في النُّخيلة[٥] .

حققت هذه السياسة ما توخّاه ابن زياد من حمل الناس على حرب الحسين عليه السلام ، وقد سيطر سيطرة تامة على الموقف ، فلم يدع لأيّ أحد حرّية ولا اختيار .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٧ . الأخبار الطوال : ٢٥٤ . الفتوح : ٥ : ٨٩ .

(٢) **المناكب** ـ جمع منكب ـ : عريف القوم أو عونهم ـ لسان العرب : ١٤ : ٢٧٧ .

(٣ ـ ٥) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٧ .

الرقابة الدقيقة على الكوفة

وفرض ابن زياد الرقابة الصارمة على الكوفة مخافة أن يخرج منها أحد لنصرة الإمام الحسين عليه السلام ، فقد بث الجواسيس والعيون ، وفرض نوعاً من الأحكام العرفية التي كانت في منتهى القسوة ، فإذا اتُّهِمَ أحدٌ بالعمل ضد سياسة الدولة أُلقيَ عليه القبض وسِيقَ بلا هوادة ولا رحمة إلى الإعدام أو السجون . وقد كان عبدالله بن يسار يحفّز الناس إلى نصرته وخذلان بني أُمية ، فتطلَّبه ابن زياد فأخفى نفسه وتزوج امرأة من مراد ، ثم ظفر به عبيد الله بن الحرّ فأتى به إلى السبخة فقتله[1] .

وقد وضع ابن زياد المناظر ، ورتّب المسالح حول الكوفة ، وجعل على الحرس زحر بن قيس الجعفي ، ورتّب بينه وبين عسكر ابن سعد خيلاً مضمرة مقدحة[2] ، فكانت كل بادرة تحدث تأتيه في الوقت[3] .

هرب الجنود

وهربت الأكثرية الساحقة من جيش ابن زياد من وحداتها العسكرية ، وقد لاذ الكثيرون منهم بالانهزام فراراً من حرب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله .

ويقول البلاذري : إنّ القائد يكون على ألف مقاتل لا يصل إلى كربلاء إلّا ومعه ثلاثمائة ، أو أربعمائة ، أو أقل من ذلك ، فقد كانوا يفرون كراهة منهم لهذا الوجه[4] ، لقد كانوا على يقين لا يخامره أدنى شك بضلال هذه الحرب وأنّهم إنّما يحاربون الله ورسوله ، ويقاتلون من أُمروا بمودته وطاعته .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٧٧. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١١.

(٢) **المضمرة المقدحة :** هي الخيل التي يسار بها للجهاد .

(٣) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٨.

(٤) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٧.

الطاغية في النخيلة

ونزح الطاغية إلى النخيلة[١] فعسكر بها ومعه قطعات كبيرة من الجيش، وقد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وقد بلغه أنّ الرجل والرجلين والثلاثة يتسللون إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام عن طريق الفرات، فأمر بضبط الجسر وحراسته فلم يترك أحداً يجوزه.

محاولة لاغتيال ابن زياد

وحاول البطل الشهم عمّار بن أبي سلامة الدالاني أن يغتال ابن زياد في النخيلة إلّا أنّه لم يتمكّن من ذلك نظراً للرقابة الشديدة والحرس المكثّف الذي يحرسه، ولمّا فشل في مهمته عطف حتى لحق بالإمام الحسين عليه السلام واستشهد بين يديه[٢].

عدد الجيش الأموي

واختلف المؤرخون في عدد الجيش الذي نزح لحرب الإمام الحسين عليه السلام، وفيما يلي بعض ما ذكروه:

١ ـ ثمانون ألف فارس[٣].

٢ ـ خمسون ألف فارس[٤].

٣ ـ خمسة وثلاثون ألف فارس[٥].

---

(١) **النخيلة**: قريبة من (ذي الكفل) وتعرف اليوم بالعباسيات ذكر ذلك المقرم في مقتل الحسين عليه السلام: ٢٣٩.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٣٨٨.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / أبو مخنف: ٥٤.

(٤) شرح شافية أبي فراس: ١: ٩٣. من مصورات مكتبة الإمام الحكيم.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٩٨.

٤ ـ ثلاثون ألفاً[١].

٥ ـ اثنان وعشرون ألفاً[٢].

٦ ـ عشرون ألفاً[٣].

٧ ـ ستة عشر ألف فارس[٤].

٨ ـ اثنا عشر ألفاً[٥].

٩ ـ ثمانية آلاف[٦].

١٠ ـ ستة آلاف[٧].

١١ ـ أربعة آلاف[٨].

هذه بعض الأقوال التي ذكرها المؤرخون. وهناك أقوال أُخرى لا تخلو من المبالغة.

التحقيق في الموضوع

ولابدّ لنا من وقفة قصيرة للتحقيق في هذه الأقوال المختلفة التي حددت عدد الجيش الذي تدفّق إلى كربلاء واشترك في عمليات الحرب؛ لنختار منها ما تساعد عليه الأدلة، ونلقي ـ قبل كل شيء ـ نظرة خاطفة على عدد الجيش في الكوفة

---

(١) عمدة الطالب: ١٧١.

(٢) الفتوح: ٥: ١٠١. مطالب السؤول: ٢: ٧٧. مرآة الجنان: ١: ١٠٧. شذرات الذهب: ١: ٦٧.

(٣) اللهوف: ٥٢. الفصول المهمّة / ابن الصبّاغ: ٢: ٨١٩. الصواعق المحرقة: ١٩٧.

(٤) و (٤) الدرّ النظيم: ٥٥١.

(٦) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٢.

(٧) الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ: ٨٧.

(٨) الأخبار الطوال: ٢٥٣. تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٥٦. البداية والنهاية: ٨: ١٧١.

التي كانت أعظم حامية عسكرية في ذلك الوقت ، فقد كان عدد الجيش في أواسط القرن الأول أربعين ألفاً يغزو كل عام منهم عشرة آلاف[١] .

وقد ازداد هذا العدد منذ اتخذها الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عاصمة له ، فقد كثرت الهجرة إليها ، فقد زحف معه لحرب صفين سبعة وخمسون ألفاً ، وثمانية آلاف من مواليهم[٢] .

وهناك بعض التصريحات التي أدلى بها بعض الشخصيات تدل على أنّ إحصاء الجيش في ذلك العصر بلغ مائة ألف ، فقد أنكر سليمان بن صُرَد الخزاعي على الإمام الحسن عليه السلام أمر الصلح ، وقال له : لا ينقضي تعجّبي من بيعتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق[٣] .

وجاء في بعض رسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام : إنّا معك ومعنا مائة ألف[٤] .

وفيما أحسب أنّ هذا العدد لا يخلو من المبالغة ، وأنّ العدد أقل من ذلك بكثير ، أمّا سكان الكوفة فإنّا لم نقف لهم على إحصاء إلّا أنّ من المؤكد أنّهم كانوا أضعاف عدد الجيش ، فإنّ هناك الكثيرين من ذوي المهن والحرف والتجّار وغيرهم ممّن لم ينضموا إلى المنظمة العسكرية .

ونقف ـ بعد هذا العرض الموجز لعدد جيش الكوفة وسكّانها ـ أمام تلك الأقوال بين أمرين :

الأوّل: الإذعان والتصديق لكل ما قيل في عدد الجيش من الكثرة ؛ لأنّ ابن زياد

---

(١) صلح الإمام الحسن عليه السلام : ١٠١ .

(٢) الإمامة والسياسة : ١ : ١٤٥ .

(٣) الإمامة والسياسة : ١ : ١٦٣ .

(٤) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٢٢ .

قد أعلن النفير العام في الكوفة فلم يبقَ فيها محتلم إلّا خرج لحرب الحسين عليه السلام ، ومن تخلّف كان مصيره الإعدام أو السجن ، حتى لم تبقَ في الكوفة واسطة من وسائط النقل إلّا استعملت لنقل الناس للحرب ، وإذا قيل : إنّ عدد الجيش مائة ألف أو يزيد فليس في ذلك أيّة مبالغة .

الثاني : التشكيك في تلك الكثرة ؛ لأنّ أكثر الجنود قد استعظموا حرب الإمام الحسين عليه السلام ففرّوا منهزمين في البيداء ، بالإضافة إلى أنّ طائفة كبيرة من الجيش كانت في معسكر النُخَيْلة مع ابن زياد ، وعلى هذا فالجيش الذي تدفّق إلى كربلاء لحرب الإمام الحسين عليه السلام ليس بذلك العدد الضخم الذي يذهب إليه بعض المؤرخين .

وأكبر الظن أنّ الرواية التي أُثرت عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه ازدلف ثلاثون ألفاً لحرب الإمام الحسين عليه السلام [(١)] هي أقرب ما قيل في عدد الجيش ، فإنّ هذا العدد وما يزيد عليه قد اشترك في حرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولعل رواة الكثرة نظروا إلى الجيش الذي قد استعد للقتال وإن لم يحضر المعركة .

القادة العسكريون

أمدّنا المؤرخون بأسماء بعض قادة الجيش الذين اشتركوا في كارثة كربلاء ، وهم :

١ ـ الحرّ بن يزيد الرياحي ، وكان على ألف فارس ، وهو الذي حاصر الحسين عليه السلام في كربلاء [(٢)] .

٢ ـ عمر بن سعد ، وقد أسند إليه ابن زياد القيادة العامة لجميع قواته المسلّحة ، وكان أميراً على أربعة آلاف [(٣)] .

---

(١) الأمالي / الصدوق : ٥٣٧ ، الحديث ٧٣١ .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٧٧ و ٧٨ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٩٨ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٠ .

(٣) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٥ .

٣ ـ شَبَث بن ربعي جعله أميراً على ألف فارس[١].

٤ ـ مضاير بن رهينة المازني أمير على ثلاثة آلاف[٢].

٥ ـ نصر بن حرشة أمير على ألفين[٣].

٦ ـ كعب بن طلحة أمير على ثلاثة آلاف[٤].

٧ ـ حجّار بن أبجر أمير على ألف[٥].

٨ ـ الحصين بن تميم على أربعة آلاف[٦].

٩ ـ شمر بن ذي الجوشن أمير على أربعة آلاف[٧].

١٠ ـ زيد بن ركاب الكلبي على ألفين[٨].

١١ ـ يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم أمير على ألف[٩].

هؤلاء بعض قادة الجيش، وقد انضم تحت ألويتهم خمسة وعشرون ألف مقاتل.

ويقول ابن الجوزي: إنّه كان على ربع الكوفة عبدالله بن زهرة بن سليم الأزدي، وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث، وعلى ربع مَذْحِج وأسد عبدالله بن سبرة الجعفي، وعلى ربع ربيعة وهمْدان الحرّ بن يزيد الرياحي[١٠].

أدوات الحرب

وتسلّح جيش ابن زياد بجميع أدوات الحرب السائدة في تلك العصور، فقد كان استعداده لحرب الإمام الحسين عليه السلام استعداداً كبيراً. ويحدّثنا المؤرخون عن ضخامة

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٣٨٧.

(٢ ـ ٧) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٩٨.

(٨) و (٩) الفتوح: ٥: ٨٩.

(١٠) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٢. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٢١ و ٦٢٢. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٦.

ذلك الاستعداد ، فقالوا : إنّ الحدّادين ، وصانعي أدوات الحرب في الكوفة كانوا يعملون ليلاً ونهاراً في بري النبال وصقل السيوف في مدة كانت تربو على عشرة أيام . لقد دفع ابن زياد لحرب الحسين عليه السلام بقوة عسكرية مدجّجة بالسلاح بحيث كانت لها القدرة على فتح قطر من الأقطار .

وكان المستخدم لهذه الأدوات ، هم :

أوّلاً : الرماة

وهم الذين كانوا يسدّدون النبال والسهام ، وقد لعبوا دوراً خطيراً في الحرب ، وهم أوّل من فتح باب الحرب على الإمام الحسين عليه السلام ، فسدّدوا سهامهم نحو معسكره فلم يبقَ أحد منهم إلّا أصابه سهم ، حتى أُصيبت بعض النساء فدهشن وأُرعبن ، وقد قتل بعض أبناء الأُسرة النبوية بتلك السهام الغادرة كعبدالله بن مسلم ، وعبدالله بن الحسن ، وعبدالله الرضيع ، وغيرهم .

ثانياً : الجوّالة

وهي كتائب من الجيش كانت ترمي بالحجارة ، وسلاحها المقاليع (١) .

ثالثاً : المجففة

وهم الذين كانوا يُلبِسُون الجنود الآلات التي تقيهم في الحرب ، كما كانوا يضعون على الخيل الآلات التي تقيها من النبال والرماح .

عدد أصحاب الحسين عليه السلام

أمّا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فكانوا فئة قليلة ، وقد اختلف المؤرخون في

---

(١) **المقاليع** ـ جمع مِقْلَاع ـ : آلة ترمى بها الحجارة ـ المنجد : **٦٥١** ـ قلع .

عددهم ، وهذه بعض الأقوال :

الأوّل : ما ذهب إليه المسعودي : أنّهم خمسمائة فارس ، ونحو من مائة راجل[١] . وانفرد المسعودي بهذا القول ولم يذهب إليه أحد غيره .

الثاني : ما رواه عمّار الدهني ، عن أبي جعفر : أنّهم كانوا خمسةً وأربعين فارساً ومائة راجل[٢] .

الثالث : ما ذكره ابن شهرآشوب : أنّهم اثنان وثمانون رجلاً ، الفرسان منهم اثنان وثلاثون[٣] .

الرابع : ما قاله سعد بن عبيدة : إنّي لأنظر إليهم وهم قريبون من مائة رجل فيهم من صلب عليّ خمسة أو سبعة ، وعشرة من بني هاشم ، ورجل من كنانة ، وآخر من سُليم[٤] .

الخامس : ما ذكره ابن كثير ، والفاخوري : أنّهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً[٥] .

والذي نراه أنّهم ثمانون رجلاً بما فيهم من أبناء الأُسرة النبوية ، والذي يدعم ذلك أنّ الرؤوس التي احتزت وبُعِث بها إلى ابن مرجانة ويزيد بن معاوية كانت تسعة وسبعين رأساً لا غير .

وعلى أيّة حال ، فإنّ هؤلاء الأبطال على قلّتهم كانوا كفؤاً لذلك الجيش ، وقد

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٦١ .

(٢) تذهيب التهذيب : ١ : ١٥١ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩٩ . الحدائق الورديّة : ١ : ١١٩ . الصراط السويّ : ٨٦ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٩٨ .

(٤) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٢٤ . تذهيب التهذيب : ١ : ١٥٦ .

(٥) البداية والنهاية : ٨ : ١٨٠ . تحفة الأنام في مختصر تاريخ الإسلام : ٨٣ .

ألحقوا به أفدح الخسائر ، وقد مثّلوا بمواقفهم البطولية شرف العقيدة وسمو المبدأ .

رسول ابن سعد مع الإمام الحسين عليه السلام

وكان ابن سعد كارهاً لقتال الإمام الحسين عليه السلام فأراد التخلّص من ذلك ، فدعا عزرة بن قيس أن يلتقي به ويسأله عمّا جاء به ، فامتنع عزرة ؛ لأنّه كان ممّن كاتب الإمام الحسين عليه السلام بالقدوم إلى الكوفة ، فندب لمقابلته كثير بن عبدالله الشعبي وكان فاتكاً جريئاً ، فقال : أنا له وإن شئت أن أفتك به لفعلت .

فلم يرضَ ابن سعد بذلك ، وإنّما طلب منه أن يمضي إليه ويسأله عمّا جاء به ، وأقبل كثير يشتدّ نحو الإمام الحسين عليه السلام ، ولمّا بصر به أبو ثمامة الصائدي ارتاب منه ، فقام في وجهه ، وطلب منه أن ينزع سيفه حتى يقابله فأبى ، فلم يسمح له بالدخول فولّى منصرفاً غضباناً ، وأخبر ابن سعد بذلك فطلب من قرّة بن قيس الحنظلي ملاقاة الإمام الحسين عليه السلام فأجابه .

فلما أقبل قال لأصحابه : **هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذا ؟**

فأجابه حبيب بن مظاهر : نعم ، إنّه من بني تميم ، وقد كنت أعرفه بحسن الرأي ، وما ظننت أنّه يشهد هذا المشهد .

وتقدّم قرّة نحو الإمام الحسين عليه السلام فسلّم عليه ، وسأله عمّا جاء به ؟

فقال عليه السلام : **يا هٰذا ، أَعْلِمْ صاحِبَكَ عَنِّي إِنِّي لَمْ أَرِدْ إِلىٰ هاهُنا حَتّىٰ كَتَبَ إِلَيَّ أَهْلُ مِصْرِكُمْ أَنْ يُبايِعُوني ، وَلَا يَخْذُلُونِي ، وَيَنْصُرُونِي ، فَإِنْ كَرِهُونِي أَنْصَرِفُ عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ .**

وانبرى إليه حبيب فأسدى له النصيحة قائلاً : ويحك يا قرّة ، عهدي بك وأنت حسن الرأي في أهل البيت ، فما الذي غيّرك حتّى أتيتنا بهذه الرسالة ؟ فأقم عندنا وانصر هذا الرجل .

فقال قرّة الحنظلي : لقد قلتَ الحق ، ولكن أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأنظر في ذلك ، وقفل قرّة إلى ابن سعد فعرض عليه كلام الإمام الحسين عليه السلام[١] ، وسُرَّ ابن سعد بذلك ورأى أنّه بالإمكان التوصّل لحلٍّ سلمي يجنّبه من الخوض في معركة تطوّق عنقه بالآثام والأوزار .

وهنا نتساءل ، هل صحيح أنّ ابن سعد لا يعلم لماذا جاء الحسين عليه السلام ، ولم يعلم بالكتب التي بعثها الكوفيون ، ولم يكن هو منهم ؟ !

وهل كان بمعزل عن المعامع السياسية ، ولم يعلم بمجيء مسلم رضي الله عنه ولا بقتله هو وهانئ ؟ !

ألم يكن ممّن كتب إلى يزيد حينما وصل مسلم رضي الله عنه يأخذ البيعة للإمام الحسين عليه السلام ؟ ! أم إنّه نَكِرة لايحسب له حساب ؟ ! لاها الله لا هذا ولا ذاك ، وإنّما هي الأطماع في المناصب والجاه ، وملك الري قرّة عيني ! !

ابن سعد مع الإمام الحسين عليه السلام

وأراد ابن سعد التأكد من ذلك ، فطلب من الإمام الحسين عليه السلام الاجتماع به فأجابه إلى ذلك ، ولمّا مثُل عنده قال له : ما جاء بك ؟

فقال عليه السلام : **أَهْلُ الْكُوفَةِ .**

قال : أما عرفت ما فعلوا معكم ؟

فقال عليه السلام : **مَنْ خادَعَنا في اللهِ انْخَدَعْنا لَهُ .**

قال : قد وقعت الآن فما ترى ؟

فقال عليه السلام : **أَرْجِعُ فَأُقِيمُ بِمَكَّةَ أَوْ بِالْمَدِينَةِ ، أَوْ أُقِيْمُ بِبَعْضِ الثُّغُورِ .**

وفرح ابن سعد من موقف الإمام الحسين عليه السلام ، ورأى فيه بادرة لإحلال السلام

---

(١) الفتوح : ٥ : ٨٦ و ٨٧ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٦ . تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٦١١ و ٦١٢ .

والتجنّب من الحرب[١].

رسالة ابن سعد لابن زياد

وبادر ابن سعد فكتب رسالة إلى أميره ابن مرجانة جاء فيها :

« أمّا بعد ، فإنّ الله أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر الأُمة ، هذا حسين أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه ، أو أن يسير إلى ثغرٍ من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، أو أن يأتي أميرالمؤمنين يزيد فيضع يده في يده ، فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفي هذا رضاً ، وللأُمة صلاح »[٢].

افتراء ابن سعد

وممّا لا شبهة فيه أنّ ابن سعد قد افترى على الإمام الحسين عليه السلام في تلك الرسالة ، فإنّ بعض بنودها ممّا لم يَفُه به عليه السلام ، وقد تحدّث عن افتعالها عقبة بن سمعان الذي صاحب الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة ، ثمّ إلى العراق ، وظل ملازماً له إلى حين شهادته[٣] ، فيقول : صحبت الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة ، ومنها إلى العراق ، ولم أُفارقه حتى قتل ، وقد سمعت جميع كلامه ، فما سمعت منه ما يتذاكر فيه الناس من أن يضع يده في يد يزيد ، ولا أن يسير إلى ثغر من الثغور لا في المدينة ، ولا في مكة ، ولا في العراق ، ولا في عسكره إلى حين قتل . نعم ، سمعته يقول : « **دَعُونِي فَلَأَذْهَبْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ العَرِيضَةِ حَتَّى نَنظُرَ ما يَصِيرُ أَمْرُ النّاسِ** »[٤].

ونفى الشيخ محمّد الخضري صحة هذه الرسالة ، فقال : « وليس بصحيح

---

(١) الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ : ٨٧.

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨٧. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٤. الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٤.

(٣) وعقبة بن سمعان ممّن نجا من القتل ، فقد أُخذ أسيراً وأُطلق .

(٤) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٤. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ٢٠.

الإعراض عليهم أن يضع يده في يد يزيد ، وإنّما عرض عليهم أن يدعوه أن يرجع إلى المكان الذي خرج منه »[١] .

لقد افتعل ابن سعد هذه الرسالة ؛ ليتخلّص من إثم المعركة ، ويكون بمنجىً من قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولو أنّ الإمام الحسين عليه السلام قال ذلك لانفضّ جيش ابن زياد وانتهى كل شيء . لقد رفض الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية الأمر الخضوع لعصابة الإجرام ، وصمد في وجه الأعاصير ، ودلل في جميع مواقفه الخالدة على إبائه وعزّة نفسه وصلابة إرادته .

إفساد الشمر لمهمة السلام

ولمّا وردت رسالة ابن سعد إلى ابن مرجانة استصوب رأيه ، ورأى فيه حَلّاً للمشكلة وجمعاً للكلمة ، وأنّه قد جنّبه الحرب ، فطفق يقول بإعجاب : هذا كتاب رجل ناصح لأميره ، مشفق على قومه[٢] .

وكان شَمِر بن ذي الجوشن إلى جانبه . فضاق ذرعاً بالأمر ، فقد عُرف الخبيث بوضاعة النسب والحقد على ذوي الأحساب العريقة ، وكان قد حسد ابن سعد على إمرته للجيش ، فاندفع باضرام نار الحرب ، فقال لابن مرجانة : أتقبل هذا منه بعد أن نزل بأرضك وإلى جنبك ؟! والله لئن رحل من بلادك ، ولم يضع يده في يدك ؛ ليكونن أولى بالقوة والعزة ، ولتكونن أولى بالضعف والوهن[٣] .

وألهبت هذه الكلمات الموقف ، ونسفت كل أمل في الصلح والوئام ، فقد تفطّن ابن زياد إلى أمر خطير قد خفي عليه ، وهو أنّه عليه السلام إذا خلص منه ، ولم يبايع ليزيد ،

---

(١) محاضرات تاريخ الأُمَم الإسلامية : ١ : ٥١٥ . الغدير : ٣ : ٢٤٩ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٤ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٤ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٤ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٥ .

والتحق بقطر من الأقطار ، فسوف يتبلور الموقف وتهبُّ الأُمة لحمايته من العصابة المجرمة ، وسيكون الطاغية أولى بالوهن والضعف ، والحسين عليه السلام أولى بالمنعة والقوة ؛ لأنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته . وغابت هذه النقاط الحساسة عن ابن مرجانة ، فرأى في كلمات الشمر الإخلاص والنصيحة .

ولمّا رأى الشمر أنّه قد سيطر على الموقف وأفسد مهمة ابن سعد ، اندفع ليوهن مكانته عنده لعلّه أن يتخذ من ذلك وسيلة لإقصائه عن منصبه ويكون بمحلّه ، فقال له : والله ، لقد بلغني أنّ حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامة الليل[1] .

ويظهر من هذا أنّ شمراً كان له استخبارات خاصة على ابن سعد يحصي سقطاته ليتزلّف بها لابن زياد ، وإلّا كيف عرف أنّهما يجتمعان ويتحدثان بين العسكرين ؟ ! وكان جلّ ما يتوخاه الشمر هو إقصاء ابن سعد ليحل محله ويتولى هو قيادة الجيش .

رفض ابن زياد الحلول السلمية

ورفض ابن مرجانة جميع الحلول السلمية التي كتب بها ابن سعد ، وسدّ جميع نوافذ السلم والوئام ، وقد كتب إليه : « أمّا بعد ، فإنّي لم أبعثك للحسين لتكفّ عنه ، ولا لتطاوله ، ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتكون له عندي شافعاً . انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم ، فإنّهم لذلك مستحقون ، وإن قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره عاتٍ ظلوم ، وليس أرى أنّ هذا يضر بعد الموت شيئاً ، ولكن عليّ قول قد قلته : لو قتلته لفعلت هذا به ، فإن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا ، وخلِّ بين شمر بن ذي الجوشن

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٤ . البداية والنهاية : ٨ : ١٧٧ .

وبين العسكر ، فإنّا قد أمرناه بأمرنا ، والسلام »[١] .

وكانت هذه الرسالة صارمة لا رحمة فيها ، ومحتوياتها ما يلي :

١ ـ إنّها قصرت صلاحية ابن سعد على عمليات الحرب والقتال ، ولم تمنحه أيّة صلاحية لإجراء الصلح أو المفاوضة مع الإمام الحسين عليه السلام .

٢ ـ وعرضت أنّ الإمام الحسين عليه السلام إذا استجاب للصلح فعليه أن ينزل صاغراً لحكم ابن مرجانة لينال نصيبه منه ، فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ، وقد أراد أن يمثل الإمام الحسين عليه السلام عنده كأسير أو مذنب ليسترحمه .

٣ ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام إذا لم يستجب للنزول على حكمه فعلى ابن سعد أن يسارع إلى قتله والتمثيل به .

٤ ـ إنّه هدده بالعزل عن منصبه إذا تردد في تنفيذ ما عهد إليه ، وعليه أن يسلِّم جميع مهام الجيش إلى شمر بن ذي الجوشن ليقوم بتنفيذ ما عهد إليه .

٥ ـ إنّه أوعده بالجزاء إن استجاب لأوامره .

ويقول المؤرخون : إنّ ابن زياد جعل يقول :

الآنَ إذْ عَلِقَتْ مَخالِبُنا بِهِ ... يَرْجُو النَّجاةَ وَلَاتَ حِينَ مَناصِ[٢]

وأسرع الشمر وهو جذلان مسرور ، فجعل يجدّ في السير ليصل لابن سعد لعله لا يستجيب لأوامر ابن مرجانة فيكون هو الأمير على الجيش ، ووصل الشمر

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨٨ و ٨٩ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٤ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩١ .

وجاء في تذهيب التهذيب ١ : ١٥١ : « أنّ ابن زياد كتب لابن سعد : « لا ، ولا كرامة حتّى يضع يده في يدي .

فقال الحسين عليه السلام : **لَا يَكُونُ ذلِكَ أَبَداً** » .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٢ .

إلى كربلاء ، وكان ابن سعد مُستَنقِعاً في الفرات ، فبادر إليه رجل فقال له : قد بعث إليك جويرةَ بن بدر التميمي ، وأمره إن أنت لم تقاتل أن يضرب عنقك ، فوثب ابن سعد على فرسه ، ودعا بسلاحه[١] ، والتفت إلى شمر بن ذي الجوشن وقد عرف أنّها من مكيدته ، فقال له : مالك ويلك ، لا قرَّب الله دارك ، وقبَّح الله ما جئت به عليّ ، واللهِ إنّي لأظنّك أنّك نهيته أن يقبل ماكتبت به إليه ، وأفسدت علينا أمراً قد كنّا رجونا أن يصلح . لا يستسلم واللهِ حسين ، فإنّ نفس أَبِيَّةً لبين جنبيه .

فأجابه الشمر : أخبرني ما أنت صانع ، أتمضي لأمر أميرك ؟ وإلّا فخلِّ بيني وبين العسكر .

واستسلم ابن سعد لهواه وأطماعه فرضي أن يبقى قائداً لجيش ظلوم ، فقال له : لا والله ولاكرامة ، ولكن أنا أتولّى ذلك[٢] .

وظلّ الشمر رقيباً على ابن سعد لعلّه يقصّر في أوامر سيده ابن مرجانة ليتولّى هو قيادة الجيش ، وبعث ابن سعد بجواب ابن زياد إلى الإمام الحسين عليه السلام ، فقال عليه السلام : **لَا وَاللهِ ، ما وَضَعْتُ يَدِيَ في يَدِ ابْنِ مَرْجانَةَ**[٣] .

الإمام الحسين عليه السلام مع ابن سعد

وطلب الإمام الحسين عليه السلام من ابن سعد الاجتماع به ، فأجابه على كره ، فالتقى معه ليلاً ، وعقد معه اجتماعاً مغلقاً لم يحضره إلّا العباس وعليّ الأكبر من جانب الحسين عليه السلام ، ومع ابن سعد ابنه حفص وغلام لابن سعد ، فقال الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ١٥.

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨٩. أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩١. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٦. الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٤.

(٣) الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ : ٨٧.

له : **يابْنَ سَعْدٍ ، أَما تَتَّقِي اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ مَعادُكَ ، أَتُقاتِلُنِي وَأَنا ابْنُ مَنْ عَلِمْتَ ؟! فَاتْرُكْ هٰؤُلَاءِ وَكُنْ مَعِيَ فَإِنِّي أَقْرَبُ إِلَى اللهِ عزَّ وجَلَّ .**

وألقى ابن سعد معاذيره الواهية قائلاً : أبا عبدالله ، أخاف أن تهدم داري .

فقال له الحسين عليه السلام : **أَنا أَبْنِيها لَكَ .**

فقال : أخاف أن تؤخذ ضيعتي .

فقال الحسين عليه السلام : **أَنا أَخْلِفُ عَلَيْكَ خَيْراً مِنْها مِنْ مالِي بالْحِجازِ**[١] .

فقال : لي عيال وأخاف عليهم .

ولم يجد منه الإمام الحسين عليه السلام أيَّ تجاوب ، وإنّما رأى منه إصراراً على الغيّ والعدوان ، فاندفع يدعو عليه : **ما لَكَ ! ذَبَحَكَ اللهُ عَلَى فِراشِكَ سَرِيعاً عاجِلاً ، وَلَا غَفَرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ وَنَشْرِكَ ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَأْكُلَ مِنْ بُرِّ الْعِراقِ إِلَّا يَسِيراً .**

وولّى ابن سعد ، وهو يقول للإمام الحسين عليه السلام بسخرية : في الشعير كفاية عن البُرِّ[٢] .

أمان الشمر لإخوة العباس

وكان شمر لما قبض كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد قام هو وعبدالله بن أبي المحل ـ وكانت عمّته أُمّ البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب عليه السلام فولدت له العبّاس وعبدالله وجعفراً وعثمان ـ فقال عبدالله : أصلح الله الأمير ، إنّ بني أُختنا مع الحسين فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت ، فقال : نعم ، ونَعمةَ عين ، فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً ، فلمّا نهض عمر إلى الحسين عليه السلام جاء شمر حتى وقف على أصحاب

---

(١) الفتوح : ٥ : ٩٢ و ٩٣ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٨٨ و ٣٨٩ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٤٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٣ . البداية والنهاية : ٨ : ١٧٧ .

(٢) الفتوح : ٥ : ٩٣ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٤٥ .

الحسين عليه السلام وهتف منادياً : أين بنو أُختنا العباس وإخوته ؟

فهبّت إليه الفتية كالأُسُود ، فقالوا له : ما تريد يابن ذي الجوشن ؟

فقال : أنتم يا بني أُختي آمنون .

فصاحوا به وهم يتميزون من الغيظ قائلين : لعنك الله ولعن أمانك ، أتؤمننا وابن بنت رسول الله لا أمان له(١) .

وولّى الأثيم خائباً ، وقد ظنّ أنّ إخوة الإمام الحسين عليه السلام من طراز أصحابه الممسوخين ، ولم يعلم أنّهم من أفذاذ الدنيا الذين صاغوا الكرامة الإنسانية ، وصنعوا الفخر والمجد للإنسان .

وقد أظهروا بموقفهم تماسك جيش الإمام الحسين عليه السلام وقوة معنوياتهم ، وأنّهم كالجبل في صمودهم لاتخدعهم المغريات ولا يثنيهم عن عزمهم الجبّار تدافع قوى الشرك والضلال التي هي كالسيل لحربهم .

منع الإمدادات

وفرض ابن سعد الحصار على الإمام الحسين عليه السلام ، فأحاط بجميع الطرق مخافة أن يصل إليه أيُّ إمداد من الخارج ، وقد أحكم هذه الجهة حتى صار من غير الممكن أن يلتحق أيّ أحد بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام أو يصلهم بأيّ إمداد .

احتلال الفرات

وأخطر عملية قام بها ابن سعد احتلاله لنهر الفرات ، فقد صدرت إليه الأوامر المشددة من ابن مرجانة بمنع الماء عن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ،

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٨٩. أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩١. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٥ و ٦١٦.

فلا يذوقوا منه قطرة واحدة، كما صنع بعثمان بن عفان، حسبما جاء في رسالة ابن مرجانة إلى ابن سعد، وأرسل قوة عسكرية تتألف من خمسمائة فارس. وقيل: أربعة آلاف فارس، بقيادة عمرو بن الحجّاج، فاحتلّوا جميع الشرائع والأنهر المتفرّعة من نهر الفرات، وأوصدوا على الحسين عليه السلام وأصحابه باب الورود إلى الماء.

وفيما أحسب أنّه إنّما اتخذ هذا الإجراء القاسي الرهيب لما يلي:

أوّلاً: الإضرار بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام حتى لا تكون عندهم أيّة قدرة أو مقاومة على الحرب، فلا تصاب قواته بالخسائر.

ثانياً: سدّ الطريق أمام مَن يحاول الالتحاق بالحسين عليه السلام عن طريق الماء.

ثالثاً: المبالغة في التشفّي والانتقام من الأُسرة النبوية لما فعله المسلمون بعثمان يوم الدار حينما حوصر ومنعوا عنه الماء، ولكن الإمام الحسين عليه السلام ـ فيما أجمع عليه المؤرخون ـ قد حمل الماء إليه حينما حوصر[1]، وقد تنكّر الأُمويون لهذه اليد التي أسداها الإمام الحسين عليه السلام لهم.

رابعاً: إنّ ابن زياد كان يأمل بهذا الإجراء أن يستسلم الإمام الحسين عليه السلام، ويخضع لأوامره.

خامساً: إنّ ابن زياد يرى أنّ منع الماء له أثره في قصر زمان المعركة، ولهذا شدد أوامره في منعهم من الماء.

فهذه بعض الأسباب التي دعت ابن مرجانة لإصدار أوامره باحتلال الفرات ومنع الماء عن الحسين عليه السلام وأصحابه.

ويقول المؤرخون: إنّه حيل بين الإمام الحسين عليه السلام وبين الماء قبل قتله بثلاثة

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣: ٢٥.

أيام[1]، وكان أعظم ما عاناه عليه السلام من المحن الشاقة مشاهدة أطفاله وحرائر الرسالة، وهم يعجّون من ألم الظمأ القاتل، فقد كان الأطفال ينادون: الماء، الماء.

ولم يستطع الأطفال مقاومة العطش، وكانوا ينظرون إلى الفرات وهو فيّاض بمائه، فازداد صراخهم، وذاب قلب الإمام الحسين عليه السلام رحمة وحناناً لذلك المشهد الرهيب، فقد ذبلت شفاه أطفاله، وذوى عودهم، وجفّ لبن المراضع، بينما ينعم أولئك الجفاة بالماء، يقول أنور الجندي:

وذِئابُ الشُّرُورِ تَنْعَمُ بِالمَاءِ	وأَهْلُ النَّبيِّ مِنْ غَيْرِ ماءِ
يا لَظُلْمِ الأَقْدارِ يَظْمَأُ قَلْبُ اللَّيْثِ	وَاللَّيْثُ مُوثَقُ الأَعْضاءِ
وصِغارُ الحُسَيْنِ يَبكُونَ في الصَّحْراءِ	يا رَبِّ أَيْنَ غَوْثُ القَضاءِ

إنّ جميع الشرائع والمذاهب لا تبيح منع الماء عن الأطفال والنساء، وخصوصاً الشريعة الإسلامية، فقد جعلت الناس جميعاً شركاء في الماء والكلأ، وسوّغت الشرب من الأنهار المملوكة حتى لو لم يأذن أربابها، وكرهت أشدّ الكراهة ذبح الحيوان الأعجم عطشاناً، لكن الجيش الأموي لم يحفل بذلك، واستباح جميع ما حرّمته الشرائع والأديان.

لقد تنكّر أُولئك الجفاة لليد البيضاء التي أسداها لهم الإمام الحسين عليه السلام على مقدمة جيوشهم التي كانت تتألف من ألف فارس بقيادة الحرّ لإلقاء القبض عليه وحصاره في البيداء، وكان قد بلغ بهم العطش كل مبلغ حتى أشرفوا على الهلاك، وكان باستطاعته أن يبيدهم عطشاً، فأبت مروءته ورحمته أن يعاملهم بالقسوة، فأمر فتيانه وهو معهم فسقاهم عن آخرهم كما أمر بسقي خيولهم وترشيفها، على أنّه كان في حاجة إلى الماء؛ لأنّه في وسط الصحراء اللاهبة، ولم يقدّر أُولئك

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٨٦ و ٨٧. أنساب الأشراف: ٣: ٣٨٩. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٣. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٣. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٨٩.

الأجلاف هذه النجدة، فحرموه من الماء، وحرموا من كان في كنفه من سيدات أهل البيت وأحفاد النبيّ صلى الله عليه وآله.

الطباع اللئيمة

وأخذ أُولئك الممسوخون يتباهون ويتفاخرون باستيلائهم على ماء الفرات وحرمان ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله منه، ومن بينهم:

١ـ المهاجر بن أوس

وانبرى المهاجر بن أوس التميمي صوب الإمام الحسين عليه السلام رافعاً صوته: يا حسين، ألا ترى إلى الماء يلوح كأنّه بطون الحيّات، والله لا تذوقه أو تموت.

فردّ عليه الإمام الحسين عليه السلام: **إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُورِدَنِيهِ اللهُ وَيُحَلِّئَكُمْ عَنْهُ**[١].

٢ـ عمرو بن الحجّاج

وأقبل عمرو بن الحجّاج ـ وكان ممّن كاتب الحسين عليه السلام بالقدوم إلى الكوفة ـ حتى قرب من معسكر الحسين عليه السلام فرفع صوته: يا حسين، إنّ هذا الفرات تلغ فيه الكلاب، وتشرب فيه الحمير والخنازير، والله لا تذوق منه جرعة حتى تذوق الحميم في نار جهنم[٢].

٣ـ عبدالله بن أبي الحصين

وأقبل عبدالله بن أبي الحصين الأزدي يشتد كأنّه الكلب نحو الإمام الحسين عليه السلام فنادى: يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنّه كبد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً.

---

(١) و (٢) أنساب الأشراف: ٣: ٣٩٠.

فرفع الإمام الحسين عليه السلام يديه بالدعاء عليه ، وقال : **اللّٰهُمَّ اقْتُلْهُ عَطَشاً ، وَلَا تَغْفِرْ لَهُ أَبَداً**(١).

لقد فخر أُولئك الأجلاف باحتلالهم لماء الفرات ، تقرّباً لسيدهم ابن مرجانة وإرضاءً لعواطفه لينالوا جوائزه وهباته .

الإنكار على ابن سعد

وأنكر جماعة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وغيرهم على ابن سعد منعه الماء عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد كان ذلك أحطّ أُسلوب في الانتقام ، فقد أشرف أطفال الحسين عليه السلام على الهلاك وهم يرون الماء أمامهم ، وليس هناك من سبب يدعو إلى هذا الانتقام إلّا الخسّة والوحشية المتأصّلة في نفوس ذلك الجيش ، ومن بين المنكرين عليه .

١ ـ نافع بن هلال الجملي

وخرج نافع بن هلال فقال لابن سعد : هذا الفرات تشرب منه الكلاب ، وهذا الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عطاشى ، وأنت تزعم أنّك تعرف الله ورسوله ؟ ! وأطرق ابن سعد بوجهه الخبيث إلى الأرض ، ولم يتكلم بشيء(٢) .

٢ ـ برير بن خضير

وانطلق برير بن خضير الهَمْداني نحو ابن سعد فرفع صوته قائلاً : يا عمر بن سعد ، أتترك بيت النبوة يموتون عطشاً ، وحلت بينهم وبين الفرات أن يشربوا منه ،

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٣ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٣ . الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ : ٨٦ .
وفي أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٩ : « ابن حصن » .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٦١٣ . أنساب الأشراف ٣ : ٣٨٩ . الأخبار الطوال : ٢٥٥ .

وتزعم أنّك تعرف الله ورسوله.

فأجابه ابن سعد: إنّي والله أعلم يا برير علماً يقيناً أنّ كلّ مَن قاتلهم وغصبهم على حقوقهم في النار لا محالة، ولكن ويحك يا برير، أتشير عليّ أن أترك ولاية الري فتصير لغيري، ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً[(١)].

٣ـ الحرّ بن يزيد

وحينما التحق الحرّ بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام، وتاب على يده خرج إلى جيش ابن سعد فرفع صوته قائلاً: يا أهل الكوفة، لأُمكم الهَبَل والعَبَر إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنّكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجّه إلى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي تشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتمرَّغ فيه خنازير السواد وكلابه، وهاهم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمّداً في ذريته، لاسقاكم الله يوم الظمأ...[(٢)].

ولم يُجدِ معهم هذا الإنكار، وأصرّوا على بغيهم وعنادهم فحرموا أبناء النبيّ صلى الله عليه وآله من الماء حتى صرعهم العطش.

---

(١) الفتوح: ٥: ٩٦. الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٠ و ١٠١. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٤٨. البداية والنهاية: ٨: ١٨٢.

وقد وقع في بعض المصادر التاريخية تصحيف في اسمه واسم أبيه، فمرة «يزيد بن حصين»، وأخرى «برير بن حضير» ـ إبصار العين: ٩٣ ـ ٩٧. مطالب السؤول: ٢: ٧٨. أخبار الدول وآثار الأُول: ١: ٣٢١.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٢٧. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٩.

العثور على عين ماء

وأضرّ العطش بأهل البيت فتصارخ الأطفال والعيال ، وقام الإمام الحسين عليه السلام فأخذ فأساً وحفر حول خيمة النساء فنبعت عين ماء عذب فشربوا منها ، إلّا أنّها لم تلبث إلّا قليلاً حتى غارت ، ونقلت الاستخبارات لابن زياد ذلك فتميّز غيظاً فأرسل إلى ابن سعد رسالة جاء فيها :

« بلغني أنّ الحسين يحفر الآبار ، ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه ، فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت ، وضيِّق عليهم ، ولا تدعهم أن يذوقوا من الماء قطرة . . . » .

وفرض ابن سعد الرقابة الشديدة على حفر الآبار ، كما أحاط نهر الفرات بمزيد من الحرس والجنود مخافة أن يأتي أحد منهم فيشرب من الماء[١] .

القتال على الماء

والتاع الإمام الحسين عليه السلام أشدّ ما تكون اللوعة ألماً ومحنة حينما رأى أطفاله وأهل بيته وهم يستغيثون من الظمأ القاتل ، فندب أخاه وابن والده أبا الفضل العباس لتحصيل الماء ، فانبرى البطل العظيم ، وصحب معه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ، وحملوا معهم عشرين قربة ، واقتحموا بأجمعهم نهر الفرات ، وقد تقدّمهم نافع بن هلال الجملي ، فاستقبله عمرو بن الحجّاج الزبيدي ، وكان المسؤول عن حراسة الفرات ، فقال له : ما جاء بك ؟

قال : جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلّأتمونا عنه .

قال : فاشرب هنيئاً .

قال : أفأشرب والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه ؟!

---

(١) الفتوح : ٥ : ٩١ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٤٤ .

فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنّما وضِعْنا بهذا المكان لنمنعهم الماء[١].

ولم يحفل به أصحاب الحسين عليه السلام، فاقتحموا الفرات ليملأوا قربهم، فثار عليهم عمرو بن الحجّاج مع مفرزة من جنوده، والتحم معهم العباس ونافع بن هلال، ودارت بينهم معركة إلّا أنّه لم يقتل فيها أحد، وعاد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بعد أن ملأوا قربهم من الماء.

وقيل: إنّهم لم يعودوا إلّا بشيء يسير منه[٢]. وأروى العباس عطاشى أهل البيت وأنقذهم من الظمأ، ولقّب من ذلك اليوم بـ (السقّاء)، وهو من أشهر ألقابه ذيوعاً، ومن أحبها عنده.

استنجاد حبيب بأُسرته

وكان حبيب بن مظاهر من أفذاذ الأصحاب، ومن أكثرهم إخلاصاً وولاءً له، ولمّا رأى وحدة الإمام الحسين عليه السلام وتظافر القوى الغادرة على حربه طلب منه أن يأذن له ليستنجد بأُسرته من بني أسد ليحضون بالجهاد بين يديه، قائلاً: إنّ هاهنا حيّاً من بني أسد أعراباً ينزلون النهرين، وليس بيننا وبينهم إلّا رواحة، أفتأذن لي في إتيانهم ودعائهم، لعلّ الله أن يجرَّ بهم إليك نفعاً أو يدفع عنك مكروهاً.

فأذن له الإمام الحسين عليه السلام فانطلق مسرعاً إليهم، ولمّا مثل عندهم قال: إنّي أدعوكم إلى شرف الآخرة وفضائلها وجسيم ثوابها، أنا أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله نبيكم صلى الله عليه وآله، فقد أصبح مظلوماً، دعاه أهل الكوفة لينصروه فلمّا أتاهم خذلوه وعدوا عليه ليقتلوه.

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٣٨٩. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٣. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٤٤ و ٢٤٥. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٣.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٣٩٠.

فاستجاب له سبعون شخصاً ، وكان من بينهم عبدالله بن بشر الأسدي ، فقال : أنا أول من يجيب هذه الدعوة ، ثمّ جعل يرتجز .

قَد عَلِمَ القَومُ إذا تَواكَلُوا   وَأَحجَمَ الفُرسَانُ أَوْ تَناصَلُوا

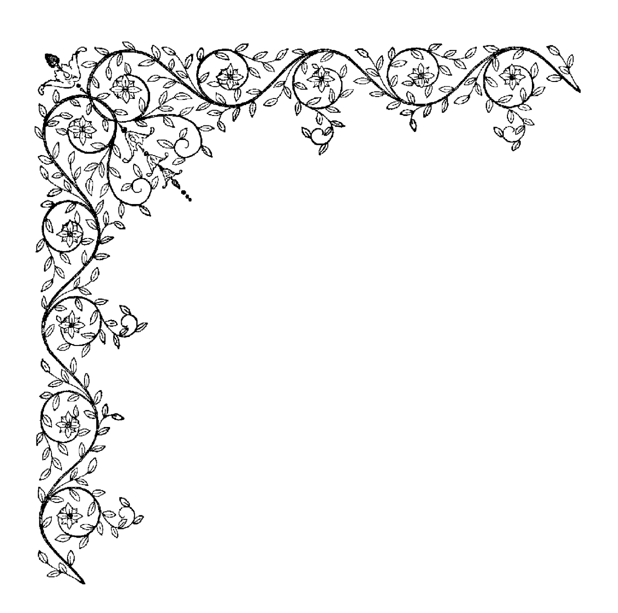
إنِّي شُجاعٌ بَطَلٌ مُقاتِلُ   كَأَنَّني لَيثُ عَرِينٍ باسِلُ

وخفّوا إلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام ، إلّا أنّه كان في المجلس عين لابن سعد وهو جبلة بن عمرو فأسرع إليه وأخبره بذلك ، فجهّز مفرزة من جيشه بقيادة أزرق ابن الحارث الصيداوي فحالوا بينهم وبين الالتحاق بالحسين عليه السلام ، فرجع حبيب حزيناً فأخبرهُ بذلك ، فقال عليه السلام : **الْحَمْدُ للهِ كَثِيراً** .

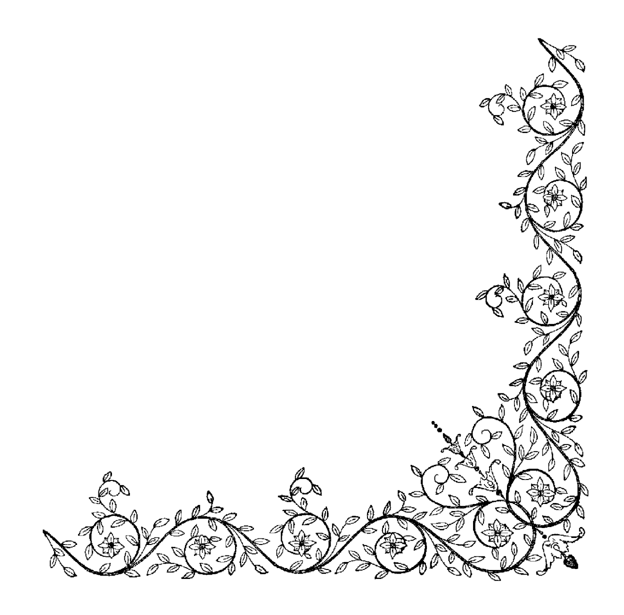
وظل الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه وهم يعانون أشدّ الضيق من الحصار الذي فرض عليهم ، وينتظرون الأحداث الرهيبة التي يلاقونها على صعيد كربلاء[١] .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٨ . الفتوح : ٥ : ٩٠ و ٩١ ، وفيه : « الأزرق بن حرب » . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٤٣ ، وفيه : « الأزرق بن الحرث الصدائي » .



مَعَ المُعسكرِينَ



وعلى الصعيد الطيب من أرض كربلاء التحمت القوى الغادرة مع جنود الله وخلايا التوحيد الذين شرح الله صدورهم للإيمان ، فناضلوا وهم على يقين بعدالة قضيتهم ، على العكس من خصومهم الذين كانت تملكهم الحيرة والقلق النفسي ، فكانوا يقاتلون وهم على علم بضلالة قصدهم وانحرافهم عن الطريق القويم ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للتحدّث عن كلا المعسكرين .

المعسكر الحسيني

أمّا المعسكر الحسيني فإنّه كان يمثّل شرف الإنسان ، ويمثّل القيم الكريمة ، والاتجاهات العظيمة التي يسمو بها كل إنسان نبيل ، وحسبه أنّه وحده في تاريخ هذه الدنيا قد كتب له الخلود والبقاء ، فليس في أُسرة شهداء العالم مثل شهداء كربلاء شرفاً ومجداً واندفاعاً في نصرة الحق ، وتفانياً في سبيل العدل ، ونشير إلى بعض المظاهر من أهدافهم وذاتياتهم :

الأهداف العظيمة

أمّا الأهداف العظيمة التي رفعوا شعارها ، وناضلوا ببسالة وإيمان من أجلها فهي:

١ ـ الدفاع عن الإسلام

وهبّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام بكل إخلاص وإيمان للدفاع عن الإسلام وصيانة

مبادئه التي استهترت بها السلطة الأُموية ، وقد أخلصوا في دفاعهم أعظم وأروع ما يكون الإخلاص ، وأدلة ذلك متوفّرة في جميع مواقفهم المشرّفة ، فالعباس عليه السلام الذي كان من أمسّ الناس رحماً بالإمام الحسين عليه السلام وألصقهم به لم يندفع بتضحيته الفذّة بدافع الأُخوّة وغيرها من الاعتبارات الخاصة ، وإنّما اندفع بحماس لحماية الإسلام ، وحماية إمام من أئمة المسلمين فرض الله مودّته وطاعته على الناس أجمعين ، وقد أدلى بذلك في ميدان القتال بعد أن برى القوم يمينه ، فقال مرتجزاً :

وَاللهِ إنْ قَطَعْتُمُ يَمِينِي ... إنِّي أُحامِي أَبَداً عَنْ دِينِي

وَعَنْ إمامٍ صادِقِ اليَقِينِ ... نَجْلِ النَّبِيِّ الطّاهِرِ الأَمِينِ[١]

ومعنى هذا الرجز ـ بوضوح ـ أنّه لم يندفع بجهاده بدافع الأُخوّة ، وإنّما اندفع لحماية الدين ، وحماية إمام صادق على سبيل اليقين . وأعلن غير العباس من أصحابه هذه الحقيقة .

لقد غذّاهم أبو عبدالله عليه السلام بروحه وهديه ، وغمرهم بأخلاقه ، فابتعدت أرواحهم عن الدنيا وتجرّدوا من مادّية الجسد ، وتحرّرت قلوبهم وعواطفهم من شواغل الحياة ، فأيّ معلّم كان الحسين عليه السلام ؟! وأيّة مدرسة ملهمة كانت مدرسته ؟! وهل تستطيع أجيال الدنيا أن توجِد مثل هذا الطراز إيماناً بالله ، وإخلاصاً للحق ؟!

٢ ـ حماية الإمام عليه السلام والدفاع عنه

وهناك ظاهرة خاصة أُخرى من أهداف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهي حمايته من أُولئك الوحوش الذين تظافروا على قتله ، وقد تفانى أصحابه في الولاء والإخلاص له ، وضربوا بذلك أروع الأمثلة للوفاء ، فهذا مسلم بن عوسجة ـ وهو من أفذاذ أنصاره ـ لمّا برز إلى القتال ، ووقع صريعاً على الأرض قد تناهبت السيوف

---

(١) مناقب آل ابي طالب ٤ : ١٠٨ . ينابيع المودّة : ٣ : ٦٨ .

والرماح جسمه، مشى إليه الإمام الحسين عليه السلام مع حبيب بن مظاهر، وكان البطل يعاني آلام الاحتضار، فطلب منه حبيب أن يوصي إليه بما أهمّه، فقال له بصوت خافت حزين النبرات: أُوصيك بهذا ـ وأشار إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ أن تموت دونه[١].

أيّ وفاء هو معرض للزهو والفخار مثل هذا الوفاء؟! لقد أعطى لأجيال الدنيا الدروس في الولاء الباهر للحق، فهو في لحظاته الأخيرة، وحشرجة الموت في صدره لم يفكر إلّا بالإمام الحسين عليه السلام، وأعرض عن كل شيء في حياته.

وهذا البطل العظيم سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي الذي هو من أنبل الشهداء وأصدقهم في التضحية، هوى جريحاً في المعركة فتركه الأعداء ولم يجهزوا عليه؛ لظنّهم أنّه قد مات، فلمّا تنادوا بمصرعه عليه السلام لم يستطع أن يسكن لينجو، فقام والتمس سيفه فإذا هم قد سلبوه، ونظر إلى شيء يجاهد به فوقعت يده على مِدْيَةٍ، فأخذ يوسع القوم طعناً فذعروا منه، وحسبوا أنّ الموتى أُعيدت لهم حياتهم ليستأنفوا الجهاد ثانياً مع الإمام الحسين عليه السلام، فلمّا تبيَّن لهم أنّ الأمر ليس كذلك، انعطفوا عليه فقتلوه[٢]، فكان ـ حقّاً ـ هذا هو الوفاء في أصحاب الإمام الحسين عليه السلام حتى الرمق الأخير من حياتهم.

ولم يقتصر هذا الوفاء على الرجال، وإنّما سرى إلى النساء اللاتي كُنَّ في المعركة، فكانت المرأة تسارع إلى ابنها تتضرّع إليه ليستشهد بين يديه، والزوجة تسارع إلى زوجها ليدافع عن الإمام الحسين عليه السلام، ولم يحفلنَ بما يصيبهن من الثكل والحداد.

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٣ ـ ١٠٤. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٦٣٣. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٠.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ١٠٩ ـ ١١٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤١.

وممّا يثير الدهشة أنّ الأطفال من الأُسرة النبوية قد اندفعوا نحو الإمام الحسين عليه السلام وهم يقبّلون يديه ؛ ليمنحهم الإذن في الشهادة بين يديه ، ومن بينهم عبدالله بن الحسن وكان له من العمر إحدى عشرة سنة ، لمّا رأى الأعداء قد اجتمعوا على قتل عمّه لم يستطع صبراً ، فأسرع نحو عمه الحسين عليه السلام فاندفعت عمّته زينب لتمسكه فامتنع عليها ، وأخذ يركض حتى انتهى إلى عمّه ، وقد أهوى بحر بن كعب بسيفه ليضرب الإمام الحسين عليه السلام .

فصاح به الغلام : يابن الخبيثة أتضرب عمّي ؟! فانعطف عليه الخبيث الدنس فضربه بالسيف على يده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة[1] ، ورمى الغلام بنفسه في حِجْر عمّه ، فسدد له حرملة سهماً غادراً فذبحه وهو في حِجْر عمّه ، لقد استلذ الموت في سبيل عمّه .

وكثير من أمثال هذه الصور الرائعة التي لم يمرّ على شاشة الدهر مثلها ، فقد ظهرت من أصحابه وأهل بيته عليهم السلام .

٣ـ تحرير الأُمّة من الجور

وكان من أهداف معسكر الإمام الحسين عليه السلام تحرير الأُمة من طغيان الأُمويين وجورهم ، فقد أذاعوا الظلم وأشاعوا الفساد في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وقد هبّ أصحابه للإطاحة بذلك الحكم ، وإعادة حكم الإسلام ، وقد أشرنا إلى ذلك بصورة موضوعية وشاملة عند البحث عن أسباب ثورته .

٤ـ النزعات الفذّة

وتمتّع أصحاب الحسين عليه السلام بكل نزعة كريمة ، وقد امتازوا بها على غيرهم من

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١١٠ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٦ .

سائر الناس، ومن بينها:

أوّلاً: الإباء والعزّة

ومن ذاتيات أُولئك الأحرار الإباء وعزّة النفس، فقد استطابوا الموت في سبيل كرامتهم، يقول سيد الأُباة الإمام الحسين عليه السلام: **فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلّا سَعادَةً وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمِينَ إِلّا بَرَماً**(١).

ويقول ولده البار علي الأكبر عليه السلام في رجزه يوم الطف:

أَنَا عَليُّ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيّ ... نَحْنُ وَرَبِّ البَيْتِ أَولىٰ بِالنَّبِيّ
وَاللهِ لَا يَحْكُمُ فِينا ابنُ الدَّعِيّ(٢)

لقد أفرغ الإمام الحسين عليه السلام على أصحابه وأهل بيته قبساً من روحه فاستقبلوا الموت بسرور من أجل العزّة والكرامة والإباء.

ثانياً: البسالة والصمود

وظاهرة أُخرى من نزعات معسكر الإمام الحسين عليه السلام هي البسالة، فقد كانوا من أندر أبطال العالم، فهم على قلّتهم قد صمدوا في وجه ذلك الجيش الجرار فحطّموا معنوياته، وأنزلوا به أفدح الخسائر.

يقول المؤرخ الإنجليزي پرس سايكس: «إنّ الإمام الحسين وعصبته المؤمنة القليلة عزموا على الكفاح حتى الموت، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلّت تتحدّى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا»(٣).

---

(١) تحف العقول: ٢٤٥. شرح الأخبار: ٣: ١٥٠. المعجم الكبير: ٣: ١١٤ و ١١٥، الرقم ٢٨٤٢. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٧ و ٢١٨. سير أعلام النبلاء: ٣: ٣١٠.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٢. ينابيع المودّة: ٣: ٧٨.

(٣) علم النفس العسكري: ١: ٣٦.

لقد غمرهم الإمام الحسين عليه السلام بمعنوياته وروحه الوثّابة، ومن الطبيعي أنّ لشخصية القائد أثراً مهمّاً في بثّ الروح المعنوية في نفوس الجيش، فإنّ جهاز القيادة إنّما هو رمز السلطة التي تدفع بالجنود إلى القتال.

وقد اندفع أصحابه بعزم ثابت لا يعترف بالعقبات ولا بالحواجز نحو الجيش الأموي حتى ضاقت عليه الأرض، ولاذ أكثرهم بالهزيمة. يقول بعض جنود ابن زياد لشخص عاب عليه اشتراكه في حرب الإمام الحسين عليه السلام: عضضت بالجندل، إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأُسود الضارية تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين لا أُمَّ لك؟![1].

وكان كعب بن جابر الأزدي من جنود ابن زياد، وقتل سيد القرّاء في الكوفة بُرير بن خضير، وأعان على قتل سيد الشهداء، وقد نظم مقطوعة أشاد فيها بشجاعة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بعد أن عذلته أخته في قتل برير وإعانته على قتل الحسين عليه السلام، حيث يقول:

سَلِي تُخْبَري عَنِّي وأَنتِ ذَمِيمَةٌ ... غَداةَ حُسَينٍ وَالرِّماحُ شَوارِعُ
أَلَم آتِ أَقْصىٰ مَا كَرِهْتِ وَلَم يَخَلْ ... عَلَيَّ غَداةَ الرَّوْعِ مَا أنا صانِعُ[2]
مَعِي يَزَنِيٌّ لَمْ تَخُنْهُ كُعُوبُهُ ... وَأَبيضُ مَخشُوبُ الغِرارَينِ قاطِعُ[3]

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣: ٢٦٣.

(٢) **الروع**: الحرب. المنجد في اللغة: ٢٨٦ ـ رَوَعَ.

(٣) **يَزَني**: رمح منسوب إلى ذي يزن أحد ملوك حِمْير.

الكعوب: ما بين الأنبوبين من القصب. القاموس المحيط: ١٦٨ ـ كعب. ⇦

فَجَرَّدتُهُ فِي عُصْبَةٍ لَيْسَ دِينُهُمْ بِدِينِي وَإِنِّي بِابنِ حَرْبٍ لَقانِعُ
وَلَمْ تَرَ عَينِي مِثْلَهُم فِي زَمانِهِم وَلَا قَبْلَهُم فِي النّاسِ إذْ أَنا يافِعُ
أَشَدَّ قِراعاً بِالسُّيُوفِ لَدَى الوَغىٰ أَلا كُلُّ مَنْ يَحمِي الذِّمارَ مُقارِعُ
وَقَدْ صَبَرُوا لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ حُسَّراً وَقَدْ نازَلوا لَوْ أنَّ ذلِكَ نافِعُ
فَأَبْلِغْ عُبيدَ اللهِ إمّا لَقِيتَهُ بِأَنِّي مُطِيعٌ لِلخَلِيفَةِ سامِعُ
قَتَلْتُ بُريراً ثُمّ حَمَّلتُ نِعمَةً أَبا مُنقِذٍ لَمّا دَعا مَنْ يُماصِعُ[1]

وقد أبدى كعب إعجابه البالغ ببسالة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ، فلا هو ولا غيره شاهد مثلهم في شجاعتهم وصمودهم ، فقد صبروا على الضرب والطعن وملاقاة الحتوف ، وكان من شجاعتهم النادرة ـ فيما يقول بعض المؤرخين ـ أنّه ما انهزم واحد منهم ، ولا قتل إلّا وهو مُقبل غير مُدبر ، وقد بذلوا قصارى ما يمكن من البطولة والشجاعة والثبات وصدق النية ومضاء العزيمة لحمايته والدفاع عنه ، وقد نهى عمرو ابن الحجّاج الزبيدي عن مبارزتهم ، يقول لأهل الكوفة : أتدرون مَن تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر ، وقوماً مستميتين لا يبرز إليهم أحد منكم إلّا قتلوه على قلّتهم[2] .

وقد حفل كلامه بالصفات الماثلة فيهم ، ومن بينها :

الأُولى : إنّهم فرسان أهل الكوفة ، بل هم فرسان العرب على الإطلاق .

⇦ **أبيض :** السيف مخشوب الغرارين : أي مشحوذ الحدَّينِ . لسان العرب : ٤ : ٩٤ ـ خَشَبَ .

(١) **يماصع :** يقاتل . لسان العرب : ١٣ : ١٢٥ ـ مَصَع .

إبصار العين : ٩٧ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣١ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٢١ . الفتوح : ٥ : ١٠٢ و ١٠٣ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٢ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٠ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٣ .

الثانية: إنّهم من ذوي البصائر الحيّة، والنفوس اليقظة، وقد خفّوا لنصرة الإمام الحسين عليه السلام على بصيرة من أمرهم لا طمعاً في المال ولا الجاه.

الثالثة: إنّهم يقاتلون قتال المستميت الذي لا أمل له في الحياة، وهم بذلك أقدر على إنزال الهزيمة بأعدائهم الذين تطعّموا بالخيانة والغدر.

ويقول العقّاد في بسالتهم: «وكان مع الحسين نخبة من فرسان العرب كلهم لهم شهرة بالشجاعة والبأس، وسداد الرمي بالسهم، ومضاء الضرب بالسيف، ولن تكون صحبة الحسين غير ذلك بداهة وتقديراً، لا يتوقفان على الشهرة الذائعة والوصف المتواتر؛ لأنّ مزاملة الحسين في تلك الرحلة هي وحدها آية على الشجاعة في ملاقاة الموت...»(١).

إنّه من المؤكد أنّه ليس هناك أحد مَن أصحابه من يطمع في عرض من أعراض الدنيا، ولا يلتمس أجراً غير ثواب الله والدار الآخرة، وكان كل واحد منهم يتمتع بقوة العزم والأمل.

ثالثاً: الانضباط العسكري

وامتاز معسكر الإمام الحسين عليه السلام بالانضباط العسكري، وقد تجلّى ذلك في أمرين:

١ ـ الدقّة في امتثال الأوامر من القيادة العامة وعدم مخالفتها، فقد طلب العباس من أخيه الإذن فلم يسمح له، فلم يخالفه. وبعد مصرع أهل البيت عليهم السلام طلب منه الرخصه، فأذن له.

٢ ـ أنّه لم يلج أحد ميدان الحرب إلّا بعد أن يحصل على الإذن الصريح من الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) أبو الشهداء: ١٥٠.

عناصر جيش الإمام الحسين عليه السلام

ويتألف جيش الإمام الحسين عليه السلام من عنصرين، وهما:

الأوّل: الموالي

أمّا الموالي فكانوا على علاقة وثيقة بالإمام الحسين عليه السلام نظراً للسياسة العادلة التي تبنّاها الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فيهم، ولو كانت الظروف مهيَّأة لهم لالتحق القسم الكبير منهم بالإمام الحسين عليه السلام، وقد ضمّ جيشه من يلي منهم:

١ ـ سليمان بن رزين مولىً للحسين عليه السلام.

٢ ـ قارب الدؤلي مولىً للحسين عليه السلام.

٣ ـ الحرث بن نبهان مولىً لحمزة بن عبد المطلب.

٤ ـ منجح بن سهم مولىً للحسن عليه السلام.

٥ ـ سالم مولىً لعامر بن مسلم العبدي.

٦ ـ جابر بن الحجّاج مولىً لعامر بن نهشل.

٧ ـ سعد مولىً لعمرو بن خالد الأسدي الصيداوي.

٨ ـ رافع بن عبدالله مولىً لمسلم بن كثير الأزدي.

٩ ـ شوذب مولى لشاكر بن عبدالله الهَمْداني الشاكري.

١٠ ـ أسلم التركي مولىً للحسين عليه السلام.

١١ ـ جون مولى أبي ذر الغفاري.

١٢ ـ زاهر مولىً لعمرو بن الحمق الخزاعي[١].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١٣. اللهوف: ٦٤ و ٦٥. أعيان الشيعة: ٣: ٣٠٣. بحار الأنوار: ٤٥: ٢٢. إبصار العين: ٧٠ ـ ٧٣، ٩٠، ١٠٠، ١٠٣، ١١٢، ١٣٥، ١٤٣، ١٤٨. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٦٤٠.

وهؤلاء الموالي الذين فاقوا الأحرار في شرفهم واندفاعهم لنصرة الحق قد فازوا بنصرة سيد شباب أهل الجنة ونعموا بالشهادة بين يديه.

الثاني: العرب

وبقية أنصار الإمام الحسين عليه السلام الممجّدين كانوا من العرب وأكثرهم من سكان الكوفة، ومن الطريق التحق به وهب، وأمّا من البصرة فإنّه لم يستشهد معه إلّا عدد قليل، كما التحق به من الحجاز الصحابي الكبير أنس بن الحارث الكاهلي، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن معسكر الإمام الحسين عليه السلام.

المعسكر الأموي

أمّا المعسكر الأموي فقد كانوا مجموعة من الخونة وباعة الضمير، وليس فيهم أيّ إنسان شريف، كما كانوا على يقين لا يخامره أدنى شكّ في ضلالة قصدهم، وانحرافهم عن الطريق القويم، وهذه بعض مظاهر ما اتصفوا به:

١ ـ فقدان الإرادة

والظاهرة البارزة في ذلك الجيش فقدانه لإرادته واختياره، فقد كان أكثرهم ـ فيما يقول المؤرخون ـ قلوبهم معه، وسيوفهم مشهورة عليه. لقد خفّوا إلى حرب مَن يعتقدون بعدالة قضيته، وأنّه وحده الذي يحقق أهدافهم وما يصبون إليه، ولو كان عندهم ذرة من الشعور والإحساس لفدوه بأرواحهم ونفوسهم، وما خانوه بعد ما عاهدوا الله في نصرته والذبِّ عنه.

٢ ـ القلق والحيرة

واستوعبت الحيرة وخيانة النفس نفوس الكثيرين من المعسكر الأموي، فقد كانوا على يقين أنّهم على مزلقة الباطل، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه على جادّة

الحق ، وقد أدلى شَبَث بن ربعي ، وهو أحد زعماء ذلك الجيش ومن أركانه القياديين بهذه الظاهرة ، يقول : قاتلنا مع علي بن أبي طالب ، ومع ابنه الحسن من بعده آلَ أبي سفيان خمس سنين ، ثمّ عدونا على ولده وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ، ضلال يالك من ضلال ! والله لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ، ولا يسددهم لرشد[١] .

وكشفت هذه الكلمات عن مدى القلق النفسي الذي كان يساور شَبَث بن ربعي ، ولا شك أنّ هناك المئات من أمثاله ممّن كانوا يجدون في قرارة نفوسهم تأنيباً حادّاً على حربهم لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما أنّ الكثيرين منهم كانوا يحجمون عن الدخول في عمليات الحرب ، وقد لمس ذلك فيهم عمرو بن الحجّاج ، فاندفع يقول لهم : لا ترتابوا في قتال مَن مَرق مِن الدين[٢] .

ومن مظاهر تلك الحيرة أنّه لم يؤثر عن أحد أنّه أنشد رجزاً[٣] أشاد فيه بالغاية التي كان ينشدها ويقاتل من أجلها الإمام الحسين عليه السلام ، فقد كُمّت الأفواه وأُخرست الألسن ، وإنّما كان الرجز من أصحاب الإمام الحسين وأهل بيته ، فقد مثّل أهدافهم ومبادئهم التي استشهدوا من أجلها ، لقد كان الرجز هو النشيد العسكري السائد في تلك العصور فبه يتغنّى المقاتلون في أثناء الحرب ، ويفتخرون بشجاعتهم وبطولاتهم ، ويتوعّدون أعداءهم بالقتل والهزيمة ، لقد أصبح الرجز في تلك المعارك كسلاح من أسلحة القتال يعتمد عليه المقاتلون كما يعتمدون على آلات الحروب من السيوف والسهام والرماح ، ففي واقعة الجمل كان أصحاب عائشة

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٤.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٣.

(٣) يقول ابن حبيب : «كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى » ـ الأغاني : ٢١ : ٢٥.

ينشدون الرجز الذي يمثّل اندفاعهم نحو أُمِّهم ، وأصحاب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام كانوا يذكرون في رجزهم دفاعهم عنه ؛ فإنّه فرض ديني عليهم ، وكذلك في معركة صفين .

أمّا في واقعة كربلاء فلم يؤثر بيت من الشعر نظمه أو تمثّل به أحد من المعسكر الأموي ، وهو آية على شيوع الحيرة والتردد في نفوسهم ، فقد عرفوا جميعاً عرفاناً لا تسعه المغالطة ولا الإنكار إثمَ ما اقترفوه وأنّهم قد ارتطموا في الباطل وماجوا في الضلال .

٣ـ الفسق

وطائفة كبيرة كانت في الجيش الأموي قد عرفت بالفسق والتحلل ، فقد كانوا من المدمنين على الخمر . ويقول المؤرخون : إنّ الذين حملوا رؤوس الشهداء إلى دمشق كانوا يشربون الخمر في أثناء الطريق[١] ، وقد ذكرنا في البحوث السابقة بعض ما اتصفوا به من الكذب وعدم الحريجة في الدين .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض صفات ذلك الجيش .

عناصر الجيش

ويتألف الجيش الأموي من عدّة عناصر ، ومن بينها :

الأوّل : الانتهازيون

وهم الذين يخدمون السلطة للرغبة والرهبة ، ويسعون وراء مصالحهم ولا يؤثرون الحق في سلوكهم وتصرفاتهم سوى السعي وراء مصالحهم الخاصة ، وقد شاعت

(١) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٩٣ ، ١٠٢ .

هذه الفئة في معسكر ابن زياد، وأُسندت لها المناصب الحسّاسة في الجيش وهم: عمر بن سعد، وحَجّار بن أبجر، وشَبَث بن ربعي، وشَمِر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، ويزيد بن الحارث، وغيرهم من الذين طلّقوا المعروف ثلاثاً، ولم تصدر منهم في جميع فترات حياتهم أيّة بادرة من بوادر الخير سوى ما يضر الناس، وهم من جملة شهداء الزور الذين شهدوا على حُجْر وأصحابه تزلفاً لزياد بن أبيه لمّا أمرهم بذلك لأجل أن يقرّ معاوية نسبه اللصيق. ومعاوية عليم بهذه الشهادة المزوّرة، ولكن شهوة الوقيعة في كل ترابي حبّذت له قبول الشهادة المزوّرة.

الثاني: المرتزقة

وهناك طائفة كبيرة من الجيش قد اندفعوا لحرب الإمام الحسين عليه السلام تسوقهم الأطماع الرخيصة، والأمل على حصول مغنم في الحرب، وقد هرعوا بخسّة ـ بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام ـ إلى السلب والنهب، فمالوا على ثقل الإمام الحسين عليه السلام ومتاعه فنهبوه، وعمدوا إلى سلب حرائر النبوة وعقائل الوحي فلم يتركوا ما عليهن من حلي وحلل، وعمدوا إلى سلب ما على الإمام الحسين عليه السلام وسائر الشهداء من الملابس ولامات الحرب.

ويقول المؤرخون: إنّهم سلبوا جميع ملابس الحسين عليه السلام حتى تركوه عرياناً ليس عليه ما يواري جسده الشريف[١]، وسنعرض لذلك عند التحدّث عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

الثالث: الممسوخون

ومن بين العناصر التي ضمّها المعسكر الأموي الممسوخون، وهم الذين امتلأت

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٩.

صدورهم بالحقد والكراهية لجميع الناس ، وأهم رغباتهم النفسية المذابح الطائشة ، والاندفاع نحو الجريمة تلبية لنداء الجريمة المتأصّلة في نفوسهم .

وقد بالغت تلك الطغمة من الممسوخين في اقتراف الجرائم ، فتسابقوا إلى قتل الأطفال من آل النبيّ وترويع النساء ، وهم يفخرون بما يقترفونه من الخزي والعار ، ومن بين هؤلاء الوحوش الكواسر السفّاح شمر بن ذي الجوشن ، وحرملة بن كاهل ، وحكيم بن الطفيل السنبسي الطائي ، وسنان بن أنس ، وعمرو بن الحجّاج ، وأمثالهم من كلاب الطراد كما سمّاهم بذلك بعض المؤرخين ، وقد صدرت منهم في كربلاء من القساوة ما تترفّع عنه الوحوش والكلاب .

الرابع : المُكْرَهون

وهناك طائفة من الجيش قد أُرغمت على حرب الإمام الحسين عليه السلام ، فقد حملتهم السلطة على الخوض في هذه المعركة ، وكانت عواطفهم ومشاعرهم مع الإمام الحسين عليه السلام ، إلّا أنّ الجبن وخَورَ النفس ، قد منعهم من نصرته ، وهؤلاء لم يشتركوا في الحرب ، وإنّما كانوا يتضرّعون إلى الله في أن ينزل نصره على ابن بنت نبيّه ، وقد أنكر عليهم واحد منهم فقال لهم : هلاّ تهبّوا إلى نصرته والدفاع عنه بدل الدعاء[١] .

وممّا لا شبهة فيه أنّهم قد اقترفوا إثماً عظيماً ، وشاركوا المحاربين في جريمتهم ؛ لأنّهم لم يقوموا بإنقاذ الإمام الحسين عليه السلام وحمايته من المعتدين .

الخامس : الخوارج

ومن بين العناصر التي اشتركت في حرب الإمام الحسين عليه السلام الخوارج ، وهم من أحقد الناس على آل النبيّ صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قد وترهم في واقعة

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٢٤ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٥٩٥ .

النهروان، فتسابقوا إلى قتل العترة الطاهرة للتشفّي منها [١].

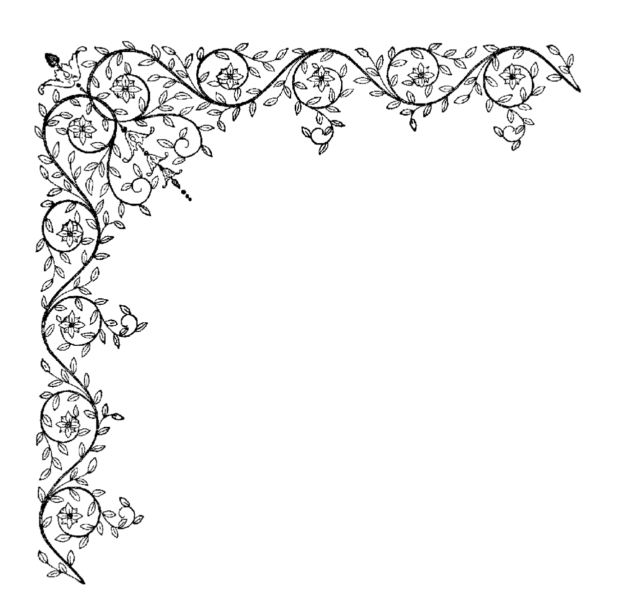
هذه بعض العناصر التي ضمها جيش ابن زياد، وقد جاء وصفهم في إحدى زيارات الإمام الحسين عليه السلام ما نصه: «**وَقَد تَوازَرَ عَلَيْهِ** - أي على حربه - **مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالْأَرذَلِ الْأَدْنىٰ، وَشَرَىٰ آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغطرَسَ وتَرَدَّى فِي هَوَاهُ**» [٢].

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن معسكر الإمام الحسين عليه السلام ومعسكر ابن زياد؛ لنقف على فصول المأساة الخالدة في دنيا الأحزان.

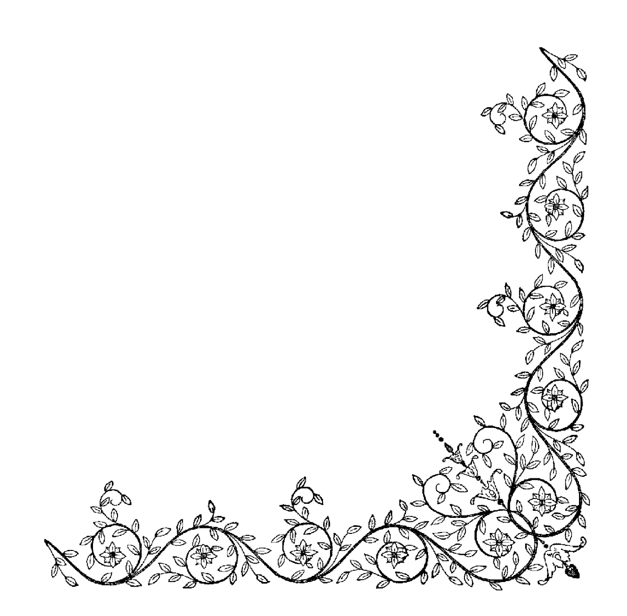
---

(١) الكنى والألقاب: ١: ٤٥.

(٢) كامل الزيارات: ٤٠١، الحديث ٦٣٩. تهذيب الأحكام: ٦: ٤٩ - ٥٣، الحديث ١٣١.



المَأسَاةُ الخَالِدَةُ



ولم تشاهد أُمّة من الأُمم محنة أوجع ولا أفجع من كارثة كربلاء ، فلم تبقَ رزية من رزايا الدهر ، ولا فاجعة من فواجع الدنيا إلّا جرت على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته ، وقد ألهبت رزاياه العواطف حزناً وأسىً ، وأثارت اللوعة حتى عند أقل الناس إحساساً وأقساهم قلباً ، وقد أثّرت على الباغي اللئيم عمر بن سعد فراح يبكي من أهوال ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام من فوادح الخطوب .

لقد انتهكت في كارثة كربلاء حرمة الرسول صلى الله عليه وآله في عترته وذريته . يقول الإمام الرضا عليه السلام : « **إنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنا ، وَأَسْبَلَ دُمُوعَنا ، وَأَذَلَّ عَزِيزَنا . . .** »[1] .

ونعرض إلى فصول تلك المأساة الخالدة في دنيا الأحزان ، وما رافقها من الأحداث الموجعة .

زحف الجيش

وتدافعت القوى الغادرة التي مُلئت نفوسها الشريرة بالأحقاد والأضغان على العترة الطاهرة التي تبنّت حقوق المظلومين والمضطهدين ، وجاهدت من أجل إحقاق الحق .

لقد زحفت طلائع جيش ابن سعد نحو الإمام الحسين عليه السلام في عصر الخميس

---

(١) الأمالي / الصدوق : ١٩٠ . روضة الواعظين : ١٦٩ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٨٦ .

لتسع خلون من المحرم ، فقد صدرت إلى القيادة العامة الأوامر المشددة من ابن زياد بتعجيل القتال خوفاً من أن يتبلور رأي الجيش ويحدث انقسام في صفوفه .

ولمّا زحف ذلك الجيش كان الإمام الحسين عليه السلام جالساً أمام بيته محتبياً بسيفه ؛ إذ خفق برأسه ، فسمعت أُخته عقيلة بني هاشم زينب عليها السلام أصوات الرجال وتدافعهم نحو أخيها ، فانبرت إليه وهي فزعة مرعوبة لا لتردّ عنه القضاء ، ولا لتنبهه إلى خطورة الموقف ، ولا لتثير حميته إلى قتالٍ كان راغباً عنه حقناً للدم الإسلامي ، ولكن لتقول له في همس حنون : يا أخي أما تسمع أنّ الأصوات تقترب ؟! فرفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه فرأى أُخته ، فقال لها بعزم وثبات : **إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله في الْمَنامِ ، فَقالَ : إِنَّكَ تَرُوحُ إِلَيْنا** .

وذابت نفس العقيلة ، وانهارت قواها ، فلطمت وجهها ، وقالت بنبرات حزينة : يا ويلتاه .

والتفت أبو الفضل العباس إلى أخيه فقال له : يا أخي أتاك القوم ، فطلب منه الإمام الحسين عليه السلام أن يتعرّف على خبرهم قائلاً له : **إِرْكَبْ بِنَفْسِي أَنْتَ يا أَخِي حَتّىٰ تَلْقاهُمْ ، وَتَقُولَ لَهُمْ : ما لَكُمْ وَما بَدا لَكُمْ ، وَتَسْأَلَهُمْ عَمّا جاءَ بِهِمْ ؟**(١) .

وأسرع أبو الفضل نحوهم ، ومعه عشرون فارساً من أصحابه ، وفيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر ، وسألهم العباس عن زحفهم ، فقالوا له : جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم(٢) .

وقفل العباس إلى أخيه يعرض عليه الأمر ، وأقبل حبيب بن مظاهر على القوم

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩٠ . روضة الواعظين : ١٨٣ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٣٩١ . الفتوح : ٥ : ٩٧ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٦ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٤ و ٢٨٥ . البداية والنهاية : ٨ : ١٧٨ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٢ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٦ . البداية والنهاية : ٨ : ١٧٨ .

فجعل يعظهم، ويذكرهم الدار الآخرة قائلاً: أما والله لبئس القوم يقدمون غداً على الله عزّ وجلّ، وعلى رسوله محمّد صلى الله عليه وآله، وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المجتهدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار، وشيعته الأتقياء الأبرار.

فردّ عليه عَزرَة بن قيس قائلاً: يابن مظاهر، إنّك لتزكّي نفسك!

وانبرى إليه زهير بن القين قائلاً: اتقِ الله يابن قيس، ولا تكن من الذين يعينون على الضلال، ويقتلون النفس الزكية الطاهرة عترة خيرة الأنبياء(١).

فقال له عزرة: كنت عندنا عثمانياً فما بالك؟

فقال زهير: والله ما كتبت إلى الحسين، ولا أرسلت إليه رسولاً، ولكن الطريق جمعني وإياه، فلمّا رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفت ما تقدمون من غدركم ونكثكم، وميلكم إلى الدنيا فرأيت أن أنصره، وأكون في حزبه حفظاً لما ضيّعتم من حق رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

وعرض أبو الفضل مقالة القوم على أخيه، فقال له: «**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُؤَخِّرَهُمْ إِلَى الْغَدْوَةِ وَتَدْفَعَهُمْ عَنّا الْعَشِيَّةَ لَعَلَّنا نُصَلِّيَ لِرَبِّنا هٰذِهِ اللَّيْلَةِ، وَنَدْعُوهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ الصَّلاةَ، وَتِلَاوَةَ كِتابِهِ وَكَثْرَةَ الدُّعاءِ وَالْإِسْتِغْفارِ**»(٣).

ورجع إليهم أبو الفضل العباس، فأخبرهم بكلام أخيه، وعرض ابن سعد الأمر على شمر بن ذي الجوشن خوفاً من وشايته إذا استجاب لطلب الإمام الحسين عليه السلام وأخّر القتال، فقد كان المنافس الوحيد له على إمارة الجيش كما كان عيناً عليه، أو أنّه أراد أن يكون شريكاً له في المسؤولية فيما إذا عاتبه ابن زياد على تأخير الحرب.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٦ و ٦١٧. الفتوح: ٥: ٩٨.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٣٩٢. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٧.

(٣) الإرشاد / المفيد: ٢: ٩٠ و ٩١. اللهوف: ٥٤.

وعلى أيّة حال فإنّ شمر بن ذي الجوشن لم يُبدِ رأيه في الموضوع ، وإنّما أحاله لابن سعد ، وانبرى عمرو بن الحجّاج الزبيدي فأنكر عليهم إحجامهم عن إجابة الإمام الحسين عليه السلام ، قائلاً : سبحان الله ! والله لو كان من الديلم ثمّ سألكم هذه المسألة لكان ينبغي أن تجيبوه[١] .

ولم يزد ابن الحجّاج على ذلك ، فلم يقل : إنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، خوفاً من أن تنقل الاستخبارات العسكرية حديثه إلى ابن مرجانة فينال العقاب أو العتاب والحرمان منه .

وأيّد ابن الأشعث مقالة ابن الحجّاج ، فقال لابن سعد : أجبهم إلى ما سألوا ، فلعمري ليصبحنّك بالقتال غداً .

وإنما قال ابن الأشعث ذلك ؛ لأنّه حسب أنّ الإمام الحسين عليه السلام يتنازل لابن زياد ، فلذا رغب في تأخير القتال ، إلّا أنّه لمّا استبان له أنّ الإمام الحسين عليه السلام مصمم على الحرب ، ندم على كلامه ، وراح ابن سعد يقول : والله ، لو أعلم أنّهم يفعلون ما أخّرتهم[٢] .

لقد اتّخذ ابن الأشعث من خلقه وأخلاق أهل الكوفة مقياساً يقيس به قيم الرجال فظنّ أنّ الإمام الحسين عليه السلام سوف يستجيب للذل والهوان ويتنازل عن أداء رسالته الكبرى ، ولم يعلم أنّ الإمام الحسين عليه السلام يستمد واقعه واتجاهاته من جدّه العظيم .

تأجيل الحرب إلى الصبح

واستجاب ابن سعد إلى تأجيل الحرب بعد أن رضيت به أكثرية القادة من جيشه ،

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٢ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٧ . المنتظم : ٥ : ٣٣٧ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٥٨ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٢ و ٣٩٣ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٣١٦ .

وأوعز ابن سعد إلى رجل من أصحابه أن يعلن ذلك، فدنا من معسكر الحسين وصاح: يا شيعة الحسين بن عليّ، قد أجّلناكم يومكم هذا إلى غدٍ، فإن استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجّهنا بكم إليه، وإن أبيتم ناجزناكم[١]. وأُرجئ القتال إلى اليوم العاشر من المحرّم وظل أصحاب ابن سعد ينتظرون الغد، هل يجيبهم الإمام الحسين عليه السلام أو يرفض ما دعوه إليه؟

الإمام عليه السلام يأذن لأصحابه بالتفرّق

وجمع عليه السلام أصحابه وأهل بيته ليلة العاشر من المحرّم، وطلب منهم أن ينطلقوا في رحاب الأرض ويتركوه وحده ليلقى مصيره المحتوم، وقد أراد أن يكونوا على هدىً وبيّنة من أمرهم، فقال لهم: «**أُثْنِي عَلَى اللهِ أَحْسَنَ الثَّناءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ، اللّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلىٰ أَنْ أَكْرَمْتَنا بِالنُّبُوَّةِ وَعَلَّمْتَنا الْقُرْآنَ، وَفَهَّمْتَنا فِي الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنا أَسْماعاً وأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً، وَلَمْ تَجْعَلْنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.**

أَمّا بَعْدُ، فَإِنِّي لا أَعْلَمُ أَصْحاباً أَوْفىٰ وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزاكُمُ اللهُ جَمِيعاً عَنِّي خَيْراً، أَلَا وَإِنِّي لَأَظُنُّ يَوْمَنا مِنْ هٰؤُلَاءِ الْأَعْداءِ غَداً، وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ جَمِيعاً، فَانْطَلِقُوا في حِلٍّ لَيْسَ عَلَيكُمْ مِنِّي ذِمامٌ، وهٰذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذوهُ جَمَلاً، وَلْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزاكُمُ اللهُ جَميعاً خَيْراً، ثُمَّ تَفَرَّقُوا في سَوادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ حَتّىٰ يُفَرِّجَ اللهُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّما يَطْلُبُونَنَي، وَلَوْ أَصابُونِي لَهَوا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي»[٢].

---

(١) الفتوح: ٥: ٩٩. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٧ و ٦١٨.

(٢) المنتظم: ٥: ٣٣٧ و ٣٣٨. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٥. الإرشاد / المفيد: ٢: ٩١. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٨.

وروي كلامه بصورة أُخرى، فقد جاء في تفسير العسكري عليه السلام: ١٧٨ و ١٧٩: أنّه عليه السلام قال: **أَنْتُمْ في حِلٍّ مِنْ بَيْعَتِي، فَالْحَقُوا بِعَشَائِرِكُمْ وَمَوالِيكُمْ.** ⇦

وتمثّلت روعة الإيمان بهذا الخطاب العظيم الذي كشف جانباً كبيراً عن نفسية رائد الكرامة الإنسانية ، فقد تجنّب في هذا الموقف الدقيق جميع ألوان المنعطفات ، فجعل أصحابه وأهل بيته أمام الأمر الواقع ، وحدّد لهم النتيجة التي لا مفرّ منها وهي القتل والتضحية وليس هناك شيء آخر غيرها ، وقد رغب أن يخلّوا عنه ، وينصرفوا تحت جنح الظلام ، فيتّخذون منه ستاراً دون كل عين فلعلّهم يخجلون أن يبتعدوا عنه في ضوء النهار ، أو أنّهم يخشونه فجعلهم في حلّ من التزاماتهم تجاهه ، وعرّفهم أنّه بالذات هو الهدف لتلك الوحوش الكاسرة ، فإذا ظفروا به فلا أرب لهم في طلب غيره . ومن المؤكّد أنّ عمر بن سعد ، أو ابن زياد لو أذنا لمن معهم من الجيوش وسمحوا لهم بالتفرّق لما بقي أكثرهم في ساحة الحرب ؛ وذلك لعدم إيمانهم بهذه الحرب .

جواب أهل بيته عليهم السلام

ولم يكد يفرغ الإمام الحسين عليه السلام من كلماته حتى هبّت الصفوة الطيبة من أهل

⇦ وقال لأهل بيته : **قَدْ جَعَلْتُكُمْ في حِلٍّ مِنْ مُفارَقَتِي ، فَإِنَّكُمْ لا تُطِيقُوهُمْ ، لتَضاعُفِ أَعْدادِهِمْ وَقُواهُمْ وَمَا الْمَقْصُودُ غَيْرِي ، فَدَعُونِي وَالْقَوْمَ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعِينُنِي وَلا يُخَلِّينِي مِنْ حُسْنِ نَظَرِهِ كَعادَتِهِ مَعَ أَسْلافِنا الطَّيِّبِينَ** ، ففارقه جماعة من معسكره .

فقال له أهله : لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك ، ويصيبنا ما يصيبك ، وإنّا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنّا معك .

فقال لهم : **إِنْ كُنْتُمْ وَطَّنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلىٰ مَا وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ إِنَّما يَهَبُ الْمَنازِلَ الشَّرِيفَةَ لِعِبادِهِ ؛ لِاحْتِمالِ الْمَكارِهِ ، وَأَنَّ اللهَ كَانَ خَصَّنِي مَعَ مَنْ مَضىٰ مِنْ أَهْلِيَ الَّذِينَ أَنا آخِرُهُمْ بَقَاءً في الدُّنْيا مِنَ الْكَراماتِ بِمَا يُسَهِّلُ عَلَيَّ مَعَها احْتِمالَ الْمَكْرُوهاتِ ، فَإِنَّ لَكُمْ شَطْراً مِنْ كَراماتِ اللهِ .**

وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيا حُلْوَهَا وَمُرَّها حُلُمٌ ، وَالْإِنْتِباهُ في الْآخِرَةِ ، وَالْفائِزُ مَنْ فازَ فِيها ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِيها .

بيته ، وهم يعلنون اختيار الطريق الذي يسلكه ، ويتبعونه في مسيرته ولا يختارون غير منهجه ، فانبروا جميعاً وعيونهم تفيض دموعاً قائلين : لِمَ نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله ذلك أبداً .

بدأهم بهذا القول أخوه أبو الفضل العباس ، وتابعته الفتية الطيبة من أبناء الأُسرة النبوية ، والتفت الإمام الحسين عليه‌السلام إلى أبناء عمّه من بني عقيل ، فقال لهم : **حَسْبُكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمُسْلِمٍ ، اذْهَبُوا فَقَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ** .

وهبّ فتية آل عقيل تتعالى أصواتهم قائلين بلسان واحد : إذاً ما يقول النـاس ؟ وما نقول ؟ إنّا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرمِ معهم بسهم ، ولم نطعن برمح ، ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا ؟ لا واللهِ لا نفعل ، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا نقاتل معك ، حتى نرد مـوردك ، فـقبّح الله العـيش بعدك[1] .

جواب الأصحاب رضي‌الله‌عنهم

وأُترعت قلوب أصحابه إيماناً ، فقد صهرهم أبو عبدالله عليه‌السلام بمُثُلِهِ التي لا تُحدّ ، فقد رأوا فضائله ومزاياه ، واندفاعه نحو الحق ، وأنّه لم يكن يسعى بأيّة حال لجاه أو مال أو سيادة ، وأنّه قد رفض كل مساومة على حساب أُمته ودينه ، ممّا أثّر في أعماق قلوبهم فاستهانوا بالحياة وسخروا من الموت ، وقد اندفعوا يعلنون له الفداء والتضحية ، وهذه كلمات بعضهم :

١ ـ مسلم بن عوسجة رضي‌الله‌عنه

وانبرى مسلم بن عوسجة ودموعه تتبلور عـلى وجـهه فـخاطب الإمـام قـائلاً :

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩١ و ٩٢ . تـاريخ الأُمـم والمـلوك : ٤ : ٦١٩ . الكـامل فـي التـاريخ : ٣ : ٢٨٥ .

أنحن نُخلّي عنك ؟ ! وبماذا نُعذر إلى الله سبحانه في أداء حقّك .

أما واللهِ حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم لقذفتهم بالحجارة ، واللهِ لا نخلّيك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ...(١) .

وعبّرت هذه الكلمات عن عميق إيمانه ، فهو يرى أنّه مسؤول أمام الله عن أداء حق ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّه سيبذل جميع طاقاته في الدفاع عنه .

٢ ـ سعيد بن عبدالله رضي الله عنه

وتكلّم سعيد بن عبدالله الحنفي فأعلن ولاءه الصادق للإمام الحسين عليه السلام قائلاً : والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسوله صلى الله عليه وآله فيك .

والله لو علمتُ أنّي أُقتل ثمّ أُحيا ثمّ أُحرق ثمّ أُذرّ ، يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً ؟ !(٢) .

وليس في قاموس الوفاء أنبل ولا أصدق من هذا الوفاء ، إنّه يتمنّى أن تجرى عليه عملية القتل سبعين مرّة ليفدي الإمام الحسين عليه السلام ويحفظ غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكيف لا يستطيب الموت في سبيله ؟ ! وإنّما هو مرّة واحدة ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها .

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩٢ . اللهوف : ٥٦ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٣ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٩ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٥ .

(٢) اللهوف : ٥٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٩ . البداية والنهاية : ٨ : ١٧٨ و ١٧٩ .
وفي أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٣ ، ذكر أنّه تكلّم ، ولم يذكر نصّ كلامه .

٣ـ زهير بن القين رضي الله عنه

وانطلق زهير فأعلن نفس الاتجاه الذي أعلنه إخوانه قائلاً: والله، لوددت أنّي قتلت ثمّ نشرت، ثمّ قتلت حتى أُقتل هكذا ألف مرّة، وأنّ الله عزّ وجلّ يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك[١].

لقد ارتفع هؤلاء الأبطال إلى مستوىً من النبل لم يبلغه أيّ إنسان، فأعطوا الدروس المشرقة للفداء في سبيل الحق.

وانبرى بقية أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فأعلنوا الترحيب بالموت في سبيله والتفاني في الفداء من أجله، فجزّاهم الإمام الحسين عليه السلام خيراً[٢]، وأكّد لهم جميعاً أنّهم سيلاقون حتفهم، فهتفوا جميعاً: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقتل معك، أو لا نرضى أن نكون معك في درجتك يابن رسول الله[٣].

لقد اختبرهم الإمام عليه السلام فوجدهم من خيرة الرجال صدقاً ووفاء، قد أشرقت نفوسهم بنور الإيمان، وتحرروا من جميع شواغل الحياة، وآمنوا أنّهم صائرون إلى الفردوس الأعلى، وكانوا ـ فيما يقول المؤرخون ـ في ظمأ إلى الشهادة ليفوزوا بنعيم الآخرة.

الإمام عليه السلام يكشف مكيدة أهل الكوفة

وكشف الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه مكيدة أهل الكوفة له في رسائلهم التي بعثوها إليه بالقدوم لمصرهم قائلاً: **وَما كانَتْ كُتُبُ مَنْ كَتَبَ إِلَيَّ ـ فِيما أَظُنُّ ـ**

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٩٢. اللهوف: ٥٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٩.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ٩٣. اللهوف: ٥٦. أنساب الأشراف: ٣: ٣٩٣. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٩. المنتظم: ٥: ٣٣٨.

(٣) نفس المهموم: ٢٠٨. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٢٦١.

إلّا مَكِيْدَةً لِي ، وَتَقَرُّباً إِلَى ابْنِ مُعاوِيَةَ(١) .

إنّ الرسائل التي كتبها أكثر أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام إنّما كانت بإيعاز من يزيد ؛ لأجل أن يقدم إليهم فيقتلوه ، ولم يكن استدعاؤهم إياه وإلحاحهم عليه ليلحق بهم كي يستخلصوا له الخلافة من البيت الأموي غير خديعة للإيقاع به والقضاء عليه حتى لا يكون هناك معارض أو مطالب بحق في خلافة المسلمين .

مع محمّد بن بشير رضي الله عنه

ومن بين أصحاب الإمام الذين بلغوا أعلى المستويات في الإيمان محمّد بن بشير الحضرمي ، وقد بلغه أنّ ابنه قد أُسِرَ بثغر الري ، فقال : ما أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده حيّاً . واستشعر الإمام الحسين عليه السلام من هذه الكلمات رغبته في إنقاذ ابنه من الأسر ، فَأَذِنَ له في التخلّي عنه قائلاً : « **أَنْتَ فِي حِلٍّ فاعْمَلْ فِي فَكاكِ وَلَدِكَ** » ، فاندفع البطل العظيم يعلن تصميمه الصادق على ملازمة الإمام الحسين عليه السلام ، والفداء في سبيله قائلاً : أكلتني السِّباعُ حيّاً إن فارقتك(٢) .

أليس هذا أصدق مثل للإيمان العميق ، والفداء الرائع في سبيل الإمام ؟! لقد أحبّوه وأخلصوا له ، واستهانوا بالموت من أجله .

انهزام فراس المخزومي

وكانت لفراس بن جعدة بن هبيرة المخزومي رحم ماسّة مع الإمام الحسين عليه السلام ، فإنّ أُمّه أُمّ هانئ بنت أبي طالب ، وكان ممّن كاتب الإمام الحسين عليه السلام بالثورة على الأُمويين أيام معاوية ، وقد التحق به في مكة ، وسايره في هذه المدّة حتى انتهى إلى

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٣ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ١٨٢ . تذهيب التهذيب : ١ : ١٥٠ .

العراق ، إلّا أنّه لمّا رأى صعوبة الأمر وتظافر الجيوش على حربه هاله الأمر ، وجبن عن الحرب ، واستولى عليه الرعب والخوف . وقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام اضطرابه فأذن له في الانصراف ، فانهزم في جنح الليل البهيم ولم يحضَ بالشهادة[١] . كما أنّ قوماً آخرين قد انهزموا ولم يفوزوا بنصرته[٢] .

الإمام عليه السلام لا يأذن للمقاتل إذا كان عليه دين

وروى الطبراني : أنّ الإمام الحسين عليه السلام أمر منادياً ينادي في أصحابه : **لَا يُقْتَلُ مَعَنا رَجُلٌ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ** .

فقام إليه رجل من أصحابه فقال له : إنّ عليَّ دَيناً وقد ضمنته زوجتي .

فقال عليه السلام : **وَما ضَمانُ امْرأَةٍ ؟ !**[٣] .

لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يكون المستشهد بين يديه متحرّجاً في دِينه ، خالي الذمة من حقوق الناس وأموالهم .

إلّا أنّ هنا إشكالاً ، فقد أنكر الإمام الحسين عليه السلام ضمان المرأة لما في ذمة زوجها من دَين ، والحال أنّ القواعد الفقهية مجمعة على صحة ضمان المرأة للأموال

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٨٨ .

(٢) روت السيدة سكينة قالت : « سمعت أبي يقول لمن كان معه : **أَنْتُمْ جِئْتُمْ مَعِيَ لِعِلْمِكُمْ أَنِّي آتِي إلىٰ جَماعَةٍ بَايَعُونِي قَلْباً وَلِساناً ، وَالْآنَ تَجِدُونَهُم قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ ، وَنَسُوا ذِكْرَ اللهِ ، فَلَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ إلَّا قَتْلِي ، وَقَتْلَ مَنْ يُجاهِدُ مَعِي ، وَأَخافُ أَلَّا تَعْلَمُوا ذلِكَ ، أَوْ تَعْلَمُوا وَلَا تَتَفَرَّقُوا حَياءً مِنِّي ، وَيَحْرُمُ الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ عِنْدَنا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَكُلُّ مَنْ يَكْرَهُ نُصْرَتَنا فَلْيَذْهَبِ اللَّيْلَةَ السّاتِرَةَ** .

قالت سكينة : فتفرّق القوم من نحو عشرة وعشرين حتى لم يبقَ معه إلّا ما ينقص عن الثمانين » ـ الدمعة الساكبة : ٤ : ٢٧١ و ٢٧٢ .

(٣) المعجم الكبير : ٣ : ١٢٣ ، الرقم ٢٨٧٢ .

وغيرها، ومساواتها للرجل في هذه الجهة. وفيما نحسب أنّ الجملة الأخيرة من الموضوعات.

الإمام الحسين عليه السلام ينعى نفسه

وأقبل الإمام الحسين عليه السلام إلى خيمته فجعل يعالج سيفه ويصلحه، وهو يقول:

يا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ ... كَمْ لَكَ بِالإشراقِ وَالأَصِيلِ
مِن صاحِبٍ وَطالِبٍ قَتِيلِ ... وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالبَدِيلِ
وَإِنَّما الأَمْرُ إِلَى الجَلِيلِ ... وَكُلُّ حَيٍّ سالِكٌ سَبِيلِ[١]

وقد نعى نفسه الشريفة بهذه الأبيات، وكان في الخيمة الإمام زين العابدين عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام، أمّا الإمام زين العابدين عليه السلام فلمّا سمع كلام أبيه عرف ما أراد فخنقته العبرة ولزم السكوت، وعلم أنّ البلاء قد نزل حسبما يقول.

وأمّا عقيلة بني هاشم فإنّها لمّا سمعت هذه الأبيات أحسّت أنّ شقيقها وبقية أهلها عازمون على الموت ومصمّمون على الشهادة، فأمسكت قلبها في ذعر، ووثبت وهي تجرّ أذيالها، وقد فاضت عيناها بالدموع، فقالت لأخيها بنبرات لفظت فيها شظايا قلبها: واثكلاه! واحزناه! ليت الموت أعدمني الحياة، يا حسيناه، يا سيّداه، يا بقية أهل بيتاه، استسلمت ويئست من الحياة.

اليوم مات جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأُمي فاطمة الزهراء، وأبي عليّ، وأخي الحسن، يا بقية الماضين وثِمال[٢] الباقين.

فقال لها بحنان: **يا أُخَيَّةُ، لَا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكِ الشَّيْطانُ**.

وانبرت العقيلة إلى أخيها وهي شاحبة اللون قد مزّق الأسى قلبها الرقيق المعذّب

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٥٧. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٥. ينابيع المودّة: ٣: ٦٣ و ٦٤.

(٢) **الثِّمال**: الغياث والعِماد والملجأ والمطعم بالشدّة. لسان العرب: ٢: ١٣٠ ـ ثَمَلَ.

فقالت له بأسىً والتياع: أتغتصب نفسك اغتصاباً ؟! فذاك أطول لحزني وأشجى لقلبي[١].

ولم تملك صبرها بعدما أيقنت أنّ شقيقها مقتول، فعمدت إلى جيبها فشقّته، ولطمت وجهها، وخرّت على الأرض فاقدة لوعيها، وشاركتها النسوة في المحنة القاسية. وصاحت السيدة أُمّ كلثوم: وامحمّداه، واعليّاه، واأُمّاه، واحسيناه، واضيعتنا بعدك.

وأثّر المنظر الرهيب في نفس الإمام الحسينعليه السلام، فذاب قلبه الزاكي أسىً وحسرات، وتقدّم إلى السيدات من بنات الوحي فجعل يأمرهن بالخلود إلى الصبر والتحمّل لأعباء هذه المحنة الكبرى قائلاً: **يا أُخْتاهُ، يا أُمَّ كُلثُومٍ، وَأَنْتِ يا زَيْنَبُ، وَأَنْتِ يا فاطِمَةُ، وَأَنْتِ يا رَبابُ، اُنظُرْنَ إذا قُتِلْتُ فَلَا تَشْقُقْنَ عَلَيَّ جَيْباً، وَلَا تَخْمُشْنَ وَجْهاً، وَلَا تَقُلْنَ هَجْراً**[٢].

لقد عانى الإمام العظيم ألواناً قاسية ومذهلة من المحن والخطوب كانت بقدر إيمانه بالله، فلم يكد يفرغ من محنة حتى يواجهه سيل من المحن الكبرى التي لا يطيقها أيّ إنسان.

التخطيط العسكري

ووضع الإمام الحسينعليه السلام أرقى المخططات العسكرية وأدقّها في ذلك العصر، فنظّم جبهته تنظيماً رائعاً، فقد عقدعليه السلام لواءه ودفعه إلى أخيه العباس الأكبر، فحمله بين يديه إلى حين التحام تلك الحرب، وعقدعليه السلام رايتين دفع إحداهما لقائد الجبهة

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٣٩٣. الفتوح: ٥: ٨٤. المنتظم: ٥: ٣٣٨. البداية والنهاية: ٨: ١٧٩. السيّدة زينب وأخبار الزينبيّات: ٢٠ و ٢١.

(٢) مقتل الحسينعليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٣٨.

اليمنى زهير بن القين البجلي ، والأُخرى لقائد الجبهة اليسرى حبيب بن مظاهر الأسدي ، وأحاط معسكره بكثير من الحماية ، فقد خرج في غلس الليل البهيم ، وكان معه نافع بن هلال ، فجعل يتفقّد التلاع والروابي وينظر إليها بدقّة مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الأعداء حين الحرب[١] ، وقد أمر أصحابه بصنع ما يلي :

أوّلاً: مقاربة البيوت بعضها من بعض ، بما في ذلك بيوت الهاشميين والأصحاب . وفيما نحسب أنّها كانت عدّة صفوف من كل جهة لا صفاً واحداً ، وإنّما صنع ذلك لئلا يكون هناك مجال لتسرّب العدو وتخلله من بينها[٢] .

ثانياً: حَفْر خندق من الخلف محيط بخيم أهله وعياله وأصحابه ، ومَلْؤُه بالحطب ، لإشعال النار فيه وقت الحرب[٣] ، وكان الخندق على شكل هلال ، وكان محيطاً بجيشه ومخيمه من الجنبات الثلاث اليمين واليسار والوراء ، وإنّما أمر بذلك لما يلي :

١ ـ أن تكون عوائلهم في مأمن من العدو أثناء العمليات الحربية ، فإنّه لا يتمكن من اقتحام النار والهجوم عليها .

٢ ـ استقبال العدو من جهة واحدة ، وعدم تعدد الجهات القتالية نظراً لقلّة أصحابه ؛ ولولا هذا التدبير لأحاط بهم العدو من الجهات الأربع وقضي عليهم في فترة وجيزة ، وما طالت الحرب يوماً كاملاً .

هذه بعض المخططات التي اتخذها الإمام الحسين عليه السلام وهي تدل على مدى إحاطته التامة بالتنظيمات العسكرية ووقوفه على دقائقها .

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢: ٩٥. الدمعة الساكبة : ٤: ٢٧٨ و ٢٧٩. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٢٦٥.

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢: ٩٤. أنساب الأشراف : ٣: ٣٩٣ و ٣٩٤. البداية والنهاية : ٨: ١٧٩.

(٣) البداية والنهاية : ٨: ١٨٠. وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ١٩٠.

إحياء الليل بالعبادة

وأقبل الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه على العبادة ، فاتجهوا إلى الله بقلوبهم ومشاعرهم ، فكانوا ـ فيما يقول المؤرخون ـ لهم دويّ كدويّ النحل وهم ما بين راكع وساجد وقارئ للقرآن ، ولم يذق أحد منهم طعم الرقاد[١]. فقد أقبلوا على مناجاة الله والتضرّع إليه ، وهم يسألونه العفو والغفران .

استبشار أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

لقد روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : « **قالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام لِأَصْحابِهِ قَبْلَ أَن يُقْتَلَ : إنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قالَ لِي : يا بُنَيَّ ، إنَّكَ سَتُساقُ إلَى الْعِراقِ ، وَهِيَ أَرْضٌ قَدِ الْتَقَىٰ بِها النَّبِيُّونَ وَأَوْصِياءُ النَّبِيّينَ ، وَهِيَ أَرْضٌ تُدْعىٰ عَمُورا ، وَإِنَّكَ تُسْتَشْهَدُ بِها وَيُسْتَشْهَدُ مَعَكَ جَماعَةٌ مِنْ أَصْحابِكَ لَا يَجِدُونَ أَلَمَ مَسِّ الْحَدِيدِ ، وَتَلا قَوْلَهُ تَعالىٰ : ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إبرَاهِيمَ ﴾[٢] تَكُونُ الْحَرْبُ بَرْداً وَسَلاماً عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ فَأَبْشِرُوا ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَتَلُونا فَإِنّا نَرِدُ عَلىٰ نَبِيِّنا . . .** »[٣] .

واستبشر أصحاب الإمام بالشهادة بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد حدّث المؤرخون عنهم بما يبهر العقول ، فهذا حبيب بن مظاهر خرج إلى أصحابه وهو يضحك قد غمرته الأفراح ، فأنكر عليه برير بن خضير الهمداني قائلاً : ليس هذه بساعة ضحك ؟ !

فأجابه حبيب عن إيمانه العميق قائلاً : أيّ موضع أحق من هذا بالسرور ؟ !

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩٤ . اللهوف : ٥٧ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٤ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٧ .

(٢) الأنبياء ٢١ : ٦٩ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٥ : ٨٠ و ٨١ .

والله ما هو إلّا أن تميل علينا هذه الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور العين[١].

وداعب بريرٌ عبدالرحمن الأنصاري، فاستغرب منه وقال له: ما هذه ساعة باطل؟!

فأجابه برير: لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، ولكنّي مستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلّا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ولوددت أنّهم مالوا علينا بأسيافهم[٢].

وليس في أُسرة شهداء العالم مثل هذا الإيمان الذي تفجّر عن براكين هائلة من اليقين والمعرفة وصدق النية، وعظيم الإخلاص، لقد استبشروا بالفوز في جنان الخلد مع النبيين والصديقين، وأيقنوا أنّهم يموتون أهنأ موتة وأعظمها في تاريخ البشرية في جميع الأجيال والآباد.

سخرية أصحاب الشمر بالإمام الحسين عليه السلام

وكان الإمام الحسين عليه السلام يصلي، وقد أشرف عليه جماعة من أصحاب الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن فسمعه يقرأ في صلاته قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُم خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِم إِنَّمَا نُمْلِي لَهُم لِيَزدَادُوا إِثماً وَلَهُم عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤمِنِيْنَ عَلَى مَا أَنْتُم عَلَيهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾[٣].

فجعل رجل من أصحاب الشمر يهزأ بالإمام الحسين عليه السلام، واندفع رافعاً صوته:

---

(١) رجال الكشي: ٧٩. وفيه: «زيد بن حصين». قاموس الرجال: ٢: ٢٩٣ ـ ١٠٧٦/٢٩٦، ١٠٧٧.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٢٢. البداية والنهاية: ٨: ١٨٠، وفيه: «يزيد بن حصين».

(٣) آل عمران ٣: ١٧٨ و ١٧٩.

نحن وربّ الكعبة الطيبون ، ميّزنا الله منكم[١] .

رؤيا الإمام الحسين عليه السلام

وخفق الإمام الحسين عليه السلام خفقة بعدما أعيته الآلام المرهقة ، فاستيقظ والتفت إلى أصحابه وأهل بيته فقال لهم : **أَتَعْلَمُونَ ما رَأَيْتُ فِي مَنامِي ؟**

قالوا : وما الذي رأيت يابن بنت رسول الله ؟

فقال عليه السلام : **رَأَيْتُ كَأَنَّ كِلَاباً قَدْ شَدَّتْ عَلَيَّ تُناشِبُنِي[٢] ، وَفِيها كَلْبٌ أَبْقَعُ أَشَدُّها عَلَيَّ ، وَأَظُنُّ الَّذِي يَتَوَلّىٰ قَتْلِي رَجُلٌ أَبْقَعُ وَأَبْرَصُ مِنْ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ جَدِّي رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله ، وَمَعَهُ جَماعَةٌ مِنْ أَصْحابِهِ ، وَهُوَ يَقولُ لِي : يا بُنَيَّ ، أَنْتَ شَهِيدُ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَقَدِ اسْتَبْشَرَتْ بِكَ أَهْلُ السَّماواتِ وَأَهْلُ الصَّفْحِ الْأَعْلىٰ ، فَلْيَكُنْ إِفْطارُكَ عِنْدِي اللَّيْلَةَ ، عَجِّلْ وَلَا تُؤَخِّرْ ، فَهٰذا أَثَرُكَ قَدْ نَزَلَ مِنَ السَّماءِ لِيَأْخُذَ دَمَكَ فِي قارُورَةٍ خَضْراءَ ، وَهٰذا ما رَأَيْتُ ، وَقَدْ أَزِفَ الْأَمْرُ وَاقْتَرَبَ الرَّحِيلُ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيا لَا شَكَّ في ذٰلِكَ**[٣] .

وخيَّم على أهل بيته وأصحابه حزن عميق ، وأيقنوا بنزول الرزء القاصم واقتراب الرحيل عن هذه الحياة .

فزع عقائل الوحي

وفزعت عقائل الوحي أشدّ ما يكون الفزع ، فلم يهدأن في تلك الليلة الخالدة

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩٥ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢١ . الفتوح : ٥ : ٩٩ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٠ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٥١ .

(٢) **تناشبني :** مأخوذ من نشب في الشيء إذا وقع فيما لا مخلص منه . القاموس المحيط : ١٧٦ ـ نَشَبَ . وفي رواية : « **تَنْهَشُنِي** » .

(٣) الفتوح : ٥ : ٩٩ و ١٠٠ . كامل الزيارات : ١٥٦ و ١٥٧ ، الحديث ١٩٤ . تاريخ مدينة دمشق : ٢٣ : ١٩٠ و : ٥٥ : ١٦ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٥١ و ٢٥٢ .

في دنيا الأحزان ، وقد طافت بهنَّ تيارات من الهواجس والأفكار ، وتـمثّل أمـامهنَّ المستقبل الملبّد بالكوارث والخطوب ، فماذا سيجري عليهن بعد مفارقة الحماة من أبناء الرسول صلى الله عليه وآله وهنّ في دار غربة قد أحاط بهنّ الأعداء الجفاة ، وخلدن إلى البكاء والعويل والابتهال إلى الله ؛ لينقذهن من هذه المحنة التي تقصم الأصلاب ؟ !

وأمّا أعداء أهل البيت فقد باتوا وهم في شوق إلى إراقة تلك الدماء الزكية ليتقرّبوا بها إلى ابن مرجانة ، وكانت الخيل تدور وراء معسكر الحسين عليه السلام وعليها عزرة بن قيس الأحمسي خوفاً من أن يفوت الحسين عليه السلام من قبضتهم ، أو يلتحق بمعسكره أحد من الناس .

تطيّب الإمام الحسين عليه السلام وحنوطه

واستعدّ الإمام الحسين عليه السلام هو وأصحابه إلى لقـاء الله ، ووطّـنوا أنـفسهم عـلى الموت ، وقد أمر عليه السلام بفسطاط فضرب له ، وأُتي بجفنة فيها مسك ، كما أُتي بالحنوط ، ودخل الفسطاط فتطيّب وتحنّط ، ثمّ دخل من بعده برير فتطيّب وتحنّط ، وهكـذا فعل جميع أصحابه استعداداً للموت والشهادة في سبيل الله[١] .

يوم عاشوراء

وما طلع فجر في سماء الدنيا كفجر اليوم العاشر من المحرم في مآسيه وأحزانه ، ولا أشرقت شمس كتلك الشمس في كآبتها وآلامها ، فليس هناك حادث في التاريخ يفوق في كوارثه وآلامه . تلك المشاهد الحزينة التي تم تمثيلها يوم عاشوراء[٢] على صعيد كربلاء ، فلم تبقَ محنة من محن الدنيا ولا غصة من غصص الدهر إلا جرت

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٦ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٠ .

(٢) **عاشوراء** : اسم لليوم العاشر من المحرم ، قيل : إنّ التسمية قديمة ، وإنّما سمي بذلك لإكرام عشرة من الأنبياء فيه بعشر كرامات ـ مواهب الجليل : ٣ : ٣١٤ .

على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام : « **ما مِنْ يَوْمٍ أَشَدُّ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ، قُتِلَ فِيْهِ عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ ، وَبَعْدَهُ يَوْمُ مُؤْتَةَ قُتِلَ فِيْهِ ابْنُ عَمِّهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طالِبٍ** ».

ثمّ قال عليه السلام : **وَلَا يَوْمٍ كَيَوْمِ الْحُسَيْنِ ازْدَلَفَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ كُلٌّ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِدَمِهِ ، وَهُوَ بِاللهِ يُذَكِّرُهُمْ فَلَا يَتَّعِظُونَ حَتّىٰ قَتَلُوهُ بَغْياً وَظُلْماً وَعُدْواناً** »(١).

وبدأ الإمام العظيم في فجر اليوم العاشر بالصلاة ، وكان فيما يقول المؤرخون : قد تيمّم هو وأصحابه للصلاة نظراً لعدم وجود الماء عندهم ، وقد ائتمّ به أهله وصحبه(٢) ، وقبل أن يتمّوا تعقيبهم دقّت طبول الحرب من معسكر ابن زياد ، واتجهت فرق من الجيش وهي مدجّجة بالسلاح تنادي بالحرب أو النزول على حكم ابن مرجانة .

دعاء الإمام الحسين عليه السلام

وخرج أبيّ الضيم فرأى البيداء قد مُلئت خيلاً ورجالاً ، وقد شهرت السيوف والرماح ، وهم يتعطشون إلى إراقة دمه ودماء البررة من أهل بيته وأصحابه ؛ لينالوا الأجر الزهيد من ابن مرجانة ، فدعا عليه السلام بمصحف فنشره على رأسه ، وأقبل على الله يتضرّع إليه قائلاً : **اللّٰهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي في كُلِّ كَرْبٍ ، وَرَجائِي في كُلِّ شِدَّةٍ ، وَأَنْتَ لِي في كُلِّ**

---

(١) الأمالي / الصدوق : ٥٤٧ ، الحديث ٧٣١ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٢٩٨ .

(٢) حجّة السعادة في حجّة الشهادة / اعتماد السلطنة حسن بن عليّ (فارسي) . ترجمه إلى اللغة العربية الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء ، وهو من مخطوطات مكتبته العامّة .

أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ . كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤادُ ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ ، وَيَشْمَتُ فِيْهِ الْعَدُوُّ ، أَنْزَلْتُهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِواكَ فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ ، وَمُنْتَهىٰ كُلِّ رَغْبَةٍ »[1] .

ويلمس في هذا الدعاء مدى إيمانه العميق ، فقد أناب إلى الله وأخلص له في جميع مهامه ، فهو وليُّه والملجأ الذي يلجأ إليه في كل نازلة نزلت به .

إشعال النار في الخندق

وأمر الإمام الحسين عليه السلام في أول الصبح بإشعال النار في الخندق الذي كان محيطاً بخيم النساء ؛ ليحميها من هجوم الخيل ، حتى لا تتعدد عليهم جبهات القتال وتنحصر في جهة واحدة .

هرير الممسوخين

ولمّا اشتعلت النار في الخندق اشتدّ بعض الممسوخين من معسكر ابن سعد نحو الإمام الحسين عليه السلام كأنّهم الكلاب ، وقد رفعوا أصواتهم بهرير منكر ، ومن بينهم :

١ ـ شمر بن ذي الجوشن

وأقبل الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن على معسكر الإمام الحسين عليه السلام فرفع صوته : يا حسين ، تعجّلت بالنار قبل يوم القيامة ؟ !

فردّ عليه الإمام الحسين عليه السلام : **مَنْ هٰذا ؟ ! كَأَنَّهُ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ .**

فقالوا له : نعم .

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٢ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢١٧ . الكامل في التاريخ : ٢٨٦ و ٢٨٧ . البداية والنهاية : ٨ : ١٧١ .

فقال عليه السلام : **يابْنَ راعِيَةِ الْمِعْزىٰ ؟ أَنْتَ أَوْلىٰ بِها صِلِيّا** (١) .

فرام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام نهاه ، وقال : **إِنّي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِقِتالٍ** (٢) .

٢ ـ محمّد بن الأشعث

واشتدّ الوضر الخبيث محمّد بن الأشعث نحو الإمام الحسين عليه السلام وهو ينادي : يا حسين ، أنت الساعة ترد جهنماً .

فأجابه عليه السلام : **لَعَنَكَ اللهُ وَلَعَنَ أَباكَ وَقَوْمَكَ يابْنَ الْمُرْتَدِّ الْفاجِرِ عَدُوِّ اللهِ وَرَسولِهِ والْمُسْلِمِينَ** .

وروى المجلسي ، أنّ الحسين عليه السلام دعا : « **اللّٰهُمَّ إِنّا أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكَ وَذُرِّيَّتُهُ وَقَرابَتُهُ فَاقْصِمْ مَنْ ظَلَمَنا وَغَصَبَنا حَقَّنا إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ** .

فقال محمّد بن الأشعث : وأيّة قرابة بينك وبين محمّد ؟ !

فقرأ الحسين عليه السلام : ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحَاً وَآلَ إِبرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ * ذُرِّيَةً بَعضُهَا مِنْ بَعْضٍ** ﴾(٣) .

ثمّ قال عليه السلام : **اللّٰهُمَّ أَرِني فِيْهِ الْيَوْمَ ذُلّاً عاجِلاً** .

فبرز ابن الأشعث للحاجة فلسعته عقرب على ذكره ، فسقط وهو يستغيث ويتقلّب

---

(١) ولعل الوارد : « يابن راعي المعزى » ؛ لما ذكره هشام الكلبي : « أنّ امرأة ذي الجوشن خرجت من جبّانة السبيع إلى جبّانة كندة ، فعطشت في الطريق ولاقت راعياً يرعى الغنم ، فطلبت منه الماء فأبى أن يعطيها إلّا بالإصابة منها فمكّنته ، فواقعها الراعي فحملت بشمر » ـ سفينة البحار : ٤ : ٤٩٢ .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩٦ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٣٢٢ .

(٣) آل عمران ٣ : ٣٣ ـ ٣٤ .

على حدثه[١].

٣ـ عبدالله بن حوزة

واندفع الوغد عبدالله بن حوزة إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وصاح: أبشر يا حسين بالنار.

فردّ عليه الإمام الحسين عليه السلام كلامه: **إنِّي أَقْدِمُ عَلَى رَبٍّ رَحِيمٍ، وَشَفِيعٍ مُطاعٍ.**

وسأل عنه فقيل له: إنّه ابن حوزة، فرفع يديه بالدعاء وقال: **اللّٰهُمَّ حُزْهُ إِلَى النّارِ،** فاضطرب به فرسه في جدول فتعلّقت رجله بالركاب وسقط إلى الأرض، وقد نفر به الفرس فجعل يضرب رأسه بالأحجار وأُصول الأشجار حتى هلك[٢].

وقيل: ألقته فرسه في النار المشتعلة بالخندق فاحترق بها، ولمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام سرعة استجابة دعائه رفع صوته قائلاً: **اللّٰهُمَّ إنّا أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّكَ وَذُرِّيَّتُهُ، فَاقْصِمْ مَنْ ظَلَمَنا وَغَصَبَنا حَقَّنا، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ**[٣].

ولمّا رأى ذلك مسروق بن وائل الحضرمي وكان يحدّث نفسه بقتل الإمام الحسين عليه السلام؛ لينال الجائزة من ابن مرجانة ندم على ما فكّر به، وعلم أنّ لأهل البيت حرمة ومكانة عند الله، فترك المعركة وانهزم مخافة غضب الله[٤].

التعبئة العامة في المعسكرين

وقام كلا المعسكرين بتعبئة عامة، فعبّأ الإمام الحسين عليه السلام أصحابه وكانوا اثنين

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ٥٧ و ٥٨. بحار الأنوار: ٤٥: ٣٠٢.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٣٩٩. الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٢. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٣٢٨. تذهيب التهذيب: ١: ١٥٥.

(٣) الفتوح: ٥: ٩٧. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٤٩.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٢٩. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٩.

وثمانين فارساً وراجلاً، وجعل زهير بن القين في الميمنة، وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وثبت هو وأهل بيته في القلب، وأعطى رايته إلى أخيه وعضده أبي الفضل العباس.

وعبّأ ابن سعد جيشه فجعل على ربع أهل المدينة عبدالله بن زهير الأزدي، وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث، وعلى ربع مذحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، وعلى ربع بني تميم وهَمْدان الحر بن يزيد الرياحي، وجعل على ميمنة جيشه عمرو بن الحجّاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجّالة شَبَث بن ربعي من بني عمرو بن تميم ـ وكان مؤذن سجاح المتنبئة في الردة ـ وأعطى الراية دريداً مولاه، وبذلك فقد استعدّ كلا المعسكرين للحرب والقتال(١).

الاحتجاجات الصارمة

ورأى الإمام الحسين عليه السلام مع أعلام أصحابه أن يقيموا الحجّة على أهل الكوفة؛ ليكونوا على بيّنة من أمرهم وبصيرة على ما قدموا عليه من إثم ﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً**﴾(٢)، وقد أعذروا في الدعاء ومنحوا النصيحة لإنقاذ أُولئك الممسوخين من خطر الجريمة التي تؤدّي بهم إلى النار.

خطبة الإمام الحسين عليه السلام

ودعا الإمام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، واتّجه نحو معسكر ابن سعد، وهو بتلك

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٩٥ و ٩٦. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٢٧٥. أنساب الأشراف: ٣: ٣٩٥. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٢١ ـ ٦٢٢. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٦. وفي بعضها: «عزرة» بدل: «عروة»، وكذلك في بعضها «ذويد» أو «زيد» بدل: «دريد».

(٢) مريم ١٩: ٩٠.

الهيبة التي تحكي هيبة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله ، فخطب فيهم خطابه التاريخي الذي هو من أبلغ وأروع ما أُثر في الكلام العربي ، وقد نادى بصوت عالٍ يسمعه جلّهم :

« أَيُّها النّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي وَلَا تَعْجَلُوا حَتّىٰ أَعِظَكُمْ بِما يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ ، وَحَتّىٰ أَعْتَذِرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عُذْرِي ، وَصَدَّقْتُمْ قَوْلِي ، وَأَعْطَيْتُمُونِيَ النَّصَفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنِّيَ الْعُذْرَ وَلَمْ تُعْطُوا النَّصَفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴿فَأَجمِعُوا أَمرَكُم وَشُرَكَاءَكُم ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُم عَلَيْكُم غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾[١] ، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلّى الصّالِحِينَ ﴾[٢] » .

ونقل الأثيرُ كلماته إلى السيدات من عقائل النبوة وحرائر الوحي ، فتصارخن بالبكاء ، وارتفعت أصواتهنّ ، فبعث إليهنّ أخاه العباس وابنه عليّاً ، وقال لهما : **سَكِّتاهُنَّ فَلَعَمْري لَيَكْثُرُ بُكاؤُهُنَّ**[٣] .

ولمّا سكتن استرسل في خطابه فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى الملائكة والأنبياء ، وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ولم يسمع لا قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه ، وقال :

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيا فَجَعَلَها دارَ فَناءٍ وَزَوالٍ ، مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِها حالاً بَعْدَ حالٍ ، فالْمَغرُورُ مَنْ غَرَّتْهُ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ هٰذِهِ

---

(١) يونس عليه السلام ١٠ : ٧١ .

(٢) الأعراف ٧ : ١٩٦ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٣ . الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩٧ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٧ .

الدُّنْيا فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْها، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ فِيْها، وَأَراكُمْ قَدِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمُ اللهَ فِيْهِ عَلَيْكُمْ، وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحَلَّ بِكُمْ نِقْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنا، وَبِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ، أَقْرَرْتُمْ بِالطّاعَةِ، وَآمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِتْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُم. لَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساكُمْ ذِكْرَ اللهِ الْعَظِيمِ، فَتَبّاً لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ، إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمانِهِمْ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمينَ[1].

لقد وعظهم بهذه الكلمات التي تمثّل هدي النبوة، ومحنة الأنبياء في أُممهم، فحذّرهم من فتنة الدنيا وغرورها، ودلل على عواقبها الخاسرة، وأهاب بهم من الإقدام على قتل عترة نبيهم، فإنّهم بذلك يخرجون من الإسلام إلى الكفر، ويستوجبون عذاب الله الخالد، وسخطه الدائم، ثمّ استرسل عليه السلام في خطابه فقال:

أَمّا بَعْدُ، فَانْسِبُونِي فانْظُرُوا مَنْ أَنا؟ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلىٰ أَنْفُسِكُمْ وَعاتِبوها، فَانْظُروا هَلْ يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهاكُ حُرْمَتِي؟!

أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، وَابْنَ وَصِيِّهِ، وَابْنِ عَمِّهِ، وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْمُصَدِّقِ لِرَسُولِهِ بِما جاءَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟ أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَداءِ عَمَّ أَبِي؟! أَوَلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيّارُ عَمِّي؟! أَوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ رَسولِ اللهِ ﷺ لِي وَلأَخِي: هٰذانِ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٠. بحار الأنوار: ٤٥: ٥ و ٦. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٢٧٨ و ٢٧٩. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٥٢ و ٢٥٣.

الْحَقُّ، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ الْكَذِبَ مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَيَضُرُّ بِهِ مَنِ اخْتَلَقَهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ أَخْبَرَكُمْ، سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الْأَنْصارِيِّ، وَأَبا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وسَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السّاعِدِيَّ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَأَنَسَ بْنَ مالِكٍ، يُخبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هٰذِهِ الْمَقالَةَ مِن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لِي وَلِأَخِي، أَما فِي هٰذَا حاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟[1].

لا أعرف خطاباً أرقّ ولا أبلغ من هذا الخطاب، فأيُّ خطيب مهما كان يتمتّع ببراعة البيان؛ فإنّه ليعجز عن الكلام في مثل هذا الموقف الرهيب الذي تخرس فيه الأُسُود، وتُحْجِم فيه الأبطال؟! وكان خليقاً بهذا الخطاب أن يرجع إليهم حوازب أحلامهم، ويحدث انقلاباً فكرياً وعملياً في صفوفهم، لقد دعاهم لأن يرجعوا إلى نفوسهم وعقولهم لو كانوا يملكونها ليمعنوا النظر في شأنه، فهو حفيد نبيِّهم وابن وصيِّه، وألصق الناس وأمسّهم رحماً به، وهو سيد شباب أهل الجنة، وفي ذلك حصانة له من سفك دمه وانتهاك حرمته، إلّا أنّ ذلك الجيش لم يعِ هذا المنطق الفيّاض، فقد خلد إلى الجريمة، واستولى على قلوبهم زيغ قاتم من الضلال فأنساهم ذكر الله.

وانبرى إليه الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن وهو ممّن غرق في الإثم، فقال: هو يعبدالله على حرف إن كان يدري ما يقول؟!

وما كان مثل ذلك الضمير المتحجّر الذي ران عليه الباطل أن يعي منطق الإمام الحسين عليه السلام أو يفهم مقالته.

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٩٧ و ٩٨. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٢٣. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ١: ٢٥٣. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٧. ينابيع المودّة: ٣: ٦٥.

وتصدّى لجوابه حبيب بن مظاهر، فقال له: والله إنّي أراك تعبدالله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

واستمر الإمام الحسينعليه‌السلام في خطابه، فقال:

فَإِنْ كُنْتُمْ في شَكٍّ مِنْ هـٰذَا الْقَوْلِ، أَفَتَشُكُّونَ أَنِّي ابْنُ بِـنْتِ نَـبِيِّكُمْ ؟! فَوَاللهِ ما بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي فِيكُمْ وَلَا في غَيْرِكُمْ، وَيْحَكُمْ أَتَطْلُبُونَنِي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ، أَوْ مالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتُهُ أَوْ بِقَصاصِ جِراحَةٍ.

وزلزلت الأرض تحت أقدامهم، وغدوا حيارى لا يـملكون جـواباً لردّه، فـهم لا يشكّون أنّه ابن بنت رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله وريـحانته، وأنّـهم لا يـطلبونه بـقتيل قـتله، ولا بمال استهلكه منهم.

ثمّ نادى الإمام الحسينعليه‌السلام قـادة الجـيش الذيـن دعـوه بـرسائلهم للـقدوم إلى الكوفة، فقال:

يا شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ، وَيا حَـجّارَ بْـنَ أَبْـجُرَ، وَيـا قَـيْسَ بْـنَ الْأَشْـعَثِ، وَيا يَزِيدَ بْنَ الْحارِثِ، أَلَمْ تَكْـتُبُوا إِلَـيَّ: أَنْ قَـدْ أَيْـنَعَتْ الثِّـمارُ وَاخْـضَرَّ الْجَنابُ وَطُمَّتْ الْجِمامُ، وَإِنَّما تَقْدِمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدَةٍ، فَأَقْبِلْ ؟!

ولم تخجل تلك النفوس من خيانة العهد، وحنث الأيمان، فأجابوه مـجمعين على الكذب: لم نفعل.

واستغرب الإمام الحسينعليه‌السلام منهم ذلك، فقال لهم:

سُبْحانَ اللهِ! بَلىٰ وَاللهِ لَقَدْ فَعَلْتُمْ.

وأعرض عنهم ووجّه خطابه إلى جميع قطعات الجيش، فقال لهم:

أَيُّها النّاسُ ، إِذا كَرِهْتُمُونِي فَدَعُونِي أَنْصَرِفُ عَنْكُمْ إِلىٰ مَأْمَنِي مِنَ الْأَرْضِ .

فانبرى إليه قيس بن الأشعث ـ وهو ممّن عُرف بالغدر والنفاق ، وقد خلع كل شرف وحياء ، وحَسْبُه أنّه من أُسرة لم تنجب شريفاً قط ـ فقال له : أولا تنزل على حكم بني عمّك ؟ فإنّهم لن يروك إلّا ما تحب ، ولن يصل إليك منهم مكروه .

فأجابه عليه السلام : **أَنْتَ أَخُو أَخِيكَ ، أَتُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَكَ بَنُو هاشِمٍ بِأَكْثَرَ مِنْ دَمِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ ؟ ! لا وَاللهِ لا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ وَلا أَفِرُّ فِرارَ الْعَبِيدِ ، عِبادَ اللهِ ، إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرجُمُونِ ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ**[١] .

تزول الممالك وتدول الدول ، وهذه الكلمات أحق بالبقاء وأجدر بالخلود من كلّ شيء ، فقد مثّلت عزّة الحق ، ومنعة الأحرار وشرف الأُباة .

ومن المؤسف أنّه لم تنفذ هذه الكلمات النيرة إلى قلوبهم ، فقد أقفل الجهل جميع أبواب الفهم في نفوسهم ﴿ **خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِم وَعَلَى أَبْصَارِهِم غِشَاوَةٌ** ﴾[٢] ، ﴿ **أم تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُم يَسمَعُونَ أو يَعقِلُونَ إنْ هُم إِلَّا كَالأَنعَامِ بَلْ هُم أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾[٣] .

لقد أعرضوا تماماً عن دعوة الإمام الحسين عليه السلام ، فلم يحفلوا بها ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ **فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوتَى وَلَا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوا مُدبِرِينَ** ﴾[٤] .

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ٩٧ و ٩٨ . تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٦٢٣ و ٦٢٤ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٥٣ و ٢٥٤ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٧ و ٢٨٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٠ و ١٨١ .

(٢) البقرة ٢ : ٧ .

(٣) الفرقان ٢٥ : ٤٤ .

(٤) الروم ٣٠ : ٥٢ .

خطاب زهير رضي الله عنه

وانبرى زهير بن القين ، فألقى عليهم خطابه الحافل بالنصيحة والإرشاد لهم قائلاً : « يا أهل الكوفة ، نذارِ لكم من عذاب الله ، إنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منّا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنّا أُمّة . وأنتم أُمّة .

إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذرية نبيه محمّد صلى الله عليه وآله ؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد ، فإنّكم لا تدركون منهما إلّا سوء عمر سلطانهما ؛ لَيَسمَلانِ[1] أعينَكم ، ويقطّعانِ أيديَكم وأرجلكم ، ويمثّلانِ بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلانِ أماثلكم وقرّاءكم أمثال حُجْر بن عدي وأصحابه وهانئ بن عروة وأشباهه »[2] .

وحفل هذا الخطاب بأبلغ وأروع ما تكون الحجّة ، ففيه الدعوة إلى الحق بجميع رحابه ومفاهيمه ، والتحذير من عذاب الله وسخطه ، لقد عرّفهم بأنّه إنّما ينصحهم امتثالاً للواجب الديني الذي يقضي بنصيحة المسلم لأخيه المسلم إذا رآه قد انحرف عن الحق ، وعرّفهم قبل أن تندلع نار الحرب أنّ الأُخوّة الإسلامية تجمعهم ، فإذا وقعت الحرب انفصمت عُرى تلك الأُخوّة ، وكان كلٌّ منهما أُمّة مستقلّة لا تجمعهما روابط الدين والإسلام . وقد عرض لهم أنّ الله قد ابتلى المسلمين بعترة نبيه فأوجب مودّتهم في كتابه العزيز ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إلّا المَوَدَّةَ فِي القُربَى** ﴾[3] ؛ لينظر إلى الأُمّة ما هي صانعة فيهم **؟!**

---

(١) **سمل العين :** فقأها بحديدة أو غيرها . لسان العرب : ٦ : ٣٧٠ و ٣٧١ ـ سَمَلَ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨١ و ١٨٢ .

(٣) الشورى ٤٢ : ٢٣ .

وذكّرهم بجور الأُمويين وبطشهم ، وما صنعوه في صلحائهم أمثال حُجْر بن عدي ، وميثم التمّار وغيرهما من الذين ناهضوا الجور وقاوموا الاستبداد ، فقد صبّت عليهم السلطة الأُموية وابلاً من العذاب الأليم ، فسملت عيونهم وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبتهم على جذوع النخل .

وما إن أنهى زهير خطابه حتّى انبرى جماعة من جيش ابن سعد فسبّوه وتوعّدوه مع الإمام الحسين عليه السلام بالقتل قائلين : لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً .

واندفع زهير فخاطبهم بمنطق الحق قائلاً : عباد الله ، إنّ ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمية ، فإن لم تنصروهم فأُعيذكم بالله أن تقتلوهم ، فخلّوا بين الرجل وبين يزيد فلعمري إنّه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين[١] .

ووجم الكثيرون ، واستولت عليهم الحيرة والذهول ، ولمّا رأى ذلك شمر بن ذي الجوشن خاف أن يثوب الجيش إلى الرشاد ، فسدّد سهماً إلى زهير ، وهو يقول : اسكت أسكت الله نأمتك[٢] ، أبرمتنا بكثرة كلامك .

واحتقره زهير ، فنظر إليه كأقذر مخلوق قائلاً له : يابن البوّال على عقبيه ، ما إيّاك أُخاطب إنّما أنت بهيمة ، والله ما أظنّك تُحْكِم من كتاب الله آيتين ، فابشر بالخزي يوم القيامة ، والعذاب الأليم .

والتاع الوغد الخبيث من كلام زهير ، فصاح به : إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة .

قال : أبالموت تخوّفني ؟ فوالله لَلموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم .

والتفت زهير إلى الجيش قائلاً : عباد الله ، لا يغرّنّكم عن دينكم هذا الجلف

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٢ .

(٢) **النَأْمة** : الصوت ، وهو كالأنين . لسان العرب : ١٤ : ٦ ـ نأم .

الجافي وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم .

ورأى الإمام الحسين عليه السلام أنّ نصائح زهير لا تجدي مع هؤلاء الممسوخين ، فأوعز إلى بعض أصحابه يأمره بالكفّ عن الكلام ، وانطلق إليه فناداه : إنّ أبا عبدالله يقول لك : **أَقْبِلْ ، فَلَعَمْرِي لَئِنْ كانَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ نَصَحَ قَوْمَهُ وَأَبْلَغَ في الدُّعاءِ فَلَقَدْ نَصَحْتَ هـٰؤُلاءِ وَأَبْلَغْتَ لَوْ نَفَعَ النُّصْحُ وَالْإِبْلَاغُ**[١] .

خطاب برير رضي الله عنه

واندفع الشيخ الجليل برير بن خضير لنصيحة ذلك الجيش قائلاً : يا معشر الناس ، إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها ، وقد حيل بينه وبين ابنه .

وقد خلعوا الشرف والحياء ، فقالوا له : يا برير ، قد أكثرت الكلام فاكفف عنّا ، فوالله ليعطش الحسين كما عطش مَن كان قبله[٢] .

ووجّه إليهم النصيحة والإرشاد قائلاً : يا قوم ، إنّ ثقل محمّد صلى الله عليه وآله قد أصبح بين أظهركم ، وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه ، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم ؟

فأجابوه : نريد أن نمكّن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه .

وأخذ برير يذكّرهم بعهودهم وكتبهم التي بعثوها إليه قائلاً : أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاءوا منه ؟! ويلكم يا أهل الكوفة ، أنسيتم كتبكم

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٢ .

(٢) الأمالي / الصدوق : ٢٢٢ ، الحديث ٢٣٩ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٣١٨ ، وفيه : « يزيد بن حصين » بدل « برير بن خضير » ، وهو تصحيف .

وعهودكم التي أعطيتموها ، وأشهدتم الله عليها يا ويلكم ، أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم حتى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد وحلّأتموهم عن ماء الفرات ؟ ! بئسما خلفتم نبيكم في ذريته ، مالكم ! لاسقاكم الله يوم القيامة ، فبئس القوم أنتم .

وانبرى جماعة ممّن زاغت ضمائرهم فأنكروا كتبهم وعهودهم للإمام الحسين عليه السلام قائلين له : ما ندري ما تقول ؟ !

واستبان لبرير تماديهم في الإثم وإجماعهم على اقتراف المنكر ، فقال : « الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة . اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم ، اللّهمّ ألقِ بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان »[١] .

فجعلوا يضحكون منه ، وعمدوا إليه فرشقوه بسهامهم فانصرف عنهم[٢] .

خطاب الإمام الحسين عليه السلام

وأبت رحمة الإمام الحسين عليه السلام وشفقته على أعدائه إلا أن يقوم بإسداء النصيحة لهم ثانياً ، حتى يستبين لهم الحق ، ولا يدّعي أحد منهم أنّه على غير بيّنة من أمره ، فانطلق نحوهم ، وقد نشر كتاب الله العظيم ، ولعلّه إنّما برز بهذه الهيئة والكتاب على رأسه قد أشار إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله : « **إِنِّي خَلَّفتُ فِيكُمُ الثِّقْلَيْنِ : كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي** »[٣] فهو عليه السلام قسيم القرآن فكيف يستباح دمه ؟ ! واعتمّ بعمامة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ولبس لامته ، وكان على هيبة تعنو لها الجباه ، وتغضّ عنها الأبصار ، فقال لهم :

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ٥ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٠ .

(٣) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٣٩ .

«تَبّاً لَكُمْ أَيَّتُها الْجَماعَةُ وَتَرَحاً، أَحِينَ اسْتَصْرَخْتُمونا والِهِينَ فَأَصْرَخْناكُمْ مُوجِفِينَ[١]، سَلَلْتُمْ عَلَيْنا سَيْفاً فِي أَيْمانِكُمْ، وَحَشَشْتُمْ[٢] عَلَيْنا ناراً اقْتَدَحْناها عَلىٰ عَدُوِّنا وَعَدُوِّكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ إِلْباً[٣] لِأَعْدائِكُمْ عَلىٰ أَوْلِيائِكُمْ بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ؟!

فَهَلَّا لَكُمُ الْوَيْلَاتُ تَرَكْتُمونا وَالسَّيْفُ مَشِيمٌ[٤]، وَالْجَأْشُ طَامِنٌ، وَالرَّأْيُ لَمّا يُسْتَحْصَفُ، وَلَكِنَّكُمْ أَسْرَعْتُمْ إِلَيْها كَطَيْرَةِ الدَّبا[٥] وَتَداعَيْتُمْ عَلَيْها كَتَهافُتِ الْفَراشِ[٦] ثُمَّ نَقَضْتُمُوها سَفَهاً وَضِلَّةً، فَبُعْداً وَسُحْقاً لَكُمْ يا عَبِيْدَ الْأُمَّةِ، وَشُذّاذَ الْأَحْزابِ، وَنَبَذَةَ الْكِتابِ، وَمُحَرِّفِي الْكَلِمِ، وَعُصْبَةَ الْآثامِ، وَنَفْثَةَ الشَّيْطانِ، وَمُطْفِئِي السُّنَنِ. وَيْحَكُمْ أَهٰؤُلَاءِ تَعْضِدُونَ، وَعَنّا تَتَخاذَلُونَ؟!

أَجَلْ وَاللهِ لَغَدْرُ فِيكُم قَدِيمٌ وَشَجَتْ عَلَيْهِ أُصُولُكُمْ، وَتَأَزَّرَتْ عَلَيْهِ

---

(١) **موجفين**: أي مسرعين في السير إليكم ـ لسان العرب: ١٥: ٢٢٣ ـ وجف.

(٢) **حششتم**: جمعتم الحطب للنار ـ لسان العرب: ٣: ١٨٨ ـ حشش.

(٣) **إلباً**: أي مجتمعين ـ لسان العرب: ١: ١٧٧ ـ ألب.

(٤) **السيف مشيم**: مغمد ـ لسان العرب: ٧: ٢٦٢ ـ شيم.

(٥) **الدَّبا** ـ بفتح الدال وتخفيف الباء ـ: الجراد قبل أن يطير. لسان العرب: ٤: ٢٨٨ ـ دبا.

(٦) **الفراش** ـ بالفتح وتخفيف الراء ـ: جمع فراشة، وهي صغار البقّ تتهافت في النار؛ لضعف بصرها ـ لسان العرب: ١٠: ٢٣٧ ـ فرش.

يقول الغزالي: ولعلّك تظن أنّ هذا لنقصان فهمها وجهلها. إنّ جهل الإنسان أعظم من جهلها لانكبابه على الشهوات والمعاصي إلى أن يغمس في النار ويهلك هلاكاً مؤبّداً.

فُرُوعُكُمْ[1]، فَكُنْتُمْ أَخْبَثَ ثَمَرٍ؛ شَجَنٌ[2] لِلنّاظِرِ وَأَكْلَةٌ لِلْغاصِبِ.

أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَينِ بَيْنَ السَّلَّةِ[3] وَالذِّلَّةِ وَهَيْهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ، يَأْبَى اللهُ لَنَا ذلِكَ وَرَسولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورٌ طابَتْ وَطَهُرَتْ، وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلىٰ مَصارِعِ الْكِرامِ. أَلَا وَإِنِّي زاحِفٌ بِهٰذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَخُذْلَانِ النّاصِرِ».

ثمّ أنشد أبيات فروة بن مسيك المرادي:

«فَإِنْ نَهْزِمْ فَهَزّامُونَ قِدْماً ... وَإِنْ نُهْزَمْ فَغَيْرُ مُهَزَّمِينا

وَما إِنْ طِبُّنا جُبْنٌ وَلٰكِنْ ... مَنايانا وَدَوْلَةُ آخَرِينا

فَأَفْنىٰ ذالِكُمْ سَرَواتَ قَومِي ... كَما أَفنَى القُرُونَ الأَوَّلِينا

فَلَوْ خَلَدَ المُلُوكُ إِذاً خَلُدْنا ... وَلَوْ بَقِيَ الْكِرامُ إِذاً بَقِينا

فَقُلْ لِلشّامِتِينَ بِنا أَفِيقُوا ... سَيَلقَى الشّامِتُونَ كَما لَقِينا

إِذَا ما المَوْتُ رَفَّعَ عَنْ أُناسٍ ... كَلاكِلَهُ أَناخَ بِآخَرِينا

ثُمَّ أَيْمُ اللهِ لَا تَلْبَثُونَ بَعْدَها إِلّا كَرَيْثَما يُرْكَبُ الْفَرَسُ حَتّىٰ تَدُورَ بِكُم دَوْرَ الرَّحَى، وَتَقْلَقَ بِكُمْ قَلَقَ الْمِحْوَرِ، عَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيَّ أَبِي عَنْ جَدِّي

---

(١) **تأزّرت**: أي نبتت عليه فروعكم وقويت به ـ لسان العرب: ١: ١٣١ ـ أزر.

(٢) **الشَّجَنُ**: الغُصْن المشتبك. القاموس المحيط: ١٥٥٩ ـ شَجَنَ. لسان العرب: ٧: ٣٩ ـ شَجَنَ. وفي أكثر المصادر يوجد تصحيف للكلمة.

(٣) **السلة**: استلال السيوف عند القتال. لسان العرب: ٦: ٣٤١ ـ سَلَلَ.

﴿فَأَجْمِعُوا أمْرَكُم وشُرَكَاءَكُم ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُم عَلَيْكُم غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إليَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾[١]، **﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَا مِن دَابَةٍ إلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيتَهَا إنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ﴾**[٢]»[٣].

ورفع يديه بالدعاء عليهم قائلاً:

«**اللّٰهُمَّ احْبِسْ عَنْهُم قَطْرَ السَّماءِ، وَابْعَثْ عَلَيهِمْ سِنِينَ كَسِنِيِّ يُوسُفَ وسَلِّطْ عَلَيْهِمْ غُلَامِ ثَقِيفٍ يَسْقِيهِم كَأْساً مُصَبَّرَةً فَإِنَّهُمْ كَذَّبُونَا وَخَذَلُونا، وَأَنْتَ رَبُّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**»[٤].

لقد انفجر الإمام الحسين عليه السلام بهذا الخطاب كما ينفجر البركان، وقد أبدى من صلابة العزم وقوة الإرادة ما لم يشاهد مثله، وقد حفل خطابه بالنقاط التالية:

الأُولى: إنّه أوغل في تأنيبهم بشدّة؛ لما أبدوه من التناقض في سلوكهم، فقد هبّوا إليه يستنجدون ويستغيثون به لينقذهم من ظلم الأُمويين وجورهم، فلمّا خفّ لإنقاذهم انقلبوا عليه، وسلّوا عليه سيوفهم التي كان من الواجب أن تسلّ على أعدائهم الذين بالغوا في إذلالهم وإرغامهم على ما يكرهون.

الثانية: إنّه أبدى أسفه البالغ على دعمهم للحكم الأموي في حين أنّه لم يبسط فيهم عدلاً أو يشيع فيهم حقّاً، أو يكون لهم أيُّ أمل أو رجاء فيه.

---

(١) يونس عليه السلام ١٠: ٧١.

(٢) هود عليه السلام ١١: ٥٦.

(٣) تحف العقول: ٢٤٠ ـ ٢٤٢. الاحتجاج: ٢: ٩٧ ـ ١٠٠. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١٠. اللهوف: ٥٨ ـ ٦٠. بحار الأنوار: ٤٥: ٨ ـ ١٠، ٨٣. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢١٨ و ٢١٩. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٦ ـ ٨.

(٤) اللهوف: ٦٠. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٧ و ٨.

الثالثة: إنّه شجب الصفات الماثلة فيهم والتي كانوا بها من أحطّ شعوب الأرض، فهم عبيد الأُمّة وشذّاذ الأحزاب ونبذة الكتاب وعصبة الآثام، إلى غير ذلك من نزعاتهم الشريرة.

الرابعة: إنّه أعلن رفضه الكامل لدعوة الطاغية ابن مرجانة من الاستسلام له، فقد أراد له الذل وهيهات أن يرضخ لذلك، فقد خلق ليمثّل الكرامة الإنسانية والمُثُل العليا فكيف يذعن للدعيّ ابن الدعي؟!

الخامسة: إنّه أعلن تصميمه على الحرب، وأن يخوض المعركة بأُسرته التي مثّلت البطولات ومضاء العزيمة والاستهانة بالموت.

السادسة: إنّه أخبرهم عن مصيرهم بعد قتلهم له، فإنّ الله سيسلّط عليهم من يسقيهم كأساً مصبّرة، ويُنزل بهم العذاب الأليم، ولم يمضِ قليل من الوقت حتى ثار عليهم المختار، فملأ قلوبهم فزعاً ورعباً ونكّل بهم تنكيلاً فظيعاً.

هذه بعض النقاط الحسّاسة التي حفل بها كلامه الشريف الذي تدفّق بقوة البيان، وروعة القصد، التي وجم منها جيش ابن سعد.

استجابة الحر رضي الله عنه

وثابت نفس الحرّ إلى الرشاد، واستيقظ ضميره بعد ما سمع خطاب الإمام الحسين عليه السلام، وجعل يتأمّل ويفكّر في تلك اللحظات الحاسمة من حياته، فقد استولت عليه موجات رهيبة من الصراع النفسي، فهل يلتحق بالحسين عليه السلام فيضحّي بحياته ومنصبه بعد ما كان القائد المقرّب من السلطة، وقد وثقت به وجعلته أميراً على مقدمة جيشها، أو أنّه يبقى محارباً للإمام الحسين عليه السلام وفي ذلك العذاب الدائم؟ فاختار الحرّ نداء ضميره الحيّ، وتغلّب على هواه النفسي، فصمّم على الالتحاق بالحسين عليه السلام.

وقبل أن يتوجّه إليه أسرع نحو ابن سعد فقال له: أمقاتل أنت هذا الرجل؟

وسارع ابن سعد قائلاً بلا تردد ؛ ليظهر أمام قادة الفرق إخلاصه لسيده ابن مرجانة : إي والله ، قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي .

فقال له الحرّ : أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرضها عليكم رضاً ؟

واندفع ابن سعد قائلاً : لو كان الأمر لي لفعلت ، ولكن أميرك أبى ذلك .

ولمّا أيقن أنّ القوم مصممون على حربه مضى يشق الصفوف ، وقد سرت الرعدة بأوصاله ، فأنكر ذلك المهاجر بن أوس ـ وهو من أصحاب ابن زياد ـ فقال بنبرة المستريب منه : والله ، إنّ أمرك لمريب ، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل ما أراه الآن ، ولو قيل لي : من أشجع أهل الكوفة ؟ لما عدوتك .

وكشف له عن حقيقة حاله وأطلعه على ما صمم عليه ، قائلاً : إنّي والله أُخيّر نفسي بين الجنة والنار ، ولا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وأُحرقت .

وألوى بعنان فرسه صوب الإمام الحسين عليه السلام وهو مطرق برأسه إلى الأرض حياءً وندماً ، فلمّا دنا منه رفع صوته قائلاً : اللهم إليك أُنيب فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك ، يا أبا عبدالله إنّي تائب فهل لي من توبة ؟

ونزل عن فرسه فوقف قِبال الإمام الحسين عليه السلام ودموعه تسيل على خديه ، وجعل يخاطبه ويتوسّل إليه : جعلني الله فداك يابن رسول الله ، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وجَعْجَعْتُ بك في هذا المكان ، ووالله الذي لا إله إلّا هو ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبداً ، فقلت في نفسي : لا أُبالي أن أُطيع القوم في بعض أمرهم ، ولا يرون أنّي خرجت من طاعتهم ، وأمّا هم فيقبلون بعض ما تدعوهم إليه ، ووالله لو ظننت أنّهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك ، وأنّي قد جئتك تائباً ممّا كان مني إلى ربّي مواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك أفترى لي توبة ؟

واستبشر به ومنحه الرضا والعفو ، وقال له عليه السلام : **نَعَمْ ، يَتُوبُ اللهُ عَلَيكَ وَيَغْفِرُ لَكَ** .

وأقبل الحرّ يحدّثه ويقصّ عليه رؤيا كان قد رآها قائلاً: سيدي، رأيت أبي في المنام البارحة فقال لي: ما تصنع في هذه الأيام؟ وأين كنت؟

فقلت له: كنت في الطريق على الحسين عليه السلام.

فقال لي: واويلاه عليك، مالك والحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأُريد منك أن تأذن لي بالمحاربة لأكون أوّل قتيل بين يديك، كما كنت أوّل خارج عليك(١).

خطاب الحرّ رضي الله عنه للجيش

واستأذن الحرّ من الإمام الحسين عليه السلام ليعظ أهل الكوفة وينصحهم لعلّ بعضهم أن يرجع عن غيّه ويثوب إلى الحق، فأذن له الإمام الحسين عليه السلام، فانبرى إليهم رافعاً صوته: «يا أهل الكوفة، لأُمّكم الهَبَل(٢) والعَبَر(٣)، أدعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنّكم قاتلو أنفسكم دونه، ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه؟ أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه من التوجّه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرّاً، وَحَلّأتموه ونساءه وأصحابه عن ماء الفرات الجاري يشربه اليهودي والنصراني والمجوسي، ويتمرّغ فيه خنازير السواد وكلابه، وها هم أُولاء قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمّداً في ذريته، لاسقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عمّا أنتم عليه»(٤).

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ٩٩و ١٠٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٢٦و ٦٢٧. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٩و ١٠. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٨.

(٢) **الهبل**: الثكل والفقد ـ لسان العرب: ١٥: ٢٠ ـ هبل.

(٣) **العبر**: البكاء وجريان الدمع ـ لسان العرب: ٩: ١٨ ـ عبر.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٢٧. الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٠ و ١٠١. أنساب الأشراف: ⇦

وزلزلت الأرض تحت أقدامهم ، فقد كان هنا مئات أمثال الحرّ ممّن هاموا في تيارات من الصراع النفسي وكانوا على يقين بباطل قصدهم ، إلّا أنّهم استجابوا لرغباتهم النفسية في حبّ البقاء .

وانبرى بعض أُولئك الممسوخين فرموا الحرّ بالنبل ، وهو كل ما يملكون من حجّة في الميدان .

التحاق ثلاثين فارساً بالإمام الحسين عليه السلام

والتحق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام ثلاثون فارساً من جيش ابن سعد ، وجعلوا يقولون لأهل الكوفة : يعرض عليكم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئاً ؟! وجعلوا يقاتلون ببسالة معه حتى استشهدوا بين يديه[1] .

الحرب

وفشلت جميع الوسائل التي اتّخذها الإمام الحسين عليه السلام ؛ لصيانة السلم وعدم سفك الدماء ، وقد خاف ابن سعد من إطالة الوقت لئلا يحدث انقسام في صفوف جيشه ، فقد أربكه التحاق الحرّ بالإمام الحسين عليه السلام مع ثلاثين فارساً من جيشه ، وزحف الباغي إلى مقربة من معسكر الإمام الحسين عليه السلام ، فأخذ سهماً فأطلقه صوبه ، وهو يصيح : اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل من رمى[2] .

واتخذ ابن سعد من السهم الذي فتح به الحرب وسيلة يتقرّب بها إلى سيده ابن مرجانة ، ويطلب من الجيش أن يشهدوا له عنده ؛ ليكون على ثقة من إخلاصه ووفائه ، وأن ينفي عنه الشبهات من أنّه غير جاد في قتاله للحسين عليه السلام ، ولا يبقي

⇐ ٣ : ٣٩٨. الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٩.

(١) الإمامة والسياسة : ٢ : ٧. العقد الفريد : ٤ : ٣٨٠. تذهيب التهذيب : ١ : ١٥٢.

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٨. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٧. الفتوح : ٥ : ١٠٠.

للمتردد في الحرب عذراً. كيف وقد بدأ الحرب ابن سعد ـ ابن فاتح العراق ومن الذين رشّحهم عمر للخلافة ـ الذي حاز الأولوية في التعدّي على الحسين عليه السلام وأصحابه، واستشهد على ذلك هؤلاء الأوغاد ليثبت ولاءه وإخلاصه؟!

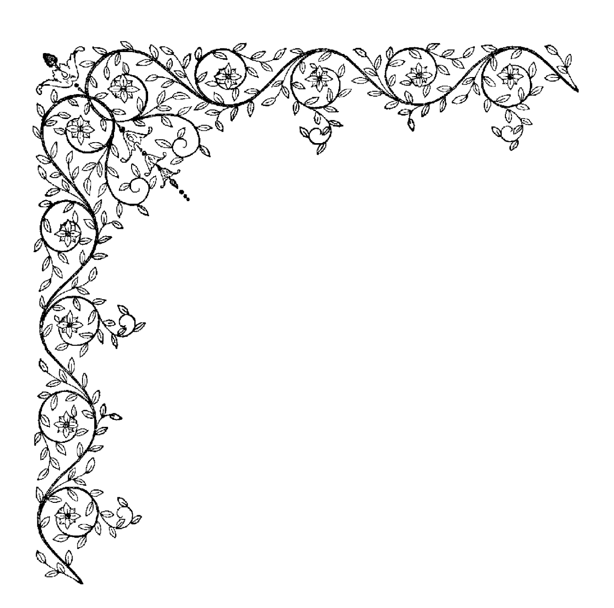
وتتابعت السهام من معسكر ابن سعد على أصحاب الحسين عليه السلام كأنّها المطر حتى لم يبقَ أحد منهم إلّا أصابه سهم منها، وبطلت بذلك حجة السلم التي حرص الإمام الحسين عليه السلام عليها، وكان على انتظار من أعدائه للقيام بهذا العدوان الغادر، فلمّا بدأوه من جانبهم وجب عليه الدفاع عن النفس وجوباً لا شبهة فيه، والتفت الإمام الحسين عليه السلام إلى أصحابه فأذِن لهم في الحرب قائلاً: **قُومُوا يا كِرامُ، فَهـٰذِهِ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ**[1].

وتقدّمت طلائع الحق من أصحابه إلى ساحة الحرب، وبدأت بذلك المعركة الرهيبة واحتدم القتال أشدّ وأعنف ما يكون، ومن المؤكّد أنّه لم تكن مثل تلك المعركة في جميع الحروب التي جرت في الأرض، فقد تقابل اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً مع عشرات الألوف وكانت تلك القلة كفُؤاً لتلك الكثرة التي تملك العدّة والعدد، وأبدت تلك القلة من صنوف البسالة والشجاعة ما يبهر العقول ويحيّر الألباب.

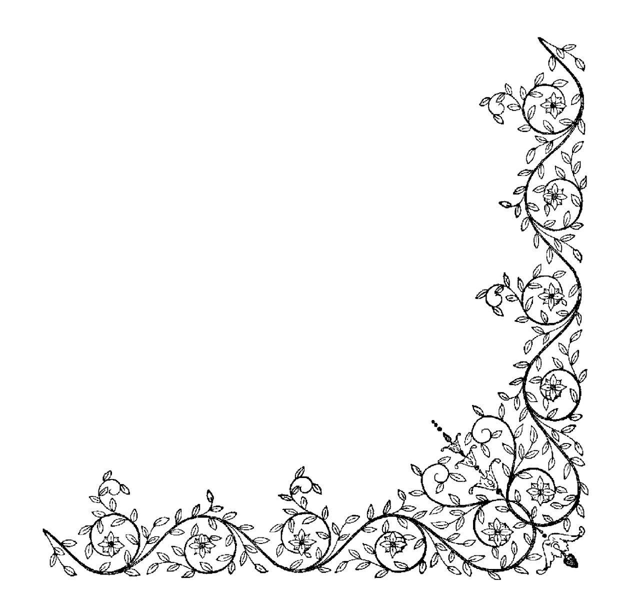
لقد خاض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام غمار تلك الحرب عن إيمان وإخلاص، فقد كانوا على ثقة بأنّهم إنّما يقاتلون في سبيل الدين الذي أخلصوا له ووهبوا في سبيله حياتهم، وقد سجّلوا بجهادهم المُشرق شرفاً لهذه الأُمّة لا يساويه شرف، وأعطوا للإنسانية أفضل ما قُدِّم لها من عطاء على امتداد التاريخ.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٠. اللهوف: ٦٠.



مَصَارِعُ الأَصْحَابِ



وتدافعت جيوش الباطل والضلال وهي مدجّجة بالسلاح في صفوف كأنّها السيل ـ ومن ورائهم الدولة والسلطان ـ نحو أُولئك الصفوة الأحرار ومن ورائهم الصبية والنساء، فلم يشغلهم شاغل عن نصرة الحق وإزهاق الباطل، فقد صمدوا بصبر وإخلاص أمام تلك الوحوش الكاسرة فلم ترهبهم كثرتها، وما تتمتع به من آلات الحرب والقتال، وقد أبدوا من البسالة والشجاعة ما يدعو إلى الزهو والافتخار.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عنهم، فقال: «**كُشِفَ لَهُمُ الْغِطاءُ حَتّىٰ رَأَوا مَنازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**»[1]، والمراد بالكشف هنا نور الإيمان وقوة الإيقان، ونعرض إلى مجريات القتال وما رافقها من شهادة أُولئك الأبرار.

الهجوم العام

وشنّت قوات ابن سعد هجوماً عاماً واسع النطاق على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وخاضوا معهم معركة رهيبة، وهذه هي الحملة الأُولى التي خاضها أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وهي حملة جماعية ضاربة اشترك فيها معسكر الكوفة بكامل قطعاته، وقد خاض أصحاب الحسين عليه السلام تلك المعركة بعزم يستمد من العقيدة، ويشتق من نفس مفطورة على الإخلاص والتضحية دفاعاً عن الإسلام

(١) علل الشرائع: ١: ٢٦٨.

وجهاداً في سبيل الله ، وقد برزت معنوياتهم العسكرية للعيان فكانوا يهزمون الجمع ويخترقون الجيش ، وقد اخترقوا جيش ابن سعد عدّة مرّات بقلوب أقوى من الصخر ، وقد استشهد نصفهم في هذه الحملة(١) .

عدد الشهداء من أصحاب الإمام عليه السلام

أمّا عدد الشهداء من أصحابه في الحملة الأُولى فكانوا أربعين شهيداً ـ حسبما نصّ عليه ابن شهرآشوب ـ وهم : نعيم بن عجلان الأنصاري ، عمران بن كعب بن حارث الأشجعي ، حنظلة بن أسعد الشبامي الهَمْداني ، قاسط بن زهير التغلبي ، كنانة بن عتيق التغلبي ، عمرو بن مشيعة ، ضرغامة بن مالك التغلبي ، عامر بن مسلم العبدي ، سيف بن مالك العبدي ، عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني الأرحبي ، مجمع ابن عبدالله العائذي ، الحباب بن عامر التيمي ، الحلاس بن عمرو الراسبي ، سوار بن منعم بن حابس بن أبي عمير النهمي ، عمار بن سلامة الدالاني ، النعمان بن عمرو الراسبي ، زاهر مولى عمرو بن الحمق ، جبلة بن عليّ الشيباني ، مسعود بن الحجّاج التيمي ، عبدالله بن عروة الغفاري ، زهير بن سليم ، عمّار بن حسّان ، عبدالله بن عمير الكلبي ، زهير بن بشر الخثعمي ، مسلم بن كثير ، عبدالله وعبيد الله ابنا يزيد العبدي البصري ، وعشرة من موالي الحسين عليه السلام ، وموليان للإمام علي عليه السلام(٢) .

المبارزة بين المعسكرين

وبدأت المبارزة بين المعسكرين بعد الحملة الأُولى ، فقد برز يسار مولى زياد ، وسالم مولى عبيد الله بن زياد ، وطلبا من أصحاب الإمام الخروج لمبارزتهما ، فوثب

---

(١) مع الحسين في نهضته : ٢٢٠ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٣ .

إليهما حبيب بن مظاهر وبرير ، فلم يأذن لهما الإمام ، وانبرى إليهما البطل الشهم عبدالله بن عمير الكلبي[(١)] وكان شجاعاً شديد المراس ، فقال الحسين عليه السلام : **أَحْسَبُهُ لِلأَقْرانِ قَتّالاً** ، ولمّا مثل أمامهما سألاه عن نسبه فأخبرهما به ، فزهدا فيه وقالا له : لا نعرفك ليخرج إلينا زهير أو حبيب أو برير .

فثار البطل وصاح بيسار : يابن الزانية ، أَوَبِكَ رغبة عن مبارزة أحد من الناس **؟!** لا يخرج أحد إلّا وهو خير منك .

وما أروع قوله : « لا يخرج أحد إلّا وهو خير منك » إنّ أيّ أحد من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام هو خير منه ومن ذلك الجيش ؛ لأنّه إنّما يقاتل على بصيرة من أمره ، وهم يقاتلون ـ على يقين ـ بضلالة قصدهم وانحرافهم عن الطريق القويم .

وحمل الكلبي على يسار فأرداه صريعاً يتخبّط بدمه ، وحمل عليه سالم فلم يعبأ به فضربه سالم فاتقاها الكلبي بيده فأطارت أصابع كفه اليسرى ، ثمّ مال عليه الكلبي فقتله ، وذعر العسكر من هذه البطولة النادرة ، وبينما هو يقاتل ؛ إذ خفّت إليه السيدة زوجته أم وهب[(٢)] وقد أخذت بيدها عموداً وهي تشجّعه على الحرب قائلة له : فداك أبي وأُمي قاتل دون الطيبين ذرّية محمّد صلى الله عليه وآله .

لقد اشتدّ أنصار الحسين عليه السلام في رعايته وحمايته من دون فرق بين الرجل والمرأة والصغير والكبير .

لقد استبسلوا للقتال بعواطفهم الملتهبة وهاموا بحبّه والإخلاص له .

ولمّا رأى الكلبي زوجته تهرول خلفه أمرها بالرجوع إلى خيم النساء فأبت عليه ، وبصر بها الإمام الحسين عليه السلام فأسرع إليها قائلاً : **جُزِيتُم مِن أَهْلِ بَيْتٍ خَيْراً ، ارْجِعِي رَحِمَكِ اللهُ لَيْسَ الجِهادُ عَلَى النِّساءِ** .

---

(١) قيل : إنّ عبدالله بن عمير استشهد في الحملة الأولى ـ مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٣ .

(٢) السيّدة أُمّ وهب هي ابنة عبد من بني النمر بن قاسط . استشهدت بعد قتل زوجها .

ورجعت أُمّ وهب إلى خيمة النساء ، وجعل الكلبي يرتجز :

إنْ تُـنْكِرُونِي فَـأنا ابـنُ كَـلْبِ حَسْبِيَ بِبَيْتِي في عُلَيم حَسْبي

إنِّـي امـرُؤٌ ذُو مِـرَّةٍ وَعَـضْبِ وَلَسْتُ بـالخَوّارِ عِـنْدَ النَّكْبِ[1]

إنِّـــي زَعِـــيمٌ لَكِ أُمَ وَهْبِ بِالطَّعْنِ فِيهِمْ مُقْدِماً وَالضَّربِ[2]

وعرّف نفسه بهذا الرجز ، فهو من بني كلب إحدى قبائل قضاعة[3] ، كما دلل على بسالته الفائقة وشجاعته النادرة ، وحصافة رأيه ، وصلابة منطقه ، فهو ليس بخوّار ولا بضعيف عندما تعصف الفتن ، وإنّما يقف منها موقف الحازم اليقظ ، وبذلك فقد حدد أبعاد شخصيته الكريمة التي هي في القمة من الأحرار .

هجوم فاشل

وشنّت قوات ابن سعد هجوماً شاملاً على مخيّم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فتصدّوا لها على قلّتهم وجثوا لها على الرُّكَب وشرعوا لها الرماح ، فلم تتمكن الخيل على اقتحامهم وولّت منهزمة ، فرشقهم أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل فصرعوا رجالاً ، وجرحوا آخرين ، ومُنيت قوات ابن سعد بخسائر فادحة ولم تحقق أيّ نصر لها[4] .

---

(١) **المرّة :** القوة في العقل والدين ـ لسان العرب : ١٣ : ٧٤ ـ مَرَر .
العضب : قوة المنطق وصلابته ـ لسان العرب : ٩ : ٢٥٢ . ـ عَضب .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠١ . إبصار العين : ١٣٩ و ١٤١ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٨ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٧ و ٦٢٨ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٢ و ١٣ ، وفيه : « وهب بن عبدالله بن جناب الكلبي » . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٩ . الفتوح : ٥ : ١٠٤ ، وفيه : « وهب بن عبدالله بن عمير الكلبي » .

(٣) **قضاعة :** من قبائل اليمن التي نزحت إلى الكوفة .

(٤) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٢ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٨ و ٣٩٩ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٨ و ٦٢٩ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٩ .

مباهلة برير ليزيد

واشدّ يزيد بن معقل حليف بني عبد القيس نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام حتى إذا دنا منه ، رفع صوته ينادي برير بن خضير الهمداني : يا برير ، كيف ترى صنع الله بك ؟

فأجابه برير بكل ثقة وإيمان : والله ، لقد صنع بي خيراً ، وصنع بك شرّاً .

أجل ، لقد صنع الله ببرير الخير حيث هداه إلى الحق وجعله من أنصار ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمّا خصمه الباغي اللئيم فأضلّه وجعله من قتلة أولاد النبيين .

وردّ هذا الجلف على برير قائلاً : كذبت وقبل اليوم ما كنت كذّاباً ، وأنا أشهد أنّك من الضالين .

لقد اعترف هذا الدعي بصدق برير قبل هذا اليوم الذي انتصر فيه للحق ، وفيه ـ حسبما يزعم ـ كان كذاباً .

ودعاه برير إلى المباهلة قائلاً : هل لك أن أُباهلك أن يلعن الله الكاذب منّا ويقتل المبطل .

فاستجاب له يزيد ، وتباهلا أمام المعسكرين ، ثمّ برز كل منهما للآخر فضرب يزيد بريراً ضربة لم تعمل فيه شيئاً .

وانعطف عليه برير فضربه ضربة منكرة قدّت المغفر وبلغت الدماغ ، فسقط الرجس الخبيث صريعاً يتخبّط بدمه والسيف في رأسه[1] ، ولم يلبث إلّا قليلاً حتى هلك .

وحمل برير على معسكر ابن سعد وهو مثلوج القلب باستجابة دعائه ، وقد تطلع

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٩ ـ ٦٣١ . الفتوح : ٥ : ١٠٢ و ١٠٣ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١١ و ١٢ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٨٩ .

العسكر بجميع فصائله إلى هذه البطولة النادرة، فجعل برير يرتجز:

أَنـا بُـرَيْرٌ وَفَـتىٰ خُـضَيْرِ   لَيْسَ يَرُوعُ الأُسْدَ عِنْدَ الزَّيرِ
يَعْرِفُ فِينا الخَيْرَ أَهْلُ الخَيرِ   أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرىٰ مِن ضَـيْرِ
كذاكَ فِعْلُ الخَيْرِ مِنْ بُرَيْرِ(١)

لقد عرّف نفسه إلى معسكر ابن سعد كما عرّفهم بشجاعته الفذّة، وأنّه كالأسد لا يروعه الزأر وإنّما يشتد بها بأسه، وأنّه إذ ينزل بهم الضربات القاسية فإنّه لا يرى في ذلك بأساً ولا إثماً.

مصرع برير رضي الله عنه

وأخذ برير يقاتل قتال الأبطال المستميتين، قد امتلأت نفسه إيماناً وعزماً وتصميماً على الدفاع عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يهتف بمعسكر ابن سعد قائلاً: اقتربوا مني يا قتلة المؤمنين، اقتربوا مني يا قتلة ابن بنت رسول ربِّ العالمين.

وحمل عليه الرجس رضي بن منقذ العبدي فاعتنقه واعترك معه ساعة فتمكّن منه برير فجلس على صدره، وبينما هو مشغول في الإجهاز عليه إذ حمل عليه الوغد الخبيث كعب بن جابر الأزدي من الخلف؛ لأنّه لم يستطع مواجهته، فطعنه في ظهره، ولمّا أحسَّ بالألم هوى على العبدي فعضّ أنفه وقطع طرفه، وشدّ عليه كعب بن جابر بن عمرو الأزدي فقتله، وانتهت بذلك حياة هذا المؤمن العظيم الذي كان من خيار الكوفة وسيد القراء فيها. وقد عيب على القاتل واحتقره الناس حتى نفرت منه زوجته وحرّمت على نفسها الكلام معه وقالت له: أعنت على ابن فاطمة وقتلت بريراً سيد القرّاء، والله لا أُكلمك أبداً.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٠ و ١٠١. الفتوح: ٥: ١٠٢. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ١١.

ونقم عليه ابن عمّه عبيد الله بن جابر ، فقال له : ويلك ، قتلت بريراً فبأيّ وجه تلقى الله[1] .

وقد ندم الخبيث أشدّ ما يكون الندم ، وقد نظم أبياتاً ذكر فيها أسفه وحزنه على اقترافه لهذه الجريمة ، وقد ذكرناها في البحوث السابقة .

شهادة عمرو بن قَرَظة الأنصاري رضي الله عنه

وانبرى إلى ساحات الجهاد والشرف عمرو بن قَرَظة الأنصاري رضي الله عنه وهو من أفذاذ الأنصار وأحرارهم ، وقد خاض باستبسال معركة الفداء والإيمان ، فجعل يحصد الرؤوس ويُنزل الدمار والموت بالأعداء ، وهو يرتجز :

قَـدْ عَـلِمَتْ كَـتِيبَةُ الأَنْـصارِ   إنِّـي سَـأَحْمِي حَـوزَةَ الذِّمـارِ

ضَرْبَ غُلَامٍ غَيرَ نَكْسٍ شارِي   دُونَ حُسَـينٍ مُـهجَتِي وَدارِي

ودلل بهذا الرجز على أنّه من حماة الذمار . وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام كلهم موصوفون بهذه الظاهرة ، فهم نخبة المسلمين في حماية الذمار والحفاظ على العهد ، وأعلن لهم أنّه سينزل بهم الضربات القاسية ويحاربهم ببسالة وشجاعة ؛ ليذبّ عن سيده الحسين عليه السلام ويفديه بنفسه ومهجته ، وجعل يقاتل بنيّة صادقة وعزم ثابت حتى استشهد وسمت روحه إلى الرفيق الأعلى .

وكان له أخ من الضالين مع ابن سعد ، فلمّا رأى أخاه قتيلاً دنا من معسكر الإمام الحسين عليه السلام ، واندفع يصيح : يا حسين ، يا كذّاب ابن الكذّاب ، أضللت أخي وغررته حتى قتلته .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٠ و ١٠١ . اللهوف : ٦٢ و ٦٣ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٩ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٢٩ ـ ٦٣١ . الفتوح : ٥ : ١٠٢ و ١٠٣ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١١ و ١٢ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٩ . وفي بعضها : « أنّ قاتله بجير بن أوس الضبّي » .

وردّ عليه الإمام الحسين عليه السلام : **إنَّ اللهَ لَمْ يُضِلَّ أَخاكَ ، وَلَكِنَّهُ هَداهُ و أَضَلَّكَ**[١] .

لقد هدى الله عمراً وعمّر قلبه بالإيمان فجاهد حتى استشهد عن أقدس قضية في الإسلام ، وأمّا أخوه فقد أضلّه الله وأزاغ قلبه فاشترك في أخطر جريمة يقترفها الأشقياء .

رفض الجيش الأموي للمبارزة

وضاق المعسكر الأموي ذرعاً من المبارزة ، فقد رسم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام صوراً رائعة للبطولات ، وقد ضجّ الجيش من الخسائر الفادحة التي مُني بها ، وقد رأى عمرو بن الحجّاج الزبيدي ـ وهو من الأعضاء البارزين في قيادة جيش ابن سعد ـ أنّ الاستمرار في المبارزة سيؤدّي إلى هلاك جيشه ؛ وذلك لشدّة بأس أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وقوة يقينهم واستهانتهم بالموت ، فهتف بجيشه ينهاهم عن المبارزة قائلاً : يا حمقى ! أتدرون مَن تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان أهل المصر وقوماً مستميتين مستقتلين ، فلا يبرزنّ لهم منكم أحد فإنّهم قليل وقلّما يبقون ، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم[٢] .

ووضعت هذه الكلمات اليد على السمات البارزة من صفات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام واتجاهاتهم ، وهي :

الأُولى : إنّهم فرسان أهل المصر بما يملكون من البطولات النادرة ، وقوة الإرادة التي لم تتوفر في جيش ابن سعد .

---

(١) إبصار العين : ١٢١ و ١٢٢ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٢ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٠ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٠ .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٣ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٠ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٣ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٥ . المنتظم : ٥ : ٣٣٩ .

الثانية : إنّهم أهل البصائر الذين وعوا الحق ، وفهموا القيم النبيلة التي رفع شعارها الإمام الحسين عليه السلام وناضل من أجلها ، فهم يقاتلون على بصيرة وبيّنة من أمرهم ، وليسوا كخصومهم الذين تردّوا في الغواية ، وماجوا في الباطل والضلالة .

الثالثة : إنّهم مستميتون في دفاعهم عنه عليه السلام ، ولا أمل لهم في الحياة .

لقد توفّرت فيهم جميع فضائل الإنسان من العقل الراجح ، والشجاعة الفائقة ، والشرف الرفيع ، والإيمان العميق .

يقول المؤرخون : إنّ ابن سعد قد استصوب رأي ابن الحجّاج فأصدر أوامره إلى جميع قواته بترك المبارزة مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام(١) .

هجوم عمرو بن الحجّاج

وشنّ عمرو بن الحجّاج هجوماً عاماً على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ، والتحموا معهم التحاماً رهيباً ، واشتد القتال أشد ما يكون عنفاً ، وقد تكبّد كلا الفريقين خسائر كبيرة في الأرواح .

مصرع مسلم بن عوسجة رضي الله عنه

وسقط في المعركة صريعاً علم من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ، وفذّ لامع من أنصاره وهو مسلم بن عوسجة رضي الله عنه ، فمشى لمصرعه الإمام الحسين عليه السلام ، وكان مسلم يعالج سكرات الموت فدنا منه وقال له : **رَحِمَكَ اللهُ يا مُسْلِمُ ، ﴿فَمِنْهُم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾**(٢) .

واقترب منه زميله وأخوه في الجهاد حبيب بن مظاهر ، فقال له : عزّ عليّ

---

١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٣ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٠ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٣ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٠ .

(٢) الأحزاب ٣٣ : ٢٣ .

مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة.

فقال مسلم بصوت خافت: بشّرك الله بخير.

وانبرى حبيب فقال له: لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك لاحببت أن توصي إليّ بما أهمّك.

وعَهِد إليه مسلم بأعزّ وأخلص ما عنده قائلاً: أُوصيك بهذا ـ وأشار إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ أن تموت دونه[١].

وكانت هذه الكلمات آخر ما تلفّظ به[٢].

لقد كانت هذه هي العظمة حقاً بما تحمل من معاني السمو والشرف لدى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، لقد كان كل واحد منهم يمثّل شرف الإنسانية في جميع عصورها ومواطنها.

إنّه الوفاء الذي ينبض بالإيمان الذي لا حدّ له، فلم يفكّر في تلك اللحظة من حياته بأهله، أو بأيّ شأن من شؤون الدنيا، وإنّما استوعب فكره الحسين فقد أخلص في حبّه حتى النفس الأخير من حياته.

وتنفس معسكر ابن سعد بمقتل البطل العظيم مسلم بن عوسجة فجعلوا يتباشرون وهم ينادون في شماتة ظاهرة: قتلنا مسلماً.

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٣ و ١٠٤. اللهوف: ٦٤. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٣٣. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ١٥ و ١٦. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٠. البداية والنهاية: ٨: ١٨٤.

(٢) وقد ذكر ابن الأثير في تاريخه: «أنّ مسلماً قتل مسلمَ بنَ عبدالله الضبابي، وعبد الرحمن بن خشكارة البجلي» ـ الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٠.

لكنّ الصحيح كما تشير أغلب المصادر التاريخية أنّهما هما اللذان قتلا مسلم بن عوسجة ـ أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٣٣ و ٦٣٤.

وثقل ذلك على شَبَث بن ربعي ، فقد كان يعرف مسلماً ويقدّر فضله ، فخاطب من حوله بتأثّر : ثكلتكم أُمّهاتكم ، إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم ، وتذلّون أنفسكم لغيركم ، أتفرحون بقتل مثل مسلم ؟ !

أما والذي أسلمت له لَرُبَّ موقفٍ له قد رأيته في المسلمين ، فقد رأيته يوم (سَلق) آذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تتامِّ خيول المسلمين ، أفيقتل مثله وتفرحون ؟ ! [(١)].

إنّ أُولئك الممسوخين الذين قتلوا هذا البطل العظيم ، إنّما قتلوا نفوسهم ؛ لأنّه إنّما قُتل دفاعاً عن مصالحهم وحقوقهم التي استهترت بها السلطة الأُموية .

هجوم الشمر

وهجم الأبرص الخبيث شمر بن ذي الجوشن مع مفرزة من جيشه على ميسرة أصحاب الإمام الحسين عليه‌السلام الذين كانوا اثنين وثلاثين فارساً ، وقد صدّوهم ببسالة وصبر ، وأنزلوا بأعدائهم أفدح الخسائر ، فلم يحملوا على جانب من خيل أهل الكوفة إلّا كشفوه [(٢)].

مصرع عبدالله الكلبي رضي‌الله‌عنه

وجاهد عبدالله بن عمير الكلبي جهاد الأبطال ، فكان يضرب بسيفه ذات اليمين واليسار ، وقد قتل ـ فيما يقول المؤرخون ـ تسعة عشر فارساً ، واثني عشر

---

(١) إبصار العين : ٨٤. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٣ و ٦٣٤. مقتل الحسين عليه‌السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٦. الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٠.

(٢) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٠.

راجلاً[١]، وقد أصابته جراحات كثيرة، فشدّ عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي وبكير ابن حي التميمي فقتلاه[٢]، وانتهت بذلك حياة هذا البطل الذي وهب حياته لله وتفانى في الولاء والإخلاص لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد انطلقت زوجته السيدة أُمّ وهب تبحث عنه بين جثث القتلى، فلمّا عثرت عليه جلست إلى جانبه وهي تبارك له شهادته بإيمان واخلاص قائلة: هنيئاً لك الجنة، أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك.

وأخذت تتضرّع إلى الله أن يحشرها معه في الفردوس الأعلى، وبصر بها الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن الذي يحمل رجس أهل الأرض، فأوعز إلى غلامه رستم بقتلها، فغافلها العبد من الخلف وهشّم رأسها بعمود، فماتت شهيدة في المعركة[٣].

ويقول المؤرخون: إنّها أوّل امرأة قتلت من أصحاب الحسين عليه السلام، ومعنى ذلك أنّ هناك نساء أُخر من نساء أصحابه قد استشهدن في المعركة، وقد انتهكت بذلك سنن القتال التي كانت سائدة في الجاهلية والإسلام من تحريم قتل النساء والأطفال.

استنجاد عزرة

إنّ عَزْرَة بن قيس من القادة البارزين في معسكر ابن سعد، وكان ممّن يديرون عمليات الحرب، وقد ذهل من بسالة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وما أنزلوه

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٢. وفي مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ١٣: أنّه قتل في المبارزة أربعة وعشرين راجلاً، واثني عشر فارساً. وفيهما: أنّه وهب بن عبدالله الكلبي، وقد أُخذ أسيراً ثم قتل.

(٢) إبصار العين: ١٤١. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٣٤. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٠.

(٣) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠١. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٣٥. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ١٣. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩١.

بالجيش من الأضرار البالغة ، فاستنجد بابن سعد ليمدّه بالرماة والرجال قائلاً : ألا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدّة اليسيرة ؟ ! ابعث إليهم الرجال والرماة .

وطلب ابن سعد من شَبَث بن ربعي القيام بنجدته فأبى ، وقال : سبحان الله ، شيخ مضر وأهل المصر عامّة تبعثه في الرماة ، لم تجد لهذا غيري ؟ !

وكان شَبَث بن ربعي يشعر بوخز في ضميره من الخوض في هذه المعركة ، وقد صرّح بذلك غير مرّة قائلاً : لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ، ولا يسددهم لرشد ، ألا تعجبون أنّا قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آلَ أبي سفيان لخمس سنين ، ثمّ عَدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ، ضلال يالك من ضلال[١] .

ولمّا سمع ذلك منه ابن سعد دعا الحصين بن تميم فبعث معه المجفّفة وخمسمائة من الرماة فأمرهم برشق أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بالسهام ، فسددوا إليهم سهامهم فأصابوا خيولهم فعقروها فصاروا كلهم رجّالة ، ولكن لم تزدهم هذه الخسارة الجسيمة إلّا استبسالاً في القتال واستهانة بالموت ، فثبتوا كالجبال الشامخات ولم يتراجعوا خطوة واحدة ، وقد قاتل معهم الحرّ بن يزيد الرياحي راجلاً ، واستمرّ القتال أعنف وأشدّ ما يكون بسالة ، ووصفه المؤرخون بأنّه أشدّ قتال عرفته الأُمّة ، وقد استمر حتى انتصف النهار[٢] .

فتح جبهة ثانية

ورأى ابن سعد أنّ وحدة الجبهة في القتال ستكبّد جيشه أفدح الخسائر ، وتقضي

---

(١) الإرشاد : ٢ : ١٠٤ ، وفيه : « عروة بن قيس » بدل : « عزرة بن قيس » . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٤ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩١ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠١ و ٤٠٢ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩١ .

بطول الوقت وامتداد الحرب، فرأى أن يفتح جبهة ثانية حتى يسهل القضاء على البقية الباقية من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فأوعز بتقويض مضاربه وبيوته التي كانت محيطة بأصحابه يميناً وشمالاً حتى يشتغلوا بالدفاع عنها، وتضعف بذلك جبهتهم، وهجمت جنوده فجعلوا يقوّضونها، فكَمِنَ لهم بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فجعلوا يقتلونهم ويعقرون خيولهم، وباءت هذه الخطّة بالفشل الذريع، ولم تحقق أيّ نصر لها.

وأمر ابن سعد ثانياً بحرق الخيام حتى تهجم خيله عليهم، وحاول الأصحاب منعهم عن ذلك، فنهاهم الإمام الحسين عليه السلام، وقال: **دَعُوهُمْ لِيُحْرِقُوها فَإِذا أَحْرَقُوها فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَجُوزُوا إِلَيْكُمْ** فكان الأمر كما قال عليه السلام، فقد حالت النار بينهم وبين أصحابه، وبقيت جبهة القتال واحدة[١].

محاولة الشمر لإحراق حرائر الوحي

وحمل الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن على فسطاط الإمام الحسين عليه السلام الذي يضمّ السيدات من عقائل النبوة وحرائر الوحي، ونادى الوغد رافعاً عقيرته: عليَّ بالنار لأُحرقه على أهله[٢].

لقد تردّى هذا الإنسان الممسوخ في متاهات سحيقة من الخبث واللؤم، ومن المؤكّد أنّه ليس في مجرمي الحروب وشذّاذ الآفاق مثل هذا المجرم في خبث الطويّة ولؤم العنصر وخساسة الطبع.

واختطف الرعب قلوب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسرت الرعدة بأوصالهن، فخرجن

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٢. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٣٥. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩١. البداية والنهاية: ٨: ١٨٤.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٢. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٣٥. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩١.

من الخيام مذعورات ، وارتفعت أصواتهن بالبكاء ، وخلفهنّ الصبية والأطفال وهم يعجّون بالبكاء ، فكان هول منظرهم ممّا تذوب له النفوس أسىً وحسرات ، والتاع الإمام الحسين عليه السلام ، فصاح بالخبيث الدنس : **أَنْتَ تُحْرِقُ بَيْتِي عَلىٰ أَهْلِي ؟! أَحْرَقَكَ اللهُ بِالنّارِ**[(١)] .

ولم ينثنِ الرجس عن عزمه ، وظلّ يهتف بجنوده ليوافوه بقبس من النار ليحرق خيام أهل البيت عليهم السلام .

إنكار حميد بن مسلم

وأنكر على الشمر حميد بن مسلم ، فقد خفّ إليه بعدما رأى الذعر والخوف قد استولى على بنات رسول الله ، فقال له : إنّ هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين ، تعذّب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء ، والله إنّ في قتل الرجال لما يرضى به أميرك .

فصاح به الشمر : مَن أنت ؟

وخشي حميد بن مسلم أن يعرّفه بنفسه فيوشي به عند ابن زياد ، فقال له : لا أُخبرك من أنا[(٢)] .

وظل الباغي اللئيم مصرّاً على غيّه ليضيف إلى موبقاته جرائم أُخرى .

توبيخ شَبَث بن ربعي

وأسرع إليه شَبَث بن ربعي فوبّخه ، ونهاه فاستجاب له الأثيم على كره وولّى

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩١ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٤ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٥ ـ ٦٣٦ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩١ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٤ .

ليرجع ، فحمل عليه زهير بن القين مع عشرة من أصحابه فأرغموه على الرجوع ، وقد التحموا مع جنده فقتلوا أبا عزّة الضبابي ، وهو من أُسرة الشَّمِر .

وتكاثرت الجيوش على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ، فكان إذا قُتل أحد منهم بان ذلك فيهم لقلّتهم ، إلّا أنّه إذا قُتل أحد من أصحاب ابن سعد لا يبين ذلك فيهم لكثرة عددهم[١] .

انتصاف النهار

وانتصف النهار وجاء ميقات صلاة الظهر ، فوقف المؤمن المجاهد أبو ثمامة الصائدي فجعل يقلّب وجهه في السماء كأنّه ينتظر أعزّ شيء عنده وهي الصلاة ، فلمّا رأى الشمس قد زالت التفت إلى الإمام الحسين عليه السلام قائلاً : نفسي لنفسك الفداء ، أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، والله لا تقتل حتى أُقتل دونك وأُحبّ أن ألقى ربّي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها .

لقد كان الموت منه قاب قوسين أو أدنى وهو لم يغفل عن ذكر ربّه ، ولا عن أداء فريضة دينية ، وجميع أصحابه كانوا على هذا الطراز إيماناً بالله وتفانياً في أداء فرائضه .

ورفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء فجعل يتأمل في الوقت ، فرأى أنّه قد حان أداء الفريضة ، فقال لأبي ثمامة : **ذَكَرْتَ الصَّلَاةَ ، جَعَلَكَ اللهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الذّاكِرِينَ . نَعَمْ هٰذا أَوَّلُ وَقْتِها** .

وأمر الإمام الحسين عليه السلام أصحابه أن يطلبوا من معسكر ابن زياد أن يكفّوا عنهم القتال ليصلّوا لربّهم ، فسألوهم ذلك ، فانبرى الرجس الخبيث الحصين بن تميم قائلاً : إنّها لا تقبل .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٢ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٦ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩١ .

فقال له حبيب بن مظاهر بسخرية: زعمت أنّها لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وتقبل منك يا حمار.

وحمل عليه الحصين، فسارع إليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشبّت به الفرس فسقط عنها، وبادر إليه أصحابه فاستنقذوه[١]، واستمرّ القتال، وقبل أن يؤدي الإمام الحسين عليه السلام الصلاة قتل جماعة من حماة أصحابه، ثمّ بعد ذلك أدّى الفريضة كما سنذكره.

مصرع حبيب رضي الله عنه

حبيب بن مظاهر من ألمع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأشدّهم اندفاعاً في الذود عنه، فكان عضده وساعده، وكان حبيب ممّن زكّى نفسه وغذّاها بالحكمة والصواب، وهو من أصحاب الإمام أميرالمؤمنين ومن شرطة الخميس، وكان نافذ البصيرة صلب الإيمان[٢].

ويقول المؤرخون: إنّه كان يوم الطف من أشدّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام سروراً وغبطة بما يصير إليه من الشهادة بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد برز فجعل يقاتل قتال المشتاقين إلى مصرعه وهو يرتجز:

أَنـا حَـبيبٌ وَأَبِـي مُـظَهَّرُ ... فارِسُ هَيجاءٍ وَحَربٍ تَسْعَرُ
وَأَنْـتُمُ مِـنّا لَـعَمْرِي أَكْـثَرُ ... وَنَحنُ أَوفىٰ مِـنْكُمُ وَأَصْـبَرُ
وَنَحْنُ أَعْلَى حُـجَّةً وَأَظْـهَرُ ... حَقّاً وَأَبقى مِنْكُمُ وَأَعْذرُ[٣]

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٣٦. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩١.

(٢) معجم رجال الحديث: ٥: ٢٠١.

(٣) إبصار العين: ٧٥ ـ ٨١. أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٢. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٣٦ و ٦٣٧. الفتوح: ٥: ١٠٧.

لقد عرّفهم بنفسه الكريمة وبما يتمتع به من الصفات الرفيعة ، فهو بطل الحرب ، والفارس المعلم الذي لم يختلج في قلبه خوف ولا رعب ، وأعلن أنّه بالرغم من كثافة عدد جيش ابن سعد إلّا أنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام على قلّتهم يمتازون عليهم بالوفاء والصبر وعلوّ الحجّة وظهور الحق فيهم ، فهم بهذه الصفات أحق بالخلود وأجدر بالبقاء .

وقاتل حبيب قتالاً أهونه الشديد ، فقد قتل منهم على شيخوخته ـ فيما يقول بعض المؤرخين ـ اثنين وستين رجلاً[١] ، وحمل عليه الرجس الخبيث بُديل بن صُريم فضربه بسيفه ، وطعنه وغد آخر من تميم برمحه ، فهوى إلى الأرض ، ورام أن يقوم ليستأنف الجهاد فبادر إليه الحصين بن تميم فَعَلا رأسه الشريف بالسيف ، فسقط إلى الأرض ونزل التميمي فاحتز رأسه ، وصعدت تلك الروح الطاهرة إلى ربّها راضية مرضيّة .

وقد هدَّ مقتله الحسين عليه السلام ، فوقف على الجثمان العظيم وهو يصعّد آهاته وأحزانه ويقول : **عِنْدَ اللهِ أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحُماةَ أَصْحابِي**[٢] .

مصرع الحرّ رضي الله عنه

وبرز البطل العظيم الحرّ بن يزيد الرياحي الذي استجاب لنداء الحق ، وآثر الآخرة على الدنيا ، فاستقبل الموت بثغر باسم وسرور بالغ لنصرة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله[٣] ، وجعل يقاتل أعنف القتال وأشدّه وهو يرتجز :

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٣ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٢ و ٤٠٣ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٧ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٢ .

(٣) وزعم الحافظ ابن كثير أنّ انضمامه قد كان في ثلاثين فارساً غير أنّه لا يعزو هذا القول إلى راوٍ بعينه ـ البداية والنهاية : ٨ : ١٧٩ .

إِنِّي أَنا الحُرُّ وَمَـأْوَى الضَّـيْفِ أَضْرِبُ في أَعْنَاقِكُمْ بِالسَّيْفِ
عَنْ خَيْرِ مَنْ حَلَّ بِلادَ الخَيْفِ أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرىٰ مِـنْ حَـيْفِ

لقد دلل بهذا الرجز على كرمه وسخائه وأنّ بيته كان مـأوى للـضيوف ومـوطناً للقاصدين، كما أعلن أنّه إنّما يضرب في أعناقهم بسيفه حماية عن الإمام العظيم الذي هو خير من استوطن بلاد الخيف، وهـو بـذلك لا يـرى بـأساً أو حـيفاً فـي قتاله لهم.

وكان الحرّ يقاتل ومعه زهير بن القين، وكان إذا شدّ أحدهما واستلحم شدّ الآخر واستنقذه، وداما على ذلك ساعة، وأُصيب فرس الحرّ بجراحات فلم يـنزل عـنه وإنّما ظل يقاتل عليه، وكان يتمثّل بقول عنترة:

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةِ نَـحْرِهِ وَلَبانِهِ حَتّىٰ تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ[١]

وكانت بين الحرّ وبين يزيد بن سفيان عداوة قديمة ومتأصّلة، فاستغلها الحصين ابن تميم فقال له: هذا الحرّ الذي كنت تتمنى قتله، وحمل عليه يزيد فشدّ عـليه الحرّ فقتله، وسدد أيوب بن مِشرَح سهماً لفرس الحرّ فعقره وشبّ به الفرس فوثب عنه كأنّه الليث ولم يصب بضرر، وجعل يقاتل ببسالة وهو راجل حتى قَتَل ـ فيما يقول بعض المؤرخين ـ نيفاً وأربـعين رجـلاً[٢]، وحـملت عـليه الرجّـالة بسـيوفها ورماحها فأردته إلى الأرض صريعاً يتخبّط بدمه الزاكي.

وبادر أصحابه فحملوه ووضعوه أمام الفسطاط الذي كانوا يقاتلون دونه، ووقف عليه الإمام الحسين عليه السلام فجعل يتأمّل وجهه بنظرات ملؤها نور الله، ووقف أصحابه في خشوع، وانبرى الإمام الحسين عليه السلام فجعل يمسح الدم عن وجهه وهو يؤبّنه بهذه

---

(١) **اللَّبان**: الصدر، وقيل وسطه. وقيل: ما بين الثديين ـ لسان العرب: **١٢: ٢٣٠** ـ لَبَنَ.

(٢) مناقب آل أبي طالب: **٤: ١٠٠**. تاريخ الأُمم والملوك: **٤: ٦٣٤، ٦٣٧**. الفتوح: **٥: ١٠١** و **١٠٢**. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: **٢: ١٠** و **١١**. البداية والنهاية: **٨: ١٨٥**.

الكلمات : **أَنْتَ الْحُرُّ كَما سَمَّتْكَ أُمُّكَ ، وَأَنْتَ الْحُرُّ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ .**

لقد كان الحرّ حرّاً حينما تغلّب عقله على هواه واختار الشهادة على الحياة فنصر سيد شباب أهل الجنة ، ومات ميتة كريمة في سبيل الحق ، وانبرى بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فرثاه بخشوع :

لَـنِعْمَ الحُـرُّ حُـرُّ بَـنِي رِيـاحِ   صَبُورٌ عِنْدَ مُشْتَبَكِ الرِّمـاحِ

وَنِعْمَ الحُرُّ إِذْ فادىٰ حُسَـيْناً   وَجادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّباحِ[١]

أداء فريضة الصلاة

وبالرغم ممّا كان الإمام الحسين عليه السلام يعانيه من الخطوب الفادحة التـي تـتصدّع من هولها الجبال ، فإنّ فكره كان مشغولاً بأداء فريضة الصـلاة التـي هـي مـن أهـم العبادات في الإسلام ، وطلب من أعدائه أن يمهلوه ليصلّي لربه فاستجابوا له ، وأقبل على الله بقلب منيب فصلى بمن بقي من أصحابه صلاة الخوف ، وكانت صلاته في تلك اللحظات الرهيبة من أصدق مظاهر الإخلاص والطاعة لله ، وهل كـانت هـذه الحرب إلّا من أجل إقامة الصلاة ؟!

مصرع سعيد الحنفيّ رضي الله عنه

وانبرى أمام الإمام الحسين عليه السلام سعيدُ بنُ عبدالله الحـنفي يـقيه بـنفسه السـهام والرماح التي تواجهه من معسكر الأعداء الذين خاسوا بما عاهدوا الإمام عليه السلام عليه من إيقاف عمليات الحرب حتى يؤدّي فريضة الله ، فقد اغتنموا الفـرصة فـراحـوا يرشقون الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بسهامهم ، وكان سعيد الحنفي ـ فـيما يـقول

---

(١) الأمالي / الصدوق : ٢٢٣ و ٢٢٤ ، الحديث ٢٣٩ . أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩٧ . الفتوح : ٥ : ١٠٢ .

المؤرخون ـ يبادر نحو السهام فيتّقيها بصدره ونحره ، ووقف ثابتاً كأنّه الجبل لم تزحزحه السهام التي اتّخذته هدفاً لها ، ولم يكد يفرغ من صلاته حتى أُثخن الحنفي بالجراح فهوى إلى الأرض يتخبّط بدمه ، وهو يقول بنبرات خافتة : اللهم العنهم لعن عاد وثمود ، وأبلغ نبيك مني السلام ، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإنّي أردت بذلك ثوابك ونصرة ذريّة نبيك .

والتفت إلى الإمام الحسين عليه السلام ليرى هل أدّى حقّه ووفى له بعهده قائلاً : أوفيت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فأجابه عليه السلام شاكراً له : **نَعَمْ ، أَنْتَ أَمامِي في الْجَنَّةِ** .

وأترعت نفسه بالرضا والمسرّات حينما سمع قوله ، ثمّ فاضت نفسه الزكية إلى بارئها ، وقد تخرّق جسده من السهام والرماح ، فقد أُصيب بثلاثة عشر سهماً عدا الضرب والطعن[١] . لقد كان هذا حقّاً هو الوفاء الذي لا يبلغه وصف ولا إطراء .

مصرع زهير رضي الله عنه

ومن أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين صهر نفوسهم الإيمان بالله زهير بن القين ، فقد كان يتعجّل الرواح إلى الجنّة لمصافحة الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد اتّجه صوب الإمام الحسين عليه السلام وهو جذلان مسرور بما يقوم به من التضحية في سبيله ، ووضع يده على منكب الحسين عليه السلام وهو يخاطبه بهذا الرجز :

أَقْدِمْ حُسَيناً هادِياً مَهدِيّاً ... فَالْيَومَ أَلقىٰ جَدَّكَ النَّبِيّا

وَحَسَناً وَالمُرتَضىٰ عَلِيّاً ... وَذَا الْجَنَاحَينِ الفَتَى الْكَمِيّا

---

(١) اللهوف : ٦٦ . إبصار العين : ١٦٥ ـ ١٦٧ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٣ .

وفي تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٨ . ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٧ : أنّه أبو ثمامة الصائدي .

وَأَسَدَ اللهِ الشَّهِيدَ الحَيّا[(١)]

وكشف هذا الرجز عن إيمانه الراسخ ، فإنّه على يقين لا يخامره شكّ أنّه سيحظى بملاقاة النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيّه الإمام أميرالمؤمنين والحسن وجعفر وحمزة عليهم السلام ، وكان ذلك من أروع ما يصبو إليه .

وأجابه الإمام الحسين عليه السلام : **وَأَنا أَلْقاهُمْ عَلىٰ أَثَرِكَ**[(٢)] .

وحمل البطل على معسكر ابن زياد وهو يرتجز :

أَنـا زُهَـيرٌ وَأَنـا ابـنُ القَـينِ ... أَذُودُكُم بِالسَّيفِ عَن حُسَينِ

إِنَّ حُسَـيناً أَحَـدُ السِّـبطَينِ ... مِن عِـتْرَةِ البَـرِّ التَّـقِيِّ الزَّيـنِ

ذاكَ رَسُولُ اللهِ غَيرُ مَينِ ... أَضرِبُكُمْ وَلَا أَرىٰ مِنْ شَـينِ

يَا لَيتَ نَفْسِي قُسِمَتْ قِسْمينِ[(٣)]

لقد عرّفهم بنفسه ، وأعلن لهم أنّه إنّما يناجزهم الحرب دفاعاً عن سيده الحسين عليه السلام ، وقاتل أعنف وأشدّ ما يكون القتال ، وقد قتل ـ فيما يقول المؤرخون ـ مائة وعشرين رجلاً[(٤)] .

وأبلى في المعركة بلاءً يتعاظم عنه الوصف ، وشدّ عليه المهاجر بن أوس التميمي ، وكثير بن عبدالله الشعبي فقتلاه .

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٥ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٣ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٥ و ١٨٦ . وفي مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٣ . الفتوح : ٥ : ١٠٩ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٢٠ ، أنّ الرجز للحجاج بن مسروق الجعفي .

(٢) كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٤٤٧ ، نقلاً عن أسرار الشهادة : ٢٩٥ .

(٣) الأمالي / الصدوق : ٢٢٤ ، الحديث ٢٣٩ . الدمعة الساكبة : ٤ : ٣٠٦ . الفتوح : ٥ : ١٠٩ .

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٤ . الدمعة الساكبة : ٤ : ٣٠٦ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٠٦ .

ومشى لمصرعه الحسين عليه السلام وهو مثقل بالهموم والأحزان فألقى عليه نظرة الوداع الأخير، وراح يؤبّنه قائلاً: **لَا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ يا زُهَيْرُ، وَلَعَنَ قاتِلِيكَ لَعْنَ الَّذِيْنَ مُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنازِيرَ**(١).

لقد كان زهير من الأبرار الأصفياء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

مصرع نافع بن هلال رضي الله عنه

وممّن وهب حياته لله نافع بن هلال الجملي، فقد انبرى بإيمان وصدق فجعل يرمي أعداء الله بسهام مسمومة كان قد كتب عليها اسمه، وهو يقول:

أرْمِي بِها مُعْلَمَةً أَفْواقُها ... مَسْمُومَةً تَجرِي بِهَا أَخْفاقُها

لَيَمْلَأَنَّ أرْضَها رُشّاقُها ... وَالنَّفْسُ لَا يَنْفَعُها إِشْفاقُها(٢)

ولم يزل يرميهم بسهامه حتى نفدت، ثمّ عمد إلى سيفه فسلّه وحمل عليهم وهو يرتجز:

أَنا الغُلَامُ اليَمَنيُّ الجَمَلي ... دِينِي عَلىٰ دِينِ حُسَيْنِ بنِ عَلي

إنْ أُقْتَلَ اليَوْمَ فَهٰذا أَمَلِي ... وَذاكَ رَأْيِي وَأُلاقِي عَمَلِي(٣)

لقد عرّفهم بنفسه، وعرّفهم بعقيدته، فهو على دين الحسين ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو إنّما يقاتل دفاعاً عن عقيدته ومبدئه.

وجعل يقاتل بعزم شامخ قد استمدّ من وحدة سيده الحسين عليه السلام وغربته النشاطَ

---

(١) الدمعة الساكبة: ٤: ٣٠٦. إبصار العين: ١٣١.

(٢) الأمالي / الصدوق: ٢٢٥، الحديث ٢٣٩. الدمعة الساكبة: ٤: ٣٠٧. أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٤. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٢١.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٤. الدمعة الساكبة: ٤: ٣٠٧. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٢١.

والحماسَ ، وقد قتل منهم اثني عشر رجلاً سوى المجروحين[١] ، وأحاط به أعداء الله فجعلوا يرشقونه بالسهام ويقذفونه بالحجارة حتى كسروا عضديه ، فلم يتمكّن أن يحمل سيفه فبادروا إليه وأخذوه أسيراً إلى ابن سعد فقال له : ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟

فأجابه جواب المؤمن بربّه قائلاً : إنّ ربّي يعلم ما أردت !

والتفت إليه بعض أصحاب ابن سعد وقد رأى الدماء تسيل على وجهه ولحيته فقال له : أما ترى ما بك ؟

فقال مستهزئاً ومثيراً لغضبهم : والله لقد قتلت منكم اثني عشر رجلاً سوى من جرحت ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد ما أسرتموني .

وثار الأبرص الخبيث شَمِر بن ذي الجوشن فعمد إلى سيفه فسلّه ، فصاح به نافع : والله يا شَمِر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل منايانا على أيدي شرار خلقه[٢] .

أجل والله ، لو كان عند الشمر مُسكة من الدين لما اقترف تلك الجرائم التي لا يقترفها إلّا من لا علاقة له بالله تعالى . واندفع الوغد إلى نافع فضرب عنقه ، وبذلك انتهت حياة هذا البطل العظيم الذي أخلص لدينه ، وأخلص في الدفاع عن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو من أعظم رجال الإسلام صلابة في الحق وصدقاً في الدفاع عنه .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٨.

وفي مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٢١ : « أنّه قتل ثلاثة عشر رجلاً » .

(٢) الدمعة الساكبة : ٤ : ٣٠٧ . إبصار العين : ١١٤ ـ ١١٧ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٤ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٦ .

مصرع شوذب بن عبدالله الهَمْداني الشاكري رضي الله عنه

ولمّا رأى البطل الملهم عابس بن أبي شبيب الشاكري وحدة الإمام الحسين عليه السلام ، واجتماع أهل الكوفة على قتله ، أقبل على رفيقه في الجهاد شوذب مولى شاكر(١) ، فقال له : يا شوذب ما في نفسك أن تصنع ؟

فانبرى شوذب يعلن ما صمم عليه من الفداء والتضحية قائلاً : أُقاتل حتى أُقتل .

فشكره عابس وحفّزه على القتال ، قائلاً : تقدّم بين يدي أبي عبدالله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك ، فإنّ هذا يوم نطلب فيه الأجر بكل ما نقدر عليه .

فأيّ إيمان مثل هذا الإيمان ؟ إنّه كان يسعى جاهداً بجميع طاقاته ليظفر بما يقرّبه إلى الله زلفى ، وتقدّم شوذب فأدّى التحية إلى الإمام الحسين عليه السلام وحمل على معسكر ابن سعد فقاتل قتال الأبطال حتى استشهد بين يدي أبي عبدالله(٢) .

مصرع عابس الشاكري رضي الله عنه

عابس بن أبي شبيب الشاكري كان من أُسرة عريقة في الشرف والنبل ، عرفت بالشجاعة والإخلاص للحق ، وفيهم يقول الإمام عليّ عليه السلام : **لَو تَمَّتْ عِدَّتُهُمْ أَلْفاً لَعُبِدَ اللهُ حَقَّ عِبادَتِهِ**(٣) ، وكانوا يلقّبون : (فتيان الصباح)(٤) ، وكان عابس في طليعة أُسرته ، ومن أفذاذهم وهو الذي حمل رسالة مسلم رضي الله عنه إلى الحسين عليه السلام التي يطلب فيها قدومه إلى العراق ، وظلّ ملازماً للإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى كربلاء ، وكان من ألمع أصحابه في الولاء والإخلاص له ، وقد تقدّم إليه يطلب منه الإذن في القتال ،

---

(١) ورد في الزيارة الرجبيّة : « سويد مولى شاكر » ـ إقبال الأعمال : ٢٣٠ .

(٢) الدمعة الساكبة : ٤ : ٣٠٩ . إبصار العين : ٩٨ ـ ١٠٠ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٠ .

(٣) إبصار العين : ٩٨ .

(٤) وقعة صفّين : ٢٥١ .

وخاطب الإمام الحسين عليه السلام فأعرب له بما يحمله في نفسه من الولاء العميق قائلاً: ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ منك، ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعز عليّ من نفسي لفعلت، السلام عليك أشهد أنّي على هداك وهدى أبيك[١].

ثمّ هجم على معسكر ابن سعد، وطلب منهم المبارزة فلم يجبه أحد، فقد جبنوا جميعاً عن مقابلته؛ لأنّهم كانوا يعرفونه من أشجع الناس، فجعلوا يتصايحون وقد ملأ الذعر قلوبهم، واختطف الخوف ألوانهم قائلين: هذا أسد الأُسود، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجن إليه أحد منكم.

وصاح ابن سعد بجيشه: ارضخوه بالحجارة.

فعمدوا إلى الحجارة فجعلوا يرضخونه بها من كل جانب، ولمّا رأى البطل جبنهم وإحجامهم عن مقابلته ألقى درعه ومغفره وشدّ عليهم كالليث، فكان يطرد ما بين يديه أكثر من مائتين من الناس، ثمّ انعطفوا عليه من كل جانب فأردوه صريعاً، واحتزّوا رأسه الشريف، وجعلوا يتخاصمون فيما بينهم كل واحد منهم يدّعي أنّه قتله ليحظى بالجائزة، وأنكر ابن سعد أن يكون قد قتله واحد منهم وإنّما اشترك في قتله جماعة منهم[٢]، وقد انتهت بذلك حياة هذا البطل العظيم الذي أبلى في الدفاع عن الإسلام بلاءً حسناً، وجاهد جهاد النبيين.

هزيمة الضحّاك

كان الضحّاك بن عبدالله المشرقي من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّه لمّا

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٤. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٠.

(٢) الدمعة الساكبة: ٤: ٣٠٩. إبصار العين: ٩٨ ـ ١٠٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٠. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٢٢ و ٢٣.

رأى كثرة القتلى من أصحابه عليه السلام صمم على الهزيمة والفرار، وجاء إلى الحسين عليه السلام فقال له: لقد كنت رافقتك على أن اُقاتل معك ما وجدت مقاتلاً، فَأْذَنْ لي في الانصراف فإنّي لا أقدر على الدفاع عنك، ولا عن نفسي.

وأذِنَ له الإمام الحسين عليه السلام في الانصراف فولّى منهزماً، وعرض له قوم من أصحاب ابن سعد إلّا أنّهم خلّوا سبيله فمضى هارباً، فلم يرزق الشهادة بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

شهادة جون رضي الله عنه

جون[٢] من أفذاذ الإسلام، وهو مولى لأبي ذر الغفاري، وكان شيخاً كبيراً قد أترعت نفسه الشريفة بالتقوى والإيمان، ولم يمنعه سواد بشرته وتواضع حسبه أن يتبوّأ المكان الرفيع، ويكون من أعلام المسلمين فينال من الإكبار والتعظيم ما لم ينله أحد من أبطال التاريخ.

ويقول المؤرخون: إنّه تقدم ضارعاً إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ ليمنحه الإذن فيستشهد بين يديه.

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: **يا جَونُ، إنَّما تَبِعْتَنا طَلَباً لِلْعافِيَةِ، فَأَنْتَ في إِذْنٍ مِنِّي**.

وهوى جون على قدمَيه يوسعهما تقبيلاً ودموعه تتبلور على خدّيه وهو يقول: أنا في الرخاء أَلْحَسُ قصاعكم وفي الشدّة أخذلكم، إنّ ريحي لنتن وحسبي للئيم ولوني لأسود، فتنفس عليَّ بالجنة ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيضّ لوني،

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٤ و ٤٠٥. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤١.

(٢) قيل: اسمه «حوي» ـ أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٣. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦١٩. الفتوح: ٥: ١٠٨.

وفي مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٣: «جوين».

لا والله لا أُفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم[(١)].

أيّة عظمة عبّرت عنها هذه الكلمات المشرقة ؟! وأيّ شرف انطوت عليه نفسه ؟! إنّ لونه الأسود لأشرق وأنضر من ألوان أُولئك العبيد، وهو الحرّ بما يحمل من سمو النفس، وشرف الذات، وإنّ ريحه لأطيب من ريحهم، وإنّ حسبه هو الحسب الوضّاء، وإنّ أهل الكوفة هم المغمورون في أحسابهم، فقد تنكّروا لإنسانيتهم، وصاروا وصمة عار وخزي على البشرية بأسرها.

لقد حفل كلام جون بمنطق الأحرار، فإنّه ليس من الإنسانية في شيء أن ينعم في ظلال الإمام الحسين عليه السلام أيام الرخاء، ويخذله أمام هذه المحنة القاسية، لقد كان الوفاء من العناصر المميزة لكل فرد من أصحاب الإمام أبي عبدالله عليه السلام على بقية شهداء العالم.

وأذِنَ له عليه السلام، فبرز مزهوّاً وهو يرتجز:

كَيفَ تَرَى الفُجّارُ ضَرْبَ الأَسْوَدِ ... بِالمَشرِفِيِّ القاطِعِ المُهَنَّدِ

بِالسَّيفِ صُلنَا عَن بَنِي مُحَمَّدِ ... أَذُبُّ عَنهُم بالِلّسَانِ وَاليَدِ

أرجُو بِذاكَ الفَوزَ يَوْمَ المَورِدِ ... مِنَ الإلهِ الواحِدِ المُوَحَّدِ

إذْ لَا شَفَيعَ عِنْدَهُ كَأَحْمَدِ[(٢)]

ودلل بهذا الرجز على بسالته وشجاعته، وهو إنّما يدافع عن أبناء النبيّ صلى الله عليه وآله ويذبّ عنهم بلسانه ويده لا يبتغي في ذلك أيّ شأن من شؤون الدنيا، وإنّما يرجو الفوز في الدار الآخرة والشفاعة من النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله.

---

(١) مثير الأحزان / ابن نما: ٣٣. اللهوف: ٦٤ و ٦٥. الدمعة الساكبة: ٤: ٣٠٣. إبصار العين: ١٣٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٣. الدمعة الساكبة: ٤: ٣٠٢. الفتوح: ٥: ١٠٨. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ١٩.

وقاتل جون قتال الأبطال، فقتل ـ فيما يقول المؤرخون ـ خمسة وعشرين رجلاً، وحمل عليه أعداء الله فأردوه قتيلاً. وخفّ إليه الإمام الحسين عليه السلام فجعل ينظر إلى جثمانه المخضّب بالدماء وأخذ يدعو له قائلاً: **اللّٰهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ، وَطَيِّبْ رِيحَهُ، وَاحْشُرْهُ مَعَ مُحَمَّدٍ، وَعَرِّفْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آلِ مُحَمَّدٍ**.

واستجاب الله دعاء الإمام الحسين عليه السلام فكان مَن يمر بالمعركة يشمّ منه رائحة طيبة أذكى من المسك[١].

شهادة حنظلة الشبامي رضي الله عنه

حنظلة بن أسعد الشبامي[٢] ممّن صاغ حياته على الإيمان بالله حتى بلغ أعلى مستويات القِيَم الإنسانية، فتقدّم إلى الإمام الحسين عليه السلام بلهفة وشوق؛ ليأخذ مكانه العالي مع الشهداء من أصحابه، وطلب منه الإذن فسمح له، وتقدّم إلى ساحة القتال فجعل يَعِظُ القوم ويذكّرهم الدار الآخرة مقتبساً من القرآن ما ذكّر به الصالحون أقوامهم: ﴿**يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُم مِثْلَ يَومِ الأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعدِهِم وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً للعِبَادِ * يَا قَومِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُم يَوَمَ التَّنَادِ * يَومَ تُوَلُّونَ مُدبِرِينَ مَالَكُم مِنَ اللهِ مِن عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ**﴾[٣]. يا قوم، لا تقتلوا حسيناً فَيُسْحِتَكُم الله بعذاب ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٢٣. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٣١٣.

(٢) هو حنظلة بن أسعد بن شبام بن عبدالله الهَمْداني الشبامي.

وفي الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٥: «حنظلة بن سعد».

وفي اللهوف: ٦٥: «حنظلة بن سعد الشامي».

(٣) غافر ٤٠: ٣٠ ـ ٣٣.

(٤) طه ٢٠: ٦١.

ولم يعِ أُولئك الأوغاد كلامه وإنّما راحوا سادرين في طيشهم وضلالهم ، قد ختم الله على قلوبهم وأسماعهم فهم لا يبصرون ، وشكر له الإمام مقالته ، وقال له عليه السلام : **رَحِمَكَ اللهُ ، إنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا الْعَذابَ حِينَ رَدُّوا عَلَيْكَ ما دَعَوتَهُمْ إلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ، وَنَهَضُوا إلَيْكَ لِيَسْتَبِيحُوكَ وَأَصْحابَكَ ، فَكَيْفَ بِهِمْ الْآنَ وَقَدْ قَتَلُوا إخْوَانَكَ الصّالِحِينَ ؟ !**

فقال : صدقت جعلت فداك ، أنت أفقه منّي وأحق بذلك ، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا ؟

فقال عليه السلام : **رُحْ إلىٰ خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها ، وَإلىٰ مُلْكٍ لَا يَبْلىٰ .**

فقال : السلام عليك أبا عبدالله ، صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك ، وعرّف بيننا وبينك في جنته .

فقال عليه السلام : **آمِينَ آمِينَ .**

وأذن له عليه السلام فانطلق إلى ساحة المعركة بشوق ليفوز بالشهادة ، وقاتل قتال الأبطال حتى استشهد ، وقد وفى بما عاهد عليه الله من نصرة الحق والفداء في سبيل الإسلام[١] .

مصرع الحجّاج بن مسروق الجعفي رضي الله عنه

ومن بين صفحات الفداء الباهرة التي تحمل العظمة الإنسانية الحجّاج بن مسروق الجعفي رضي الله عنه[٢] ، فقد كان حبّه للموت في سبيل الله منتهى طموحه وأمانيه ، فبرز إلى ساحة الحرب ، وجعل يقاتل أعنف القتال وأشدّه حتى خُضّب بدمائه الزكية ، فقفل

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٥ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٩ و ٦٤٠ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٢ .

(٢) هو الحجاج بن مسروق بن جعف بن سعد العشيرة المذحجي الجعفي ـ إبصار العين : ١١٨ ـ ١٢٠ .

راجعاً إلى الإمام الحسين عليه السلام وهو جذلان مسرور بما قدمه من الفداء والتضحية في سبيله، وأخذ يخاطب الإمام بهذا الرجز:

أَقدِم هُـدِيتَ هـادِياً مَـهْدِيّاً ... اليَـومَ أَلقَـى جَـدَّكَ النَّـبِيّا

ثُـمَّ أَبـاكَ ذَا النَّـدىٰ عَـلِيّاً ... ذاكَ الَّذِي نَـعْرِفُهُ وَصِـيّا[١]

إنّه ليقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مرفوع الرأس بما قدّم من التضحية في سبيل ريحانته.

وقد أجابه الإمام الحسين عليه السلام: **وَأَنا أَلْقاهُما عَلىٰ أَثَرِكَ**.

ورجع إلى ساحة الحرب فجعل يقاتل ببسالة وصمود حتى استشهد دفاعاً عن الحق، فلذكره المجد والخلود[٢].

مصرع عمرو بن جنادة رضي الله عنه

وبرز الفتى النبيل عمرو بن جنادة الأنصاري وهو أصغر جندي في معسكر الحسين عليه السلام من الأصحاب والأنصار، ولكنّه كان يفوق في عقله ودينه مَن في معسكر ابن سعد.

ويقول المؤرخون: إنّه كان يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة، وقد استشهد أبوه في المعركة، فلمّا طلب الإذن منه لم يسمح له بذلك، وقال عليه السلام: **هٰذا غُلَامٌ قُتِلَ أَبُوهُ في الْحَمْلَةِ الْأُوْلىٰ، وَلَعَلَّ أُمَّهُ تَكْرَهُ ذلِكَ**.

واندفع الفتى يلحّ على الإمام الحسين عليه السلام، ويقول له: إنّ أُمّي أمرتني.

فأذِنَ له عليه السلام، ومضى الفتى متحمّساً إلى الحرب فلم يلبث إلّا قليلاً حتّى استشهد، واحتزّ رأسه الشريف أوغاد أهل الكوفة ورموا به صوب مخيّم الحسين، فبادرت إليه

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٣. الفتوح: ٥: ١٠٩. وقد نسب الرجز لزهير بن القين.

(٢) إبصار العين: ١١٨ ـ ١٢٠.

السيّدة أُمّه فأخذته وجعلت توسعه تقبيلاً، ثمّ مسحت عنه الدم، ورمت به رجلاً قريباً منها فصرعته وسارعت إلى المخيّم فأخذت عموداً وحملت على أعداء الله وهي ترتجز:

أَنَا عَجُوزٌ فِي النِّسا ضَعِيفَهْ   خَاوِيَةٌ بَالِيَةٌ نَحِيفَهْ
أَضْرِبُكُم بِضَرْبَةٍ عَنِيفَهْ   دُونَ بَنِي فاطِمَةَ الشَّرِيفَهْ

وأصابت رَجُلينِ ـ فكانت كاللبوة الهائجة ـ فبادر إليها الإمام الحسين عليه السلام وردّها إلى المخيّم[١].

لقد أثّرت غربة الإمام الحسين عليه السلام ووحدته على عواطف هذه السيدة الكريمة، فقدّمت فلذة كبدها فداءً له، ثم انعطفت هي في ميدان القتال لتفديه بنفسها، فكان هذا حقّاً منتهى الإيمان والاخلاص.

مصرع أنس الكاهلي رضي الله عنه

وأنس بن الحارث الكاهلي من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان شخصية مستقيمة وقوية وناصعة، قد انفتح قلبه للإيمان، وأشرقت روحه بواقع الإسلام، وقد سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: **إنَّ ابْنِي هٰذا** ـ يعني الحسين ـ **يُقتَلُ بِأَرْضِ كَرَبَلَاءَ، فَمَنْ شَهِدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَنْصُرْهُ**[٢].

وقد لازم الحسين عليه السلام وصَحِبَه من مكة، وكان شيخاً كبيراً طاعناً في السن، وقد استأذن منه أن يجاهد بين يديه فأَذِنَ له، وقد شدّ وسطه بعمامته نظراً لتقوّس ظهره كما رفع حاجبيه بالعصابة، فلمّا نظر إليه الإمام الحسين عليه السلام أرخى عينيه

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٤. الدمعة الساكبة: ٤: ٣٠٨. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٢٢.

(٢) الإصابة: ١: ٦٩، الحديث ٢٦٤. أُسد الغابة: ١: ١٤٦.

بالبكاء ، وقال له : **شَكَرَ اللهُ لَكَ يا شَيْخُ** .

وقاتل ـ على كبر سنّه ـ قتال الأبطال ، فروي أنّه قتل ثمانية عشر رجلاً ثمّ استشهد[١] .

وسمت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أُولئك رفيقاً .

مصرع أبي الشعثاء يزيد بن زياد رضي الله عنه

وأبو الشعثاء هو يزيد بن زياد بن المهاصر الكندي ، وكان من أبطال العرب وفرسانهم ، وكان ممّن خرج مع ابن سعد لحرب الإمام الحسين عليه السلام ، ولمّا عرض الإمام الحسين عليه السلام على ابن سعد الشروط التي اشترطها وأبى ابن سعد مال إلى الحسين عليه السلام ، وجعل يرشق القوم بسهامه .

ويقول المؤرخون : إنّه رماهم بمائة سهم فما سقط منها غير خمسة أسهم ، وكلما رمى يقول له عليه السلام : **اللّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ ، وَاجْعَلْ ثَوابَهُ الْجَنَّةَ** .

ولمّا نفدت سهامه جرّد سيفه وحمل عليهم وهو يرتجز :

أَنــا يَــزِيدٌ وأَبــي مُــهاصِرْ　　　أَشْجَعُ مِن لَيثٍ بِغِيلٍ خادِرْ
يَا رَبِّ إِنِّــي لِـلحُسَينِ نـاصِرْ　　　ولابْنِ سَعْدٍ رافـضٌ وَهـاجِرْ

وقاتل قتال الأبطال حتى قتل[٢] ، وانتهت بذلك حياته مدافعاً عن دين الله

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣١٣ . واختلف في اسمه ، فذكر بعنوان : « أنس بن الحارث الكاهلي » كما هو المشهور ، و« مالك بن أنس المالكي » ، و« مالك بن أنس الباهلي » ، و« مالك بن أنس الكاهلي » ـ الدمعة الساكبة : ٤ : ٣٠٦ . أعيان الشيعة : ٣ : ٤٩٩ و ٥٠٠ . إبصار العين : ٧٤ . الفتوح : ٥ : ١٠٧ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٨ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٣ . إبصار العين : ١٣٤ و ١٣٥ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٥ . ⇐

ومناصراً لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله .

مصرع الجَابرِيَّينِ رحمهما الله

ومن ألمع أنصار الإمام الحسين عليه السلام الجابريان ، وهما سيف بن الحارث بن سريع الجابري ومالك بن عبدالله بن سريع الجابري ، وكانا أخوين من أمّ وابني عمّ ، وقد تقدّما بين يَدَي أبي عبدالله عليه السلام ، وعيناهما تفيضان دموعاً ، فقال لهما الإمام الحسين عليه السلام : « **ما يُبْكِيكُما ؟ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونا بَعْدَ ساعَةٍ قَرِيْرَي الْعَيْنِ** » .

فأسرعا قائلينِ : جعلنا الله فداك ، ما على أنفسنا نبكي ، ولكن نبكي عليك ، نراك قد أُحيط بك ، ولا نقدر أن ننفعك .

لقد امتلأت قلوب أصحابه بالولاء الباهر والإخلاص العميق له ، فكانوا لا يفكّرون إلّا به ، ويتحرّقون ألماً وحزناً عليه .

وقاتل الجابريان قتال الأبطال ، وقد تناهبت جسميهما السيوف والرماح في وحشية قاسية ، واستشهدا بالقرب من الإمام الحسين عليه السلام[1] .

مصرع الغفارِيَّينِ رحمهما الله

وبرز إلى ساحة الجهاد الأخوان عبدالله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاري ، فجعلا يقاتلان باستبسال نادر حتى استشهدا بين يَدَي الإمام الحسين عليه السلام[2] .

⇦ تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤١ و ٦٤٢ . الفتوح : ٥ : ١٠٨ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٩ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٣ .

(١) إبصار العين : ١٠٣ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٩ و ٦٤٠ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٢ .

(٢) إبصار العين : ١٣٧ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٢ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٣٩ ، وفيه : « ابنا عزرة » .

وفي الفتوح : ٥ : ١٠٦ : « قرة بن أبي قرة » .

مصرع الأَنصَارِيَّين رحمهما الله

ولمّا استغاث الإمام الحسين عليه السلام ، وجعل يطلب الناصر والمعين لحماية عقائل النبوة ومخدّرات الوحي أثّر ذلك في نفوس الأنصاريينِ ، وهما : سعد وأخوه أبو الحتوف ابنا الحارث الأنصاري العجلاني ، وكانا مع ابن سعد فمالا بسيفيهما على معسكر ابن سعد وقاتلا حتى قتلا(١) .

شهادة أنيس بن معقل الأصبحي رضي الله عنه

وانبرى إلى ساحات الجهاد بين يَدَي أبي عبدالله عليه السلام أنيسُ بن معقل الأصبحي وهو يرتجز :

أَنـــا أُنَـــيسٌ وَأَنـــا ابــنُ مَــعْقِلِ ... وَفي يَـميني نَـصْلُ سَـيْفٍ مُـصْقَلِ

أَضْرِبْ بِهِ في الحَرْبِ حَتّى يَنجَلِي ... أَعْلُو بِـهِ الهـاماتِ وَسْـطَ القَسْـطَلِ

عَــنِ الحُسَـينِ المَـاجِدِ المُـفَضَّلِ ... ابْـــنِ رَسُـــولِ اللهِ خَــيْرِ مُــرْسَلِ

وقد مثّل هذا الرجز الحماس الديني الذي سيطر عليه ، فقد عرّفهم بنفسه وأعلن أنّه إنّما يقاتلهم دفاعاً عن ابن رسول الله ، وهو لا يبغي بذلك أيّ مطمع سوى رضا الله ، وقاتل البطل قتالاً عنيفاً حتى استشهد(٢) .

مصرع قرّة الغفاري رضي الله عنه

ومن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا للحق قرّة بن أبي قرّة الغفاري ، فقد برز وهو يرتجز :

---

(١) إبصار العين : ١٢٤ . الكنى والألقاب : ١ : ٤٥ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٣ . الفتوح : ٥ : ١٠٨ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٩ .

قَـدْ عَـلِمَتْ حَـقّاً بَـنُو غِـفارِ وَخِـنْدِفٍ بَـعْدَ بَـنِي نِـزارِ
بِـأَنَّنِي اللَّـيْثُ لَـدَى الغُبارِ لَأَضْـرِبَنَّ مَـعْشَرَ الفُـجّارِ
بِكُـلِّ عَـضْبٍ ذَكَـرٍ بَـتّارِ ضَرْباً وَحَتْفاً عَن بَنِي المُختارِ
رَهْطِ النَّبِيِّ السّادَةِ الأَبرارِ[1].

وهذا الرجز يتدفّق بالحيوية والحماس للدفاع عن عترة النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد دلل على بطولته بأنّ بني غِفار وخِنْدِف وبني نِزار كلهم يشهدون ببسالته وشجاعته، وهو إنّما يجاهد دفاعاً عن السادة الأبرار أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقاتل الغِفاري قتالاً شديداً حتى هوى هذا البطل الشريف إلى الأرض تحت ضرب السيوف وطعن الرماح، وسمت روحه إلى الرفيق الأعلى.

مصرع يحيى المازني رضي الله عنه

وبرز إلى حومة الحرب يحيى بن سليم المازني، وهو يرتجز:

لَأَضْـرِبَنَّ القَـوْمَ ضَـرْباً فَـيصَلَا ضَرْباً شَدِيداً في الغَداةِ مُعْجِلَا
لا عـاجِزاً فِـيْها وَلَا مُـوَلْوِلَا وَلَا أَخـافُ الْـيَوْمَ مَـوْتاً مُـقْبِلَا
لَكِنَّنِي كاللَّيْثِ أَحْمِي أَشْبُلَا

وأعلن بهذا الرجز عن شجاعته فهو سينزل بالأعداء الضربات القاسية وأنّه سيحاربهم ببسالة وصمود لا عاجزاً ولا مولولاً، ولا خائفاً من الموت، وإنّما هو كالليث يصول فيهم ليحمي عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وشدّ عليهم كأنّه الليث، وقاتلهم أعنف القتال وأشدّه حتى استشهد بين يَدَي أبي عبدالله عليه السلام[2].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٢. الفتوح: ٥: ١٠٦. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ١٨.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٢. الفتوح: ٥: ١٠٦. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ١٧ و ١٨.

الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه

وكان عليه السلام يبعث في نفوس أصحابه روح العزم والصمود، ويوصيهم بالصبر على ملاقاة الأهوال قائلاً لهم: **صَبْراً بَنِي الْكِرامِ، فَما الْمَوْتُ إلّا قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرّاءِ إِلَى الْجِنانِ الْواسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدّائِمَةِ، فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلىٰ قَصْرٍ...**

إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ الدُّنْيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكافِرِ، وَالْمُوتُ جِسْرُ هٰؤُلاءِ إِلىٰ جِنانِهِمْ، وَجِسْرُ هٰؤُلاءِ إِلىٰ جَحِيمِهِمْ؛ ما كَذَبْتُ، وَلَا كُذِّبْتُ(١).

وقد ألهبت هذه الكلمات عواطفهم فخاضوا الموت في استبسال عاصف ليصلوا إلى مراتبهم في الفردوس الأعلى.

شهادة عبدالرحمن اليزني رضي الله عنه

وخرج إلى ميدان القتال عبدالرحمن بن عبدالله اليزني فقاتل ببسالة نادرة، وهو يرتجز:

أَنـا ابْـنُ عَـبْدُاللهِ مِـنْ آلِ يَـزَنْ ... دِينِي عَلىٰ دِينِ حُسَينٍ وَحَسَنْ

أَضْرِبُكُمْ ضَرْبَ فَتىً مِنَ اليَمَنْ ... أَرجُو بِذاكَ الفَوزَ عِنْدَ المُؤْتَمَنْ

لقد عرّفهم بنفسه وأُسرته وبلده، وعرّفهم أنّه على دين سيده الحسين عليه السلام؛ وهو إذ يضحّي بنفسه في سبيله فإنّما يرجو بذلك الفوز عند الله، وقاتل كما قاتل إخوانه الذين استشهدوا ببسالة وعزم ثمّ استشهد(٢).

---

(١) معاني الأخبار: ٢٨٨ و ٢٨٩. بحار الأنوار: ٤٤: ٢٩٧. عوالم العلوم: ١٧: ٣٥١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٢. الفتوح: ٥: ١٠٦.

الإمام الحسين عليه السلام مع الشهداء رحمهم الله

وكان الإمام العظيم يقف على الشهداء الممجّدين من أصحابه وهو يتأمّل بوجهه الوديع فيهم فيراهم مضمّخين بدم الشهادة، ومعطّرين بنفحات من روح الله، فانطلق يؤبّنهم بإعجاب قائلاً: **قَتلَانا قَتْلَى النَّبِيِّينَ وَآلِ النَّبِيِّينَ**[١].

مصرع سويد الخثعمي رضي الله عنه

وكان آخر من استشهد من أصحاب الإمام البطل الشجاع سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي، فقد سقط في المعركة جريحاً وظنّه القوم أنّه قد قتل فلم يجهزوا عليه، وكان قد غابت نفسه من ألم الجروح ونزيف الدماء، فلمّا سمع القوم ينادون: قتل الحسين، انتفض كما ينتفض الأسد الجريح غير حافل بما هو فيه من ألم الجروح، فانبرى يفتّش عن سيفه فلم يجده، وظفر بمِدْيَة فحمل عليهم يطعن فيهم ففرّوا مذعورين، وقد ظنّوا أنّ الموتى من أصحاب الحسين عليه السلام قد عادت إليهم أرواحهم ليستأنفوا الجهاد ثانياً، ولمّا أيقنوا خطأهم انعطفوا عليه فقتلوه، وقد قتله عروة بن بطان التغلبي، وزيد بن رقاد الجنبي[٢].

ولم يعرف التاريخ الإنساني أصدق ولا أنبل من هذا الوفاء، فكان هذا حقّاً هو المجد في معسكر الحسين عليه السلام، فقد ظلّوا على الوفاء لإمامهم حتى الرمق الأخير من حياتهم.

هؤلاء بعض أصحابه، وقد أبلوا في المعركة بلاءً يقصر عنه كل وصف وإطراء، فقد جاهدوا جهاداً لم يعرف له التاريخ نظيراً في جميع عمليات الحروب التي جرت

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٨٠. عوالم العلوم: ١٧: ٣٤٦.

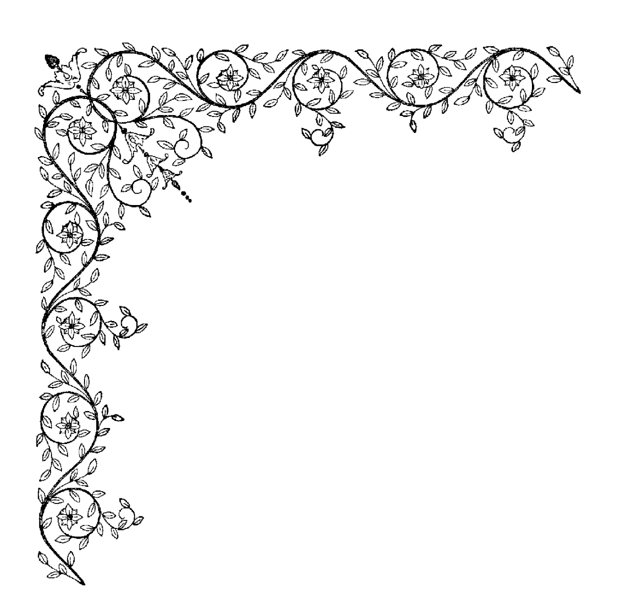
(٢) اللهوف: ٦٦. أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٩ و ٤١٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٨.
وفي مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٢، والفتوح: ٥: ١٠٧، أنّه عمرو بن مطاع الجعفي.

في الأرض ، فقد قابلوا على قلّة عددهم وما بهم من الظمأ القاتل تلك الجيوش المكثّفة ، وأنزلوا بها أفدح الخسائر .

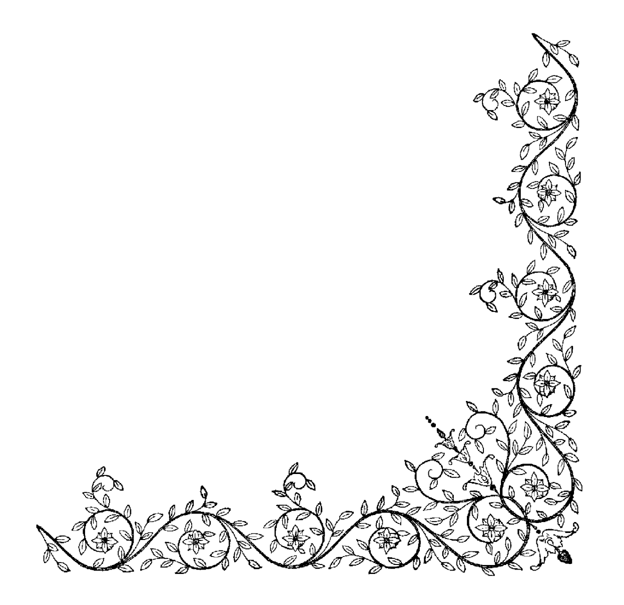
إنّ تلك الكوكبة من أبطال الإيمان قد صارعوا الأهوال ، وخاضوا تلك المعركة الرهيبة ، وقد وقفوا وقفة الرجل الواحد ، وقادوا حركة الإيمان ، ولم تضعف لأيّ رجل منهم عزيمة ، ولم تلن لهم قناة ، وقد خضّبوا جميعاً بالدماء وهم يشعرون بالغبطة ويشعرون بالفخار ، وقد دللوا بتضحياتهم الهائلة النبيلة على عظمة الإسلام الذي منحهم تلك الروح الوثّابة التي استطاعوا بها أن يقاوموا بصبر وثبات تلك الوحوش الكاسرة التي ساقتها الأطماع إلى اقتراف أفظع جريمة في تاريخ البشرية كلها .

لقد سمت أرواحهم الطاهرة إلى الرفيق الأعلى وهي أنضر ما تكون تفانياً في مرضاة الله ، وأشدّ ما تكون إيماناً بعدالة قضيتهم التي هي من أنبل القضايا في العالم ، وإنّ أعطر تحية توجّه لذكراهم كلمات الإمام الصادق عليه السلام في حقّهم التي علّمها لصاحبه صفوان : **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي ، طِبْتُمْ وَطابَتِ الْأَرْضُ الَّتِي فِيها دُفِنْتُمْ وَفُزْتُمْ وَاللهِ فَوْزاً عَظِيماً**(١) .

(١) بحار الأنوار : ١٠١ : ٢٠١ . المزار / ابن المشهدي : ٤٦٥ .



مَصَارِعُ العِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ عليهم السلام



وبعد ما استشهدت الصفوة العظيمة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام هبّ أبناء الأُسرة النبوية شباباً وأطفالاً للتضحية والفداء، وهم بالرغم من صغر أسنانهم كانوا كالليوث لم يرهبهم الموت ولم تفزعهم الأهوال، وتسابقوا بشوق إلى ميادين الجهاد، وقد ضنّ الإمام الحسين عليه السلام على بعضهم بالموت فلم يسمح لهم بالجهاد إلّا أنّهم أخذوا يتضرّعون إليه، ويقبّلون يديه ليأذن لهم في الدفاع عنه.

والمنظر الرهيب الذي يذيب القلوب، ويذهل كل كائن حيّ هو أنّ تلك الفتية جعل يودع بعضهم بعضاً الوداع الأخير، فكان كل واحد منهم يوسع أخاه وابن عمّه تقبيلاً وهم غارقون بالدموع حزناً وأسىً على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يرونه وحيداً غريباً قد أحاطت به جيوش الأعداء، ويرون عقائل النبوة ومخدّرات الوحي وقد تعالت أصواتهن بالبكاء والعويل، وساعد الله الإمام الحسين عليه السلام على تحمّل هذه الكوارث التي تقصم الأصلاب، وتذهل الألباب، ولا يطيقها أيّ إنسان إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان.

أمّا الذين استشهدوا من أبناء الرسول صلى الله عليه وآله، فهم:

علي الأكبر عليه السلام

وأجمع المؤرخون أنّ عليّ بن الحسين الأكبر[1] كان يضارع جدّه الرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) ذكر الطبرسي في إعلام الورى: ١: ٤٧٨: «أنّ عليّاً الأصغر قتل مع أبيه، أُمّه ليلى بنت ⇐

في خَلْقِه وأخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين، وأعظم بهذه الثروة التي ملكها سليل هاشم، فقد ملك جميع الطاقات الإنسانية والمُثُل الكريمة التي يسمو بها العظماء والمصلحون.

وكان البارز من معاني أخلاقه الإباء والشمم وعزّة النفس والاندفاع الهائل في ميادين الكرامة الإنسانية(١).

فقد آثر الموت واستهان بالحياة في سبيل كرامته، ولا يخضع لحكم الدعيّ ابن الدعيّ، وقد بعث عمر بن سعد رجلاً من أصحابه فناداه: إنّ لك قرابة بأميرالمؤمنين ـ يعني يزيد ـ ونريد أن نرعى هذا الرحم، فإن شئت آمناك؟!

فسخر منه عليّ بن الحسين عليهما السلام، وصاح به: لقرابة رسول الله أحق أن تُرعى(٢).

وكان من أبرّ أبناء الإمام الحسين عليه السلام وأكثرهم مواساة وحرصاً عليه، وهو أوّل من اندفع بحماس بالغ من الهاشميين إلى الحرب، وكان عمره ـ فيما يقول المؤرخون ـ ثماني عشرة سنة(٣)، فلمّا رآه عليه السلام أخذ يطيل النظر إليه، وقد ذابت نفسه حزناً

⇐ أبي مرّة ابن عروة بن مسعود الثقفية، والناس يغلطون ويقولون: إنّه عليّ الأكبر».

(١) فقد ذكر المجلسي عن أبي الفرج: «أنّ عليّ بن الحسين هذا هو الأكبر ولا عقب له، ويكنّى أبا الحسن، وأمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وهو أوّل من قتل في المعركة، وإياه عنى معاوية، فقد قال معاوية لمن حضره: مَن أحقّ بهذا الأمر؟

قالوا: أنت.

قال: لا، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي، جدّه رسول الله، وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني أُمية وزهو ثقيف». بحار الأنوار: ٤٥: ٤٥.

(٢) شرح الأخبار: ٣: ١٥٢ و ١٥٣. نسب قريش: ٥٧.

(٣) الفتوح: ٥: ١١٤. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٠. وقيل: كان عمره سبعاً وعشرين سنة، حسبما ذكره المقرم في مقتل الحسين عليه السلام: ٣١٨. ويقال: ابن خمس وعشرين سنة. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٩.

وأشرف على الاحتضار؛ لأنّه رأى ولده الذي لا ندّ له قد ساق نفسه إلى الموت، فرفع شيبته الكريمة نحو السماء وراح يقول بحرارة وألم ممضّين: **اللّٰهُمَّ اشْهَدْ عَلىٰ هـٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ أَشْبَهُ النّاسِ بِرَسولِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَلْقاً وخُلُقاً وَمَنْطِقاً، وَكُنّا إِذا اشْتَقْنا إِلىٰ رُؤْيَةِ نَبِيِّكِ نَظَرْنا إِلَيْهِ. اللّٰهُمَّ امْنَعْهُمْ بَرَكاتِ الْأَرْضِ، وَفَرِّقْهُمْ تَفْريقاً، وَمَزِّقْهُمْ تَمْزِيقاً، وَاجْعَلْهُمْ طَرائِقَ قِدَداً، وَلَا تُرْضِي الْوُلَاةَ عَنْهُمْ أَبَداً، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنا لِيَنْصُرُونا ثُمَّ عَدَوا عَلَيْنا يُقاتِلُونَنا.**

ويلمس في هذه الكلمات الحزينة مدى أساه على ولده الذي استوعب نفسه حبّاً له، وقد دعا الله بحرارة أن ينزل على تلك العصابة المجرمة عذابه الأليم في هذه الدنيا.

وتقطّع قلب الإمام الحسين عليه السلام حزناً على ولده، فصاح بالمجرم الأثيم عمر بن سعد: **ما لَكَ؟! قَطَعَ اللهُ رَحِمَكَ، وَلَا بارَكَ لَكَ في أَمْرِكَ، وَسَلَّطَ عَلَيْكَ مَنْ يَذْبَحُكَ بَعْدِي عَلىٰ فِراشِكَ، كَما قَطَعْتَ رَحِمِي وَلَمْ تَحْفَظْ قَرابَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.**

ثُمَّ تلا قوله تعالى: « **﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبرَاهِيْمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى العَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعضُهَا مِنْ بَعضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[1] »[2].

وشيّع الإمام الحسين عليه السلام ولده بدموع مشفوعة بالحزن والزفرات، وخلفه نساء أهل البيت وقد علا منهن الصراخ والعويل على شبيه رسول الله ﷺ الذي ستتناهب شلوه السيوف والرماح.

وانطلق الفتى إلى حومة الحرب مزهواً لم يختلج في قلبه خوف ولا رعب، وكان في نضرة شبابه وحسن طلعته حاملاً هيبة الرسول ﷺ، وشجاعة أمير المؤمنين،

---

(١) آل عمران ٣: ٣٣ و ٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥: ٤٢ و ٤٣. الفتوح: ٥: ١١٤. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٠.

وبأس حمزة ، وإباء الحسين عليه السلام ، وتوسّط حراب الأعداء وسيوفهم وهو يرتجز بعزّة وتصميم محامياً عن دين الله :

أَنا عَلِيٌّ بْنُ الحُسَينِ بْنِ عَـلِي نَحْنُ وَرَبِّ البَيْتِ أَولىٰ بِالنَّبِي
تَا اللهِ لَا يَحْكُمُ فِينَا ابنُ الدَّعِي[1]

أجل والله يا فخر هاشم ، أنت وأبوك أولى بالنبي وأحق بـمقامه ، فـأنتم أقـرب الناس إليه وألصقهم به ، ولكن الأطماع السياسية التي تغلّبت على القوم هي التـي دفعتكم عن مقامكم ، وسلّطت عليكم هذه الطغمة الجائرة ، فـعمدت إلى تـقطيع أوصالكم واستئصال شأفتكم ؛ ليخلو لها الجو في التآمر على المسلمين بغير الحق .

وأعلن عليّ الأكبر عليه السلام في رجزه عن روعة بأسه وشدّة إبائه ، وأنّه يُؤْثِر الموت على الخنوع للدعيّ ابن الدعيّ ، والتحم مع أعداء الله ، وقد ملأ قلوبهم رعباً وفزعاً ، وأبدى من البسالة ما يقصر عنه الوصف ، فقد ذكّرهم ببطولات جدّه أميرالمؤمنين ، وقد قتل ـ فيما يقول بعض المورخين ـ مائة وعشرين رجلاً سوى المجروحين ، وألحّ عليه العطش فقفل راجعاً إلى أبيه يشكو إليه ظمأه القاتل ويودعه الوداع الأخـير ، واستقبله أبوه بحرارة ، فبادره عليّ قائلاً : يا أبةِ ، العطش قد قتلني ، وثقل الحـديد قد أجهدني ، فهل إلى شربة ماء من سبيل أتقوّى بها على الأعداء[2] ؟

والتاع الإمام الحسين عليه السلام أشدّ ما تكون اللوعة ألماً ومحنة ، فقال له بصوت خافت وعيناه تفيضان دموعاً : « **وَا غَوْثاهُ ، ما أَسْرَعَ الْمُلْتَقى بِجَدِّكَ ، فَيَسقِيكَ بِكَـأْسِهِ شَـرْبَةً**

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٢ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٣ . الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٦ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٩ . الفتوح : ٥ : ١١٤ و ١١٥ ، وفي الجميع اختلاف بالأُرجوزة وعدد الأبيات .

(٢) بـحار الأنـوار : ٤٥ : ٤٣ . الدمـعة السـاكبة : ٤ : ٣٣٠ . الفـتوح : ٥ : ١١٤ و ١١٥ . مـقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣١ .

لَا تَظْمَأُ بَعْدَها أَبَداً»[١].

وأخذ لسانه فمصّه ليريه ظمأه فكان كشقّة مبرد من شدّة العطش ، ودفع إليه خاتمه ليضعه في فيه[٢].

لقد كان هذا المنظر الرهيب من أفجع ما رزئ به الإمام الحسين عليه السلام ، لقد رأى فلذة كبده وهو في غضارة العمر وريعان الشباب ، وقد استوعبت الجراحات جسمه الشريف ، وقد أشرف على الهلاك من شدّة العطش وهو لم يستطع أن يسعفه بجرعة ماء ليروي ظمأه.

وفي بعض المقاتل : لمّا خرج الغلام هابه القوم فتأخروا ، فقال ابن سعد لطارق ابن كثير : اخرج إلى هذا الغلام فأتني برأسه.

فقال له طارق متهكماً : أنت تأخذ ملك الري وأنا أخرج إليه ؟! فإن تضمن لي إلى الأمير إمارة الموصل أخرج إليه.

فقال له ابن سعد : قد ضمنت لك إمارة الموصل ، ثمّ نزع خاتمه فأعطاه إياه ليكون ضماناً له.

فأخذه طارق ثمّ خرج للغلام ، ولقي طارق علياً ليأخذ إمارة الموصل فيه ، وتبارزا فما هي إلّا هزّة حسام حتى كان طارق جثة معفّرة ، وقد تعفّر معه في الأرض ميثاقه ، لم يحتمل من عليّ غير ضربة جدّلته تجديلاً ، ثمّ خرج إليه الرجل بعد الرجل وهو يجدلهم ويصرعهم[٣].

يقول الحجّة الشيخ عبد الحسين آل صادق رحمه الله في رائعته :

يَشْكُو لِخَيرِ أَبٍ ظَماهُ وَمَا اشْتَكىٰ ظَمَأَ الحَشا إِلَّا إِلَى الظّامِي الصَّدِي

---

(١) اللهوف : ٦٧.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣١.

(٣) معالي السبطين : ١ : ٤١٧.

كُـلُّ حُشـاشَتُهُ كَـصالِيَةِ الغَـضا وَلِسـانُهُ ظَـمِئٌ كَشِـقَّةِ مِـبْرَدِ[١]
فَـانْصاعَ يُـؤْثِرُهُ عَـلَيهِ بِـرِيقِهِ لَـو كَـانَ ثَـمَّةَ رِيـقُهُ لَـمْ يَـجْمُدِ[٢]

وقفل عليّ بن الحسين عليهما السلام راجعاً إلى حومة الحرب قد فتكت الجروح بجسمه ، وفتّت العطش كبده ، وهو لم يحفل بما هو فيه ، وإنّما استوعبت فكره وحدة أبـيه وتظافر أعداء الله على قتله ، وجعل يرتجز :

الحَرْبُ قَدْ بانَتْ لَـها حَـقائِقْ وَظَهَرَتْ مِن بَـعْدِها مَـصادِقْ
وَاللهِ ربِّ العَـرشِ لاَ نُـفارِقْ جُمُوعَكُم أو تُغْمَدُ البَوارِقْ[٣]

لقد أعرب فخر هاشم بهذا الرجز بأنّ الحقائق قـد ظـهرت فـي هـذه الحـرب ، وتجلّت للجميع الأهداف النبيلة التي ينشدها أهل البيت ، وأنّهم سيبقون يناضلون عنها حتى تغمد البوارق .

وجعل عليّ الأكبر يقاتل أشدّ القتال وأعنفه حتى قتل تمام المائتين[٤] ، وقد ضجّ العسكر ـ فيما يقول المؤرخون ـ من شدّة الخسائر التي مُني بها ، فقال الوضر الخبيث مرّة بن منقذ العبدي[٥] : عليَّ آثام العرب إن لم أثكل أباه[٦] ، وأسرع الخبيث إلى

---

(١) **الحشاشة :** رُوح القلب ورمق الحياة ـ لسان العرب : ٣ : ١٨٨ ـ حشش .

(٢) رياض المدح والرثاء : ١٢٢ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٢٣ .

(٣) الفتوح : ٥ : ١١٥ .

(٤) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣١ .

(٥) **مرّة :** كان أبوه منقذ من قادة جيش الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل ، واستشهد فـي تـلك الواقعة وحمل ابنه مـرّة اللـواء مـن بـعده وخـاض المـعركة ، وشـهد مـع عـليّ عليه السلام صـفين والنهروان ، ثمّ ارتدّ على عقبه وانحرف عن الإسلام ، فانضمّ إلى معسكر ابن سعد واقترف في هذه الحرب أفظع الجرائم التي منها قتله لشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ الأكبر عليه السلام .

(٦) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٢٣ . مقاتل الطالبيّين : ١١٥ .

شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله فطعنه بالرمح في ظهره ، وضربه ضربة غادرة بالسيف على رأسه ففلق هامته ، واعتنق عليّ فرسه يظن أنّه يرجعه إلى أبيه ليتزود بالنظر إليه ، إلّا أنّ الفرس حمله إلى معسكر الأعداء ، فأحاطوا به من كل جانب ولم يكتفوا بقتله وإنّما راحوا يقطّعونه بسيوفهم إرباً إرباً تشفّياً منه لما ألحقه بهم من الخسائر الفادحة .

ونادى عليّ رافعاً صوته : عليك منّي السلام أبا عبدالله ، هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه شربة لا أظمأ بعدها ، وهو يقول : إنّ لك كأساً مذخورة(١) .

وحمل الأثير هذه الكلمات إلى أبيه الثاكل الحزين فقطّعت قلبه ومزّقت أحشاءه ، ففزع إليه وهو خائر القوى منهدّ الركن ، فانكبّ عليه ووضع خدّه على خدّه وهو جثّة هامدة قد قطّعت شلوه السيوف في وحشية قاسية ، فأخذ يذرف أحرّ دموعه وهو يقول بصوت خافت قد لفظ شظايا قلبه فيه : **قَتَلَ اللهُ قَوْماً قَتَلُوكَ يا بُنَي ، ما أجْرَأَهُمْ عَلَى اللهِ ، وَعَلَى انْتِهاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ ، عَلَى الدُّنْيا بَعْدَكَ الْعَفا**(٢) .

وهرعت إليه الفتية من عمومته وأبناء عمومته فألقوا بأنفسهم عليه وهم يوسعونه تقبيلاً ويلثمون جراحاته ، ويقسمون على أن يمضوا على ما مضى عليه ، وأمرهم الإمام الحسين عليه السلام أن يحملوه إلى المخيم .

وهرعت ابنة الطاهرة البتول حفيدة النبيّ صلى الله عليه وآله زينب عليها السلام فانكبّت على جثمان ابن أخيها تضمّخه بدموعها ، وتندبه بأشجى ما تكون الندبة ، وقد انهارت أمام ابن أخيها الذي كان قبل ساعة يملأ العين بهاؤه ، وأثّر منظرها الحزين في نفس الإمام الحسين عليه السلام فجعل يعزّيها بمصابها الأليم ، وهو يردد : **عَلَى الدُّنيا بَعْدَكَ العَفا** .

لقد كان عليّ بن الحسين عليهما السلام الرائد والزعيم لكل أبيّ شريف مات عَصِيَّاً على الضيم في دنيا الإباء والشرف .

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣١ .

(٢) نسب قريش : ٥٧ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٢ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٣ .

وداعاً يا بطل الإسلام ، وداعاً يا فخر هاشم ، وداعاً يا فجر كل ليل . ونحن نودّعك بالأسى والحزن ونردد مع أبيك كلماته الحزينة : على الدنيا بعدك العفا .

مصارع آل عقيل رحمهم الله

واندفعت الفتية الطيبة من آل عقيل إلى الجهاد وهي مستهينة بالموت ، وقد نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى بسالتهم واندفاعهم إلى نصرته ، فكان يقول عليه السلام : **اللّهُمَّ اقْتُلْ قاتِلَ آلِ عَقِيلٍ** .

وكان يقول : **صَبْراً آلَ عَقِيلٍ إِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**[١] .

وكان عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام يميل أشدّ الميل لآل عقيل ويقدّمهم على غيرهم من آل جعفر ، فقيل له في ذلك فقال : **إِنِّي لَأَذْكُرُ يَوْمَهُمْ مَعَ أَبِي عَبْدِاللهِ فَأَرِقُّ لَهُمْ**[٢] .

وقد استشهد منهم سبعة في المعركة دفاعاً عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيهم يقول الشاعر :

عَينُ جُودِي بِعَبرَةٍ وَعَوِيلِ ... وَانْدُبِي إِنْ نَدَبْتِ آلَ الرَّسُولِ
تِسْعَةً كُلُّهُمْ لِصُلْبِ عَليٍّ ... قَد أُصيبُوا وَسَبْعَةً لِعَقِيلِ[٣]

---

(١) بطل العلقمي ١ : ٢٢٧ . ينابيع المودّة : ٣ : ٧٣ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٦ : ١١٠ .

(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١٥ : ٢٣٦ . وفي بحار الأنوار : ٤٥ : ٢٩١ ، وعوالم العلوم : ١٧ : ٥٨٨ ، هكذا :

وَاندُبِي تِسْعَةً لِصُلْبِ عَلِيٍّ ... قَدْ أُصِيبُوا وَخَمْسَةً لِعَقِيلِ

وهو الموافق لما ذكره الطبري . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٦٢ .

وفي أنساب الأشراف : ٣ : ٤٢٢ ، هكذا :

خَمْسَةً مِنْهُمُ لِصُلْبِ عَلِيٍّ ... قَدْ أُصِيبُوا وَسَبعَةً لِعَقِيلِ ⇦

وقد علوا بإرادتهم وعزمهم الجبّار على ذلك الجيش، وأنزلوا به أفدح الخسائر، وهم:

عبدالله بن مسلم بن عقيل رحمهم الله

وانبرى فتى هاشم عبدالله بن مسلم[١] إلى ساحة الجهاد فخاض غمرات الحرب وأهوالها في شوق إلى الشهادة، وقد بهر الأبصار بجماله وبسالته وهو يرتجز:

اليَوْمَ أَلقىٰ مُسلِماً وَهُوَ أَبي   وَفِتيَةً ماتُوا عَلَى دِيْنِ النَّبِي
لَيسُوا كَقَوْمٍ عُرِفُوا بِالكَذِبِ   لَكِنْ خِيارٌ وَكِرامُ النَّسَبِ
مِنْ هاشِمِ السّاداتِ أَهْلِ الحَسَبِ[٢]

لقد عرّف نفسه بأنّه نجل الشهيد الخالد مسلم بن عقيل عليه السلام، وأنّه سيلقى أباه في يومه، ويلتقي بالفتية من أبناء عمومته الذين استشهدوا في سبيل الإسلام وماتوا على دين النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّهم ليسوا كأهل الكوفة الذين عرفوا بالغدر والخيانة والكذب، وإنّما ينميهم هاشم سيد العرب، وبهم تلتقي كل فضيلة وشرف في الإسلام.

وقاتل الفتى قتالاً عنيفاً فقتل جماعة في ثلاث حملات، وسدد له الوضر الأثيم

⇨ وفي النزاع والتخاصم: ٢٩، هكذا:

تِسْعَةً مِنْهُمُ لِصُلْبِ عَلِيٍّ   قَدْ أُصِيبُوا وَتِسْعَةً لِعَقِيلِ

وفي المعارف: ٢٠٤، هكذا:

سَبْعَةً كُلُّهُمْ لِصُلبِ عَلِيٍّ   قَدْ أُصِيبُوا وَتِسْعَةً لِعَقِيلِ

(١) **عبدالله بن مسلم:** أُمّه رقية بنت الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ـ نسب قريش: ٤٥. والمعارف: ٢٠٤. ومقاتل الطالبيّين: ٩٨.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٦٢. الفتوح: ٥: ١١١. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٢٦.

عمرو بن صبيح الصدائي سهماً غادراً فاتّقاه الفتى بيده فسمرها إلى جبهته، فما استطاع أن يزيل السهم، وقد أخذ منه الألم القاسي مأخذاً عظيماً فراح يدعو على السفّاكين المجرمين قائلاً: اللهم إنّهم استقلّونا واستذلّونا فاقتلهم كما قتلونا [١].

وشدّ عليه وغد فطعنه بالرمح في قلبه، فوقع الفتى شهيداً مدافعاً عن أقدس الحرمات في الإسلام.

جعفر بن عقيل رحمهما الله

وبرز إلى ساحات الجهاد جعفر بن عقيل [٢]، فتوسّط في ميدان الحرب وهو يرتجز:

أَنا الغُلَامُ الأَبْطَحِيُّ الطّالِبي   مِنْ مَعْشَرٍ فِي هاشِمٍ وَغالِبِ
وَنَحْنُ حَقّاً سادَةُ الذَّوائِبِ   هذا حُسَينٌ سَيِّدُ الأَطائِبِ [٣]

لقد عرّفهم نفسه بأنّه من الأُسرة النبوية التي هي أشرف الأُسر العربية وأعلاها مجداً، وأنّه إنّما يدافع عن سيده الحسين عليه السلام الذي هو سيد الأطائب وفخر هذه الدنيا.

وقاتل الفتى قتالاً عنيفاً، فرماه عروة بن عبدالله الخثعمي فقتله [٤].

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٧. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٥. إبصار العين: ٦٦ و ٦٧. أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٣.

(٢) **جعفر بن عقيل:** أمّه الخوصاء بنت عمرو ـ المعروف بـ «الثغر» ـ ابن عامر العامري من بني كلاب ـ مقاتل الطالبيّين: ٩٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٥. الفتوح: ٥: ١١١. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٢٦.

(٤) مقاتل الطالبيّين: ٩٧. وفي قاتله اختلاف. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٥. إبصار العين: ٦٨. أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٣.

عبد الرحمن بن عقيل رضي الله عنهما

وانطلق عبد الرحمن بن عقيل[١] إلى حومة الحرب ، وأخذ يصول ويجول وهو يرتجز :

أَبِي عَقِيلٌ فَاعْرِفُوا مَكَانِي ... مِنْ هاشِمٍ وَهاشِمٌ إِخْوانِي
كُهُولُ صِدْقٍ سَادَةُ القُرْآنِ ... هذا حُسَينٌ شامخُ البُنيانِ[٢]

لقد أدلى بنسبه الوضّاح فهو نجل عقيل ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّه من السادة الأماجد الذين هم من أروع أمثلة الوفاء والنبل والشرف في الأرض ،كما أشاد بالإمام الحسين عليه السلام بأنّه شامخ البنيان بمُثُلِه ومواهبه وقرابته من النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقاتل قتال الأبطال ، فشدّ عليه عثمان بن خالد الجهني وبشير بن حوط القابضي فقتلاه[٣] .

عبدالله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم

وبرز عبدالله الأكبر[٤] فقاتل ، وشدّ عليه عثمان بن خالد بن أسير الجهني ورجل من هَمْدان فقتلاه[٥] .

محمّد بن أبي سعيد بن عقيل رضي الله عنهم

وكان محمّد بن أبي سعيد بن عقيل متكلّماً سريع الجواب ، وقد برز إلى حومة

---

(١) **عبد الرحمن بن عقيل :** أُمّه أُمّ ولد ، مقاتل الطالبيّين : ٩٦ .

(٢) الفتوح : ٥ : ١١١ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٢٦ .

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٦ . إبصار العين : ٦٨ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٣ . مقاتل الطالبيّين : ٩٦ .

(٤) **عبدالله الأكبر :** أُمّه أُمّ ولد ، مقاتل الطالبيّين : ٩٧ .

(٥) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٢٥ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٦ . مقاتل الطالبيّين : ٩٧ .

الحرب واستشهد بين يدي الإمام الحسين عليه السلام[(١)].

محمّد بن مسلم بن عقيل رحمه الله

وبرز محمّد بن مسلم[(٢)] إلى الحرب، فشدّ عليه أبو مَرْهم الأزدي ولقيط بن إياس الجهني فقتلاه[(٣)].

عليّ بن عقيل رحمهما الله

وبرز عليّ بن عقيل فقاتل قتالاً شديداً، واستشهد بين يدي أبي عبدالله عليه السلام[(٤)].

لقد أبدى شباب آل عقيل من البطولة والبسالة ما لا يوصف، وتنافسوا على الشهادة بين يَدَي الحسين عليه السلام، وفدوه بأرواحهم.

أبناء الإمام الحسن عليهم السلام

وتقدّمت الفتية من أبناء الإمام الحسن عليه السلام وهم في غضارة العمر وريعان الشباب فجعلوا يتسابقون إلى الموت ليفدوا عمّهم بأرواحهم، وهم:

عبدالله بن الحسن عليهما السلام

ويكنّى أبا بكر، وأُمّه أُمّ ولد يقال لها: رملة، وقد برز إلى الحرب فتناهبت جسمه السيوف والرماح وخرّ صريعاً إلى الأرض يتخبّط بدمه الزاكي[(٥)].

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٦. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٦. مقاتل الطالبيّين: ٩٨.

(٢) أُمّه أم ولد. مقاتل الطالبيّين: ٩٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٦. إبصار العين: ٦٧. مقاتل الطالبيّين: ٩٧.

(٤) مقاتل الطالبيّين: ٩٧.

(٥) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٥. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٦. الدرّ النظيم: ١٧٠. ⇦

القاسم بن الحسن عليهما السلام

وفي طليعة أبناء الإمام الحسن عليه السلام القاسم ، وكان ـ فيما وصفه المؤرخون ـ كالقمر في بهائه وجماله ، وكرونق الزهور في زهوه ونضارته ، وقد أنعم الله عليه وهو في سنّه المبكر بإشراق العقل وفطنة النفس وعزّة الإيمان ، وقد غذّاه عمّه بمواهبه ، وأفرغ عليه أشعة من روحه حتى صار مثالاً للكمال وقدوة للإيمان ، لقد نشأ القاسم في كنف عمّه الإمام الحسين عليه السلام .

وكان القاسم يرنو إلى عمّه ويتطلع إلى محنته ، ويود أن يردّ عنه عوادي الأعداء بدمه ، وكان يقول : لا يقتل عمّي وأنا أحمل السيف[1] .

ولمّا رأى وحدة عمّه أحاطت به الآلام الهائلة ، واندفع يطلب منه الإذن ليجاهد بين يديه فاعتنقه الإمام الحسين عليه السلام وعيناه تفيضان دموعاً ، وأذِن له بالجهاد بعد إلحاحه ، وانطلق الفتى ببطولة رائعة وهو لا يعرف الخوف ويهزأ من الحياة ، ولم يضفِ على جسده لامة حرب ، وإنّما صحب معه سيفه ، والتحم مع الأعداء يضرب الأعناق ، ويحصد الرؤوس كأنّ المنايا كانت طوع أمره يقذف بها من يشاء ، وبينما هو يقاتل إذ انقطع شسع نعله ، فأنِفَ سليل النبوة أن تكون إحدى رجليه بلا نعل فوقف يشدّه متحدّياً تلك الوحوش الكاسرة وغير حافل بها ، وكأنّه يقول :

أَشُــدُّ قِبالَ نَـعْلِي أَنْ يَـرانِـي ... عَدُوِّي للحَوادِثِ مُستَكِينا[2]

واغتنم هذه الفرصة الوغد الخبيث عمرو بن سعد الأزدي ، فقال : والله لأشدّنّ

⇦ أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٦٢ .

(١) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان : ٢٥ .

(٢) معجم البلدان : ٣ : ٢١٩ . **قبال النعل** ـ بالكسر ـ : الزِّمام الذي يكون بين الإصبع الوسطى والتي تليها ـ الصحاح : ٥ : ١٧٩٥ ـ قبل .

عليه ، فأنكر عليه ذلك حميد بن مسلم وراح يقول له : سبحان الله ! وما تريد بذلك ؟ يكفيك هؤلاء القوم الذين ما يبقون على أحد منهم .

فلم يعنَ به ، وشدّ عليه فضربه بالسيف على رأسه الشريف ، وهوى إلى الأرض صريعاً كما تهوي النجوم ، ونادى رافعاً صوته : يا عماه .

وتقطّع قلب الإمام الحسين عليه السلام ، وهرع نحو ابن أخيه الذي ورث عن أبيه الإمام الحسن عليه السلام قيم الإسلام ، فعمد إلى قاتله فضربه بالسيف فاتّقاها بساعده فقطعها من المرفق وطرحه أرضاً ، فحملت خيل أهل الكوفة لاستنقاذه إلّا انّ هذا الأثيم هلك تحت حوافرها ، وانعطف الإمام الحسين عليه السلام نحو ابن أخيه فجعل يقبّله والفتى يفحص بيديه ورجليه ، وجعل يخاطبه بذوب روحه قائلاً : **بُعْداً لِقَوْمٍ قَتَلوكَ ، وَمَنْ خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيْكَ جَدُّكَ . عَزَّ وَاللهِ عَلىٰ عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوَهُ فَلَا يُجِيبُكَ ، أَوْ يُجِيبُكَ فَلَا يَنفَعُكَ ، صَوْتٌ وَاللهِ كَثُرَ واتِرُهُ ، وَقَلَّ ناصِرُهُ**[1] .

وحمل الفتى بين ذراعيه وهو يفحص برجليه كالطير المذبوح[2] وجاء به فألقاه بجوار ولده عليّ الأكبر وسائر القتلى من أهل البيت ، وأخذ يطيل النظر إلى تلك الكواكب المشرقة من أهل بيته ، فجعل يدعو على المجرمين من أعدائه ، ويدعو البقية الباقية من أهل بيته بالخلود إلى الصبر قائلاً : **اللّهُمَّ أَحْصِهِم عَدَداً ، وَلَا تُغادِرْ مِنْهُم أَحَداً ، وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبَداً ، صَبْراً يا بَنِي عُمُومَتِي ، صَبْراً يا أَهْلَ بَيْتِي ، لَا رَأَيْتُمْ هَواناً بَعْدَ هٰذَا الْيَوْمِ أَبَداً »**[3] .

لك الله يا أبا عبدالله على هذه الرزايا والكوارث التي تميد من هولها الجبال ،

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٨ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٣ . البداية والنهاية : ٨ : ١٨٨ .

(٢) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان : ٢٥ .

(٣) الدرّ النظيم : ٢٧١ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٢٨ .

وتعصف بحلم أيّ إنسان كان ، وصعدت روحه إلى الله جل وعلا ليلتقي بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله .

الحسن بن الإمام الحسن عليهما السلام

وقاتل الحسن بن الإمام الحسن عليه السلام قتال الأبطال حتى هوى إلى الأرض جريحاً ، ولمّا عمد أنذال أهل الكوفة إلى حزّ رؤوس الشهداء وجدوا به رمقاً ، فاستشفع به أسماء بن خارجة الفزاري وكان من أخواله[١] ، فشفّعوه فيه فحمله معه إلى الكوفة وعالجه حتى برئ من جرحه ، ثمّ لحق بيثرب .

عبدالله بن الإمام الحسن عليهما السلام

كان غلاماً له من العمر إحدى عشرة سنة ، وقد رأى عمّه قد أحاطت به الأعداء فهرول إليه ، فعمدت إليه عمّته زينب لتمنعه فامتنع عليها ، وجاء يركض إلى عمّه فأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين عليه السلام فصاح به الطفل في براءة الأطفال : يابن الخبيثة ، أتقتل عمّي ؟!

وعمد ابن الخبيثة إلى الطفل فعلاه بالسيف ، فتلقاه بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة ، فصاح الطفل مستغيثاً بعمّه قائلاً : يا عمّاه ، ووقع في حجر عمّه ، فاعتنقه وجعل يواسيه ، ويصبّره على ما نزل به قائلاً : **يابْنَ أَخِي ، اصْبِرْ عَلىٰ ما نَزَلَ بِكَ ، وَاحْتَسِبْ فِي ذلِكَ الْخَيْرَ ، فَإِنَّ اللهَ يُلْحِقُكَ بِآبائِكَ الصّالِحِينَ .**

وأخذ الإمام الحسين عليه السلام يدعو على الظالمين السفّاكين المجرمين : **اللّـهُمَّ إِنْ**

---

(١) أم الحسن المثنى خولة بنت منظور بن يسار بن عقيل بن هلال بن سمي بن غالب بن فزارة ، ومن هنا كانت القرابة والخؤولة ؛ لأنّ خولة فزارية ، ولهذا قال عمر بن سعد عندما شفع أسماء ابن خارجة للحسن عليه السلام : دعوا لأبي حسّان ابن أُخته . وتزوّج الحسن المثنى فاطمة بنت الحسين عليهما السلام وولدت منه ثلاثة أولاد ـ الإرشاد / المفيد : ٢ : ٢٥ .

مَتِّعتَهُمْ إلىٰ حِينٍ فَفَرِّقْهُمْ تَفريقاً ، وَاجْعَلْهُمْ طَرائِقَ قِدَداً ، وَلَا تُرضِ الْوُلَاةَ عَنْهُمْ أَبَداً ، فَإِنَّهُمْ دَعَوْنا لِيَنْصُرونا ثُمَّ عَدَوا عَلَيْنا يُقاتِلونَنا » .

وبينما هو في حجر عمّه ؛ إذ سدد له الباغي اللئيم حرملة بن كاهل سهماً غادراً فذبحه ، وحمله عليه السلام فوضعه بين القتلى من أهل بيته عليهم السلام[(١)] .

لقد تجرّد أُولئك الممسوخون من كل نزعة إنسانية فاستباحوا قتل الأطفال الأبرياء الذي كان محرّماً حتى في العرف الجاهلي .

أبناء عبدالله بن جعفر رحمهم الله

وتسابقت الفتية من أبناء عبدالله بن جعفر إلى الجهاد بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهم :

عون بن عبدالله بن جعفر رحمهم الله

وأُمّه العقيلة زينب بنت الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ، وقد برز إلى ساحة الجهاد ، فجعل يقاتل قتال الأبطال وهو يرتجز :

إنْ تُنكِرُوني فَأَنا ابْنُ جَعْفَرْ ... شَهِيدِ صِدْقٍ في الجِنانِ أَزْهَرْ

يَطِيرُ فِيها بِجَناحٍ أَخْضَرْ ... كَفىٰ بِهَذا شَرَفاً مِنْ مَعشَرْ[(٢)]

وقد عرّف نفسه بأنّه ابن جعفر الشهيد الخالد في الإسلام الذي قطعت يداه في سبيل الدعوة الإسلامية ، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الفردوس الأعلى ـ

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٢٥ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٦ . اللهوف : ٧٢ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٦ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٦ . الفتوح : ٥ : ١١٢ . مروج الذهب : ٣ : ٦١ . مقاتل الطالبيّين : ٩٣ .

(٢) الفتوح : ١١٢ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٢٧ .

حسبما يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ـ ويكفي عون شرفاً ومجداً أنّه حفيد هذا الرجل العظيم.

وجعل يقاتل، فحمل عليه عبدالله بن قطبة الطائي فقتله، وقد رثاه سليمان بن قتة بقوله:

وَانْــدُبِي إِنْ بَكَـيتِ عَـوناً أَخـاهُ ... لَـيسَ فِـيمَا يَـنوبُهُمْ بِـخَذولِ

فَـلَعَمري لَـقَدْ أصَـبْتِ ذَوِي القُـر ... بىٰ فَبَكّي عَلَى الْمُصابِ الطَّوِيلِ[1]

محمّد بن عبدالله بن جعفر رحمه الله

وبرز إلى حومة الحرب محمّد بن عبدالله بن جعفر، وأُمّه الخوصاء من بني بكر ابن وائل، وجعل يقاتل وهو يرتجز:

نَشكُو إِلَى اللهِ مِـنَ العُـدوانِ ... قَتالَ قَومٍ في الرَّدىٰ عُـمْيانِ

قَـدْ بَـدَّلُوا مَـعالِمَ الفُـرقانِ ... وَمُـحكَمَ التَّـنزِيلِ وَالتِّبْيانِ

وَأَظْهَرُوا الكُفْرَ مَعَ الطُّغيانِ[2]

لقد شكا إلى الله بهذا الرجز ما يعانيه أهل البيت عليهم السلام من الظلم والاعتداء من تلك العصابة الباغية التي عميت عن الحق وتردّت في الضلال وبدّلت أحكام القرآن، وأظهرت الكفر والطغيان.

وقاتل الفتى أعنف القتال، فحمل عليه عامر بن نهشل التيمي[3] فضربه بالسيف فهوى جسمه الخضيب على رمضاء كربلاء، ولم يلبث أن لفظ أنفاسه الأخيرة، وقد رثاه سليمان بن قتة بقوله:

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٠٧. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٦.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ٩٥.

(٣) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٥. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٦. الفتوح: ٥: ١١١.

وَسَمِيُّ النَّبِيِّ غُودِرَ فِيهِم قَد عَلَوهُ بِصارِمٍ مَصْقُولِ
فَإِذا مَا بَكَيْتِ عَيْنِي فَجُودِي بِدُمُوعٍ تَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ[١]

عبيدالله بن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهم

وعبيد الله أُمّه الخوصاء بنت حفصة ، وقد برز إلى الجهاد فقتل[٢] .

إخوة الإمام الحسين عليهم السلام

وبعد ما استشهدت الصفوة الطيبة من أهل البيت عليهم السلام ولم يبقَ مع الإمام الحسين عليه السلام سوى إخوته من أبيه هبّوا للجهاد ، ووطّنوا أنفسهم على الموت ؛ ليفتدوا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بنفوسهم ومهجهم .

العبّاس مع إخوته عليهم السلام

ولمّا رأى بطل هاشم وفخر عدنان العباس بن الإمام أميرالمؤمنين كثرة القتلى من أهل بيته التفت إلى إخوته من أبيه وأُمّه فقال لهم : تقدّموا يا بني أُمّي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله فإنّه لا ولد لكم[٣] .

وكشفت هذه الكلمات عن مدى إيمانه العميق ، فهو يطلب من إخوته أن يكونوا قرابين لله ، ويراهم في جهادهم قد نصحوا لله ورسوله ، ولم يلحظ في جهادهم أيّ اعتبار آخر من النسب وغيره . والتفت أبو الفضل إلى أخيه عبدالله ، وكان أكبر إخوانه سنّاً فقال له : تقدّم يا أخي حتى أراك قتيلاً وأحتسبك[٤] .

---

(١) مقاتل الطالبيّين : ٩٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٦ . مقاتل الطالبيّين : ٩٦.

(٣) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٩.

(٤) مقاتل الطالبيّين : ٨٨.

واستجابت الفتية إلى نداء الحق ، فتقدّموا إلى الجهاد بعزم وإخلاص .

قول رخيص

وإنّ من أرخص الأقوال وأهزلها ما ذكر من أنّ العباس عليه السلام قال لإخوته : تقدّموا حتى أرثكم فإنّه لا ولد لكم[١] ، لقد قالوا بذلك ؛ ليقللوا من أهمية هذا العملاق العظيم الذي هو في طليعة رجال الإسلام بذلاً وتضحية في سبيل الله ، وهل من الممكن أن يفكّر العباس عليه السلام في الناحية المادية في تلك الساعة الرهيبة التي كان الموت المحتّم منه كقاب قوسين أو أدنى ، مضافاً إلى المحن الشاقّة التي أحاطت به ؟! فهو يرى الكواكب من إخوته وأبناء عمومته صرعى على الأرض ، ويسمع ضجيج حرائر النبوة وكرائم الوحي ، ويسمع صراخ الأطفال وهم ينادون : العطش العطش ، ويرى أخاه قد أُحيط به وهو يستغيث فلا يغاث .

فقد استوعبت هذه الرزايا التي تذهل الألباب جميع مشاعره وعواطفه ، ولم يكن يفكّر إلّا بسرعة الرحيل عن هذه الدنيا ، ومضافاً لذلك كله فإنّ أُمَّ البنين أُمَّ العباس كانت حيّة ، فهي التي تحوز ميراث أبنائها ؛ لأنّها من الطبقة الأُولى ، ولعل الوارد : حتى أثأركم ، أي أطلب بثأركم ، فحرّف ذلك .

مصرع عبدالله ابن أمير المؤمنين عليهما السلام

وبرز عبدالله بن أميرالمؤمنين عليهما السلام ، وأُمّه أُمّ البنين إلى ساحة الجهاد ، والتحم مع الأعداء وهو يرتجز :

شَيخِي عَلِيٌّ ذُو الفِخارِ الأَطْولِ مِن هاشِم الخَيْرِ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٤ . وفي تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٤ : قد ذكره بقوله : « وزعموا » .

هـٰذَا حُسَينُ ابْنُ النَّبِيِّ المُرْسَلِ   عَنْهُ نُحامِي بِالحُسامِ المُصْقَلِ
تَفدِيهِ نَفْسِي مِن أَخٍ مُبَجَّلِ   يَا رَبِّ فَامْنَحنِي ثَوابَ المَنزِلِ[1]

لقد اعتزّ ـ بهذا الرجز ـ بأبيه الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيه ، كما اعتزّ بأخيه الإمام الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنّه إنّما ينافح عنه لا بدافع الأُخوّة والرحم ، وإنّما يبغي بذلك وجه الله والدار الآخرة .

ولم يزل الفتى يقاتل أعنف القتال حتى شدّ عليه الباغي الأثيم هانئ بن ثبيت الحضرمي فقتله[2] .

مصرع جعفر بن عليّ عليهما السلام

وبرز جعفر بن أميرالمؤمنين عليه السلام وأُمّه أُمّ البنين ، وكان له من العمر تسع عشرة سنة ، فجعل يقاتل قتال الأبطال ، فشدّ عليه هانئ بن ثبيت فقتله[3] .

---

(١) الفتوح : ٥ : ١١٢ .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٠٩ .

وفي الفتوح : ٥ : ١١٢ : « إنّ الذي قتله زحر بن بدر النخعي » .

وفي مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٧ : « بعد شهادة جعفر برز أخوه عبدالله قائلاً :

أَنَا ابنُ ذِي النَّجْدَةِ وَالإِفْضالِ   ذاكَ عَلِيُّ الخَيْرِ ذُو الفِعالِ
سَيْفُ رَسُولِ اللهِ ذِي النَّكالِ   في كُلِّ يَوْمٍ ظَاهرِ الأَهوالِ

فقتله هانئ بن شبيب الحضرمي لعنه الله » ـ بحار الأنوار : ٤٥ : ٣٨ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٢٩ .

(٣) مقاتل الطالبيّين : ٨٨ .

وذكر ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٧ : « ثمّ برز أخوه جعفر منشأً يقول :

إِنِّي أَنا جَعفَرُ ذُو المَعالِي   ابنُ عَلِيِّ الخَيْرِ ذِي النَّوالِ ⇦

مصرع عثمان بن عليّ عليهما السلام

وبرز عثمان بن أميرالمؤمنين وأُمّه أُمّ البنين، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، فرماه خَوْلي بن يزيد الأصبحي بسهم فأضعفه، وشدّ عليه رجل من بني دارم فقتله وأخذ رأسه ليتقرّب به إلى سيّده ابن مرجانة(١).

مصرع العبّاس ابن أمير المؤمنين عليهما السلام

وليس في تاريخ الإنسانية قديماً ولا حديثاً أُخوّة أصدق ولا أنبل ولا أوفى من أُخوّة أبي الفضل لأخيه الإمام الحسين عليه السلام، فقد حفلت بجميع القيم الإنسانية والمُثُل الكريمة.

وكان البارز من مثل تلك الأُخوّة النادرة الإيثار والمواساة والفداء، فقد آثر أبو الفضل أخاه وفداه بروحه، وواساه في أقسى المحن والخطوب، وقد أشاد الإمام زين العابدين عليه السلام بهذه المواساة النادرة من عمّه، حيث يقول عليه السلام: « **رَحِمَ اللهُ الْعَبّاسَ، فَلَقَدْ آثَرَ وَأَبْلىٰ، وَفَدىٰ أَخاهُ بِنَفْسِهِ حَتّىٰ قُطِعَتْ يَداهُ، فَأَبْدَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِما جِناحَيْنِ يَطِيرُ بِهِما مَعَ الْمَلَائِكَةِ في الْجَنَّةِ كَما جَعَلَ لِجَعفَرِ بْنِ أَبِي طالِبِ... وَإِنَّ لِلْعَبّاسِ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ مَنْزِلَةً يَغْبِطُهُ بِها جَمِيعُ الشُّهَداءِ يَوْمَ الْقِيامَةِ** »(٢).

⇨ ذاكَ الوَصِيُّ ذُو السَّنا وَالوالِي حَسْبِي بِعَمِّي شَرَفاً وَالخالِ

فرماه خولي الأصبحي فأصاب شقيقته أو عينيه.

وفي زيارة الناحية المقدّسة: « **السَّلَامُ عَلىٰ جَعْفَرِ ابْنِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ، الصّابِرِ بِنَفْسِهِ مُحْتَسِباً، وَالنّائِي عَنِ الْأَوْطانِ مُغْتَرِباً، الْمُسْتَسْلِمِ لِلْقَتْلِ، الْمُسْتَقْدِمِ لِلنِّزالِ، الْمَكْثُورِ بِالرِّجالِ. لَعَنَ اللهُ قَاتِلَهُ هَانِئَ بْنَ ثَبِيتِ الْحَضْرَمِيّ** ».

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٠٧. مقاتل الطالبيّين: ٨٩.

(٢) الأمالي / الصدوق: ٥٤٨، الحديث ٧٣١. الخصال: ١: ٦٨. بحار الأنوار: ٤٤: ٢٩٨.

وقد أثارت هذه الأُخوّة الصادقة الإكبار والإعجاب عند جميع الناس ، وصارت مضرب المثل في جميع الأحقاب والآباد ، فهذا يزيد وهو عدو آل علي عليهم السلام لمّا عرضت عليه الألوية ورأى لواء أبي الفضل وقد تغيّر إلّا مقبض كفّه سأل عنه ، فقيل : لأبي الفضل العباس ، قام وجلس وقال : أبيت اللعن يا عباس ، وهي أمدح كلمة تقولها العرب . وقد اعتزّ بها حفيده الفضل بن محمّد[1] حيث يقول :

أَحقُّ النّاسِ أَنْ يُبْكىٰ عَلَيْهِ ... فَتىً أَبْكَى الحُسَيْنَ بِكَرْبَلاءِ
أَخُوهُ وَابْنُ والدِهِ عَلِيٍّ ... أَبُو الفَضْلِ المُضَرَّجُ بِالدِّماءِ
وَمَنْ واساهُ لَا يَثْنِيهِ شَيءٌ ... وَجادَ لَهُ عَلَى عَطَشٍ بِماءِ[2]

ويقول الكميت :

قَتَلَ الأَدْعِياءُ إذْ قَتَلُوهُ ... أكْرَمَ الشّارِبِينَ صَوْبَ الغَمامِ
وَسَمِيُّ النَّبيِّ بِالشِّعْبِ ذِي الخَيـ ... ـفِ طَرِيدُ المُحِلِّ بِالإِحْرامِ
وَأَبُو الفَضْلِ إنَّ ذِكْرَهُمُ الحُلـ ... ـوَ بِفِيَّ الشِّفاءُ لِلأَسقامِ[3]

لقد كان أبو الفضل يملك طاقات هائلة من التقوى والدين ، وكانت أسارير النور بادية على وجهه الكريم حتى لُقّب بقمر بني هاشم ، كما كان من الأبطال البارزين في الإسلام ، وكان إذا ركب الفرس المطهّم[4] رجلاه تخطان في الأرض[5] ، وقد ورث صفات أبيه من الشجاعة والنضال .

---

(١) الفضل بن محمّد بن الفضل بن الحسن بن عبيدالله بن العباس ـ شرح الأخبار : ٣ : ١٩٣ . عيون الأخبار وفنون الآثار : ١٠١ . معجم الشعراء / المرزباني : ١٦٤ .

(٢) اللهوف : ٧٠ . مقاتل الطالبيّين : ٨٩.

(٣) القصائد الهاشميات : ٢١ . مقاتل الطالبيّين : ٩٠ .

(٤) **المطهّم** : السمين الفاحش السمن ـ لسان العرب : ٨ : ٢١٣ ـ طهم .

(٥) مقاتل الطالبيّين : ٩٠ .

وأسند إليه الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف قيادة جيشه ودفع إليه رايته فرفعها عالية خفّاقة ، وقد قاتل أعنف القتال وأشدّه ، ولمّا رأى وحدة أخيه وقتل أصحابه وأهل بيته الذين باعوا نفوسهم لله انبرى إليه يطلب منه الرخصة ليلاقي مصيره المشرق ، فلم يسمح له الإمام الحسين عليه السلام ، وقال له بصوت خافت حزين النبرات : **أَنْتَ صاحِبُ لِوائِي** .

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يشعر بالقوة والمنعة ما دام أبو الفضل حياً ، فهو كجيش إلى جانبه يحميه ويذب عنه .

وألحّ عليه أبو الفضل قائلاً : لقد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين ، وأُريد أن آخذ ثأري منهم[١] .

لقد ضاق صدره وسئم من الحياة حينما رأى الكواكب المشرقة من إخوته وأبناء إخوته وعمومته صرعى مجزّرين على رمال كربلاء ، فتحرّق شوقاً للالتحاق بهم والأخذ بثأرهم ، وطلب منه الإمام الحسين عليه السلام أن يسعى لتحصيل الماء إلى الأطفال الذين صرعهم العطش ، فاندفع الشهم النبيل نحو أولئك الممسوخين فجعل يعظهم ويحذّرهم غضب الله ونقمته ، وخاطب ابن سعد قائلاً : يابن سعد ، هذا الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قد قتلتم أصحابه وأهل بيته ، وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى فاسقوهم من الماء ، قد أحرق الظمأ قلوبهم .

وزلزلت الأرض تحت أقدامهم وودّوا أن تسيخ بهم ، وبكى بعضهم ، وساد عليهم صمت رهيب ، فانبرى إليه الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن فردّ عليه قائلاً : يابن أبي تراب ، لو كان وجه الأرض كله ماءً وهو تحت أيدينا لما سقيناكم منه قطرة إلّا أن تدخلوا في بيعة يزيد .

وقفل أبو الفضل راجعاً إلى أخيه فأخبره بعتو القوم وطغيانهم ، وسمع الأبيّ

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ٤١ .

الشهم صراخ الأطفال وهم يستغيثون وينادون : العطش العطش ، الماء الماء[١] .

فرآهم أبو الفضل العباس ـ ويا لهول ما رأى ـ قد ذبلت شفاههم وتغيّرت ألوانهم وأشرفوا على الهلاك من شدّة الظمأ ، فالتاع أشدّ ما يكون الالتياع ، وسرى الألم العاصف في مُحيّاه ، واندفع ببسالة لإغاثتهم ، فركب جواده وأخذ معه القربة ، فاقتحم الفرات وقد استطاع بقوة بأسه أن يفكّ الحصار الذي فرض على الماء ، وقد انهزم الجيش من بين يديه ، فقد ذكرهم ببطولات أبيه فاتح خيبر ومحطّم فلول الشرك ، وقد انتهى إلى الماء وكان قلبه الشريف قد تفتت من العطش ، واغترف من الماء غرفة ليشرب منه إلّا أنّه تذكّر عطش أخيه ومن معه من النساء والأطفال ، فرمى الماء من يده وامتنع أن يروي غليله ، وهو يقول :

يَا نَفْسُ مِن بَعْدِ الحُسِينِ هُونِي ... وَبَعْدَهُ لَا كُنْتِ أَنْ تَكُونِي

هٰذَا الحُسَينُ وارِدُ المَنُونِ ... وَتَشْرَبِينَ بَارِدَ المَعِينِ

تَاللهِ مَا هٰذا فِعالُ دِينِي ... وَلَا فِعالُ صادِقِ اليَقِينِ[٢]

إنّ الإنسانية بكل إجلال وإكبار لتحيّي هذه الروح العظيمة التي تألّقت في دنيا الفضيلة والإسلام ، وهي تلقي على الأجيال أروع الدروس عن الكرامة الإنسانية والمُثل العليا .

لقد كان هذا الإيثار الذي تجاوز حدود الزمان والمكان من أبرز الذاتيات في خلق أبي الفضل ، فلم تمكّنه عواطفه المترعة بالولاء والحنان لأخيه أن يشرب من الماء قبله ، فأيّ إيثار أنبل أو أصدق من هذا الإيثار ؟!

لقد امتزجت نفسه بنفس أخيه ، وتفاعلت روحه مع روحه ، فلم يعد هناك أي

---

(١) معالي السبطين : ١ : ٤٤٤ و ٤٤٥ .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / أبو مخنف : ٦١ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٣٦ .

تعدد في الوجود بينهما ، واتّجه فخر هاشم مزهوّاً نحو المخيم بعدما ملأ القربة وهي عنده أغلى وأثمن من الحياة ، والتحم مع الأعداء التحاماً رهيباً ، فقد أحاطوا به ليمنعوه من إيصال الماء إلى عطاشى أهل البيت ، وأشاع فيهم البطل القتل ، فأخذ يحصد الرؤوس ويجدّل الأبطال وهو يرتجز :

لَا أَرْهَبُ المَوْتَ إذَا المَوتُ زَقا   حَتّىٰ أُوارىٰ فـي الْـمَصالِيتِ لِقا
نَفْسِي لِنَفْسِ المُصطَفَى الطُّهرِ وِقا   إنِّـي أَنـا العَبّاسُ أغْـدُو بـالسِّقا
وَلَا أَخافُ الشَّرَ يَومَ المُلْتَقَىٰ(١)

لقد أعلن لهم عن شجاعته النادرة وبطولاته العظيمة ، فهو لايرهب الموت ، وإنّما يستقبله بثغر باسم دفاعاً عن الحق ، ودفاعاً عن أخيه رائد العدالة الاجتماعية في الأرض ، وإنّه لفخور إذ يغدو بالسقاء مملوءاً من الماء ليروي به عطاشى أهل البيت .

وانهزمت جيوش الباطل يطاردها الرعب والفزع ، فقد أبدى أبو الفضل من البطولات ما يفوق حدّ الوصف ، وقد أيقنوا أنّهم عاجزون عن مقاومته ، إلّا أنّ الوضر الجبان زيد بن الرقاد الجهني قدكمن له من وراء نخلة ، ولم يستقبله بوجهه ، فضربه على يمينه فبراها .

لقد قطع تلك اليد التي كانت تفيض سماحاً وبراً على الناس ودفاعاً عن حقوق المظلومين والمضطهدين .

ولم يعنَ أبو الفضل بيمينه ، وإنّما راح يرتجز :

وَاللهِ إنْ قَطَعْتُمُ يَمِينِي   إنِّي أُحامِي أَبَداً عَنْ دِينِي
وَعَنْ إمامٍ صادِقِ اليَقِينِ   نَجْلِ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ الأَمِينِ(٢)

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٨ . إبصار العين : ٤٤ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٨ . ينابيع المودّة : ٣ : ٦٨ .

ودلل بهذا الرجز على الأهداف العظيمة التي يناضل من أجلها ، فهو إنّما يناضل دفاعاً عن الدين ، ودفاعاً عن إمام المسلمين .

ولم يبعد العباس قليلاً حتى كمن له من وراء نخلة رجس من أرجاس البشرية وهو الحكيم بن الطفيل الطائي فضربه على يساره فبراها ، وتنصّ بعض المقاتل أنّه حمل القربة بأسنانه وجعل يركض ليوصل الماء إلى عطاشى أهل البيت ، غير حافل بما كان يعانيه من نزف الدماء وألم الجروح وشدّة الظمأ[1] ، لقد كان ذلك منتهى ما وصلت إليه الإنسانية في جميع أدوارها من الوفاء والرحمة والحنان .

وبينما هو يركض وهو بتلك الحالة ؛ إذ أصاب القربة سهم غادر فأُريق ماؤها ، ووقف البطل الشهم حزيناً ، فقد كانت إراقة الماء عنده أشدّ عليه من ضرب السيوف وطعن الرماح . وشدّ عليه رجس فعلاه بعمود من حديد على رأسه الشريف ففلق هامته ، وهوى إلى الأرض وهو يؤدي تحيته ووداعه الأخير إلى أخيه قائلاً : عليك مني السلام أبا عبدالله[2] .

وحمل الأثير كلماته إلى أخيه فخرّقت قلبه ومزّقت أحشاءه ، وانطلق وهو خائر القوى منهد الركن فاقتحم بجواده جيوش الأعداء ، ووقف على الجثمان المقدّس وهو يعاني آلام الاحتضار ، وألقى بنفسه عليه فجعل يشمّه ويضمّخه بدموع عينيه وهو يلفظ شظايا قلبه الذي مزّقته الكوارث قائلاً : **الْآنَ انْكَسَرَ ظَهْرِي ، وَقَلَّتْ حِيلَتِي ، وَشَمِتَ بي عَدُوّي**[3] .

وجعل الإمام الحسين عليه السلام يطيل النظر إلى جثمان أخيه وهو يذكر أُخوّته الصادقة ، ووفاءه النادر ، وشهامته الفذّة ، وتبددت جميع آماله ، وكان ممّا يهوّن عليه أهوال

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ٤١ و ٤٢ .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٣٨ . ينابيع المودّة : ٣ : ٦٨ .

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣٠ .

هذه الكارثة سرعة اللحاق به ، وعدم بقائه بعده إلّا لحظات ، ولكنّها كانت عنده كالسنين ، فقد ودّ أنّ المنيّة قد وافته قبله .

وقام الثاكل الحزين وقد انهارت قواه ، وهو لا يتمكّن أن يقلّ قدميه ، وقد بان عليه الانكسار والحزن ، واتّجه صوب المخيّم وهو يكفكف دموعه ، فاستقبلته سكينة قائلة : أين عمي ؟ فأخبرها بشهادته وهو غارق بالبكاء والشجون .[١]

وذعرت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله زينب واستولى عليها الفزع حينما سمعت بمقتل أخيها ، ووضعت يدها على قلبها المذاب وهي تصيح : وا أخاه ، وا عباساه ، واضيعتنا بعدك .

وشارك الإمام الحسين عليه السلام شقيقته في النياحة على أخيه البار ، واندفع رافعاً عقيرته وهو الصبور : «وَاضَيْعَتَنا بَعْدَكَ يَا أَبا الفَضْلِ»[٢] .

لقد شعر بالوحدة والضيعة بعد فقده لأخيه الذي لم يترك لوناً من ألوان البِرِّ والمواساة إلّا قدّمها لأخيه .

فسلام على سيرتك وذكراك يا أبا الفضل ، فلقد مضيت إلى مصيرك العظيم وأنت من أعظم الشهداء إشراقاً وتضحية . وداعاً يا قمر بني هاشم . وداعاً يا بطل كربلاء . وسلام عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً .

مصرع محمّد الأصغر عليه السلام

وممّن استشهد من إخوة الحسين عليه السلام لأبيه محمّد الأصغر ، وأُمّه أُمّ ولد[٣] ،

---

(١) قمر بني هاشم / المقرّم : ١١٢ .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٣٩ .

(٣) مقاتل الطالبيّين : ٩٠ .

وفي تاريخ خليفة بن خياط : ١٤٥ : « إنَّ أُمّه لبابة بنت عبيدالله بن العباس » .

وقد قاتل قتالاً عنيفاً فشدّ عليه رجل من تميم فقتله(١).

مصرع أبي بكر عليه السلام

وهو أخو الإمام الحسين عليه السلام لأبيه، وأُمّه ليلى بنت مسعود، لم يعرف اسمه(٢)، ويقول الخوارزمي: إنّ اسمه عبدالله، وقد برز للحرب فقتله رجل من هَمْدان. وقيل: لا يدرى من قتله. ويذهب الطبري إلى أنّه مشكوك في قتله(٣).

مصرع العباس الأصغر عليه السلام

وهو أخو الإمام الحسين عليه السلام لأبيه، وأُمّه لبابة بنت عبيد الله بن العباس، استشهد يوم الطف(٤).

ويقول القاسم بن أصبغ المجاشعي لمّا أُتي بالرؤوس إلى الكوفة رأيت فارساً علّق في ساق فرسه رأس غلام أمرد كأنّه القمر ليلة البدر، فإذا طأطأ الفرس رأسه لحق رأس الغلام بالأرض، فسألت عن الفارس فقيل: هو حرملة بن كاهل، وسألت عن الرأس فقيل: هو رأس العباس بن عليّ(٥)، وهذا ممّا يؤكد وجود العباس الأصغر

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٩١.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ٩١. تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٥.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٢٨. مقاتل الطالبيّين: ٩١. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٦١.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٥.

وذهب جمع من المؤرخين إلى أنّ لبابة بنت عبيد الله بن العباس هي زوجة العباس بن علي بن أبي طالب الشهيد بكربلاء ـ كتاب المحبّر: ٤٤١. سرّ السلسلة العلويّة: ٨٩. الجوهرة في نسب الإمام عليّ وآله: ٥٧.

(٥) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٥. الحدائق الورديّة: ١: ١٣٢. الصراط السوي في مناقب آل النبيّ: ٩٢.

لأنّ العباس الأكبر كان عمره يوم قتل اثنين وثلاثين سنة وليس غلاماً أمرد.

فقد ذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) موافقة لما في (المقاتل) ، قال : عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي قال : « لمّا أُتي بالرؤوس إلى الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهاً قد علّق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنّه القمر ليلة تمامه والفرس يمرح ، فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض ، فقلت له : رأس مَن هذا ؟

فقال : رأس العباس بن عليّ عليه السلام .

فقلت : ومَن أنت ؟

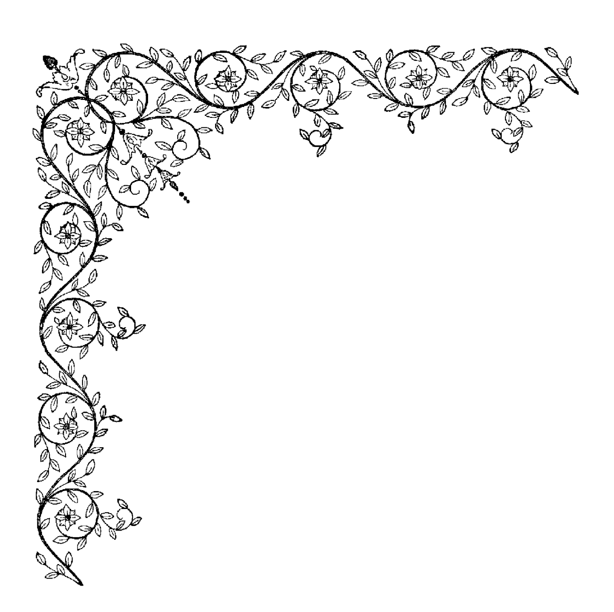
قال : حرملة بن كاهل الأسدي .

قال : فلبثت أياماً وإذا بحرملة ووجهه أشدّ سواداً من القار ، فقلت له : رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنضر وجهاً منك ، وما أرى اليوم لا أقبح ولا أسود وجهاً منك ، فبكى وقال : والله منذ حملت الرأس إلى اليوم ما تمرّ بي ليلة إلّا واثنان يأخذان بضبعي ، ثمّ ينتهيان بي إلى نار تؤجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني كما ترى ، ثمّ مات على أقبح حال »[1] .

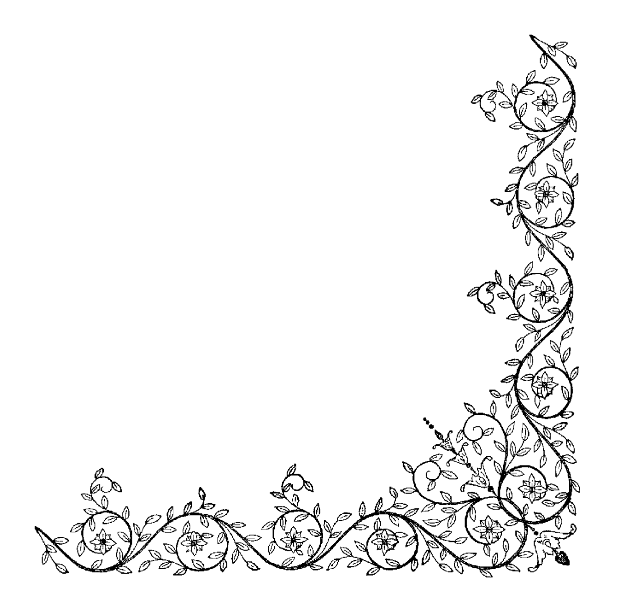
إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن شهداء أهل البيت عليهم السلام ، وقد انتهكت بقتلهم حرمة الرسول صلى الله عليه وآله فلم يرعَ الجيش الأموي قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء .

---

(١) تذكرة الخواص : ٢٥٣ . مقاتل الطالبيّين : ١١٧ و ١١٨ .



مصرع الإمام العظيم عليه السلام



وتتابعت الرزايا والخطوب يتبع بعضها بعضاً على ريحانة رسـول الله صلى الله عليه وآله ، فـهو لم يكد ينتهي من كارثة قاصمة حتى تتواكب عليه أشدّ الكوارث هـولاً وأعـظمها محنة . لقد عانى الإمام الحسين عليه السلام في تلك اللحظات الرهيبة من المحن الشاقّة ما لم يعانه أيّ مصلح كان ، ومن بينها :

أوّلاً : إنّه كان ينظر إلى مخدّرات الرسالة وعقائل الوحي وهنّ بحالة من الذعـر لا يعلمها إلّا الله ، ففي كل لحظة يستقبلن عزيزاً من نجوم العترة الطـاهرة مـضمّخاً بدمائه الزكية لا يلبث أن يلفظ نفسه الأخير أمامهن . وممّا زاد في وجلهن أنّ الجفاة من الأعداء الذين محيت الرحمة من نفوسهم قد أحـاطوا بـهنّ ، ولا يـعلمن مـاذا سيجري عليهن من المحن بعد فقد الأهل والحماة ؟ وكان عليه السلام ينظر إلى ما ألمّ بهنّ من الخوف فيذوب قلبه أسىً وحسرات ، فكان يأمرهنّ بالتجلّد والخلود إلى الصـبر ، وألاّ يبدين من الجزع ما ينقص قدرهنّ ، وأعلمهنّ أنّ الله يحفظهنّ وينجيهنّ من شر الأعداء .

ثانياً : إنّ الأطفال قد تعالى صراخهم من ألم الظمأ القاتل ، وهو لا يـجد مـجالاً لإغاثتهم ، وقد ذاب قلبه الكبير حناناً ورحمة عـلى أطـفاله وعـياله الذيـن يـعانون ما لا طاقة لهم به .

ثالثاً : تعدي المجرمين بعد قتل أصحابه وأهل بيته إلى قتل الأطفال الأبرياء من أبناء إخوته وعمومته .

رابعاً: مقاساته العطش الأليم ، فقد ورد عن شدّة ظمأه أنّه كان لا يبصر السماء إلّا كالدخان ، وأنّ كبده الشريف قد تفتت من شدّة العطش .

يقول الشيخ التستري : « إنّ عطشه قد أثّر في أربعة أعضاء ، فالشفة ذابلة من حرّ الظمأ ، والكبد مفتت لعدم الماء ـ كما قال هو عليه السلام ـ حين كان واقفاً وقد يئس من حياته بحيث علم أنّهم يعلمون أنّه لا يعيش بعد ذلك ، فأظهر عطشه وقال : الآنَ اسْقُونِي قَطْرَةً مِنَ المَاءِ فَقَدْ تَفَتَّتَ كَبِدِي ، واللسان مجروح من شدّة اللوك ـ كما في الحديث ـ والعين مظلمة من العطش »[١] .

خامساً: فقده للأحبّة من أهل بيته وأصحابه ، فكان ينظر إلى خيمهم فيراها خالية ، فجعل يصعّد آهاته وأحزانه ، ويندبهم بأشجى ندبة .

إنّ النفس لتذوب حسرات من هذه الخطوب التي ألمّت بابن رسول الله صلى الله عليه وآله .

استغاثة الإمام الحسين عليه السلام

ونظر الممتحن عليه السلام نظرة مشفوعة بالأسى والحسرات إلى أهل بيته وأصحابه فرآهم مجزّرين كالأضاحي على رمال كربلاء تصهرهم الشمس ، وسمع عياله وقد ارتفعت أصواتهن بالبكاء فأخذ يستغيث ويطلب الناصر والمعين ليحامي عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً : **هَلْ مِنْ ذابٍ يَذُبُّ عَنْ حُرَمِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ؟ هُلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخافُ اللهَ فِينا ؟ هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللهَ في إغاثَتِنا ؟** [٢] .

ولم تنفذ هذه الاستغاثة إلى تلك القلوب التي ران عليها الباطل وغرقت في الآثام ، ولمّا سمع زين العابدين عليه السلام استغاثة أبيه وثب من فراشه ، وجعل يتوكّأ على عصا لشدة مرضه ، فبصر به الحسين عليه السلام فصاح بأخته السيدة أُمّ كلثوم : **احْبِسِيهِ لِئَلَّا**

---

(١) الخصائص الحسينيّة : ١١٨ .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣٢ . درر الأبكار في وصف الصفوة الأخيار : ٣٨ .

تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ نَسْلِ آلِ مُحَمَّدٍ ، وبادرت إليه فأرجعته إلى فراشه[١].

مصرع الرضيع عليه‌السلام

أيّ صبر كان صبر أبي عبدالله ؟! كيف استطاع أن يتحمّل هذه الكوارث ؟! إنّه صبر تعجز عنه الكائنات ، وتميد من هوله الجبال ، وكان من أفجع وأقسى ما نُكب به رزيته بولده عبدالله الرضيع[٢] ، فقد كان كالبدر في بهائه ، فأخذه وجعل يوسعه تقبيلاً ويودّعه الوداع الأخير ، وقد رآه مغميً عليه ، وقد غارت عيناه وذبلت شفتاه من شدّة الظمأ ، فحمله إلى القوم ليستدرّ عواطفهم لعلهم يسقوه جرعة من الماء ، وعرضه عليهم وهو يظلل له بردائه من حرارة الشمس ، وطلب منهم أن يسعفوه بقليل من الماء ، فلم ترق قلوب أُولئك الممسوخين.

وانبرى الباغي اللئيم حرملة بن كاهل فسدد له سهماً ، وجعل يضحك ضحكة الدنيء وهو يقول مفتخراً أمام اللئام من أصحابه : خذ هذا فاسقه.

واخترق السهم ـ يالله ـ رقبة الطفل ، ولمّا أحسّ بحرارة السهم أخرج يديه من القماط ، وجعل يرفرف على صدر أبيه كالطير المذبوح ، وانحنى الطفل رافعاً رأسه إلى السماء فمات على ذراع أبيه.

إنّه منظر تتصدّع من هوله القلوب ، وتلجم الألسن ، ورفع يديه وكانتا مملوءتين من ذلك الدم الطاهر فرمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة واحدة إلى الأرض حسبما يقول الإمام الباقر عليه‌السلام ، وأخذ يناجي ربّه قائلاً : **هَوَّنَ ما نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللهِ تَعالَىٰ ، اللّٰهُمَّ لَا يَكُنْ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصِيلِ ناقَةِ صالِحٍ . إِلٰهِي إِنْ كُنْتَ حَبَسْتَ عَنّا النَّصْرَ**

---

(١) مقتل الحسين عليه‌السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣٢.

(٢) أُمّه الرباب بنت امرئ القيس بن عديّ بن أوس ، وسكينة أُخته. الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٢٥. مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١٠٩ ، وقد سمّاه علياً الأصغر.

فَاجْعَلْهُ لِما هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَانْتَقِمْ لَنا مِنَ الظّالِمِينَ ، وَاجْعَلْ ما حَلَّ بِنا فِي الْعاجِلِ ذَخِيْرَةً فِي الْآجِلِ ، اللّٰهُمَّ أَنْتَ الشّاهِدُ عَلىٰ قَوْمٍ قَتَلوا أَشْبَهَ النّاسِ بِرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[١] .

ونزل الإمام الحسين عليه السلام عن جواده وحفر لطفله بجفن سيفه حفرة ودفنه مرمّلاً بدمائه الزكية . وقيل : إنّه ألقاه مع القتلى من أهل بيته . لك الله يا أبا عبدالله على هذه الكوارث التي لم يمتحن ببعضها أيّ نبي من أنبياء الله ، ولم تجرِ على أيّ مصلح في الأرض .

وحدّث المنهال بن عمرو ، قال : « دخلت على زين العابدين عليه السلام أودعه وأنا أُريد الانصراف من مكة ، فقال : **يا مِنْهالُ ، ما فَعَلَ حَرْمَلَةُ بْنُ كاهِلٍ ؟** وكان معي بشير بن غالب الأسدي .

فقال : ذلك من بني الجرش أحد بني موقد النار وهو حيٌّ بالكوفة .

فرفع الإمام زين العابدين عليه السلام يديه وقال : **اللّٰهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ النّارِ ، اللّٰهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ الْحَدِيدِ** .

قال المنهال : وقدمت الكوفة والمختار بها فركبت إليه فلقيته خارجاً من داره ، فقال : يا منهال ، لم تشركنا في ولايتنا هذه ، فعرّفته أنّي كنت في مكة ، فمشى حتى أتى الكناس ووقف كأنّه ينتظر شيئاً ، فلم يلبث أن جاء قوم قالوا : أبشر أيّها الأمير فقد أُخذ حرملة فجيء به ، فقال : لعنك الله ، الحمد لله الذي أمكنني منك ، الجزار الجزار ، فأُتي بجزار ، فأمره بقطع يديه ورجليه ، ثمّ قال : النار النار ، فأُتي بنار وقصب فأُحرق .

فقلت : سبحان الله سبحان الله ، فقال : إنّ التسبيح لحسن ، لِمَ سبّحت ؟! فأخبرته بدعاء زين العابدين عليه السلام ، فنزل عن دابته وصلى ركعتين وأطال السجود وركب وسار ،

---

(١) مثير الأحزان / ابن نما : **٣٦**. اللهوف : **٦٩**. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : **٣٤٣** و **٣٤٤**. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : **٢ : ٣٢**.

فحاذى داري ، فعزمت عليه بالنزول والتحرّم بطعامي فقال : إنّ علي بن الحسين عليهما السلام دعا بدعوات فأجابها الله على يدي ثمّ تدعوني إلى الطعام ؟ ! هذا يوم صوم شكراً لله تعالى ، فقلت : أحسن الله توفيقك[١] .

صمود الإمام الحسين عليه السلام

ووقف الإمام الحسين عليه السلام وحيداً في الميدان أمام أعدائه ، وقد زادته الفجائع المذهلة إيماناً ويقيناً في بشر وطلاقة وثقة بما يصير إليه من منازل الفردوس الأعلى .

لقد وقف ثابت الجنان لم يوهن عزيمته مصارع أولاده وأهل بيته وأصحابه ولا ما كان يعانيه من ألم العطش ونزيف الدماء ، إنّه صمود الأنبياء وأُولي العزم الذين ميّزهم الله على بقية عباده .

وقد روى ولده عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام الصور المذهلة عن صبر أبيه وصموده هو وأصحابه ، قال عليه السلام : . . . **وكانَ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِنْ خَصائِصِهِ تَشْرُقُ أَلْوانُهُمْ ، وَتَهْدَأُ جَوارِحُهُمْ ، وَتَسْكُنُ نُفُوسُهُمْ ، فَقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اُنْظُرُوا كَيْفَ لَا يُبالِي بِالْمُوْتِ ؟ !**[٢] .

ويقول عبدالله بن عمار بن عبد يغوث البارقي : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على مَن على يمينه حتى انذعروا عنه ، فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جأشاً منه ، ولا أمضى جناناً منه ، ووالله ما رأيت قبله ولا بعده مثله[٣] .

وكان يتمثّل بقول ضرار بن الخطاب الفهري :

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ٣٧٥ و ٣٧٦ .

(٢) معاني الأخبار : ٢٨٨ و ٢٨٩ . بحار الأنوار : ٤٤ : ٢٩٧ ، الحديث ٢ .

(٣) اللهوف : ٧٠ . تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٦٤٧ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩٠ .

« مَـهْلاً بَـنِي عَـمِّنا ظُـلَامَتَنا إنَّ بِـنا سَـورَةً مِـنَ الغَـلَقِ
لِمِثْلِكُمْ نَـحْمِلُ السُّيُوفَ وَلَا تُـغْمَزُ أَحْسـابُنا مِـنَ الرَّقَـقِ
إنِّـي لَأُنْـمَى إذَا انْـتَمَيتُ إلى عِزٍّ عَزِيزٍ وَمَـعْشَرٍ صُـدُقِ
بِـيْضٍ سِـباطٍ كَـأنَّ أَعْـيُنَهُمْ تُكْحَلُ يَوْمَ الهِياجِ بِالعَلَقِ »(١)

وحمل على أعداء الله فجعل يقاتلهم أشدّ قتال رآه الناس، وقد حمل على الميمنة وهو يرتجز:

« المَوتُ أَوْلىٰ مِنْ رُكُوبِ الْعارِ وَالْعارُ أَولىٰ مِنْ دُخُولِ النّارِ »

وحمل على الميسرة وهو يرتجز:

« أَنـا الحُسَـينُ بْنُ عَـلِيّ آلَـيتُ أَلَّا أَنْـثَنِي
أَحـمِي عِـيالاتِ أَبِـي أَمضِي عَلىٰ دِينِ النَّبِي »(٢)

أجل، أنت الحسين، وأنت ملء فم الدنيا شرفاً ومجداً، وأنت الوحيد في هذه الدنيا لم تنثنِ عن عزيمتك وإرادتك، فلم تضرع ولم تهن، ومضيت في طريق الكفاح تدكّ حصون الظالمين والماردين.

لقد مضيت على دين جدّك الرسول صلى الله عليه وآله، فأنت الباعث المجدد وجدّك الرسول المؤسس لهذا الدين، ولولاك لكان شبحاً مبهماً لا ظلّ له على واقع الحياة.

وروى ابن حجر أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يقاتل وينشد هذه الأبيات:

---

(١) الأغاني: ١٩: ١٤٦ و ١٤٧. مقاتل الطالبيّين: ٣٧٣. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣: ٣٠٩. ريحانة الرسول: ٦٤، وجاء فيه: «أنّ من الغريب أنّ كل من تمثّل بهذه الأبيات قتل، فقد تمثّل بها الحسين عليه السلام يوم الطف، وزيد بن علي عليه السلام يوم السبخة، ويحيى بن زيد رضي الله عنه يوم الجوزجان، ولمّا تمثّل بها إبراهيم بن عبدالله بن الحسن في خروجه على المنصور تطيّر له أصحابه، ولم يلبث أن أتاه سهم غادر فقتله».

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١٠.

«أنـا ابْـنُ عَـلِيٍّ الخَـيْرِ مِـن آلِ هـاشِمٍ — كَـفانِي بِـهـٰذا مَـفْخَراً حِـينَ أَفـخَرُ

وَجَـدِّي رَسُـولُ اللهِ أكْـرَمُ مَـنْ مَشـىٰ — وَنَـحنُ سِـراجُ اللهِ فـي النّـاسِ نَـزْهَرُ

وفـاطِمُ أُمِّـي مِـنْ سُـلَالَةِ أحْـمَدٍ — وَعَـمِّيَ يُـدْعىٰ ذُو الجَـناحَينِ جَـعْفَرُ

وفِـيناكِـتابُ اللهِ أُنْـزِلَ صـادِقاً — وَفِينا الهُدى وَالوَحيُ وَالخَيْرُ يُذكَرُ»[١]

موقف المكرَهين

وانبرى بعض الأوغاد من المكرهين في جيش ابن سعد فأخذوا بالدعاء للإمام الحسين عليه السلام بالنصر والغلبة على أعدائه. يقول سعد بن عبيدة: إنّ أشياخنا من أهل الكوفة كانوا واقفين على تل وهم يبكون ويقولون: اللّهمّ أنزل عليه ـ أي على الإمام ـ نصرك، فأنكر عليهم ابن سعد وقال: يا أعداء الله، ألا تنزلون فتنصرونه[٢].

لقد اكتفوا بعواطفهم عن نصرته والذبّ عنه، ولو انبروا إلى ساحات الشرف والجهاد لفازوا برضوان الله وغفرانه، وغيّروا الموقف العسكري لصالح الإسلام.

فزع ابن سعد

وذعر ابن سعد من كثرة الخسائر التي مُني بها جيشه، فراح الخبيث الدنس يثير النعرات، ويؤلّب الجيش على حرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، احملوا عليه من كل جانب.

لقد أثار ابن سعد الأحقاد الجاهلية على الإمام الحسين عليه السلام فذكّرهم بقتل أمير المؤمنين عليه السلام للعرب، وعليهم أن يثأروا لدمائهم، وهو منطق من لا علاقة له

(١) الصواعق المحرقة: ١٩٧. مناقب آل أبي طالب: ٤: ٨٠. كشف الغمّة: ١: ٥٦٤. جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١١٩.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٤٢٤. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٥٩٥.

بالإسلام ، فإنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لم يقتل العرب ، وإنّما قتل القوى الباغية على الإسلام والمنحرفة عن الدين .

ووجّه ابن سعد الرماة نحو الإمام الحسين عليه السلام فكان ـ فيما يقول المؤرخون ـ قد سددت نحوه أربعة آلاف نبلة فصار جسده الشريف هدفاً لنبال أُولئك البغاة[١] ، والتحم معهم التحاماً رهيباً ، وقد أبدى من البسالة ما لم يشاهد له نظير في جميع فترات التاريخ .

استيلاء الإمام الحسين عليه السلام على الماء

وألحّ العطش عليه وأضرّ به إلى حد بعيد ، فحمل على الفرات ، وكان الموكّلون بحراسته ـ فيما يقول بعض المؤرخين ـ أربعة آلاف فانهزموا من بين يديه ، واستولى على الماء فغرف منه غرفة ليروي ظمأه القاتل ، فناداه خبيث من القوم : أتلتذّ بالماء وقد هتكت حرمك ؟!

ورمى أبيّ الضيم الماء من يده ، وآثر كرامة عائلته على عطشه ، وأسرع إلى الخيمة فإذا بها سالمة ، فعلم أنّها مكيدة[٢] .

يقول ابن حجر : ولولا ما كادوه به من أنّهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه ؛ إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحوّل[٣] .

الهجوم على خِيم الحسين عليه السلام

وتوسّط أبيّ الضيم معسكر الأعداء وجعل يقاتلهم أشدّ القتال وأعنفه وقد هجموا على خيمه ليسلبوا الحريم والأطفال ، فصاح بهم : **يا شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيانَ ،**

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٠ .

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام : ٤ : ٥٨ . بحار الأنوار : ٤٥ : ٥١ .

(٣) الصواعق المحرقة : ١٩٧ .

إنْ لَمْ يَكُنْ لَكُم دِينٌ ، وَكُنْتُمْ لَا تَخافُونَ المَعادَ ، فَكُونُوا أَحْراراً في دُنْياكُم وَارْجِعُوا إلىٰ أَحْسابِكُمْ إنْ كُنْتُمْ عُرُباً كَما تَزْعُمُونَ »[١] .

لقد جرّدهم الإمام الحسين عليه السلام بهذه الكلمات من الإطار الإسلامي ، وأضافهم إلى آل أبي سفيان العدو الأوّل للإسلام ، وتزعّم من بعده أبناؤه القوى الباغية عليه ، وما كارثة كربلاء إلّا امتداد لأحقادهم وأضغانهم على نبي الإسلام .

وقد دعاهم عليه السلام إلى الاحتفاظ بالتقاليد العربية التي كانت سائدة في أيام الجاهلية من عدم التعرّض للنساء والأطفال بأيّ أذىً أو مكروه .

وانبرى الوغد الخبيث شمر بن ذي الجوشن فقال له : ما تقول يابن فاطمة ؟

وحسب الرجس أنّه قد انتقص منه عليه السلام بنسبته إلى أُمّه سيدة النساء ، ولم يعلم أنّه نسبه إلى معدن الطُّهر والنبوة ، وحسب الحسين عليه السلام فخراً ومجداً أن تكون أُمّه سيدة نساء العالمين حسبما يقول الرسول صلى الله عليه وآله[٢] .

فقال له الإمام الحسين عليه السلام : **« أَنا الَّذِي أُقاتِلُكُمْ ، وَالنِّساءُ لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ ، فَامْنَعُوا عُتاتَكُمْ مِنَ التَّعَرُّضِ لِحُرَمِي ما دُمْتُ حَيّاً »**[٣] .

---

(١) اللهوف : ٧١ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٧ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٤ .

(٢) حلية الأولياء : ٢ : ٤٢ . الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة / الحافظ السيوطي : ٨٣ ، من مصورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ، وجاء فيه : « روى عمران بن حصين : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عاد فاطمة وهي مريضة فقال لها : **كَيْفَ أَنْتِ ؟**

قالت : **إنِّي وَجِعَةٌ ، وَإنِّي لَيَزيدُنِي أَلَماً مَالِيَ طَعَامٌ آكُلُهُ .**

قال صلى الله عليه وآله : **يَا بُنَيَّةِ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِساءِ الْعالَمِينَ ؟!**

قالت : **فَأَيْنَ مَرْيَمُ ؟**

قال : **تِلْكَ سَيِّدَةُ نِساءِ عالَمِها ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ نِساءِ عالَمِكِ** » .

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣٣ .

فأجابه الشمر إلى ذلك ، وأحاط به القتلة المجرمون وهم يوسعونه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ، فجعلت جراحاته تتفجر دماً .

خطاب الإمام الحسين عليه السلام الأخير

ووجه الإمام الحسين عليه السلام وهو بتلك الحالة خطاباً لأعدائه حذّرهم فيه من غرور الدنيا وفتنتها ، ويقول المؤرخون : إنّه لم يلبث بعده إلّا قليلاً حتى استشهد ، وهذا نصه :

« عِبادَ اللهِ ، اتَّقُوا اللهَ ، وَكُونُوا مِنَ الدُّنْيا عَلىٰ حَذِرٍ ، فَإِنَّ الدُّنْيا لو بَقِيَتْ لِأَحَدٍ وَبَقِيَ عَلَيْها أَحَدٌ لَكانَتِ الْأَنْبياءُ أَحَقَّ بِالْبَقاءِ ، وَأَوْلىٰ بِالرِّضا ، وَأَرْضىٰ بِالْقَضاءِ ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ خَلَقَ الدُّنْيا لِلبَلاءِ وَخَلَقَ أَهْلَها لِلْفَناءِ ، فَجَدِيدُها بالٍ ، وَنَعيمُها مُضْمَحِلٌّ ، وَسُرُورُها مُكْفَهِرٌّ ، وَالْمَنْزِلُ بُلغَةٌ ، وَالدَّارُ قَلْعَةٌ ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوىٰ ، وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »[1] .

الإمام الحسين عليه السلام يطلب ثوباً خَلِقاً

وطلب الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيته أن يأتوه بثوب خلق لا يرغب فيه أحد ؛ ليجعله تحت ثيابه لئلا يسلب منه ، فأتوه بتبان[2] فلم يرغب فيه ، وقال : **ذَلِكَ لِباسُ مَن ضُرِبَتْ عَلَيْهِ الذِّلَّةُ** ، وأخذ ثوباً فخرّقه ، وجعله تحت ثيابه فلمّا قتل جرّدوه منه[3] .

---

(١) زهر الآداب : ١ : ١٦٢ . كفاية الطالب : ٤٢٩ .

(٢) **التُّبّان** : سراويل صغيرة ـ لسان العرب : ٢ : ١٨ ـ تَبَنَ .

(٣) المعجم الكبير : ٣ : ١١٧ ، الرقم ٢٨٥٠ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٧ .

وداعه عليه السلام لعياله

وقفل الإمام الحسين عليه السلام راجعاً إلى عياله ليودّعهم الوداع الأخير، وجراحاته تتفجّر دماً، وقد أوصى حرم الرسالة وعقائل الوحي بلبس الأُزر والاستعداد للبلاء، وأمرهن بالخلود إلى الصبر، والتسليم لقضاء الله قائلاً: **اسْتَعِدُّوا لِلْبَلاءِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعالىٰ حامِيكُمْ وَحافِظُكُمْ، وَسَيُنْجِيْكُمْ مِنْ شَرِّ الْأَعْداءِ، وَيَجْعَلُ عاقِبَةَ أَمْرِكُمْ إِلىٰ خَيْرٍ، وَيُعَذِّبُ عَدُوَّكُمْ بِأَنْواعِ الْعَذابِ، وَيُعَوِّضُكُم عَنْ هٰذِهِ الْبَلِيَّةِ بِأَنْواعِ النِّعَمِ وَالْكَرامَةِ، فَلَا تَشْكُوا وَلَا تَقُولُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ ما يُنْقِصُ قَدْرَكُمْ**[1].

تزول الدول، وتذهب الممالك، وتفنى الحضارات، وهذا الإيمان الذي لا حدّ له أحقّ بالبقاء وأجدر بالخلود من كل كائن في هذه الحياة، فأيّة نفس تطيق مثل هذه الكوارث، وتستقبلها برباطة جأش ورضا وتسليم لأمر الله، إنّه ليس هناك غير الحسين عليه السلام أمل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وريحانته والصورة الكاملة التي تحكيه.

وذابت أسىً أرواح بنات الرسول صلى الله عليه وآله حينما رأينه بتلك الحالة فتعلّقن به يودّعنه، وقد وجلت منهن القلوب، واختطف الرعب ألوانهن، والتاع عليه السلام حينما نظر إليهنّ وقد سرت الرعدة بأوصالهنّ.

يقول الإمام كاشف الغطاء: «من ذا الذي يقتدر أن يصوّر لك الحسين عليه السلام وقد تلاطمت أمواج البلاء حوله، وصبّت عليه المصائب من كل جانب، وفي تلك الحال عزم على توديع العيال ومَن بقي من الأطفال، فاقترب من السرادق المضروب على حرائر النبوة وبنات علي والزهراء عليهما السلام، فخرجت المخدرات كسرب القطا المذعورة فأحطن به وهو سابح بدمائه، فهل تستطيع أن تتصوّر حالهن وحال الحسين عليه السلام في ذلك الموقف الرهيب ولا يتفطّر قلبك، ولا يطيش لبّك، ولا تجري

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٣٤٨.

دمعتك ؟ !»[١].

لقد كانت محنة الإمام الحسين عليه السلام في توديعه لعياله من أقسى وأشقّ ما عاناه من المحن والخطوب ، فقد لطمن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وجوههن ، وارتفعت أصواتهن بالبكاء والعويل ، وهنّ يندبن جدّهنّ الرسول صلى الله عليه وآله وألقين بأنفسهنّ عليه لوداعه ، وقد أثّر ذلك المنظر المريع في نفس الحسين عليه السلام بما لا يعلم بمداه إلّا الله .

ونادى الرجس الخبيث عمر بن سعد بقواته المسلّحة يحرّضها على الهجوم على الإمام الحسين عليه السلام قائلاً : اهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه ، فوالله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم[٢] .

وحمل عليه الخبثاء فجعلوا يرمونه بالسهام ، وتخالفت السهام بين أطناب المخيّم ، وأصاب بعضها أُزر بعض النساء فذعرن ودخلن الخيمة ، وخرج بقية الله في الأرض كالليث الغضبان على أُولئك الممسوخين فجعل يحصد رؤوسهم الخبيثة بسيفه ، وكانت السهام تأخذه يميناً وشمالاً ، وهو يتّقيها بصدره ونحره ، ومن بين تلك السهام التي فتكت به :

١ - سهم أصاب فمه الطاهر ، فتفجّر دمه الشريف ، فوضع يده تحت الجرح فلمّا امتلأت دماً رفعه إلى السماء وجعل يخاطب الله تعالى قائلاً : **اللّٰهُمَّ إنَّ هٰذا فِيكَ قَلِيلٌ**[٣] .

٢ - سهم أصاب جبهته الشريفة المشرقة بنور النبوة والإمامة ، رماه به أبو الحتوف الجعفي[٤] فانتزعه ، وقد تفجّر دمه الشريف ، فرفع يديه بالدعاء على السفاكين

---

(١) جنة المأوى : ١١٥ .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٥٠ .

(٣) الدرّ النظيم : ١٦٨ .

(٤) وهو : عبدالرحمن بن زياد بن زهير الجعفي من بني ناجية ، شهد قتل الحسين عليه السلام ⇦

المجرمين قائلاً: **اللّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى ما أَنا فِيهِ مِنْ عِبادِكَ هٰؤُلَاءِ الْعُصاةِ. اللّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً، وَاقْتُلْهُمْ بَدَداً، وَلَا تَذَرْ عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَداً، وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبَداً.**

وصاح بالجيش: **يا أُمَّةَ السُّوءِ، بِئْسَما خَلَفْتُمْ مُحَمَّداً في عِتْرَتِهِ، أَما إِنَّكُمْ لَا تَقْتُلونَ رَجُلاً بَعْدِي فَتَهابُونَ قَتْلَهُ، بَل يَهُونُ عَلَيْكُمْ ذلِكَ عِنْدَ قَتْلِكُمْ إِيايَ، وَأَيْمُ اللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكْرِمَنِي اللهُ بِالشَّهادَةِ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ لِي مِنْكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرونَ**[1].

لقد كان جزاء الرسول صلى الله عليه وآله الذي أنقذهم من حياة البؤس والشقاء أن عَدَوا على ذريته فسفكوا دماءهم، واقترفوا منهم ما تقشعر منه الجلود وتندى له الوجوه، وقد استجاب الله دعاء الإمام الحسين عليه السلام فانتقم له من أعدائه المجرمين، فلم يلبثوا قليلاً حتى اجتاحتهم الفتن والعواصف، فقد هبّ الثائر العظيم المختار طالباً بدم الإمام الحسين عليه السلام، فأخذ يطاردهم ويلاحقهم، وقد هربوا في البيداء، وشَرَطة المختار تطاردهم حتى أباد الكثيرين منهم. يقول الزهري: لم يبقَ من قتلة الحسين عليه السلام أحد إلّا عوقب إمّا بالقتل أو العمى أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدّة يسيرة[2].

٣ ـ السهم المثلث، وهو من أعظم السهام التي فتكت بالإمام الحسين عليه السلام.

يقول المؤرخون: إنّ الإمام الحسين عليه السلام وقف ليستريح بعدما أعياه نزيف الدماء، فرماه وغد بحجر أصاب جبهته الشريفة، فسالت الدماء على وجهه، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه، فرماه رجس بسهم محدد له ثلاث شعب فوقع على قلبه الشريف الذي يحمل العطف والحنان لجميع الناس، فعند ذلك أيقن بدنو الأجل

⇐ وأخذ جملاً من جماله يستقي عليه الماء فسماه حسيناً ـ اللباب / ابن الأثير: ٢: ٣٨٢. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٦٤٦. الفتوح: ٥: ١١٧. أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٩.

(١) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٣٥٠ و ٣٥١. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٤.

(٢) شرح الأخبار: ٣: ١٧٢. ينابيع المودّة: ٣: ٢٣.

المحتوم منه ، فشخص ببصره نحو السماء وهو يقول : **بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ ، وَعَلىٰ مِلَّةِ رَسولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله ، **إلـٰهي إنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلاً لَيْسَ عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرُهُ** .

وأخرج السهم من قفاه فانبعث الدم كالميزاب فأخذ يتلقّاه بيديه ، فلمّا امتلأتا رمى به نحو السماء وهو يقول : **هَوَّنَ ما نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللهِ** .

وأخذ عليه السلام من دمه الشريف فلطخ به وجهه ولحيته ، وهو بتلك الهيبة التي تحكي هيبة الأنبياء ، واندفع يقول : **هـٰكَذا أَكُونُ حَتّىٰ أَلْقَى اللهَ وَجَـدِّي رَسـولَ اللهِ** صلى الله عليه وآله **وَأَنـا مُخَضَّبٌ بِدَمِي**[١] .

٤ ـ رماه الحصين بن تميم بسهم أصاب فمه الشريف فتفجّر دماً ، فجعل يتلقّى الدم بيده ويرمي به نحو السماء ، وهو يدعو على الجناة المجرمين قائلاً : **اللّٰـهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً ، وَاقْتُلْهُمْ بَدَداً ، وَلا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَداً**[٢] .

٥ ـ كان رجل من بني أبان بن دارم يقال له : (زرعة) شهد قتل الحسين عليه السلام ، فرمى الحسين عليه السلام بسهم فأصاب حنكه ، فجعل يتلقى الدم فيقول به هكذا إلى السماء فيرمي به ؛ وذلك أنّ الحسين عليه السلام دعا بماء ليشرب ، فلمّا رماه حال بينه وبين الماء ، فقال : **اللّٰهُمَّ أَظْمِئْهُ ، اللّٰهُمَّ أَظْمِئْهُ** .

قال : فحدثني مَن شهده وهو يموت ، وهو يصيح من الحر في بطنه والبرد في ظهره ، وبين يديه المراوح والثلج ، وخلفه الكافور ، وهو يقول : إسقوني أهلكني العطش ، فيؤتى بالعُسّ العظيم فيه السويق والماء أو اللبن لو شربه خمسة لكفاهم ، قال : فيشربه ثمّ يعود فيقول : إسقوني أهلكني العطش ، قال : فانقدّ بطنه كانقداد البعير[٣] .

---

(١) اللهوف : ٦٩ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣٤ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٢٣ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٧ .

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٩١ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٢٣ .

وتكاثرت على الحسين عليه السلام السهام حتى صار جسده الشريف قطعة منها، وقد أجهده نزيف الدماء وأعياه العطش، فجلس على الأرض، وهو ينوء برقبته من شدّة الآلام، فحمل عليه وهو بتلك الحالة الرجس الخبيث مالك بن النسر فشتمه وعلاه بالسيف، وكان عليه برنس[1] فامتلأ دماً، فرمقه عليه السلام بطرفه، ودعا عليه قائلاً: **لَا أَكَلْتَ بِيَمِينِكَ وَلَا شَرِبْتَ، وَحَشَرَكَ اللهُ مَعَ الظّالِمِينَ**.

وألقى البرنس واعتمّ على القلنسوة، فأسرع الباغي إلى البرنس فأخذه وقد شلّت يداه.

وقد ذكر أنّه عندما قدم على زوجته بعد الواقعة فجعل يغسل الدم عنه، فقالت له امرأتُه: أتدخل بيتي بسلب ابن بنت رسول الله، اخرج عنّي، حشا الله قبرك ناراً، فلم يزل بعد ذلك فقيراً بأسوء حال ويبست يداه، وكانتا في الشتاء تنضحان دماً وفي الصيف تصيران يابستين كأنّهما عودان[2].

الإمام الحسين عليه السلام مع ابن رباح

وكان مسلم بن رباح هو آخر من بقي من أصحابه عليه السلام، وكان معه وقد أصاب الإمام الحسين عليه السلام سهم في وجهه الشريف فجلس على الأرض وانتزعه وقد تفجّر دمه، ولم تكن به طاقة فقال عليه السلام لابن رباح: **يا مُسْلِمُ، ادْنِ يَدَيْكَ مِنْ هٰذَا الدَّمِ**.

فوضع ابن رباح يديه تحت الجرح، فلمّا امتلأتا دماً قال له: **اسْكُبْهُ في يَدَيَّ**.

فسكبه في يديه، فرفعهما نحو السماء وجعل يخاطب الله تعالى قائلاً: **اللّٰهُمَّ اطْلُبْ بِدَمِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّكَ**.

---

(١) **البرنس**: قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام ـ المنجد: **٣٦** ـ برن.

(٢) مناقب آل أبي طالب: **٤: ٥٧**. بحار الأنوار: **٤٥: ٥٣**. أنساب الأشراف: **٣: ٤٠٨**. تاريخ الأُمم والملوك: **٤: ٦٤٧**. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: **٢: ٣٥**.

ورمى بدمه الشريف نحو السماء فلم تقع منه قطرة واحدة إلى الأرض فيما يقول ابن رباح[١].

مناجاته عليه السلام مع الله تعالى

واتّجه الإمام الحسين عليه السلام في تلك اللحظات الأخيرة إلى الله فأخذ يناجيه ويتضرّع إليه بقلب منيب، ويشكو إليه ما ألمّ به من الكوارث والخطوب قائلاً: **صَبْراً عَلىٰ قَضائِكَ لَا إِلٰـهَ سِواكَ يا غِياثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، ما لِي رَبٌّ سِواكَ وَلَا مَعْبُودٌ غَيْرُكَ. صَبْراً عَلىٰ حُكْمِكَ؛ يا غِياثَ مَنْ لَا غَياثَ لَهُ، يا دائِماً لَا نَفادَ لَهُ، يَا مُحْيِيَ الْمَوْتىٰ، يَا قائِماً عَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ، احْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ**[٢].

إنّه الإيمان الذي تفاعل مع جميع ذاتياته فكان من أهم عناصره، لقد تعلّق بالله وصبر على قضائه وفوّض إليه جميع ما نزل به وعاناه من الكوارث والخطوب، وقد أنساه هذا الإيمان العميق جميع ما حلّ به.

يقول الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله في رائعته:

يَا أَبا الطَّفِّ وَازدَهىٰ بـالضَّحايا ... مِنْ أَدِيمِ الطُّفُوفِ رَوضٌ خَضِيلُ

نُـخْبَةٌ مِـنْ صَـحابَةٍ وَشَـقِيقٌ ... وَرَضِـيعٌ مُـطَوَّقٌ وَشُـبُولُ

وَالشَّبابُ الفَينانُ جَفَّ فَفاضَتْ ... طَـلْعَةٌ حُـلْوَةٌ وَوَجْـهٌ جَـمِيلُ

وَتَـوَغَّلَتَ تَسْـتَبِينُ الضَّـحايا ... وَزَواكِـي الدِّمـاءِ مِـنْها تَسِـيلُ

وَمَشَتْ في شِفاهِكَ الغُرِّ نَجْوىٰ ... نَـمَّ عَـنْها التَّـحمِيدُ وَالتَّـهلِيلُ

لَكَ عُـتبىٰ يَـا رَبِّ إِنْ كَـانَ يُـر ... ضِيكَ فَهٰـذا إِلىٰ رِضاكَ قَلِيلُ[٣]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٢٣. كفاية الطالب: ٤٣١.

(٢) الخصائص الحسينيّة: ٧٧. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٣٥٧.

(٣) ديوان الوائلي: ٤٢.

الهجوم عليه

وهجمت على ريحانة رسول الله ﷺ تلك العصابة المجرمة التي تحمل رجس الأرض وخبث اللئام، فحملوا عليه ـ يالله ـ من كل جانب وهم يوسعونه ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، فضربه زرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى، وضربه وغد آخر على عاتقه، وكان من أحقد أعدائه عليه الخبيث سنان بن أنس، فقد أخذ يضربه تارةً بالسيف وأُخرى يطعنه بالرمح، وكان يفخر بذلك، وقد حكى للحجّاج ما صنعه به باعتزاز قائلاً: دَسَرته بالرمح دَسْراً، وهبرته بالسيف هبراً[١].

فالتاع الحجّاج على قسوته وصاح به: أما إنّكما لن تجتمعا في دار[٢].

وأحاط به أعداء الله من كل جانب، وسيوفهم تقطر من دمه الزكي.

يقول بعض المؤرخين: إنّه لم يُضرب أحد في الإسلام كما ضُرب الحسين عليه السلام، فقد وُجِدَ به ثلاثمائة وبضعة وعشرون جراحة ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم[٣].

ومكث الإمام الحسين عليه السلام مدّة من الوقت على وجه الأرض، وقد هابه الجميع ونكصوا من الإجهاز عليه[٤]. يقول السيد حيدر:

---

(١) **الدَّسْرُ:** الطعن والدفع ـ القاموس المحيط: ٥٠١ ـ دسر.

هبرته: قطعته ـ لسان العرب: ١٥: ١٥ ـ هبر.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٤١٨. مجمع الزوائد: ٩: ١٩٤.

وذكر الطبري في ذيل المذيل ٩: ٤٨٩: «قال الحجّاج: من كان له بلاء فليقم، فقام قوم فذكروا، وقام سنان بن أنس فقال: أنا قاتل الحسين، فقال: بلاء حسن، ورجع إلى منزله فاعتقل لسانه وذهب عقله، فكان يأكل ويحدث مكانه».

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١٠ و ١١١.

(٤) الأخبار الطوال: ٢٥٨. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٨. البداية والنهاية: ٨: ١٩٠.

فَما أَجْلَتِ الحَرْبُ عَنْ مِثْلِهِ صَـريعاً يُـجَبِّنُ شُـجْعانَها

وكانت هيبته تأخذ بمجامع القلوب حتى قال بعض أعدائه: «لقد شغلنا جمال وجهه ونور بهجته عن الفكرة في قتله»[١]، وما انتهى إليه رجل إلّا انصرف كراهية أن يتولى قتله[٢]، ومكث عليه السلام ملقًى على رمضاء كربلاء لايكاد يَهُمُّ به رجل حتى يضعف ويرعد.

خروج العقيلة عليها السلام

وخرجت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله زينب من خبائها وهي فزعة تندب شقيقها وبقية أهلها، وتقول بذوب روحها: ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل[٣].

وأقبل ابن سعد فصاحت به: يا عمر، أرضيت أن يقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟! فأشاح الخبيث بوجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته المشومة[٤]، ولم تعد العقيلة تقوى على النظر إلى أخيها وهو بتلك الحالة التي تميد بالصبر، فانصرفت إلى خبائها لترعى المذاعير من النساء والأطفال.

الفاجعة الكبرى

ومكث الإمام الحسين عليه السلام طويلاً من النهار، وقد أجهدته الجروح وأعياه نزيف الدماء، فصاح بالقتلة المجرمين: **أَعَلىٰ قَتْلِي تَحاثُّونَ؟ أَما وَاللهِ لَا تَقْتُلُونَ بَعْدِي عَبْداً مِنْ عِبادِ اللهِ اللهُ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ لِقَتْلِهِ مِنِّي، وَأَيْمُ اللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكْرِمَنِي اللهُ بِهَوانِكُمْ،**

---

(١) اللهوف: ٧٥.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٣٥٦. أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٧.

(٣) اللهوف: ٧٣. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٧.

(٤) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٢. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٧. جواهر المطالب: ١٣٩.

ثُمَّ يَنْتَقِمُ لِي مِنْكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ»[١].

وكان الشقي الأثيم سنان بن أنس قد شهر سيفه فلم يدع أحداً يدنو من الإمام الحسين عليه السلام مخافة أن يغلبه على أخذ رأسه فيخسر الجائزة من سيده ابن مرجانة، والتفت الخبيث عمر بن سعد إلى شَبَث بن ربعي فقال له: انزل فجئني برأسه.

فأنكر عليه شَبَث، وقال له: أنا بايعته ثمّ غدرت به، ثمّ أنزل فأحتز رأسه، لا والله لا أفعل ذلك.

والتاع ابن سعد فراح يهدده: إذاً أكتب إلى ابن زياد.

فقال له: اكتب له[٢].

وصاح شمر بالأوغاد المجرمين من أصحابه: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكلتكم أُمهاتكم، فاندفع خولي بن يزيد إلى الإجهاز عليه إلّا أنّه ضعف وأرعد، فقد أخذته هيبة الإمام الحسين عليه السلام، فأنكر عليه الرجس سنان بن أنس وصاح به: فتّ الله في عضدك وأبان يدك.

واشتدّ كالكلب عليه عليه السلام فاحتز رأسه الشريف فيما يقول بعض المؤرخين[٣]، وسنذكر الأقوال في ذلك.

واحتز رأس الإمام الحسين عليه السلام وكانت على شفتيه ابتسامة الرضا والاطمئنان والنصر الذي أحرزه إلى الأبد.

لقد قدّم الإمام الحسين عليه السلام روحه ثمناً للقرآن الكريم، وثمناً لكل ما تسمو به الإنسانية من شرف وعز وإباء، وقد كان الثمن الذي بذله غالياً وعظيماً، فقد قتل مظلوماً مهضوماً غريباً بعد أن رزئ بأبنائه وأهل بيته وأصحابه، وذبح وهو عطشان

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٧ و ٦٤٨.

(٢) الدرّ النظيم: ١٦٨.

(٣) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٩. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٦.

أمام عائلته ، فأيّ ثمن أغلى من هذا الثمن الذي قدّمه الإمام قرباناً خالصاً لوجه الله ؟!

لقد تاجر الحسين عليه السلام مع الله بما قدّمه من عظيم التضحية والفداء ، فكانت تجارته هي التجارة الرابحة ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَى مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَٱلْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللهِ فاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾[١] .

والشيء المحقق أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد ربح بتجارته وفاز بالفخر الذي لم يفز به أحد غيره ، فليس في أُسرة شهداء الحق من نال الشرف والمجد والخلود مثل ما ناله عليه السلام ، فها هي الدنيا تعجّ بذكراه ، وها هو حَرَمه المقدس أصبح أعزّ حرم وأمنعه في الأرض .

لقد رفع الإمام العظيم راية الإسلام عالية خفّاقة وهي ملطّخة بدمه الزاكي ودماء الشهداء من أهل بيته وأصحابه ، وهي تضيء في رحاب هذا الكون وتفتح الآفاق الكريمة لشعوب العالم وأُمم الأرض لحريتهم وكرامتهم .

لقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام من أجل أن يقيم في ربوع هذا الكون دولة الحق ، وينقذ المجتمع من حكم الأُمويين الذين كفروا بحقوق الإنسان ، وحوّلوا البلاد إلى مزرعة لهم يصيبون منها حيث ما شاءوا .

القاتل الأثيم

واختلف المؤرخون في المجرم الأثيم الذي أجهز على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذه بعض الأقوال :

---

(١) التوبة ٩ : ١١١ .

الأوّل: سنان بن أنس

وذهب الكثيرون من المؤرخين إلى أنّ الشقي الأثيم سنان بن أنس هو الذي احتزّ رأس الحسين عليه السلام[(١)]، وفيه يقول الشاعر:

وَأَيُّ رَزِيَّـةٍ عَـدَلَتْ حُسَيناً ... غَـداةَ تَـبِيرُهُ كَفّا سِـنانِ[(٢)]

الثاني: شمر بن ذي الجوشن

وصرّحت بعض المصادر أنّ الأبرص شمر بن ذي الجوشن هو الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام[(٣)]، فقد كان هذا الخبيث من أحقد الناس عليه.

يقول المستشرق (رينهارت دوزي): «ولم يتردد الشمر لحظة بقتل حفيد الرسول صلى الله عليه وآله حين أحجم غيره عن هذا الجرم الشنيع، وإن كانوا مثله في الكفر».

الثالث: عمر بن سعد

وذكر المقريزي وغيره أنّ عمر بن سعد هو الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام بعد أن أحجم غيره من السفاكين المجرمين عن قتله[(٤)].

الرابع: خولي بن يزيد الأصبحي

وتعزو بعض المصادر أنّ خولي بن يزيد الأصبحي هو الذي قتل الإمام الحسين عليه السلام واحتزّ رأسه[(٥)].

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٩. مقاتل الطالبيّين: ١١٨. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٥. البداية والنهاية: ٨: ١٩٠.

(٢) عمدة الطالب: ١٧١ و ١٧٢. الاستيعاب: ١: ٣٩٥.

(٣) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٢. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٣٥٩. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٦.

(٤) الخطط المقريزيّة: ١: ٤٢٨. مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١١.

(٥) درر الأبكار في وصف الصفوة الأخيار: ٣٨، وجاء فيه: «أنّ عمر بن سعد قال ⇐

الخامس: شبل بن يزيد الأصبحي

ونصّ بعض المؤرخين على أنّ خولي بن يزيد الأصبحي نزل عن فرسه ليحتز رأس الإمام عليه السلام فارتعدت يداه فنزل إليه أخوه شبل فاحتزّ رأسه ودفعه إليه(١).

السادس: الحصين بن نمير

نصّ على ذلك بعض المؤرخين(٢).

السابع: رجل من مذحج

ذكر ذلك ابن حجر(٣)، وانفرد هو بنقله.

الثامن: المهاجر بن أوس التميمي

ذكر ذلك سبط ابن الجوزي(٤)، ولم يذكره غيره.

هذه بعض الأقوال، والذي نراه أنّ شمر بن ذي الجوشن ممّن تولّى قتل الإمام عليه السلام، واشترك معه سنان بن أنس في حزّ رأسه، كما ذهب لذلك بعض المؤرخين.

وعلى أيّة حال، فالويل لذلك الشقيّ الذي أقدم على اقتراف هذه الجريمة التي هي أبشع ما اقترفت من يوم خلق الله هذه الأرض حتى يرثها، وقد أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله عمّا يلاقيه قاتل الحسين عليه السلام في الدار الآخرة من العذاب الأليم قال صلى الله عليه وآله: **إنَّ قاتِلَ الْحُسَيْنِ في تابُوتٍ مِنْ نارٍ، عَلَيْهِ نِصْفُ عَذابِ أَهْلِ النّارِ، وَقَدْ شُدَّتْ يَداهُ وَرِجْلاهُ**

⇦ لأصحابه: انزلوا فحزّوا رأسه، فنزل إليه نصر بن خرشبة الضبابي فجعل يضرب بسيفه في مذبح الحسين عليه السلام فغضب ابن سعد، وقال لرجل عن يمينه: ويحك انزل إلى الحسين فأرحه، فنزل إليه خولي فاحتزّ رأسه» ـ الفتوح: ٥: ١١٩.

(١) الأخبار الطوال: ٢٥٨. تاريخ الخميس: ٢: ٢٩٨.

(٢) و (٤) تذكرة الخواص: ٢٢٨.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢: ٣٠٤.

بِسَلَاسِلَ مِنْ نارٍ ، مُنَكَّسٌ في النّارِ حَتّىٰ يَقَعَ في نارِ جَهَنَّمَ ، وَلَهُ رِيحٌ يَتَعَوَّذُ أَهْلُ النّارِ إِلىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شِدَّةِ رِيحِ نَتَنِهِ ، وَهُوَ فِيها خالِدٌ ذائِقُ الْعَذابِ الْعَظِيمِ ، كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلناهُم جُلُوداً غَيرَها حَتّىٰ يَذُوقُوا الْعَذابَ الْأَلِيمَ ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ساعَةً ، وَسُقُوا مِنْ حَمِيمِ جَهَنَّمَ ، وَيلٌ لَهُمْ مِن عَذابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[١].

بأيّ وجه يلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أثكله بريحانته وسبطه ، يقول منصور النمري :

وَيَـلَـكَ يـا قـاتِلَ الحُسَـيْنِ لَـقَدْ ... نُـؤْتَ بِـحِمْلٍ يَـنُوءُ بِـالحامِلِ
أَيُّ حَـباءٍ حَـبَوْتَ أَحْـمَدَ فِـي ... حُـفرَتِهِ مِـن حَـرارَةِ الثّـاكِـلِ
بِـأَيِّ وَجْـهٍ تَـلْقَى النَّـبِيَّ وَقَـدْ ... دَخَلْتَ في قَتلِهِ مَعَ القـاتِلِ[٢]

عُمْر الإمام الحسين عليه السلام وسنة شهادته

أمّا عمره الشريف حين شهادته عليه السلام ، فقد اختلف فيه المؤرخون ، وهذه بعض الأقوال :

الأوّل: ثمان و خمسون سنة ، وإليه ذهب معظم المؤرخين[٣].

الثاني: ست وخمسون سنة ، وإليه ذهب اليعقوبي وقال : لأنّه ولد سنة أربع من الهجرة[٤].

الثالث: سبع وخمسون سنة[٥].

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام / ابن المغازلي : **١٠٦** و **١٠٧** ، الحديث **٩٥**.

(٢) بحار الأنوار : **٤٥ : ٢٩٠**. الاستيعاب : **١ : ٣٩٥**. أُسُد الغابة : **٢ : ٢٢**. زهر الآداب : **٣ : ٦٦٩**.

(٣) الإرشاد / المفيد : **٢ : ١٣٣**. المعجم الكبير : **٣ : ١٠٥** ، الرقم **٢٨١٠**. الاستيعاب : **١ : ٣٩٧**. تهذيب التهذيب : **٢ : ٣٠٧**. البداية والنهاية : **٨ : ٢٠٠**. مجمع الزوائد : **٩ : ١٩٨**.

(٤) تاريخ اليعقوبي : **٢ : ١٥٩**.

(٥) الكافي : **١ : ٥٣٠**. روضة الواعظين : **١٩٥**. ذخائر العقبى : **١٤٦**. الاستيعاب : **١ : ٣٩٧**.

الرابع: خمس وستون سنة[١].

أمّا السنة التي استشهد فيها فهي سنة (٦١هـ) حسبما ذكره أغلب المؤرخين[٢]، وهي تصادف سنة (٦٨٠ ميلادية، في ١٠ تشرين الأول)[٣]، وما ذكره الحجّة الشيخ محمّد رضا آل كاشف الغطاء رحمه الله أنّه في (١٠ تموز)[٤] فإنّه لا واقع له.

وعلى أيّة حال فقد ذكر المؤرخون إنّه كانت بين وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله واليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام خمسون سنة[٥] ولم يرع المسلمون أنّه ريحانة نبيهم وسبطه الذي خلّفه في أُمته.

امتداد الحمرة في السماء

ومادت الأرض واسودّت آفاق الكون[٦]، وامتدت حمرة رهيبة في السماء[٧] كانت نذيراً من الله لأُولئك السفاكين المجرمين الذين انتهكوا جميع حرمات الله، وفي هذا الأُفق الملتهب بالحمرة والنار يقول أبو العلاء المعري:

وَعَلَى الأُفـقِ مِـن دِمـاءِ الشَّـهِيدَ ... يْـــنِ عَـــلِيٍّ وَنَـجْلِهِ شـاهِدانِ

فَـهُما فِـي أَواخِـرِ اللَّيْلِ فَـجْرا ... نِ وَفِـــي أَوْلَـــياتِهِ شَـــفَقانِ

---

(١) مرآة الجنان: ١: ١٠٦. البداية والنهاية: ٨: ٢٠٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٥٨. الاستيعاب: ١: ٣٩٣. أُسد الغابة: ١: ٤٩٨. مجمع الزوائد: ٩: ١٩٤. الإصابة: ٢: ١٧.

(٣) تاريخ الدول العربية: ١٤٤ الجدول الملحق بفجر الإسلام: ٣٠٥. الجدول الملحق بتاريخ الدول لابن العبري، وهو يتفق مع ما ذكره اليعقوبي في تحديد الشهر.

(٤) مجلة الغريّ: عدد ٢٣ و ٢٤ / السنة الأُولى.

(٥) تاريخ الخميس: ٢: ٢٩٩.

(٦) مرآة الجنان: ١: ١٣٤. الخطط المقريزيّة: ١: ٤٣٠. تهذيب التهذيب: ٢: ٣٠٥.

(٧) مجمع الزوائد: ٩: ١٩٧. الاتحاف بحبّ الأشراف: ٢٤.

ثَبَتا في قَـمِيصِهِ لِيَجِيءَ الحَشْـرَ   مُسْــتَعْدِياً إِلَـى الرَّحْـمـٰنِ[١]

وقد انكسفت الشمس ، وكانت قد مالت إلى الغروب ، وقد شاركت العالم البائس أحزانه وأشجانه .

فرس الإمام الحسين عليه السلام

وصبغ فرس الحسين ناصيته بدم الإمام الشهيد عليه السلام ، وأقبل يركض وهو مذعور نحو خيمة الحسين ليُعلِم العيال بقتله ، ولمّا نظرت إليه النساء علمن بمقتله[٢] .

وفي زيارة الناحية : « **فَلَمّا رَأَيْنَ النِّساءُ جَوادَكَ مَخْزِيّاً ، وَنَظَرْنَ سَرْجَكَ عَلَيْهِ مَلْوِيّاً ، بَرَزْنَ مِنَ الْخُدُورِ نـاشِراتِ الشُّـعُورِ ، عَـلَى الْـخُدُودِ لاطِـماتٍ ، وَلِـلْوجُوهِ سـافِراتٍ ، وَبِالْعَوِيلِ داعِياتٍ ، وَبَعْدَ العِزِّ مُذَلَّلاتٍ ، وَإِلىٰ مَصْرَعِك مُبادِراتٍ** »[٣] .

ونادت عقيلة الوحي : وا مُحَمَّداهُ ، وا أَبَتاهُ ، وا عَلِيّاهُ ، وا جَعْفَراهُ ، وا حَمْزَتاهُ ، هـٰذا حُسَيْنٌ بِالْعَراءِ ، صَرِيعٌ بِكَرْبَلَاءَ ... لَيْتَ السَّماءَ أَطْبَقَتْ عَـلَى الْأَرْضِ ، وَلَـيْتَ الْجِبالَ تَدَكدَكَتْ عَلَى السَّهْلِ[٤] .

وذهل الجيش ، وود أن تسيخ به الأرض ، وجرت دموع أُولئك الجفاة من هول مصيبة بنات الرسالة .

حرق الخيام

وعمد الخبثاء اللئام إلى حرق خيامه عليه السلام غير حافلين بما تضم من بنات الرسالة

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ٥٥ . الدرجات الرفيعة : ٥٢٦ .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣٧ . تاريخ المظفري : ٢٣٠ .

(٣) بحار الأنوار : ١٠١ : ٣٢٢ .

(٤) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٥٩ .

وعقائل الوحي ، وقد حملوا أقبسة من النار[١] ومناديهم ينادي : أحرقوا بيوت الظالمين .

يالله ! لقد كان بيت الإمام الحسين عليه السلام ـ حسبما يزعمون ـ بيت الظلم ، وبيت ابن مرجانة بيت العدل ، وقد أغرق هو وأبوه الناس في الظلم والجور .

وحينما التهبت النار في الخيم فررن بنات الرسالة وعقائل الوحي من خباء الى خباء والنار تلاحقهن ، أمّا اليتامى فقد علا صراخهم فبين من تعلّق بأذيال عمّته الحوراء لتحميه من النار ، وتصدّ عنه اعتداء الجفاة ، وبين من هام على وجهه في البيداء ، وبين من يستغيث بأُولئك الممسوخين الذين خلت قلوبهم من الرحمة والعطف ، لقد كان ذلك المنظر ممّا تتصدع له الجبال ، ولم يغب عن ذهن الإمام زين العابدين عليه السلام طيلة المدة التي عاشها بعد أبيه ، فكان دوماً يذكره مشفوعاً بالأسى والعبرات وهو يقول : « **وَاللهِ ، ما نَظَرْتُ إِلىٰ عَمّاتِي وَأَخَواتِي إِلّا وَخَنَقَتْنِي الْعَبْرَةُ ، وَتَذَكَّرْتُ فِرارَهُنَّ يَوْمَ الطَّفِّ مِنْ خَيْمَةٍ إِلىٰ خَيْمَةٍ ، وَمِنْ خِباءٍ إِلىٰ خِباءٍ ، وَمُنادِي الْقَوْمِ يُنادِي : أَحْرِقُوا بُيُوتَ الظّالِمِينَ** »[٢] .

سلب جثة الإمام الحسين عليه السلام

واقترف جيش ابن سعد أسوأ المآثم وأفظع الجرائم ، فقد هرعوا بجشع نحو جثّة الإمام العظيم عليه السلام فجعلوا ينهبون ما عليها من لامة حرب أو ثياب ، فأخذ رجل من بني نهشل سيفه[٣] وهو سيف النبيّ صلى الله عليه وآله المسمى بذي الفقار[٤] .

---

(١) اللهوف : ٧٨ . تاريخ المظفري : ٢٢٨ .

(٢) اللهوف : ١٢٢ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤٨٩ . وقريب منه في حلية الأولياء : ٣ : ١٣٨ .

(٣) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١١٢ . أنساب الأشراف : ٣ : ٤٠٩ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٨ .

(٤) التاريخ السياسي للدولة العربية : ٢ : ٧٥ ، وجاء في هامشه : « أنّ هذا السيف ⇦

وأخذ قيس بن الأشعث ـ أحد قادة ذلك الجيش ـ قطيفته عليه السلام وكانت من خز، فعيب عليه وسمي بـ (قيس قطيفة)[١].

وسلب قميصه إسحاق بن حيوة الحضرمي[٢].

وأخذ الأخنس بن مَرْثَد عمامته[٣].

وأخذ بحر بن كعب سراويله فلبسها فصار زَمِناً مُقْعَداً[٤].

وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد، فلمّا قتل عمر بن سعد وهبها المختار لأبي عمرة قاتله[٥]، ولم يتركوا على جثمانه الطاهر إلّا السراويل التي عمد الإمام

⇐ غنمه النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر». حلية الفرسان وشعار الشجعان / ابن هذيل: ١٥.

«وسمي بذي الفقار؛ لأنّه كان يشبه في شكله فقرات الظهر» ـ كنوز الفاطميّين: ٥٤.

«وقد انتقل هذا السيف إلى حيازة العباسيين، ومن بعدهم إلى الفاطميّين». المجالس «مخطوط».

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١١. اللهوف ٧٦. أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٩. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٨.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٢. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٠. وفي مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١١، جعونة بن حيوة الحضرمي.

وفي الفتوح: ٥: ١١٩: «جعفر بن الوبر الحضرمي».

(٣) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٢. اللهوف: ٧٦.

وفي الفتوح: ٥: ١١٩، ومقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٧: «أنّه جابر بن يزيد الأزدي».

(٤) اللهوف: ٧٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٨.

وفي الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٢. ومناقب آل أبي طالب: ٤: ١١١: «أنّه أبحر بن كعب».

وفي الفتوح: ٥: ١١٩: «أنّه يحيى بن عمرو الحرمي».

(٥) اللهوف: ٧٦ و ٧٧.

الحسين عليه السلام على تمزيقها حتى يتركوها على جسده[١].

وجاء أحطّ البشرية وأقذرها بجدل بن سليم الكلبي ففتش عن مغنم يجده على جسم الإمام الحسين عليه السلام فلم يجد شيئاً، وفتش مليّاً فرأى خاتمه في يده وقد بنت عليه الدماء، فعمد إلى قطع إصبعه وأخذه[٢]، وترك البغاة جثمان الإمام الحسين عليه السلام عارياً تصهره الشمس.

سلب حرائر النبوّة عليهن السلام

وعمد أرذال أهل الكوفة وعَبِيدُ ابن مرجانة إلى سلب حرائر النبوة وعقائل الرسالة، فسلبوا ما عليهن من حلي وحلل، ومالَ وغد من أوغادهم بخسّة ووحشية إلى السيدة أُمّ كلثوم فسلب قرطيها[٣]، وأسرع وضر خبيث نحو السيدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام فانتزع خلخالها، وهو يجهش بالبكاء، وبهرت منه ابنة الحسين عليه السلام فقالت له: لِمَ تبكي؟!

فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

ولما رأت تعاطفه، قالت له: دعه لي.

وراح الدنيء يبدي جشعه قائلاً: أخاف أن يأخذه غيري[٤].

وعمدوا إلى نهب ما في الخيام من ثقل ومتاع، وهجم الشمر على ثقل الإمام الحسين عليه السلام لنهبه فوجد ذهباً فأخذه ودفع بعضه إلى ابنته لتصوغه حلياً لها، فجاءت

---

(١) وفي أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٩، قال: «وَسُلِبَ الحسين ما كان عليه...».

(٢) اللهوف: ٧٦. الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٢. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٠. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٨.

(٣) أنساب الأشراف: ٣: ٤٠٩ و ٤١٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٧ و ٦٤٨. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٨. تاريخ المظفري: ٢٣٠.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٣: ٣٠٣.

به إلى الصائغ فلمّا أدخله النار صار هباءً[١].

وعن أبي حميد الطحّان قال: كنت في خزاعة فجاءوا بشيء من تركة الحسين عليه السلام، فقيل لهم: ننحر أو نبيع فنقسم، قال: انحروا، قال: فجلس على جفنة، فلمّا وضعت فارت ناراً.

وفي رواية الجعفي عن أبيه، قال: «لمّا قتل الحسين عليه السلام انتهب جَزُور من عسكره فلمّا طبخت إذا هي دم»[٢].

وروى سنان بن حكيم عن أبيه، قال: «انتهب الناس ورساً في عسكر الحسين بن عليّ يوم قتل، فما تطيبت منه امرأة إلّا بَرَصت»[٣].

وبصرت امرأة من آل بكر بن وائل ما جرى على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله من النهب والسلب والترويع، فاندفعت وهي مذهولة فجعلت تحفّز أُسرتها على إنقاذ ودائع النبوة من أيدي أُولئك الجفاة قائلة: يا آل بكر بن وائل، أتسلب بنات رسول الله ؟! لا حكم إلا لله، يالثارات رسول الله، فبادر إليها زوجها وردّها إلى رحله[٤].

وتجرّد ذلك الجيش من كل نزعة إنسانية، وخلا من كل رأفة ورحمة، فقد جعلوا يوسعون بنات رسول الله صلى الله عليه وآله ضرباً بكعوب رماحهم وهنّ يلذن من الرعب بعضهن ببعض، وقد سقطت فاطمة بنت الحسين عليه السلام مغشياً عليها من شدّة الضرب، فلمّا أفاقت رأت عمتها السيدة أُمّ كلثوم تبكي عند رأسها[٥]. إنّ مأساة عائلة الرسالة تبكي الجماد وتستثير عطف الصخور.

---

(١) الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ: ٩٠.

(٢) المعجم الكبير: ٣: ١٢١، الرقم ٢٨٦٤.

(٣) شرح الأخبار: ٣: ١٦٦. بحار الأنوار: ٤٥: ٣٠٠.

(٤) اللهوف: ٧٧ و ٧٨.

(٥) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٣٨٦.

الهجوم على الإمام زين العابدين عليه السلام

وهجم الفجرة الجفاة على زين العابدين عليه السلام وكان مريضاً قد أنهكته العلّة، ومزّق الأسى قلبه، فأراد الخبيث الأبرص شمر بن ذي الجوشن أن يقتله فنهره حميد بن مسلم قائلاً له: سبحان الله! أتقتل الصبيان؟ إنّما هو مريض.

فلم يعن به الوغد، وبادرت إليه العقيلة عمّته زينب فتعلّقت به، وقالت: لَا يُقْتَلُ حَتَّى أُقْتَلَ دُونَه[1]، فكفّ اللئيم عنه، وقد نجا منهم بأُعجوبة، واجتاز على النساء الرجس عمر بن سعد فصِحنَ في وجهه وبكين، فمنع الخبيث العسكر من التعرّض لهن بسوء[2].

الخيل تدوس الجثمان الطاهر

وأخذ شر أُولئك الجفاة يستشري فلم يدعوا حرمة لله إلّا انتهكوها ولا إثماً إلّا اقترفوه، فقد انبرى ابن سعد لينفّذ أوامر سيده ابن مرجانة فنادى: من ينتدب للحسين فيوطئ الخيل صدره وظهره[3].

قال الواقدي: وبادر الشمر فوطأ الجثمان المقدّس بفرسه[4]، وتبعه عشرة من أولاد البغايا وهم: إسحاق بن يحيى الحضرمي، وهانئ بن ثبيت الحضرمي، وأدلم ابن ناعم، وأسيد بن مالك، وحكيم بن الطفيل الطائي، والأخنس بن مرثد، وعمرو

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٩. أخبار الدول وآثار الأُول: ١: ٣٢٣.

وفي المنتظم: ٥: ٣٤١: «أنّ ابن سعد هو الذي أمر بقتل زين العابدين عليه السلام، فوقعت عليه زينب وقالت: لا يقتل حتى أُقتل، فرقّ لها وكف عنه».

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٩. البداية والنهاية: ٨: ١٩٠.

(٣) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٣. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٩.

(٤) أنساب الأشراف: ٣: ٤١٩.

ابن صبيح المذحجي، ورجاء بن منقذ العبدي، وصالح بن وهب اليزني، وسالم بن خيثمة الجعفي[١]، فداسوا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بخيولهم مقبلين ومدبرين حتى ألصقوا الجثمان العظيم بالأرض[٢]، وذلك بعد أن خطفوا ما كان عليه من كساء مزّقته الطعون.

وكان المجرم الخبيث أسيد بن مالك يفتخر أمام ابن سعد ويقول:

نَحنُ رَضَضْنا الصَّدْرَ بَعْدَ الظَّهْرِ   بِكُلِّ يَعْبُوبٍ شَدِيدِ الأَسْرِ[٣]

وجرى هذا التمثيل المنكر أمام ابن سعد وسائر قوات ذلك الجيش، ولم تجرِ هذه العملية ـ فيما أحسب ـ على أحد من أهل بيته عليهم السلام وأصحابه، ويؤيد ذلك أنّ الأوامر التي صدرت من ابن زياد إلى ابن سعد قد اقتصرت على التمثيل بجسد الإمام الحسين عليه السلام دون غيره.

وعلى أيّة حال، فقد أعلنوا بهذا العمل الفظيع، وهذه الوحشية البشعة عن حقدهم البالغ عليه، وتجرّدهم من جميع العواطف الإنسانية، ولقد داسوا جسده الذي تربّى في كنف الرسول صلى الله عليه وآله ونبت لحمه من لحم علي وفاطمة عليهما السلام، والذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله: «**حُسَينٌ مِنِّي وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً...**»[٤].

ولمّا جاء هؤلاء العشرة قال لهم ابن زياد: مَن أنتم؟ فقالوا نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنّا جناجن صدره، فأمر لهم بجائزة يسيرة. قال أبو عمر الزاهد: فنظرنا في هؤلاء فوجدناهم أولاد زنا، وهؤلاء أخذهم المختار فشد

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١١. اللهوف: ٧٩. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٣٤٧ ـ ٦٥٠.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٣. اللهوف: ٧٩. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٤٩ و ٦٥٠. البداية والنهاية: ٨: ١٩١.

(٣) اللهوف: ٨٠. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٣٩.

(٤) كامل الزيارات: ١١٦، الحديث ١٢٦.

أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا[١] .

العقيلة أمام الجثمان العظيم

ووقفت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وابنة أميرالمؤمنين عليه السلام العقيلة زينب عليها السلام على جثمان أخيها العظيم الذي مزّقته السيوف ، وجعلت تطيل النظر إليه ، ورفعت بصرها نحو السماء وهي تدعو بحرارة ، قائلة : اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان[٢] .

إنّ الإنسانية لتنحني إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الإيمان الذي هو السر في خلود تضحية الحسين عليه السلام .

لقد تحمّلت بطلة كربلاء أعباء تلك المحن الشاقّة ، وتجرّعت غصص تلك الأهوال محتسبة الأجر عند الله ، وهي تتضرع بخشوع إلى الله أن يتقبل ذلك القربان ، فأيّ صبر يماثل هذا الصبر ؟!

لقد تجلّت قوة الشخصية في حفيدة الرسول ، وبرزت معاني الوراثة النبوية في مواقفها الخالدة التي صانت بها أهداف الإمام الحسين عليه السلام ، وأظهرت الواقع في تضحيته ، وأنارت السبيل في بيان أسرار شهادته .

سنان يطلب الجائزة

واحتفّ أُولئك الجفاة حول القاتل الأثيم سنان بن أنس وجعلوا يمنّونه الأماني ويقولون له : قتلت الحسين بن عليّ وابن فاطمة ، قتلت أعظم العرب خطراً الذي أراد أن يزيل ملك هؤلاء ، فأتِ أُمراءك فاطلب ثوابك منهم ، فإنّهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتله لكان قليلاً .

---

(١) اللهوف : ٨٠. بحار الأنوار : ٤٥ : ٦٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٩٦.

وتحرّكت مطامعه ، فأقبل حتى وقف على فسطاط ابن سعد رافعاً صوته :

أَوْقِـرْ رِكَـابِي فِـضّةً أَوْ ذَهَـبَا ... إِنِّي قَتَلْتُ السَّـيِّدَ المُـحَجَّبا

قَتَلتُ خَـيْرَ النّـاسِ أُمّاً وَأَبـا ... وَخَيْرَهُم إذْ يُنسَبُونَ النَّسَـبا

ولما سمعه ابن سعد نهره ورماه بالسوط ، وقال له : ويحك ! إنّك لمجنون ، لو سمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك[١] .

وقد حدد الباغي اللئيم أهدافه في هذا الرجز ، فهو إنّما ينشد الذهب والفضة في قتله لخير الناس أُمّاً وأباً ، ولم يؤثر أنّ هناك رجزاً قيل في المعركة أو بعدها سوى هذا الرجز ، وهو يمثل أهداف الأكثرية الساحقة في ذلك الجيش السحيق .

وحلل الدكتور يوسف خليف هذا الرجز بقوله : « والعاطفة التي تشيع في هذا الرجز ـ مع الأسف ـ عاطفة الفرح والزهو ، فراح القاتل بهذه الهدية الغالية التي يحملها إلى الأمير ، وزهوه بهذا العمل الضخم الذي قام به من أجل الدولة ، وهو لهذا يشعر بأنّ أقل ما يمكن أن يكافئه الأمير به أن يوقر ركابه فضة وذهباً ، وهو ـ لهذا أيضاً ـ يضفي على قتيله خير ما يمكن أن يضفيه إنسان على إنسان ، وقد جعله هذا يشعر بشيء من الدالة على الأمير ، يبيح أن يجعل حديثه عن هذه الجائزة حديث الآمر الذي لا يقبل ردّاً ولا رفضاً ، وهو ـ من أجل هذا ـ يبدأ رجزه لا بالحديث عن الحادثة التي تعني الأمير وإنّما بالحديث عن الجائزة التي تعنيه هو ، كأنّما لا يعنيه من الأمر إلّا ما سوف يناله من ذهب وفضة »[٢] .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٠ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩١ .

وفي المعجم الكبير : ٣ : ١١٧ و ١١٨ ، الرقم ٢٨٥٢ : « إنّ أنس أنشد هذين البيتين أمام ابن زياد » .

(٢) حياة الشعر في الكوفة : ٣٧٣ و ٣٧٤ .

القبائل تقتسم الرؤوس

وبادرت القبائل إلى حزّ رؤوس أُولئك الأحرار الذين استشهدوا من أجل العدالة الاجتماعية ، ومن أجل تحرير الإنسان من الظلم والطغيان .

ولم يقر الإسلام في جميع حروبه التمثيل ، إلّا أنّ الجيش الأموي قد استباح ذلك ، فإنّ معاوية قد سنّه وأباحه ، فقد أمر برأس الشهيد العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي أن يطاف به ، وقد اقتدى به ابن مرجانة فبعث برأس مسلم وهانئ إلى يزيد ، ثمّ عهد إلى ابن سعد أن يحزّ رؤوس الشهداء في واقعة كربلاء ليبعثها هدية إلى يزيد .

وقد تهافتت تلك العصابة المجرمة إلى اقتسام الرؤوس ليقدّموها هدية لابن مرجانة ، وقد اقتسمت القبائل التالية ما يلي من الرؤوس :

١ ـ **كندة** : جاءت بثلاثة عشر رأساً ، وصاحبهم قيس بن الأشعث .

٢ ـ **هوازن** : حصلت على عشرين رأساً ، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن .

٣ ـ **مذحج** : جاءت بسبعة رؤوس .

٤ ـ **بنو قيس** : جاءوا بتسعة رؤوس .

٥ ـ **بنو تميم** : جاءوا بسبعة عشر رأساً .

٦ ـ **بنو أسد** : جاءوا بستة عشر رأساً [١] .

٧ ـ **سائر الجيش** : جاءوا بسبعة رؤوس [٢] .

وبقيت على صعيد كربلاء جثّة الإمام الحسين عليه السلام ، وجثث الشهداء من أهل بيته وأصحابه قد فصلت عنها الرؤوس ووضعت فوق الحراب ؛ لتكون مناراً لجميع

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٢ . المنتظم : ٥ : ٣٤١ .

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٢ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٠٢ .

شعوب الأرض على طريق الحق والشرف والإيمان.

عودة الطاغية إلى الكوفة

وكان الطاغية ابن زياد معسْكِراً بالنخيلة يتلقّى الأحداث في كل لحظة، فقد كان على اتصال دائم بابن سعد، فلمّا جاءه البشير بقتل الحسين عليه السلام ارتحل مسرعاً إلى الكوفة ليحكم أمرها، ويتخذ التدابير للمحافظة عليها، فأصدر أمره إلى حرّاس البلد وكان عددهم عشرة آلاف فارس بمنع حمل السلاح على كل أحد ونادى مناديه بالكوفة بذلك، كما أرسل الوفود إلى جميع أنحاء البلاد لإعلان النصر وإشاعة الخوف بين الناس(١).

ليلة الحادي عشر

وقل ما شئت في تصوير المحنة الكبرى التي دهمت عقائل النبوة في ليلة الحادي عشر من المحرّم، فإنّك لا تستطيع تصويرها، ولا استيعاب مأساتها، فلم تبقَ رزية من رزايا الدنيا، ولا غصّة من غصص الدهر إلّا جرت عليهنّ، فالأعداء الجفاة الذين لا يملكون أيّ شرف أو نبل قد استولوا عليهن، والحماة الأُباة من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد تناثرت أشلاؤهم الزكية أمامهنّ من دون أن ينبري أحد إلى مواراتهم، والخيام قد أُحرقت ونهب ما فيها من ثقل ومتاع، وسلب ما على الأرامل والثواكل من بنات النبيّ صلى الله عليه وآله من حلي وحلل، وقد وصف ذلك المنظر الحزين الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله في رائعته التي يقول فيها:

وَسَجا اللَّيْلُ وَالرِّجالُ ضَحايا ... وَالنِّساءُ المُخَدَّراتُ ذُهُولُ

وَاليَتامىٰ تَشَرُّدٌ وَضَياعٌ ... وَالثَّكالىٰ مَدامِعٌ وَعَوِيلٌ

---

(١) مع الحسين في نهضته: ٢٨٥.

وَبَقايا مُخَيَّمٍ مِنْ رَمادٍ   وَقُيُودٌ يَئِنُّ مِنْها عَلِيلُ
وَزُنُودٌ قَسَتْ عَلَيْها سِياطٌ   وَجُسُومٌ يَضْرَى بِها التَّنْكِيلُ[(١)]

أمّا حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وشقيقة الإمام الحسين عليه السلام العقيلة زينب عليها السلام فإنّها ما وهنت ولا استكانت أمام تلك الأهوال القاصمة ، فقد أسرعت تلتقط الأطفال الذين هاموا على وجوههم في البيداء ، وتجمع العيال في تلك البيداء الموحشة ، وهي تسلّيهم وتصبّرهم على تلك الرزايا ، وقد أنفقت تلك الليلة ساهرة على حراستهم ، وقد هامت في تيارات من الأسى لا يعلم بمداها إلّا الله ، وقد استولى الضعف عليها حتى إنّها أدّت وردها من صلاة الليل جالسة .

عدد الضحايا من أهل البيت عليهم السلام

واختلف المؤرخون في عدد الضحايا من أهل البيت عليهم السلام ، وهذه بعض الأقوال :

١ ـ سبعة عشر ، وقد أعلن ذلك الإمام الصادق عليه السلام في حديث له جرى مع شيخ عن قتل الإمام الحسين عليه السلام ، قال عليه السلام له : « **يا شَيْخُ ، ذاكَ دَمٌ يَطْلُبُ اللهُ تَعالىٰ بِهِ ما أُصِيبَ مِنْ وُلْدِ فاطِمَةَ ، وَلَا يُصابُونَ بِمِثْلِ الْحُسَيْنِ ، وَلَقَدْ قُتِلَ في سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ نَصَحُوا للهِ ، وَصَبَرُوا فِي جَنْبِ اللهِ ، فَجَزاهُمُ اللهُ أَحْسَنَ جَزاءِ الصّابِرِينَ . . .** »[(٢)] .

ويقول محمّد بن الحنفية : «لقد قتل معه ـ أي مع الحسين ـ سبعة عشر ممّن ارتكضوا في رحم فاطمة »[(٣)] ، وهي فاطمة بنت أسد أُمّ الإمام أميرالمؤمنين[(٤)] .

---

(١) ديوان الوائلي : ٤٣ .

(٢) الأمالي / الطوسي : ١٦١ و ١٦٢ ، الحديث ٢٦٨ . بحار الأنوار : ٤٥ : ٣١٣ .

(٣) المعجم الكبير : ٣ : ١١٩ ، الرقم ٢٨٥٥ . تذهيب التهذيب : ١ : ١٥٦ ، الخطط المقريزيّة : ١ : ٤٢٨ .

(٤) بحار الأنوار : ٤٥ : ٦٣ ، نقلاً عن ابن نما ، وفيه : « أنّ القائل : محمّد بن علي الباقر عليه السلام » ⇦

٢ ـ ستة عشر رجلاً، يقول الحسن البصري: «قتل مع الحسين بن عليّ ستة عشر رجلاً ما على وجه الأرض لهم من شبيه»[١].

ويقول سراقة البارقي:

عَينُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَعَوِيلِ ... وَانْدُبِي إِنْ نَدَبتِ آلَ الرَّسُولِ
تِسعَةً مِنهُمُ لِصُلْبِ عَلِيٍّ ... قَدْ أُبِيدُوا وَسَبعَةً لِعَقِيلِ[٢]

٣ ـ خمسة عشر، وقد أعلن ذلك المغيرة بن نوفل في مقطوعته التي رثاهم بها، يقول:

أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ وَأَبكَانِي ... وَالدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ وَأَلْوانِ
يَالَهفَ نَفْسِي وَإِنَّ النَّفْـ ... ـسَ لَا تَنْفَكُّ مِن هَمٍّ وَأَحزانِ
عَلىٰ أُناسٍ قُتِّلوا تِسْعَةٌ ... بِالطَّفِّ أَمْسَوا رَهْنَ أَكْفانِ

⇦ ـ العقد الفريد: ٤: ٣٨٥.

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٦. ذخائر العقبى: ١٤٦. الاستيعاب: ١: ٣٩٦. تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠): ١٤. مرآة الجنان: ١: ١٠٨.

(٢) المعارف: ٢٠٤. أنساب الأشراف: ٣: ٤٢٢. العقد الفريد: ٤: ٣٨٣. النزاع والتخاصم: ٢٩. وفي مروج الذهب: ٣: ٦٢: «أنّ الذي قاله: هو مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم»، والشعر هكذا:

عَينُ جُودِي بِعَبرَةٍ وَعَوِيلِ ... وَانـدُبِي إِنْ نَدَبتِ آلَ الرَّسُولِ
وَانـدُبِي تِسْعَةً لِصُلبِ عَلِيٍّ ... قَـد أُصِيبُوا وَخَمسَةً لِعَقِيلِ
وَابنَ عَمِّ النَّبِيِّ عَوناً أَخاهُمْ ... لَيْسَ فِيمَا يَنُوبُ بِالمَخْذُولِ
وَسَمِيَّ النَّبِيِّ غُودِرَ فِيهِم ... قَدْ عَلَوهُ بِصارِمٍ مَصقُولِ
وَاندبِي كَهْلَهُمْ فَلَيسَ إذا مَا ... عُدَّ فِي الخَيرِ كَهْلُهُمْ كَالكُهُولِ
لَعَنَ اللهُ حَيثُ كَانَ زِياداً ... وَابنَهُ والعَجُوزَ ذاتَ البُعُولِ

وَسِــتَّةٌ مَـا أنْ أَرىٰ مِـثْلَهُمْ   بَنِي عَـقِيلٍ خَـيْرَ فُـرسانِ[١]

٤ ـ تسعة عشر رجلاً من أهل البيت عليهم السلام[٢].

٥ ـ عشرون ؛ من أبناء عليّ عليه السلام سبعة ، ومن أبناء الحسن عليه السلام اثنان ، ومن أبناء عبدالله بن جعفر اثنان ، ومن أبناء الحسين عليه السلام ثلاثة ، ومن أبـناء عـقيل سـتة غـير مسلم[٣].

٦ ـ اثنان وعشرون ، صرّح بذلك أبو الفرج الأصفهاني ، حيث قـال : « فـجميع من قتل يوم الطف من ولد أبي طالب سوى مَن يختلف في أمره اثـنان وعشـرون

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٢١.

وفي معجم الشعراء / المرزباني : ٢٤٣ ، هكذا :

أَحْـــزَنَنِي الدَّهْـــرُ وَأَبكَـــاني   وَالدَّهْـــرُ ذُو صَـــرْفٍ وَأَلْــوانِ

أَفْـــرَدَنِي مِـــنْ تِسْـعَةٍ قُـتِّلُوا   بِــالطَّفِّ أَضْـحَوا رَهْـنَ أَكْـفانِ

وَسِـــتَّةٍ لَـــيْسَ لَـــهُم مُشـبِهٌ   بَـــنِي عَـــقِيلٍ خَـــيْرِ فُـرْسانِ

وَالمَـــرْءُ عَـوْنُ أَخِـيهِ مَـضَى   كِـــلَاهُما هَـــيَّجَ أَحْـــزانِـــي

مَــنْ كَــانَ مَسْــرُوراً بَـما نـالَنا   وَشـــــامِتاً يَـــوماً فَـــما الآنِ

وفي كفاية الأثر : ٢٤٨ و ٢٤٩ ، ومناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٦ : « أنّها للكميت بن زيد الأسدي » ، وفيهما هكذا :

لِــتِسْعَةٍ بِــالطَّفِّ قَـدْ غُـودِرُوا   صَــارُوا جَـميعاً رَهْـنَ أَكْـفانِ

وَسِـــــتَّةٍ لَايُـــتَجَارَى بِـــهِمْ   بَـــنُو عَـــقِيلٍ خَـــيرُ فُـرْسانِ

ثُـــمَّ عَـــلِيُّ الخَـــيرِ مَـوْلَاهُمُ   ذِكْـــرُهُمُ هَـــيَّجَ أَحْـــزانِـــي

مَــنْ كَــانَ مَسْــرُوراً بِــما مَسَّكُـمْ   أَو شـــــامِتاً يَـــوماً مِـــنَ الآنِ

فَـــقَدْ ذَلَــلتُمْ بَـعْدَ عِـزٍّ فَـما   أَدْفَـــعُ ضَـيماً حِـينَ يَـغْشانِي

مَـتَى يَـقُومُ الحَـقُّ فِيكُمْ مَتىٰ   يَـــــقُومُ مَـــهْدِيُّكُمُ الثّـــانِي

(٢) الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ صلى الله عليه وآله : ٨٧.

(٣) مرآة الزمان : ٥٩.

رجلاً»[١].

٧ ـ ثلاثة وعشرون رجلاً من ولد الحسين عليه السلام وإخوته وأهل بيته[٢].

٨ ـ سبعة وعشرون شهيداً من ولد فاطمة[٣] يعني بنت أسد.

٩ ـ ثمانية وسبعون، صرّح بذلك النسّابة السيد أبو محمّد الحسن الحسيني، وهو اشتباه، ولعله أراد من قتل مع الإمام الحسين عليه السلام من أصحابه.

١٠ ـ ثلاثون، نسب ذلك إلى الإمام الصادق عليه السلام في حديث له مع عبدالله بن سنان، فقد أمره بالصوم في يوم عاشوراء، وأمره بالإفطار بعد صلاة العصر، وقال له: **«فَإِنَّهُ في ذلِكَ الْوَقْتِ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ تَجَلَّتِ الْهَيْجاءُ عَنْ آلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَانْكَشَفَتِ الْمَلحَمَةُ عَنْهُمْ، وَفي الْأَرْضِ مِنْهُمْ ثَلاثُونَ صَرِيعاً في مَوالِيهِمْ يَعُزُّ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مَصْرَعُهُمْ، وَلَوْ كانَ فِي الدُّنْيا يَوْمَئِذٍ حَيّاً لَكانَ هُوَ الْمُعَزّىٰ بِهِمْ»**[٤].

١١ ـ أربعة عشر رجلاً، انفرد بذلك المسعودي[٥] ولم يذكره غيره.

هذه بعض الأقوال التي ذكرت، واحتوت الزيارة المنسوبة إلى الناحية على ذكر سبعة عشر شهيداً، وذكر ذلك الشيخ المفيد[٦]، ولعلّه هو الأقرب إلى الواقع، والله العالم.

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٩٨.

(٢) الخطط المقريزيّة: ١: ٤٢٨. الذرّيّة الطاهرة: ٩٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١٢.

(٤) مصباح المتهجّد: ٧٨٢. بحار الأنوار: ٤٥: ٦٣. سفينة البحار: ٦: ٢٦٨. أعيان الشيعة: ١: ٥٨٦.

(٥) مروج الذهب: ٣: ٦١ و ٦٢.

(٦) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٥.

الجرحى من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

وسقط في المعركة بعض الجرحى من أصحابه ، ولم يجهز عليهم جيش ابن سعد ، وهم :

١ ـ سوار بن حمير الجابري ، حمل من المعركة ومات متأثراً بجراحه بعد ستة أشهر(١) .

٢ ـ عمرو بن عبدالله الجندعي ، سقط في المعركة جريحاً وحمل ، ومات متأثراً بجراحه بعد سنة(٢) .

٣ ـ الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام ، وقاتل مع عمّه حتى سقط على الأرض جريحاً ، ولمّا أقبل أجلاف أهل الكوفة على حزّ رؤوس الشهداء وجدوا به رمقاً ، فجاء أسماء بن خارجة الفزاري وكان من أخواله فشفّع به فشفعوه ، فحمله معه إلى الكوفة وعالجه حتى برئ ثمّ لحق بيثرب(٣) .

الناجون من القتل

ونجا من القتل من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ، ما يلي :

١ ـ الإمام زين العابدين عليه السلام ، وكان مريضاً قد أنهكته العلّة ، ونجا بأُعجوبة من أيدي أُولئك الطغاة ، وحمل أسيراً إلى ابن مرجانة وسيده يزيد بن معاوية(٤) .

٢ ـ الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام ، وقد ذكرنا أنّه سقط في المعركة جريحاً ، وبرئ من جراحاته(٥) .

٣ ـ عمر بن الحسن عليهما السلام ، نجا من القتل ولم نعلم أنّه اشترك في الحرب أم أنّه

---

(١) و (٢) شرح الأخبار : ٣ : ٢٤٩ . الحدائق الورديّة : ١ : ٢٦ .

(٣) حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام : ٢ : ٤٦٤ . مقاتل الطالبيّين : ١١٩ .

(٤) و (٥) مقاتل الطالبيّين : ١١٩ .

كان صغيراً ؟[١]

٤ ـ القاسم بن عبدالله بن جعفر ، كان مع الحسين بن علي عليهما السلام حين قتل ، وكان صغيراً فلم يقتل[٢].

٥ ـ زيد بن الحسن بن علي عليهم السلام[٣].

٦ ـ عقبة بن سمعان ، وكان مولىً للرباب بنت امرئ القيس زوجة الإمام الحسين عليه السلام ، جيء به أسيراً إلى ابن سعد ، فقال له : من أنت ؟

قال : مملوك ، فخلّى سبيله ولم يتعرّض له بمكروه[٤].

٧ ـ الموقّع بن ثمامة الأسدي الصيداوي ، كان من أنصار الإمام الحسين عليه السلام فأُسر ، فجاءت قبيلته فطلبت له الأمان ، وجيء به مخفوراً إلى ابن مرجانة ، وأخبره ابن سعد بشأنه ، فنفاه إلى الزارة من أرض البحرين وبقي فيه[٥].

٨ ـ مسلم بن رباح ، وكان مع الإمام الحسين عليه السلام يمرّضه ، ولمّا قتل انفلت ونجا سالماً ، وقد روى بعض فصول واقعة كربلاء[٦].

وهؤلاء هم الذين نجوا من القتل ، وأفلتوا من أيدي أُولئك الظالمين المجرمين الذين كانوا يتعطشون إلى إراقة دماء أهل البيت عليهم السلام .

---

(١) اللهوف : ٨٦. وفي شرح الأخبار : ٣ : ١٩٧ : « أنّه عمرو بن الحسين عليهما السلام » .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٤٩ : ٨٩.

(٣) مقاتل الطالبيّين : ١١٩.

(٤) أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٠.

(٥) تنقيح المقال ٣ : ٢٦٠. إبصار العين : ٩٠. وسيلة الدارين : ١٩٥.

وفي أنساب الأشراف : ٣ : ٤١١ : « المرقّع بن قمامة » .

وفي تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٤٩ : « المرقّع بن ثمامة » .

(٦) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٣٧٧. مقاتل الطالبيّين : ١١٩. تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٢٣.

خسائر ابن سعد

أمّا حجم الخسائر في جيش ابن سعد فكانت جسيمة للغاية ، فقد دمّر أصحاب الإمام الحسين عليه السلام على قلّتهم جميع كتائب ذلك الجيش ، وأنزلوا به أفدح الخسائر ، فأشاعوا في أرباض الكوفة الثكل والحداد . ويقول بعض المؤرخين : إنّهم لم يتركوا بيتاً في الكوفة إلّا وفيه نائحة .

أمّا ما يدعم ذلك فهي التصريحات التي أدلى بها بعض قادة الفرق الدالّة عن فزعهم وذعرهم بما منوا به من الخسائر ، وقد أشرنا إليها في البحوث السابقة .

وذكر ابن الأثير أنّ القتلى كانوا ثمانية وثمانين سوى الجرحى[١] ، وهذا القول لا نصيب له من الصحة والغاية منه التقليل من أهمية معسكر الحسين عليه السلام ، فإنّ من المقطوع به أنّهم أنزلوا بجيش ابن سعد الهزائم وألحقوا به أفدح الخسائر ، حتى ضجّ العسكر من كثرة من قتل منهم ، ومن الطبيعي أنّ ذلك لا يتفق مع هذا العدد القليل .

رؤيا ابن عباس

وحينما نزح الإمام الحسين عليه السلام من الحجاز إلى العراق كان ابن عباس قلقاً تساوره الهموم والأحزان خوفاً على ابن عمّه من غدر أهل الكوفة ، وقد نام في اليوم العاشر من المحرّم فاستيقظ فزعاً مرعوباً ، وقد رفع صوته : قتل الحسين والله .

فأنكر عليه أصحابه قائلين له : كلا يابن عباس .

فأجابهم ودموعه تتبلور على خدّيه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه زجاجة ، فقال لي : ألا تعلم ما صنعت أُمّتي بعدي ؟ قتلوا ابني الحسين ، وهذا دمه ودم أصحابه أرفعه إلى الله عزّ وجلّ .

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٦ . شرح الأخبار : ٣ : ١٥٥ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٢ . بحار الأنوار : ٤٥ : ٧٤ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥٠ .

وسجّل أصحابه اليوم والساعة التي حدثت فيها الرؤيا، ووافتهم الأنباء بمقتل الإمام الحسين عليه السلام في نفس الوقت التي حدثت فيه الرؤيا[١].

رؤيا أُمّ سلمة

وكانت أُمّ المؤمنين السيدة أُم سلمة وجلة مضطربة من حين خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، فقد عهد إليها رسول الله صلى الله عليه وآله بمقتل ولده الحسين عليه السلام في أرض كربلاء، وأعطاها قارورة فيها تربته، وأعلمها أنّها إذا فاضت دماً فإنّ سبطه قد قتل، وكانت تنظر كل يوم إلى القارورة وتقول: إنّ يوماً تتحولين دماً ليوم عظيم[٢]، ورقدت في اليوم العاشر من المحرّم فرأت في منامها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه ولحيته التراب، فقالت له: ما لك يا رسول الله ؟!

قال صلى الله عليه وآله: شهدت قتل الحسين آنفاً.

وانتبهت أم سلمة فزعة مذعورة، وهي صارخة منادية: قد فعلوها! ملأ الله بيوتهم ـ أو قبورهم ـ عليهم ناراً ووقعت مغشياً عليها[٣].

وسمع ابن عباس الصراخ قد علا من بيت أُمّ سلمة فخفّ إليها، وقد ازدحم بيتها بالرجال والنساء، فقال لها: يا أُمّ المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوثين، فلم تجبه، وأقبلت على النساء الهاشميات فقالت لهن: يا بنات عبد المطلب، أسعدنني وابكين، فقد والله قتل سيدكنّ، وسيد شباب أهل الجنّة، قد والله قُتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته الحسين عليه السلام.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٣٧. المنتظم: ٥: ٣٤٦. تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠): ١٧. تذهيب التهذيب: ١: ١٥٥. مرآة الجنان: ١: ١٠٨. الخطط المقريزيّة: ١: ٤٢٨.

(٢) المعجم الكبير: ٣: ١٠٨، الرقم ٢٨١٧. تاريخ المظفري: ٣٠، وجاء فيه: «أنّ أول صارخة على الحسين بالمدينة هي أُمّ سلمة». تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠): ١٧.

(٣) سنن الترمذي: ٥: ٦١٥، الحديث ٣٧٧١. تاريخ مدينة دمشق: ١٤: ٢٣٨.

فقلن لها : من أين علمت ذلك ؟ فأخبرت برؤياها للنبي صلى الله عليه وآله[١] .

وتصارخت النسوة حتى ضجّت المدينة وما سمع بواعية مثل ذلك اليوم[٢] ، وأقامت أُمّ سلمة من وقتها مجلس العزاء على الحسين ، فجعل المسلمون يفدون عليها ويعزّونها بمصابها الأليم ، وممّن وفد عليها معزياً شهر بن حوشب ، فأخذت تحدّثه عمّا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل أهل البيت قائلة : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على منامة[٣] لنا فجاءته فاطمة بشيء فوضعته ، فقال صلى الله عليه وآله لها : **اِدْعِي لِي حَسَناً وَحُسَيْناً وَابْنَ عَمِّكِ عَلِيّاً** ، فلمّا اجتمعوا عنده قال : **اللّهُمَّ هٰؤُلَاءِ خاصَّتِي ، وَأَهْلُ بَيْتِي ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً**[٤] .

وأخذت أُمّ سلمة تلعن أهل الكوفة وتقول : قتلوه قتلهم الله عزّ وجلّ ، غرّوه وأذلوه لعنهم الله[٥] ، وكان يغشى عليها من شدّة الحزن ، ولم تلبث إلّا يسيراً حتى توفيت كمداً وحزناً على الحسين عليه السلام[٦] .

خولي يحمل رأس الإمام الحسين عليه السلام

ولم يعنَ ابن سعد بالتمثيل بجسم الإمام الحسين عليه السلام الذي حرّمه الإسلام بعد أن صدرت له الأوامر من ابن مرجانة بذلك ، وقد عمد فور استشهاده عليه السلام إلى إرسال رأسه مع خولي بن يزيد الأصبحي ، وحميد بن مسلم الأزدي ، فحملا رأس ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله هدية لابن مرجانة كما حمل رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا

---

(١) الأمالي / الطوسي : ٣١٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢ : ١٥٩ .

(٣) **المنامة** : القطيفة ـ القاموس المحيط : ١٥٠٤ ـ نوم .

(٤) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ١٥٠ .

(٥) المعجم الكبير : ٣ : ١٠٨ ، الرقم ٢٨١٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء : ٢ : ٢٠٢ .

بني إسرائيل ، وقد أقبلا يجدّان السير لا يلويان على شيء حتى انتهيا إلى الكوفة في الهزيع الأخير من الليل ، فوجدا باب القصر مغلقاً ، فأخذ خولي رأسه الشريف وولّى مسرعاً إلى بيته ليبشّر به زوجته ، وطرق باب داره طرقاً عنيفاً وهو يلهث من شدّة التعب وعظيم الفرح ، فخرجت إليه زوجته النوار بنت مالك الحضرمي ، وكانت علوية الرأي ، فأسرعت إليه قائلة : ما الخبر ؟

قال : جئت بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين معك في الدار .

وراحت امرأته تصيح به : ويلك ، جاء الناس بالفضة والذهب ، وجئت برأس ابن بنت رسول الله ، والله لا يجمع رأسي ورأسك شيء أبداً[١] .

وأصبح زوجها من أبغض الناس إليها[٢] ، وفي الصباح الباكر حمل خولي رأس الإمام الحسين عليه‌السلام إلى ابن زياد فأظهر الفرح والسرور ، وقد تمّت ـ فيما يحسب ـ بوارق آماله وأحلامه .

الطاغية مع قاتل الإمام الحسين عليه‌السلام

والتفت ابن زياد إلى الجلاّدين من شرطته الذين حضروا المعركة ، فقال لهم :

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٤١١ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥٠ .

وفي العقد الفريد : ٢ : ٢٤٢ : « أنّها قالت له : والله لا يجمعني وإياك فراش أبداً » .

وفي البداية والنهاية : ٨ : ١٩١ ـ ١٩٢ : « أنّها قامت من فراشه ، واستدعى له بامرأة أخرى من بني أسد فنامت عنده ، فلمّا نظرت إلى الأُجانة رأت النور ساطعاً من تلك الأُجانة إلى السماء ورأت طيوراً بيضاً ترفرف حولها » .

(٢) في تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ١٧٦ : « أنّ أبا عمرة صاحب حرس المختار لمّا أحاط بدار خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين عليه‌السلام الذي جاء به فاختبى في مخرجه فخرجت امرأته إليهم ، فقالوا لها : أين زوجك ؟

فقالت : لا أدري أين هو ، وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه وقد وضع على رأسه قوصرة فأخرجوه » .

أيكم قاتله ؟

فوثب إليه رجل وهو فرح لعلّه أن ينال الجائزة منه ، فقال له : أنا قتلته .

فقال : ما قال لك ؟

قال : لمّا أخذت السلاح قلت له : أبشر بالنار ، قال : **أَبْشِرُ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ بِرْحمَتِهِ وَشَفاعَةِ نَبيِّهِ** صلى الله عليه وآله[1] .

وأطرق ابن مرجانة برأسه إلى الأرض وهو يشعر بالوخز وخيبة المصير وسوء المنقلب .

تشفّي ابن زياد برأس الإمام الحسين عليه السلام

ولمّا وضع رأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بين يدي الدعي ابن الدعي أخذ يعبث بثناياه ساعة من الزمن ، وهو يجد في ذلك لذّة لا تعدلها لذّة ، وبدا على وجهه آثار الحقد الدفين والتشفّي الآثم ، فأخذ يضرب بعوده ثنايا الإمام الحسين عليه السلام وشفتيه التي طالما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوسعهما تقبيلاً .

يقول القاسم بن محمّد : ما رأيت منظراً قط أفظع من إلقاء رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن مرجانة وهو ينكته[2] .

وكان في مجلسه الصحابي زيد بن أرقم ، فلمّا رأى صنعه انهارت قواه وصاح به : أُعلُ بهذا القضيب عن هاتين الشفتين ، فوالذي لا إله إلّا هو لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبّلهما .

وانفجر زيد باكياً وراح ابن زياد يهزأ من الصحابي قائلاً : أبكى الله عينيك ، لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك .

---

(١) ذخائر العقبى : ١٤٤ . تاريخ الخميس : ٢ : ٣٠٠ .

(٢) الأمالي / الطوسي : ٢٥٢ .

فـاندفع الصـحابي قـائلاً: ألا أُحـدثك حـديثاً هـو أغـلظ مـن هـذا ؟! رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أقعد حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً على فخذه اليسرى، ووضع يديه على يافوخيهما، وقال: **اللّهُمَّ إنّي أَستَوسدِعُكَ إيّاهُما وَصالِحَ الْمُؤْمِنِينَ**، فكيف كانت وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله عندك يابن زياد ؟!

وخرج زيد غير حافل ببطش ابن مرجانة، وهو يخاطب أهل الكوفة قائلاً: أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فبُعداً لمن رضي بالذلّ والعار(١).

وقال هشام بن محمّد: لما وضع الرأس بين يدي ابن زياد قال له كاهنه الكافر: قم فضع قدمك على فم عدوك، فقام فوضع قدمه على فيه.

ثم قال لزيد بن أرقم: كيف ترى ؟ فقال: والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعاً فاه حيث وضعت قدمك(٢).

لقد فعل ابن زياد بآل البيت ما لم يفعله أي كافر على وجه الأرض، فقد استهان بجميع القيم والمقدّسات، واستباح كل ما حرّمه الله.

رجوع القوات المسلحة

ومكثت القوات المسلحة في كربلاء يوم الحادي عشر من المحرم فوارت جيف قتلاها بين مظاهر الإجلال والتعظيم، وقد فتحت لها كوة مـن قـيح جـهنم يـؤجج ضرامها ولا يخبو نارها تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون.

---

(١) المناقب والمثالب / القاضي النعمان المصري: ٢٩٠ و ٢٩١. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٢ و ٤١٣. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥١. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٧. أُسد الغابة: ١: ٤٩٩. تذكرة الخواص: ٢٣١. الصراط السوي في مناقب آل النبيّ: ٨٧.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٣١.

أمّا جثة الإمام العظيم والجثث الزواكي من أهل بيته وأصحابه، فقد عمدوا إلى تركها على صعيد كربلاء تسفي عليها الرياح لا مغسلة ولا مكفنة.

وأمر ابن سعد حميد بن بكر الأحمري، فنادى بالناس الرحيل إلى الكوفة[١]، وسارت قوات ابن سعد بعد الزوال من كربلاء، وأعلامها رؤوس العترة الطاهرة التي ثارت من أجل إحقاق الحق، وتوطيد أركان العدل، وقد حملوا معهم نساء الحسين عليه السلام وأخواته ونساء الأصحاب فكنّ عشرين امرأة[٢] ما عدا الصبية، وقد سيّروهنّ في موكب كان أبشع موكب شهده التاريخ، فقد حملت حرائر النبوّة على أقتاب الجمال بغير وطاء، وساقوهنّ كما يساق سبي الترك والديلم، واجتازوا بالركب على ساحة المعركة حيث الأشلاء مبعثرة ومضمّخة بدمائها الزكية، وإنّما فعلوا ذلك مبالغة منهم في ايذاء النساء، وكان العرب في جاهليتهم الأُولى يتجنبون مرور النساء على قتلاهنّ، إلّا أنّ جيش ابن سعد لم يلتزم بأيّ خلق، ولم تكن عنده أيّة عاطفة إنسانية أو مسكة من شرف أو نبل.

ولمّا نظرت عقائل النبوة إلى جثث القتلى من أهل البيت رفعن أصواتهنّ بالبكاء، وصاحت حفيدة النبيّ صلى الله عليه وآله زينب عليها السلام بصوت يذيب القلوب: يَا مُحَمَّداهُ، هـٰذا حُسَيْنٌ بِالْعَراءِ، مُرَمَّلٌ بِالدِّماءِ، مُقَطَّعُ الأَعْضاءِ، وَبَناتُكَ سَبايا، وَذُرِّيَّتُكَ مُقَتَّلَةٌ[٣].

ووجم القوم مبهوتين، وفاضت عيونهم دموعاً، وبكى العدو والصديق[٤].

---

(١) نفس المهموم: ٣٥١. أنساب الأشراف: ٣: ٤١١. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٠.

(٢) نفس المهموم: ٣٥١. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٣٩٣.

(٣) أنساب الأشراف: ٣: ٤١١ و ٤١٢. الخطط المقريزيّة: ١: ٤٣٠. البداية والنهاية: ٨: ١٩٥.

(٤) جواهر المطالب: ٢: ٢٩١.

حزن الإمام زين العابدين عليه السلام

وحزن الإمام زين العابدين عليه السلام أشدّ ما يكون الحزن حينما رأى جثمان أبيه وجثث أهل بيته وأصحابه منبوذة بالعراء لم ينبرِ أحد إلى مواراتها، وبصرت به عمته زينب فبادرت إليه مسلية قائلة: مَا لِيَ أَراكَ تَجُودُ بِنَفْسِكَ يا بَقِيَّةَ جَدِّي وَأَبِي وَإِخْوَتِي؟!... فَوَاللهِ إنَّ ذلِكَ لَعَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إلىٰ جَدِّكَ وَأَبِيكَ وَعَمِّكَ، وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ أُناسٍ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ لَا تَعْرِفُهُمْ فَراعِنَةُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُمْ مَعْرُوفُونَ في أَهْلِ السَّماواتِ، إِنَّهُمْ يَجْمَعُونَ هٰذِهِ الْأَعْضاءَ الْمُتَفَرِّقَةَ، وَهٰذِهِ الْجُسُومَ الْمُضَرَّجَةَ فَيُوارُونَها، وَيَنْصِبُونَ بِهٰذَا الطَّفِّ عَلَماً لِقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدِ الشُّهَداءِ لَا يَدْرُسُ أَثَرُهُ، وَلَا يَعْفُو رَسْمُهُ عَلَى كُرُورِ اللَّيالِي وَالْأَيّامِ؛ وَلَيَجْتَهِدَنَّ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَأَشْياعُ الضَّلَالِ فِي مَحْوِهِ وَطَمْسِهِ فَلَا يَزْدادُ أَثَرُهُ إِلَّا ظُهُوراً، وَأَمْرُهُ إِلَّا عُلُوّاً[1].

وأزالت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله ما ألمّ بالإمام زين العابدين عليه السلام من الحزن العميق على عدم مواراة أبيه، فقد أخبرته بما سمعته من أبيها وأخيها من قيام جماعة من المؤمنين بمواراة تلك الجثث الطاهرة، وسينصب لها علم لايمحى أثره ويبقى خالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وقد جدّ ملوك الأُمويين والعباسيين على محوها وإزالة آثارها، وأجهدوا نفوسهم وسخّروا جميع إمكانياتهم إلّا أنّهم لم يفلحوا، ومضى مرقده الشريف شامخاً على الدهر، ومضت ذكراه تملأ رحاب الأرض نوراً وفخراً وشرفاً كأسمى صورة تعتزّ بها الإنسانية في جميع أدوارها.

مواراة الجثث الطاهرة

وبقيت جثّة الإمام العظيم عليه السلام وجثث الشهداء الممجدين من أهل بيته وأصحابه ملقاة على صعيد كربلاء تصهرها الشمس، وتسفي عليها الرياح، وقد انبرى جماعة

---

(١) كامل الزيارات: ٤٤٥، حاشية ٦٧٤. بحار الأنوار: ٤٥: ١٧٩.

من المؤمنين الذين لم يتلوّثوا في الاشتراك بحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مواراتها، وقد اختلف المؤرخون في اليوم الذي دفنت فيه، وفيما يلي ذلك:

١ ـ يوم الحادي عشر[١].

٢ ـ يوم الثاني عشر[٢].

٣ ـ يوم الثالث عشر[٣].

أمّا الذين حظوا بمواراتها فهم قوم من بني أسد كانوا ينزلون بالقرب من مكان المعركة، فخفّوا إليها بعد أن نزحت جيوش ابن سعد، فرأوا الجثث الزواكي ملقاة بالعراء فأيقنوا أنّها جثث أهل البيت عليهم السلام وجثث أصحابهم، فعجّوا بالبكاء والعويل وصرخت نساؤهم وقاموا في هدأة الليل حيث أمنوا الرقباء، فحفروا قبراً لسيد الشهداء، وقبراً آخر لبقية الشهداء، وقد حفروها على ضوء القمر حيث كان على وشك التمام، ولم يطلع القمر على مثلها شرفاً في جميع الأحقاب والآباد.

يقول الشيخ المفيد: «ولمّا رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين عليه السلام وأصحابه ـ رحمة الله عليهم ـ فصلّوا عليهم، ودفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه عليّ بن الحسين الأصغر عند رجليه، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه ـ الذين صرّعوا حوله ـ ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً، ودفنوا العباس بن عليّ عليه السلام في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن»[٤].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١١٢. أنساب الأشراف: ٣: ٤١١. مروج الذهب: ٣: ٦٣. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٧. البداية والنهاية: ٨: ١٩١.

(٢) اللهوف: ٨٥. بحار الأنوار: ٤٥: ١٠٧.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٤١٤. وسيلة الدارين: ٣٤٥ ـ ٥٤٦.

(٤) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٤.

⇦

وتنص بعض المصادر الشيعية على أنّ بني أسد كانوا متحيّرين في شأن تلك الجثث الزواكي ولم يهتدوا لمعرفتها ؛ لأنّ الرؤوس قد فصلت عنها ، وبينما هم كذلك إذ أطلّ عليهم الإمام زين العابدين عليه السلام فأوقفهم على شهداء أهل البيت وغيرهم من الأصحاب ، وبادر إلى حمل جثمان أبيه فواراه في مثواه الأخير وهو يذرف أحرّ الدموع قائلاً : **طُوبىٰ لِأَرْضٍ تَضَمَّنَتْ جَسَدَكَ الطّاهِرَ ، فَإِنَّ الدُّنْيا بَعْدَكَ مُظْلِمَةٌ ، وَالْآخِرَةَ بِنُورِكَ مُشْرِقَةٌ ، أَمّا اللَّيْلُ فَمُسَهَّدٌ ، وَالْحُزْنُ سَرْمَدٌ ، أَوْ يَختارُ اللهُ لِأَهْلِ بَيْتِك دارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِها مُقِيمٌ ، وَعَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ يابْنَ رَسُولِ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** .

ورسم على القبر الشريف هذه الكلمات : **هٰذا قَبْرُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ الَّذِي قَتَلُوهُ عَطْشاناً غَرِيباً** .

ودفن عند رجلي الإمام الحسين عليه السلام ولده عليّ الأكبر ، ودفن بقية الشهداء الممجدين من الهاشميين وغيرهم في حفرة واحدة ، وانطلق الإمام زين العابدين عليه السلام مع الأسديين إلى نهر العلقمي فواروا قمر بني هاشم العباس بن أميرالمؤمنين عليه السلام ، وجعل الإمام يبكي أحرّ البكاء قائلاً : **عَلَى الدُّنْيا بَعدَكَ الْعَفا يا قَمَرَ بَنِي هاشِمٍ ، وَعَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ مِنْ شَهِيدٍ مُحْتَسِبٍ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ**(١) .

وأصبحت تلك القبور الطاهرة رمزاً للكرامة الإنسانية ، ورمزاً لكل تضحية تقوم على العدل .

يقول العقّاد : « فهي اليوم مزار يطوف به المسلمون متّفقين ومختلفين ، ومن حقّه أن يطوف به كل إنسان ؛ لأنّه عنوان قائم لأقدس ما يشرف به هذا الحي الآدمي من بين سائر الأحياء .

⇦ وقد ذكر المظفّر في بطل العلقمي ٣ : ٣٥٨ : « أنّ مدفن الحر في النواويس » .

(١) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤١٥ و ٤١٦ .

فما أظلّت قبّة السماء مكاناً لشهيد قط هو أشرف من تلك القباب بما حوته من معنى الشهادة وذكرى الشهداء »[١].

ويقول يوسف رجيب : « وليس قبر من قبور أولياء الله الصالحين البررة غير قبر الحسين عليه السلام هو قبلة الدنيا وكعبة بني الأرض ؛ لأنّ الله شرّفه بجهاد أعدائه الذين اعتزموا طمس الدين الحنيف ، وانتهاك الشريعة ، واتخاذ الخلافة إمرة زمنية استباحوا بها كل محرّم يتلذذون بما حرّم الله وحرّمته كتبه »[٢].

لقد ضمّت تلك البقعة المباركة خلاصة الإباء والشرف والدين ، وقد أصبحت أقدس مراكز العبادة وأفضلها في الإسلام ، ففي كل وقت يطوف بها المسلمون متبرّكين ومتقربين إلى الله ، كما أصبحت مطافاً لملائكة الله المقرّبين .

فقد روى الفضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سُئل عن أفضل قبور الشهداء فقال عليه السلام : « **أَوَلَيْسَ أَفْضَلُ الشُّهَداءِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ حَوْلَ قَبْرِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ شُعْثاً غُبْراً يَبْكُونَ عَلَيْهِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ** »[٣].

ويقول الإمام الرضا عليه السلام : « **إنَّ حَوْلَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ شُعْثاً غُبْراً يَبْكُونَ عَلَيْهِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ** »[٤].

وقد حظي مرقده العظيم باستجابة الدعاء عنده ، فما قصده مكروب أو ملهوف إلّا فرّج الله عنه ممّا ألمّ به ، يقول الجواهري :

تَعالَيْتَ مِنْ مُفْزِعٍ لِلحُتُوفِ ... وَبُورِكَ قَبْرُكَ مِنْ مَفْزَعِ

---

(١) أبو الشهداء : ١٦١.

(٢) مجلة الغريّ ـ السنة الثانية : العدد ١٠ : ٢٢.

(٣) مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ابن المغازلي : ٣١٤ ، الحديث ٤٥١.

(٤) كامل الزيارات : ١٧١ ، الحديث ٢٢١ . بحار الأنوار : ٤٥ : ٢٢٢ . ذخائر العقبى : ١٥١ .

تَلُوذُ الدُّهُورُ فَمِنْ سُجَّدٍ   عَلىٰ جانِبَيْهِ وَمِنْ رُكَّعِ[(١)]

ويقول المؤرخون: إنّ الإمام الهادي عليه السلام ألمّ به مرض فأمر أبا هاشم الجعفري أن يبعث له رجلاً إلى الحائر الحسيني ليدعو له بالشفاء، وقد سئل عليه السلام عن ذلك فقال: «... **إنَّما هِيَ مَواطِنُ يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُذكَرَ فِيها، فَأَنا أُحِبُّ أَنْ يُدْعىٰ لِي حَيْثُ يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُدْعىٰ فِيها، وَالْحائِرُ مِن تِلْكَ الْمَواضِعِ**»[(٢)].

لقد احتل أبو الشهداء عليه السلام المكانة العظمى عند الله تعالى كما احتل قلوب المسلمين وحظى بأصدق محبتهم، فهم يشدّون الرحال إلى مثواه من كل فجّ عميق وفاءً بحقّه، واعترافاً بفضله، والتماساً لعظيم الأجر الذي كتبه الله لزائريه.

ويقول (نيكلسون): «وخلال بضع سنوات عن مصرع الحسين عليه السلام أصبح ضريحه في كربلاء محجّاً تشد إليه الرحال».

فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام

وتواترت الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم بفضل زيارة سيد الشهداء عليه السلام، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوبها. وقد ألّف محمّد بن عليّ العلوي كتاباً يقع في جزأين أسماه (فضل زيارة الحسين) ونشير إلى بعض تلك الأخبار:

الأوّل: روى أبو حمزة الثمالي، قال: «سألت عليّ بن الحسين عليه السلام عن زيارة الحسين عليه السلام فقال: **زُرْهُ كُلَّ يَوْمٍ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَكُلَّ جُمُعَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَكُلَّ شَهْرٍ، فَمَنْ لَمْ يَزُرْهُ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله**»[(٣)].

---

(١) ديوان الجواهري: ١: ١٩٤.

(٢) كامل الزيارات: ٤٥٨ و ٤٥٩، الحديث ٦٩٧.

(٣) فضل زيارة الحسين عليه السلام: ١: ١٤، من مصورات مكتبة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام. بحار الأنوار: ١٠١: ٦.

الثاني: روى أبو الجارود، قال: « قال لي أبو جعفر عليه السلام: **كَمْ قَبْرُ الْحُسَيْنِ مِنْكُمْ ؟**

قال: قلت له: يوم للراكب ويوم وليلة للراجل.

قال: **لَوْ كانَ مِنّا كَما هُوَ مِنْكُمْ لَاتَّخَذْناهُ هِجْرَةً** »(١).

الثالث: روى محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: « **مُرُوا شِيعَتَنا بِزِيارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّ إِتْيَانَهُ يَزِيدُ في الرِّزْقِ، وَيَمُدُّ فِي الْعُمْرِ، وَيَدْفَعُ مَدافِعَ السُّوْءِ، وَإِتْيانَهُ مُفْتَرَضٌ عَلىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ يَقِرُّ لَهُ بِالْإِمامَةِ مِنَ اللهِ** »(٢).

الرابع: وروى حنان بن سدير، عن الصادق عليه السلام، قال: « **زُوْرُوهُ وَلَا تَجْفُوهُ؛ فَإِنَّهُ سَيِّدُ شَبابِ الشُّهَداءِ، وسَيِّدُ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَشَبِيهُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا، وَعَلَيْهِما بَكَتِ السَّماءُ وَالْأَرْضُ** »(٣).

والأخبار بذلك كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأمّا كتب السنة، فقد روى المحبّ الطبري: « **أَنَّ مَنْ زارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عارِفاً بِحَقِّهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ في عِلِّيِّيْنَ** »(٤).

دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار الحسين عليه السلام

ودعا الإمام الصادق عليه السلام بهذا الدعاء الشريف لزوار قبر جدّه الإمام الحسين عليه السلام، وقد رواه الثقة معاوية بن وهب، وهذا نصّه:

(١) فضل زيارة الحسين عليه السلام: ١: ١٧. وسائل الشيعة: ٤: ٤٣٨ و ٤٣٩، الباب ٤١ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٥.

(٢) تهذيب الأحكام: ٦: ٣٩، الحديث ٨٦. الباب ٣٧ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٨.

(٣) قرب الإسناد: ٩٧، الحديث ٣٢٣. بحار الأنوار: ١٤: ١٦٨ و: ٤٥: ٢٠١.

(٤) ذخائر العقبى: ٢٥١.

قال: «استأذنت على أبي عبدالله عليه السلام وهو في مصلاّه، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعته وهو يناجي ربّه وهو يقول: **يا مَنْ خَصَّنا بِالْكَرامَةِ، وَحَمَّلَنا الرِّسالَةَ، وَجَعَلَنا وَرَثَةَ الْأَنْبِياءِ، وَخَتَمَ بِنا الْأُمَمَ السّالِفَةَ، وَخَصَّنا بِالْوَصِيَّةِ، وَوَعَدنا بِالشَّفاعَةِ، وَأَعْطانا عِلْمَ ما مَضىٰ وَما بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِي إِلَيْنا. اِغْفِرْ لِي وَلِإِخْوانِي، وَلِزُوّارِ قَبْرِ أَبِيَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ـ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوالَهُمْ، وَأَشْخَصُوا أَبْدانَهُمْ رَغْبَةً في بِرِّنا، وَرَجاءً لِما عِنْدَكَ في صِلَتِنا، وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِجابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنا، وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلىٰ عَدُوِّنا، أَرادُوا بِذلِكَ رِضاكَ، فَكافِهِمْ عَنّا بِالرِّضْوانِ وَاكْلَأْهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَخْلِفْ عَلىٰ أَهالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ خَلَفُوا بِأَحْسَنِ الْخَلَفِ، وَأَصْحِبْهُمْ وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبّارٍ عَنِيدٍ، وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلقِكَ أَوْ شَدِيدٍ، وَشَرَّ شَياطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ ما أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطانِهِمْ، وَما آثَرُونا بِهِ عَلىٰ أَبْنائِهِمْ وَأَهالِيهِمْ وَأَقْربائِهِمْ.**

اللّٰهُمَّ إِنَّ أَعْداءَنا عابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذلِكَ عَنِ الشُّخُوصِ إِلَيْنا، وَخِلَافاً مِنْهُمْ عَلىٰ مَنْ خالَفَنا، فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي قَدْ غَيَّرَتْها الشَّمْسُ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَقَلَّبَتْ عَلىٰ قَبْرِ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام، وَارْحَمْ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُها رَحْمَةً لَنا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزَعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنا، وَارْحَمْ تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتِي كانَتْ لَنا.

اللّٰهُمَّ إِنِّي اسْتَودِعُكَ تِلْكَ الْأَنْفُسَ وَتِلْكَ الْأَبْدانَ حَتّىٰ تُوافِيهِمْ عَلَى الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ.

فما زال وهو ساجد يدعو الله بهذا الدعاء، فلمّا انصرف قلت له: جعلت فداك، لو أنّ هذا الذي سمعته منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أنّ النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيت أن كنتُ زرته ولم أحج.

فقالعليه السلام لي : **ما أَقْرَبَك مِنْهُ ، فَما الَّذي يَمْنَعُك مِنْ زِيارَتِهِ يا مُعاوِيَةُ ؟ وَلِمَ تَدَعُ ذلِك ؟**

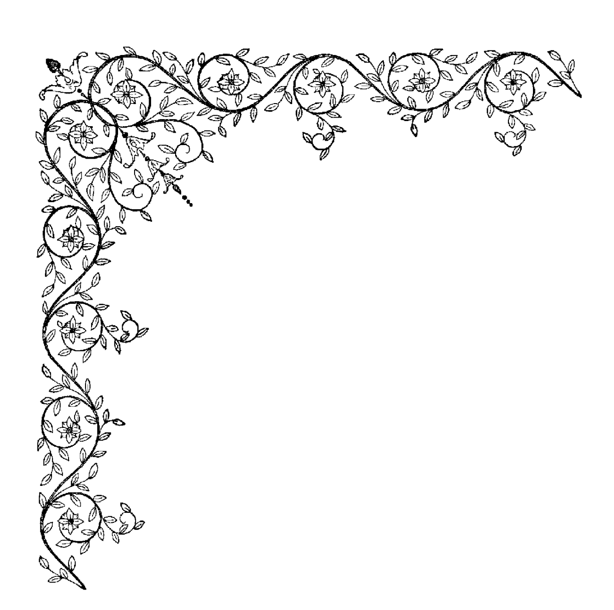
قلت : لَمْ أدرِ أنّ الأمر يبلغ هذا كله .

فقال : **يا مُعاوِيَةُ ، مَنْ يَدْعُو لِزُوّارِهِ فِي السَّماءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْأَرْضِ . يا مُعاوِيَةُ ، لا تَدَعْهُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَأىٰ مِنَ الْحَسْرَةِ ما يَتَمَنّىٰ أَنَّ قَبْرَهُ كانَ عِنْدَهُ . أَما تُحِبُّ أَنْ يَرَى اللهُ شَخْصَك وَسَوادَكَ فِيمَنْ يَدْعُو لَهُ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٌّ وَفاطِمَةُ وَالْأَئِمَّةُ ؟! أَما تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً مِمَّنْ تُصافِحُهُ الْمَلائِكَةُ ؟! أَما تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ غَداً فِيمَنْ يَخْرُجُ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ فَيُتْبَعَ بِهِ ؟! أَما تُحِبَّ أَنْ تَكُونَ غَداً مِمَّنْ يُصافِحُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله ؟!**»[1] .

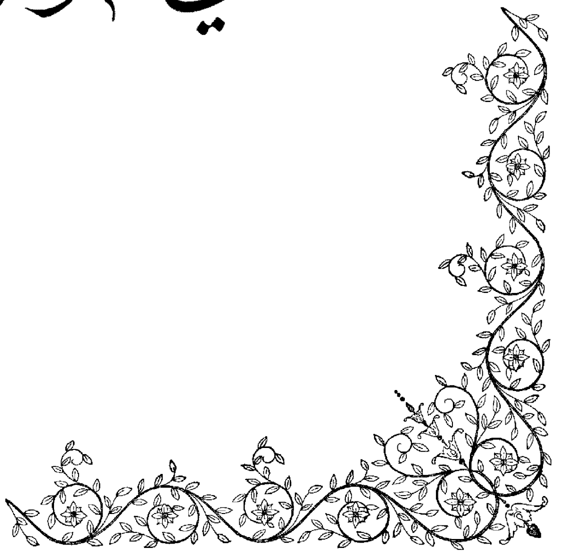
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن مصرع الإمام العظيمعليه السلام ؛ لنستقبل سبايا أهل البيتعليهم السلام في الكوفة .

---

(١) الكافي ٤ : ٥٦٩ و ٥٧٠ ، الحديث ١١ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال : ١٢٠ و ١٢١ ، الحديث ٤٤ . وسائل الشيعة : ١٤ : ٤١٢ و ٤١٣ ، الباب ٣٧ من أبواب المزار وما يناسبه ، الحديث ٧ .



سبايا أهل البيت عليهم السلام في الكوفة



واستقبلت الكوفة سبايا آل البيت عليهم السلام بمزيد من الفزع والاضطراب، وخيّم عليها الذل والهوان، فقد كُمّت الأفواه، وأُخرست الألسن، ولم يستطع أحد أن يظهر ما في دخائل نفسه من الأسى الشديد خوفاً من السلطة العاتية التي استهانت بأرواح الناس وكراماتهم.

وعزفت أبواق الجيش وخفقت راياتهم، وقد رفعوا على الحراب رؤوس العترة الطاهرة، ومعهم الأسرى من عقائل النبوة وحرائر الوحي وقد ربطوا بالحبال، وقد وصف ذلك المنظر الرهيب مسلم الجصاص، يقول: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أُجصص الأبواب وإذا بالزعقات قد ارتفعت من جميع الكوفة، فأقبلت على أحد خدّام القصر فقلت له: ما لي أرى الكوفة تضج؟

قال: الساعة يأتوا برأس خارجي خرج على يزيد.

فقلت: من هذا الخارجي؟

قال: الحسين بن علي.

يقول: فتركت الخادم حتى خرج وأخذت ألطم على وجهي حتى خشيت على عينَيَّ أن تذهبا، وغسلت يدي من الجص، وخرجت من القصر حتى أتيت إلى الكناس، فبينما أنا واقف والناس يتوقّعون وصول السبايا والرؤوس؛ إذ أقبل أربعون جملاً تحمل النساء والأطفال، وإذا بعليّ بن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء

وأوداجه تشخب دماً، وهو يبكي ويقول:

يَا أُمّةَ السُّوءِ لَا سُقْياً لِرَبْعِكُمُ ... يَـا أُمّـةً لَـمْ تُـراعِ جَـدَّنا فِـيْنا
لَـو أَنَّـنا وَرَسُـولَ اللهِ يَـجْمَعُنا ... يَوْمَ القِـيامَةِ مَـا كُـنْتُم تَـقُولُونا
تُسَيِّرُونا عَلَى الأَقْـتَابِ عـارِيَةً ... كَأَنَّنا لَم نُشَيِّدْ فِـيْكُمُ ديـنا[1]

ويقول حذلم بن بشير: قدمت الكوفة سنة (٦١هـ) عند مجيء علي بن الحسين عليه السلام من كربلاء إلى الكوفة ومعه النسوة، وقد أحاطت بهم الجنود، وقد خرج الناس للنظر إليهم، وكانوا على جمال بغير وطاء، فجعلت نساء أهل الكوفة يبكين ويندبن، ورأيت علي بن الحسين عليه السلام قد أنهكته العلة، وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه، وهو يقول بصوت ضعيف: «**إنَّ هـٰؤُلَاءِ يَبْكُونَ وَيَتَوَجَّعُونَ مِنْ أَجْلِنا فَمَنْ قَتَلَنا ؟ !**»[2].

وانبرت إحدى سيدات الكوفة فسألت إحدى السبايا وقالت لها: من أي الأُسارى أنتنَّ ؟

فقالت: نحن أُسارى أهل البيت.

ولمّا سمعت بذلك المرأة صرخت، وصرخت النسوة التي معها، ودوّى صراخهنّ في أرجاء الكوفة، وبادرت المرأة فجمعت ما في بيتها من أُزر ومقانع فجعلت تناولها إلى العلويات ليتسترن بها عن أعين الناس، كما بادرت سيدة أُخرى فجاءت بطعام وتمر وأخذت تلقيه على الصبية التي أضناها الجوع، فنادت بها السيدة أُمّ كلثوم من خلف الركب: إنّ الصدقة حرام علينا أهل البيت.

ولمّا سمعت الصبية مقالتها رمى كل واحد منهم ما في يده أو فمه من الطعام

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ١١٤ و ١١٥. عوالم العلوم: ١٧: ٣٧٣.

(٢) الأمالي / المفيد: ٣٢٠ و ٣٢١، الحديث ٨. الفتوح: ٥: ١٢١. الفصول المهمّة: ٢: ٨٣٠.

وراح يقول لصاحبه : إنّ عمتي تقول : إنّ الصدقة حرام علينا أهل البيت(١).

خطاب السيدة زينب عليها السلام

وحينما رأت السيدة زينب عليها السلام حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله وشقيقة الإمام الحسين عليه السلام الحشودَ الزاخرة التي ملأت شوارع الكوفة وأزقّتها وهم يبكون الإمام الحسين عليه السلام والشهداء وهم ضحاياهم ، ويرثون للأسيرات من بنات الرسول وما انتهك حرمتهن سواهم ، اندفعت إلى الخطابة لبلورة الموقف ، وإظهار المصيبة الكبرى التي جرت على أهل البيت وتحميل الكوفيين مسؤولية هذه الجريمة النكراء ، فهم الذين نقضوا العهد ، وخاسوا بالذمّة ، فقتلوا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ عادوا بعد قتله ينوحون ويبكون كأنّهم لم يقترفوا هذا الإثم العظيم ، وهذا نص خطابها : « الْحَمْدُ لِلهِ وَصَلَواتُهُ عَلىٰ أَبِي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وَعَلىٰ آلِهِ الطّاهِرِينَ الْأَخْيارِ.

أَمّا بَعْدُ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، يَا أَهْلَ الْخَتْلِ وَالْغَدْرِ ، وَالْخَذْلِ وَالْمَكْرِ ، أَتَبْكُونَ ؟! فَلَا رَقَأَتِ الْعَبْرَةُ ، وَلَا هَدَأَتِ الرَّنَّةُ ، إِنَّما مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً ، تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ، أَلاَ بِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذابِ أَنْتُمْ خالِدُونَ(٢).

أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ ؟! إِي وَاللهِ فَابْكُوا كَثِيراً ، وَاضْحَكُوا قَلِيلاً ، كُلُّ ذلِكَ بِانْتِهاكِكُمْ حُرْمَةَ ابْنِ خَاتَمِ الْأَنْبِياءِ ، وَسَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَلَاذِ حَضْرَتِكُمْ ، وَمَفْزَعِ نازِلَتِكُمْ ، وَمَنارِ حُجَّتِكُمْ ، وَمِدْرَةِ(٣) سِنَتِكُمْ ، أَلَا ساءَ مَا تَزِرُونَ ، وَبُعْداً لَكُمْ وَسُحْقاً ،

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ١١٤ . عوالم العلوم : ١٧ : ٣٧٧ .

(٢) وفي الأمالي / المفيد : ٣٢٢ والاحتجاج : ٢ : ١١٠ : « أَلَا وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلِفُ النَّطِفُ ، وَالصَّدْرُ الشَّنِفُ ؟! خَوّارونَ في اللِّقاءِ ، عاجِزونَ عَنِ الْأَعْداءِ ، ناكِثونَ لِلْبَيْعَةِ ، مُضَيِّعونَ لِلذِّمَّةِ ، فَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ، وَفي الْعَذابِ أَنْتُمْ خالِدونَ » .

(٣) مِدْرَة : المقدّم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال . وقيل : هو رأس القوم والدافع ⇐

فَلَقَدْ خابَ السَّعْيُ ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي ، وَخَسِرَتِ الصَّفْقَةُ ، وَتَوَلَّيْتُمْ بِغَضَبِ اللهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ .

أَتَدْرُونَ ـ وَيْلَكُمْ يا أَهْلَ الْكُوفَةِ ـ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَرَيْتُمْ ، وَأَيَّ دَم لَهُ سَفَكْتُمْ ، وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ انْتَهَكْتُمْ ؟ ﴿**لَقَدْ جِئْتُم شَيئاً إدّاً * تَكادُ السَّماوَاتُ يَتَفطَّرنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً** ﴾[1] .

لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا خَرْقاءَ شَوهاءَ كَطِلَاعِ الْأَرْضِ ، وَمِلءِ السَّماءِ ، أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ مَطَرَتِ السَّماءُ دَماً ؛ وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزىٰ وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ ؟! فَلَا يَسْتَخِفَنَّكُمُ الْمَهَلُ فَإِنَّهُ لا يَحْفِزُهُ الْبِدارُ ، وَلَا يَخافُ فَوْتَ الثَّأْرِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَبِالْمِرْصادِ »[2] .

لقد قرعتهم بطلة كربلاء بمنطق الصدق وصوت الحق ، ودلّتهم على نفوسهم الخبيثة ، فلم تنخدع بدموعهم الكاذبة ، ولم ينطلِ عليها زورهم وبهتانهم ، ونعت عليهم جريمتهم النكراء التي هي أبشع جريمة وقعت في الأرض ، وقد وصفتهم بأخسّ الصفات التي توصف بها أحطّ الشعوب ، فقد وصفتهم بالختل والغدر ، وهما مصدران لانحطاط الإنسان وشقائه .

وعلّقت ـ سلام الله عليها ـ على بكائهم ، فقالت : إنّ من حقهم أن يبكوا كثيراً ويضحكوا قليلاً على عظيم ما اقترفوه من الإثم ، فقد قتلوا سيد شباب أهل الجنة وسليل خاتم النبوة ، والمنقذ والمحرّر لهم ، ففرَوا كبد رسول الله صلى الله عليه وآله وانتهكوا حرمته ، وسبوا عياله ، فأيّة جريمة أبشع أو أفظع من هذه الجريمة ؟!

⇐ عنهم ـ لسان العرب : ٤ : ٣٤٠ ـ دَرَه .

(١) مريم ١٩ : ٨٩ و ٩٠.

(٢) الأمالي / المفيد : ٣٢١ ـ ٣٢٣. الاحتجاج : ٢ : ١١٠ ـ ١١٣. مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٥. اللهوف : ٨٦ ـ ٨٧. بحار الأنوار : ٤٥ : ١٠٨ و ١٠٩. مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤٠٣ و ٤٠٤. الفتوح : ٥ : ١٢١. بلاغات النساء : ٣٧ ـ ٣٩. نور الأبصار : ٣٧٨ و ٣٧٩.

صدى الخطاب

واضطرب الناس من خطاب سليلة النبوة وأيقنوا بالهلاك ، وقد وصف خزيمة الأسدي[١] مدى الأثر البالغ الذي أحدثه خطاب العقيلة ، يقول : لم أرَ واللهِ خَفِرة أنطق منها ، كأنّما تُفرغ عن لسان الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ، ورأيت الناس بعد خطابها حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ، ورأيت شيخاً قد دنا منها يبكي حتى اخضلّت لحيته وهو يقول : بأبي أنتم وأُمي ، كهولكم خير الكهول ، وشبابكم خير الشباب ، ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً[٢] .

إلّا أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قطع على عمّته خطابها قائلاً : **اسْكُتِي يا عَمَّةُ ، فَأَنْتِ بِحَمْدِ اللهِ عالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَةٍ ، وَفَهِمَةٌ غَيْرُ مُفَهَّمَةٍ . . .**[٣] ، فأمسكت عن الكلام ، وتركت المجتمع يمور بالأسى والحزن .

خطاب السيدة فاطمة عليها السلام

وانبرت إلى الخطابة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام فخطبت أبلغ خطاب وأروعه ، فبُهِر الناس ببلاغتها وفصاحتها ، وقد أخذت بمجامع القلوب وتركت الناس حيارى قد بلغ بهم الحزن إلى قرار سحيق ، فقالت : « الحمد لله عدد الرمل والحصا ، وزِنَة العرش إلى الثرى ، أحمده وأُومن به ، وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّ أولاده ذُبحوا بشطّ الفرات ،

---

(١) وفي بعض المصادر المتقدمة التي ورد فيها نص الخطاب أنّه : « بشير بن خزيم الأسدي » ، وبعضها : « حذيم بن شريك الأسدي » ، وبعضها : « حذلم بن بشير » .

(٢) الأمالي / المفيد : ٣٢٣ و ٣٢٤ . اللهوف : ٨٧ و ٨٨ . الدرّ النظيم : ١٧٢ . الفتوح : ٥ : ١٢٢ . نور الأبصار : ٧٦ .

(٣) الاحتجاج : ٢ : ١١٤ .

من غير ذَحل ولا ترات.

اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتري عليك بالكذب، أو أن أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيّه عليّ بن أبي طالب المسلوب حقّه، المقتول من غير ذنب ـ كما قتل ولده بالأمس ـ في بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيّب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته ـ اللهم ـ للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلى الله عليه وآله، حتى قبضته زاهداً في الدنيا، غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أمّا بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخُيلاء، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضّلنا بنبيه محمّد صلى الله عليه وآله على كثير ممّن خَلَقَ تفضيلاً بيّناً، فكذّبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً، كأنّنا أولاد ترك أو كابل، كما قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت؛ لحقد متقدّم، قرّت لذلك عيونكم وفرحت قلوبكم افتراءً على الله، ومكراً مكرتم والله خير الماكرين.

فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها، إنّ ذلك على الله يسير، ﴿**لِكَيلَا تَأْسَوا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[1].

---

(١) الحديد ٥٧: ٢٣.

تباً لكم ، فانتظروا اللعنة والعذاب ، فكأنّها قد حَلّت بكم ، وتواترت من السماء نقمات ، فيسحتكم بما كسبتم ، ويذيق بعضكم بأس بعض ، ثمّ تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتونا ، ألا لعنة الله على الظالمين .

ويلكم ، أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم ، وأيّة نفس نـزعت إلى قتالنا ؟! أم بـأيّة رِجْل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا ؟! قست قلوبكم ، وغلظت أكبادكم ، وطبع الله على أفئدتكم ، وختم على سمعكم وبصركم ، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم ، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون .

تباً لكم يا أهل الكوفة ، كم تراتٍ لرسول الله قِبَلكم ، وذحول له لديكم بما غدرتم بأخيه عليّ بن أبي طالب جدّي وبنيه عترته الطيبين الأخيار ، وافتخر بذلك مفتخرٌ ، فقال :

قَـدْ قَـتَلْنا عَـلِيَّكُم وَبَـنِيهِ ... بِسِـيُوفٍ هِـنْديَّةٍ وَرِمـاحِ
وَسَبَينا نِساءَهُم سَبْيَ تُركٍ ... وَنَـطَحناهُمُ فَـأَيُّ نِطاحِ

بفيك أيّها القائل الكثكث والأثلب[١] ، افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وطهّرهم وأذهب عنهم الرجس ، فاكظم وأقعِ كما أقعى أبوك فإنّما لكل امرئ ما اكتسب وما قدمت يداه .

حسدتمونا ـ ويلاً لكم ـ على ما فضّلنا الله تعالى .

فَـما ذَنـبُنا إِنْ جـاشَ دَهْـرُ بُـحُورِنا ... وَبَحرُكَ ساجٍ لَا يُوارِي الدَّعامِصا[٢]

---

(١) **الكثكث** : التراب ـ لسان العرب : ١٢ : ٣٥ ـ كَثَث .
الأثلب : فتات الحجارة والتراب ـ لسان العرب : ٢ : ١١٧ ثَلَبَ .
(٢) ديوان الأعشى : ١٩٤ . وفيه : أنّ صدر البيت هكذا :
أَتُوعِدُنِي إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ
الدعامص ـ جمع دعموص ـ: دُويبة صغيرة تكون في الغدران إذا قل ماؤها ـ لسان ⇦

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور »[١] .

وتحدثت سليلة النبوة والإمامة في خطابها العظيم عن أمور بالغة الأهمية ، وهي :

الأوّل : إنّها عرضت لمحنة جدّها الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام رائد الحق والعدالة في الأرض ، وما عاناه من المحن والمصاعب حتى استشهد في بيت من بيوت الله ، ولم يدفع عنه المجتمع الكوفي ولم يقف إلى جانبه ، وإنّما تركوه وحده يصارع الأهوال حتى قبضه الله إليه وهو جم المناقب ، محمود النقيبة طيب العريكة ، قد اصطفاه الله ، وخصه بالفضائل والمواهب .

الثاني : وتحدثت عن محنة أهل البيت بذلك المجتمع ، فإنّهم ـ سلام الله عليهم ـ بحكم قيادتهم الروحية للأمة ، فإنّهم مسؤولون عن حمايتها ، ولكنّ الأمة قد جانبت الحق ، فسفكت دماءهم وانتهكت حرمتهم فما أجل رزيتهم وأعظم بلاءهم .

الثالث : شجبت الاعتداء الصارخ على أهل البيت ، ووصفت المعتدين القساة بأبشع الصفات ، ودعت الله أن ينزل عليهم نقمته وعذابه الأليم .

صدى الخطاب

وأثّر الخطاب تأثيراً بالغاً في نفوس المجتمع ، فقد وجلت منه القلوب وفاضت العيون ، واندفع الناس ببكاء قائلين : حسبك يابنة الطاهرين ، فقد أحرقت قلوبنا ، وأنضجتِ نحورنا ، وأضرمتِ أجوافنا[٢] .

وأمسكت عن الكلام وتركت الجماهير في محنتها وشقائها تصعّد الآهات ،

⇦ العرب : ٤ : ٣٥٩ ـ دعم .

(١) الاحتجاج : ٢ : ١٠٤ ـ ١٠٨ . اللهوف ٨٨ ـ ٩٠ . عوالم العلوم : ١٧ : ٣٧٩ .

(٢) اللهوف : ٩١ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤٠٩ .

وتبدي الحسرات ، وتندب حظّها التعيس على عظيم ما اقترفت من الإثم .

خطاب السيدة أُمّ كلثوم عليها السلام

وانبرت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله السيدة أُمّ كلثوم إلى الخطابة فأومأت إلى الناس بالسكوت ، فلمّا سكنت الأنفاس بدأت بحمد الله والثناء عليه ، ثمّ قالت : « يا أهل الكوفة ، سوأة لكم ، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه ، وانتهبتم أمواله ، وسبيتم نساءه ونكبتموه ؟ ! فتبّاً لكم وسحقاً .

ويلكم ، أتدرون أيّ دواه دهتكم ، وأيّ وزر على ظهوركم حملتم ، وأيّ دماء سفكتم ، وأيّ كريمة أصبتموها ، وأيّ صبية أسلمتموها ، وأيّ أموال انتهبتموها ؟ ! قتلتم خير الرجالات بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ونزعت الرحمة من قلوبكم ، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان هم الخاسرون » .

واضطرب المجتمع من خطابها فنشرت النساء شعورهن ولطمن الخدود ولم يُرَ أكثر باكٍ ولا باكية مثل ذلك اليوم(١) .

خطاب الإمام زين العابدين عليه السلام

وانبرى إلى الخطابة الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أَيُّها النّاسُ ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَد عَرَفَنِي ، وَمَنْ لَم يَعْرِفْنِي فَأَنَا عَـلِيُّ بْـنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ ، أَنا ابْنُ مَـنِ انْـتُهِكَتْ حُـرْمَتُهُ ، وَسُـلِبَتْ نِعْمَتُهُ ، وَانْتُهِبَ مالُهُ ، وَسُبِيَ عِيالُهُ ، أَنا ابْنُ الْمَذْبُوحِ بِشَطِّ الْفُراتِ مِنْ غَيْرِ ذَحْلٍ وَلَا تِراتٍ ، أَنا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبْراً ، وَكَفى بِذلِكَ فَخْراً .

---

(١) مثير الأحزان / ابن نما : ٦٩ . اللهوف : ٩١ و ٩٢ . بحار الأنوار : ٤٥ : ١١٢ . ويذهب السيد المقرّم وغيره إلى أنّ السيدة أُمّ كلثوم هي العقيلة زينب عليها السلام .

أَيُّها النّاسُ، ناشَدْتُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كَتَبْتُمْ إِلىٰ أَبِي وَخَدَعْتُمُوهُ، وَأَعْطَيْتُمُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمُ الْعُهُودَ وَالْمِيثاقَ وَالْبَيْعَةَ وَقاتَلْتُمُوهُ؟! فَتَبّاً لَكُمْ لِما قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَسَوْأَةً لِرَأْيِكُمْ، بِأَيَّةِ عَيْنٍ تَنْظُرُونَ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ؟! إِذْ يَقُولُ لَكُمْ: قَتَلْتُمْ عِتْرَتِي، وَانْتَهَكْتُمْ حُرْمَتِي فَلَسْتُمْ مِنْ أُمَّتِي».

وعلت الأصوات بالبكاء، ونادى منادٍ منهم: هلكتم وما تعلمون.

واستمرّ الإمام في خطابه فقال:

رَحِمَ اللهُ امْرَءاً قَبِلَ نَصِيحَتِي، وَحَفِظَ وَصِيَّتِي في اللهِ وَفي رَسولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَإِنَّ لَنا في رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أُسْوَةً حَسَنَةً.

فهتفوا جميعاً قائلين بلسان واحد: نحن يابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك نبرأ ممّن ظلمك وظلمنا.

وردّ الإمام زين العابدين عليه السلام عليهم هذا الولاء الكاذب قائلاً:

هَيْهاتَ، هَيْهاتَ، أَيَّتُها الْغَدَرَةُ الْمَكَرَةُ، حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَواتِ أَنْفُسِكُمْ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلىٰ أَبِي مِنْ قَبْلُ، كَلَّا وَرَبِّ الرّاقِصاتِ إِلىٰ مِنَىٰ، فَإِنَّ الْجُرْحَ لَمّا يَنْدَمِلُ، قُتِلَ أَبِي بِالْأَمْسِ وأَهْلُ بَيْتِهِ، وَلَمْ يُنسَ ثَكْلُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَثَكْلُ أَبِي وَبَنِي أَبِي، إِنَّ وَجْدَهُ وَاللهِ لَبَيْنَ لَهاتِي، وَمَرارَتَهُ بَيْنَ حَناجِرِي وَحَلْقِي، وَغُصَصَهُ تَجْرِي فِي فِراشِ صَدْرِي...»[1].

---

(١) مثير الأحزان / ابن نما: ٦٩ و ٧٠. اللهوف: ٩٢ و ٩٣. الاحتجاج: ٢: ١١٧ ـ ١١٩.

وأمسك الإمام زين العابدين عليه السلام عن الكلام معرضاً عن أُولئك الغدرة الفجرة الذين سوّدوا وجه التاريخ بتناقضهم في سلوكهم فقد قتلوا الإمام الحسين عليه السلام ثمّ راحوا يبكون عليه.

في مجلس ابن زياد

وأُدخلت بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وهنّ في أسر الذلّ على ابن مرجانة سليل الأرجاس والخيانة وهو في قصر الإمارة، وقد امتلأ القصر بالسفاكين المجرمين من جنوده وهم يهنئونه بالظفر، ويحدّثونه ببطولاتهم المفتعلة في يوم الطف، وهو جذلان مسرور يهزّ أعطافه فرحاً، وبين يديه رأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل الخبيث يعبث به وينكته بمخصرته، وهو يقول متشمّتاً: ما رأيت مثل حُسن هذا الوجه قط.

ولم ينهِ كلامه حتى سدد له الصحابي أنس بن مالك سهماً من منطقه، فقال له: إنّه كان يشبه النبيّ صلى الله عليه وآله(١).

والتاع الخبيث من كلامه، وكان في المجلس رجل من بكر بن وائل يقال له: جابر، فانتفض وهو يقول: لله عليّ ألاّ أُصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك إلّا خرجت معهم(٢).

الطاغية مع عقيلة الوحي عليها السلام

ولمّا روّى ابن مرجانة أحقاده من رأس الإمام الحسين عليه السلام التفت إلى عائلة الإمام الحسين عليه السلام فرأى امرأة منحازة في ناحية من مجلسه، وقد حفّت بها المهابة والجلال، ممّا حمل ابن زياد على السؤال عنها، فقال: مَن هذه التي انحازت ناحية

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٤٢١.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٨. تذكرة الخواص: ٢٣٢.

ومعها نساؤها ؟

فأعرضت عنه ، وكرر السؤال مرّتين فلم تجبه استهانة به واحتقاراً لشأنه ، فانبرت إحدى السيدات ، فقالت له : هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

فالتاع الخبيث الدنِسُ من احتقارها له ، واندفع يظهر شماتته بلسانه الألكن ، قائلاً : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم ، وأبطل أُحدوثتكم .

فثارت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله بشجاعة محتقرة ذلك الوضر الخبيث ، وصاحت به : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا يابن مرجانة[١] .

لقد قالت هذا القول الصارم وهي والخفرات من آل محمّد صلى الله عليه وآله في قيد الأسر ، وقد نصبت فوق رؤوسهنّ حراب الظالمين ، وشهرت عليهنَّ سيوف الشامتين ، وقد أنزلت الطاغية من عرشه إلى قبره ، وأطاحت بغلوائه ، وعرّفته أمام خدمه وأتباعه أنّه المفتضح والمنهزم .

فقال ابن مرجانة متشفّياً بأحطّ وأخسّ ما يكون التشفي : كيف رأيت فعل الله بأخيك ؟ !

وانطلقت عقيلة بني هاشم ببسالة وصمود فأجابته بكلمات الظفر والنصر لها ولأُسرتها قائلة : ما رأيت إلّا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذٍ ! ثكلتك أُمّك يابن مرجانة .

وفقد الحقير صوابه من هذا التبكيت الموجع ، والتعريض المقذع ، وتميّز غيظاً وغضباً ، وهمّ أن ينزل بها عقوبته ، فنهاه عمرو بن حريث ، وقال له : إنّها امرأة ،

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١١٥ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥١ .

ولا تؤاخذ بشيء من منطقها ، فالتفت إليها قائلاً : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك .

وغلب على العقيلة الحزن والأسى من هذا التشفي ، والجرأة عليها ، وقد تذكّرت الصفوة الأبطال من أهل بيتها الذين سقطوا في ميادين الجهاد فأدركتها لوعة الأسى فقالت : لعمري لقد قتلت كهلي ، وأبدت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت .

وتهافت ابن مرجانة وسكن غيظه ، وراح يقول : هذه سجّاعة ، لعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً .

فردّت عليه زينب : إنّ لي عن السجاعة لشغلاً ، ما للمرأة والسجاعة[1] ؟!

ما ألأمَ هذه الحياة وما أخسّها التي جعلت ربيبة الوحي أسيرة عند ابن مرجانة وهو يبالغ في احتقارها وتوهينها .

إنْ كَانَ عِندَكَ يَا زَمانُ بَقِيّةٌ ... مِمّا يُضامُ بِهِ الكِرامُ فَهاتِها

الطاغية مع زين العابدين عليه السلام

وأدار الطاغية بصره في بقية آل البيت عليهم السلام فرأى الإمام زين العابدين عليه السلام وقد أنهكته العلّة ، فسأله : مَن أنت ؟ فقيل : علي بن الحسين .

قال : أولم يقتل الله علي بن الحسين ؟

فأجابه الإمام زين العابدين عليه السلام بأناة : **كانَ لِي أَخٌ يُسَمّىٰ عَلِيّاً قَتَلَهُ النّاسُ .**

فثار ابن زياد في وقاحة وصلف ، وصاح بالإمام زين العابدين عليه السلام : بل الله قتله .

فأجابه عليه السلام بكل شجاعة وثبات : « **﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي**

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١١٦ . مثير الأحزان / ابن نما : ٧٠ و ٧١ . اللهوف : ٩٤ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥١ و ٦٥٢ . الفتوح : ٥ : ١٢٢ و ١٢٣ .

لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[١] ، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾[٢] .

ودارت الأرض بابن زياد ، وأخذته عزّة الإثم ، فقد غاظه أن يتكلم هذا الغلام الأسير بهذه الطلاقة وقوة الحجّة ، والاستشهاد بالقرآن ، فصاح به : وبك جرأة على ردّ جوابي ؟! وصاح الرجس الخبيث بأحد جلاديه : خذ هذا الغلام ، واضرب عنقه .

وطاشت أحلام السيدة زينب عليها السلام ، وانبرت بشجاعة لا يرهبها سلطان فأخذت الإمام زين العابدين عليه السلام فاعتنقته ، وقالت لابن مرجانة : حسبك يابن زياد من دمائنا ما سفكت ، وهل أبقيت أحداً غير هذا ، فإن أردت قتله فاقتلني معه .

وانخذل الطاغية ، وقال متعجّباً : دعوه لها ، يا للرحم ودّت أنّها تقتل معه[٣] .

ولولا موقف العقيلة لذهبت البقية من نسل الإمام الحسين عليه السلام التي هي مصدر الخير والفضيلة في الأرض .

وروى الجاحظ أنّ ابن مرجانة قال لأصحابه في عليّ بن الحسين : دعوني أقتله فإنّه بقية هذا النسل ـ يعني نسل الحسين ـ فأحسم به هذا القرن ، وأُميت به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة[٤] ، لقد خشي أن يكون الإمام زين العابدين عليه السلام مع الأيام القادمة شوكة رهيبة في حلق الأُمويين .

إلّا أنّهم أشاروا عليه بعدم التعرّض له ، معتقدين أنّ ما ألمّ به من الأمراض سوف تقضي عليه ، وقد أنجاه الله منهم بأُعجوبة .

---

(١) الزمر ٣٩ : ٤٢ .

(٢) آل عمران ٣ : ١٤٥ .

(٣) اللهوف : ٩٤ و ٩٥ . مثير الأحزان / ابن نما : ٧١ . بحار الأنوار : ٤٥ : ١١٧ . الحدائق الورديّة : ١ : ١٢٨ . المنتظم : ٥ : ٣٤٥ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٧ .

(٤) رسالة الجاحظ في ذيل كتاب النزاع والتخاصم / المقريزي : ١٢٦ .

ثورة ابن عفيف الأزدي رضي الله عنه

وتخدّرت جماهير الكوفة تحت ضغط هائل من الإرهاب والعنف، حتى تغيّرت الأوضاع العامة تغيّراً كليّاً، فلم تعد الكوفة ـ كما كانت ـ مسرحاً للتيارات السياسية، ومركزاً للجبهة المعارضة، فقد قبعت بالذلّ والهوان، وسرت في أوردتها أوبئة الخوف.

فمن يستطيع أن يتكلّم والجو ملبّد بالمخاوف، فرأس زعيم الأُمة وقائدها الأعلى على الحِرَاب، وعقائل الرسالة سبايا في المصر، فلم يعد في مقدور أيّ أحد أن يتلفّظ بحرف واحد، فَكُمَّت الأفواه، وأُخرست الألسن ومُلئت السجون بالرؤوس والضروس.

واستسلم الجميع لحكم ابن مرجانة، وقد جاء الطاغية مزهوّاً إلى الجامع الأعظم حيث عقد فيه اجتماعاً عاماً حضرته القوات المسلحة وسائر أبناء الشعب، فاعتلى المنبر مظهراً فرحته الكبرى بهذا النصر الكاذب، فقال ـ ويالهول ما قال ـ: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أميرالمؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن عليّ وشيعته.

لقد قال هذه الكلمات في مجتمع عرف عدل عليّ عليه السلام وصدقه، وخَبَر سيرة ولده الإمام الحسين عليه السلام فرآها مشرقة بالحق والصدق، ولو قال ذلك في الشام أو في إقليم آخر لعلّ له وجهاً، إلّا أنّه قال ذلك في الكوفة التي هي عاصمة أهل البيت عليهم السلام.

ولم يتمّ الخبيث كلماته حتى انبرى إليه البطل الثائر عبدالله بن عفيف الأزدي الغامدي، وكان ضريراً ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل والأُخرى بصفين مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان لا يفارق المسجد يتعبّد فيه، فصاح فيه: يابن مرجانة، إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك، والذي ولّاك وأبوه.

يابن مرجانة ، أتقتلون أولاد النبيين وتتكلّمون بكلام الصديقين ؟ ! [١] .

وطاش لبّ الطاغية ، فقد كانت هذه الكلمات كالصاعقة على رأسه ، فصاح بأعلى صوته كالكلب المسعور : مَن هذا المتكلم ؟

فقال : أنا المتكلم يا عدو الله ، أتقتل الذرّية الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس ، وتزعم أنّك على دين الإسلام ؟ ! واغوثاه ، أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمّد رسول ربِّ العالمين .

وتبدد جبروت الطاغية ، وذهبت نشوة أفراحه ، وعلا الضجيج ، وتطلّع الناس من جميع جنبات المسجد لتنظر إلى القائل الذي ترجم ما في عواطفهم ، فقد كانت هذه الصيحة أول ردّ علني على السلطة في قتلها لريحانة الرسول .

وصاح ابن زياد بعنف ، وقد امتلأ غضباً : عليّ به .

فبادرت إليه الجلاوزة لتختطفه ، فنادى ابن عفيف بشعار أُسرته : يا مبرور . وكان في المجلس من الأزد سبعمائة ، فوثبوا إليه وأنقذوه من أيدي الجلاوزة وجاءوا به إلى منزله [٢] ، وقال له عبد الرحمن بن مخنف الأزدي منددا به : ويح غيرك ، لقد أهلكت نفسك وعشيرتك [٣] .

والتاع ابن زياد واضطرب ، فقد فتح عليه عبدالله باب المعارضة وأطاح بهيبة الحُكْم ، ثمّ نزل من المنبر مغضباً ودخل القصر وتسابق الأشراف والعرفاء إليه ، فقال : أما رأيتم ما صنع هولاء ؟ !

---

(١) اللهوف : ٩٦. أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٣. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥٣. الفتوح : ٥ : ١٢٤.

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١١٧ . اللهوف : ٩٦. أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٣ و ٤١٤ ، وفيه : « مبرور ، يا مبرور » .

(٣) رياض الأحزان : ٥٧. تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥٣.

فقالوا: بلى.

وأصدر أوامره إلى أهل اليمن، وإلى مَن كان معه بإلقاء القبض على ابن عفيف، وأشار عليه عمرو بن الحجّاج بحبس كل من كان في المسجد من الأزد فحبسوا، ثمّ التحم أهل اليمن مع الأزد التحاماً شديداً، وجرت بينهم أعنف المعارك، فقال ابن زياد لبعض شرطه: انطلق، وانظر ما بينهم، فخفّ إليهم فرأى الحرب قائمة، فقالوا له: قل للأمير: إنّك لم تبعثنا إلى نبط الجزيرة، ولا جرامقة الموصل، إنّما بعثتنا إلى الأزد أُسود الأجم ليسوا بيضة تُحسى، ولا حرملة[1] توطأ.

وقتل من الأزد عبيد الله بن حوزة الوالبي، ومحمّد بن حبيب، وكثرت القتلى من الجانبين، إلّا أنّ اليمانية قد قويت على الأزد فصاروا إلى خصٍّ في ظهر دار ابن عفيف فكسروه واقتحموه وهجموا عليه فبقي وحده، فناولته ابنته سيفاً فجعل يذب به عن نفسه، وهو يرتجز ويقول:

أَنا ابنُ ذِي الفَضْلِ عَفْيفِ الطّاهِرِ ... عَفِيفُ شَيخِي وَابنُ أُمِّ عامِرِ
كَمْ دارِعٍ مِن جَمْعِكُمْ وَحاسِرِ ... وَبَطَلٍ جَدَّلْتُهُ مُغاوِرِ[2]

وكانت ابنته تخاطبه بذوب روحها قائلة: ليتني كنت رجلاً أذب بين يديك هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة.

وأخذت ابنته تدلّه على المحاربين له، فتقول له: يا أبتِ أتاك القوم من جهة كذا، وتكاثروا عليه، وأحاطوا به من كل جانب، فألقوا القبض عليه، وانطلقوا به إلى ابن زياد، وهو يقول في طريقه:

أُقسِمُ لَو يُفسَحُ لِي عَن بَصَرِي ... شَقَّ عَلَيكُم مَورِدِي وَمَصدَرِي[3]

---

(١) **الحرملة**: نبات حبه كالسمسم ـ لسان العرب: ٣: ١١٤ ـ حرم.

(٢) مثير الأحزان: ٧٣ و ٧٤. اللهوف: ٩٧. الفتوح: ٥: ١٢٥.

(٣) اللهوف: ٩٧ و ٩٨. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٤.

ولمّا مثل بين يدي الطاغية أسرع الخبيث إليه قائلاً: الحمد لله الذي أخزاك.

فأجابه ابن عفيف ساخراً منه ومحتقراً له: يا عدو الله وبماذا أخزاني؟

وأراد ابن مرجانة أن يستحلّ دمه فسأله عن عثمان لعلّه أن ينتقصه فيتّخذ من ذلك وسيلة إلى إباحة دمه، فقال له: ما تقول في عثمان؟

وسدد له البطل العظيم سهاماً من منطقه الفياض، فقال له: ما أنت وعثمان أساء أم أحسن، أصلح أم أفسد؟! إنّ الله تعالى وليّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعنك، وعن يزيد وأبيه.

ورأى الطاغية أنّه أمام بطل صعب المراس، فقال له: لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصّة بعد غصّة.

وانبرى إليه ابن عفيف قائلاً: الحمد لله رب العالمين، أما إنّي كنت أسأل ربي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أُمّك، وسألت الله أن يجعلها على يدي ألعن خلقه، وأبغضهم إليه، ولمّا كفّ بصري يئست من الشهادة، أمّا الآن والحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس، وعرّفني الإجابة في قديم دعائي.

والتاع الخبيث فأمر جلاّديه بضرب عنقه وصلبه بالسبخة، ففعلوا ذلك[1].

وانتهت حياة هذا البطل العظيم الذي وهب حياته لله، فقاوم المنكر وناهض الجور، وقال كلمة الحقّ في أحلك الظروف وأقساها.

العفو عن ابن المغفل

كان سفيان بن يزيد بن المغفل من المشتركين في ثورة ابن عفيف، فجيء به مخفوراً إلى ابن زياد فأصدر أمراً بالعفو عنه، وقال له: قد تركناك لابن عمّك

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٧. اللهوف: ٩٧ و ٩٨. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٤. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٣. الفتوح: ٥: ١٢٥ و ١٢٦.

سفيان بن عوف فإنّه خير منك[١].

إلقاء القبض على جندب

وأمر الطاغية بالقاء القبض على جندب بن عبدالله الأزدي ، وهو من أُسرة عبدالله ابن عفيف ، وكان من خيار الشيعة ومن أصحاب الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ، فجاءت به الشرطة مخفوراً ، فلمّا مثل عنده صاح به : ألست صاحب أبي تراب في يوم صفّين ؟

فلم يحفل به البطل العظيم ، وقال له : بلى ، وإنّي لأُحبّه ، وأفتخر به ، وأمقتك وأباك ، لا سيما الآن ، وقد قتلت سبط رسول الله وصحبه وأهله ، ولم تخف من العزيز الجبار المنتقم .

وثار ابن مرجانة ، وقال له : وإنّي ما أراني إلّا متقرباً إلى الله بدمك .

فقال : إذاً لا يقربك الله .

وخاف الطاغية من أُسرته فخلّى عنه ، وقال : إنّه شيخ ذهب عقله وخرف[٢].

الطاغية مع قيس

وحضر قيس بن عباد في مجلس الطاغية ، فقال له أمام جلاوزته : ما تقول فيَّ وفي الحسين ؟

فقال : أعفني عفاك الله !

فقال : لتقولن .

قال : يجيء أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويجيء أبوك فيشفع لك .

واستشاط ابن زياد غضباً فصاح به : قد علمت غشّك وخبثك ، لئن فارقتني يوماً

---

(١) و (٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٤ . الفتوح : ٥ : ١٢٦ .

لأضعن بالأرض أكثرك شعراً[(١)].

وفرض عليه الرقابة والإقامة الجبرية في الكوفة.

تقوير الرأس الشريف

وأمر سليل الخيانة والغدر ابن مرجانة بتقوير رأس الإمام الحسين عليه السلام فتحاماه الناس، ولم يجسر أحد إلى الإقدام عليه سوى طارق بن المبارك[(٢)]، ولطارق هذا حفيد يكنى أبا يعلى كان كاتباً لابن خاقان، هجاه العدوي فعرّض له بذلك، وقال:

نِعمَةُ اللهِ لَاتُعابُ وَرُبَّـ ـما استُقبِحَتْ عَلَى أَقْوامِ

لَا يَلِيقُ الْغِنىٰ بِوجهِ أَبِي يَعلَىٰ وَلَا نُورُ بَهجةِ الإِسلَامِ

وَسَخُ الثَّوبِ وَالعِمامَةِ وَالبِرذَونِ وَالوَجهِ وَالقَفا وَالغُلَامِ

لَا تَمسُّوا دَواتَهُ فَتُصِيبُوا مِن دَماءِ الحُسينِ في الأَقلَامِ[(٣)]

فأخذ الرأس الشريف ومثل به وقطع منه بعض الأجزاء فقام عمرو بن حريث فقال لابن زياد: قد بلغت حاجتك من هذا الرأس، فهب لي ما ألقيت منه.

قال: وما تصنع به؟

فقال: أُواريه.

---

(١) عيون الأخبار ٢: ١٩٧.

وجاء في وفيات الأعيان ٦: ٣٥٣: «أنّ عبيد الله بن زياد قال لحارثة بن بدر العدواني: ما تقول فيَّ وفي الحسين يوم القيامة؟

قال: يشفع له أبوه وجدّه، ويشفع لك أبوك وجدّك، فاعرف من هنا ما تريد» ـ تذكرة الخواص: ٢٣١.

(٢) طارق بن المبارك: جدّ أبي يعلى كاتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٥٢. ذيل تاريخ بغداد: / ابن النجّار: ٥: ٨.

فسمح له بذلك، فأخذ القِطَع من رأس الإمام الحسين عليه السلام ولفّها في خرقة ودفنها في داره التي تعرف بدار عمرو بن حريث[١].

الطواف بالرأس العظيم

وأمر ابن مرجانة أن يطاف برأس الإمام الحسين عليه السلام في جميع شوارع الكوفة وأزقتها[٢] وكان المنادي ينادي: قتل الكذّاب ابن الكذّاب[٣]، وقد أراد بذلك إعلان النصر وإذلال شيعته، ولم يَدر في خلده أنّه قد أوسع المجال بذلك لنشر دعوة الإمام الحسين عليه السلام وإتمام رسالته، فقد كان رأس الإمام الحسين عليه السلام يوحي للمسلمين كيف يجب أن تعلو كلمة الحق؟! وكيف تصان رسالة الإسلام؟!

وعلى أيّة حال، فقد طِيف برأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله أمام أُولئك الذين يدّعون الإسلام ولم يهبّوا للأخذ بثأره، يقول دعبل الخزاعي:

رَأسُ ابنِ بِنتِ مُحَمَّدٍ وَوَصيِّهِ ... يَا لَلرِّجَالِ عَلىٰ قَناةٍ يُرْفَعُ

وَالمُسلِمُونَ بِمَنظرٍ وَبِمَسْمَعٍ ... لَا جازِعٌ مِن ذَا وَلَا مُتَخَشِّعُ[٤]

لقد تخدّر المسلمون بشكل رهيب ففقدوا ذاتياتهم، وأصبحوا أعصاباً رخوة خالية من الشعور والإحساس.

حبس عقائل الوحي

وأمر الطاغية ابن مرجانة بحبس عقائل الوحي ومخدّرات الرسالة، ولمّا جيء

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٧. مرآة الجنان: ١: ١٠٩.

(٢) الدرّ النظيم: ١٧. عوالم العلوم: ١٧: ٣٨٦.

(٣) التاريخ السياسي للدولة العربيّة: ٢: ٧٦.

(٤) ديوان دعبل الخزاعي: ٢٢٥.

بهنّ إلى السجن كانت الشوارع مكتظّة بالرجال والنساء، وهنَّ يضربن الوجوه ويبكين أمرَّ البكاء ـ حسبما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام ـ وأُدخلت بنات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السجن، وقد ضيّق عليهنَّ أشدّ التضييق، وقد رفضت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله أن تقابلها أيّة امرأة حرّة، وقالت: لا تدخل علينا إلّا أُمّ ولد أو مملوكة، فإنّهنَّ سبين وقد سبينا[١].

وأُلقي على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله حجر قد ربط فيه كتاب جاء فيه: «إنّ البريد قد سار بأمركم إلى يزيد، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالهلاك، وإن لم تسمعوا بالتكبير فهو الأمان».

وحددوا لمجيء الكتاب وقتاً، وذعرت النساء أشدّ ما يكون الذعر، وقبل قدوم البريد بيومين أُلقي عليهم حجر آخر فيه كتاب جاء فيه: «أوصوا وأعهدوا فقد قارب وصول البريد»، وبعد انتهاء المدة جاء أمر يزيد بحمل الأسرى إلى دمشق[٢].

وتنصّ بعض المصادر أنّ يزيد كان عازماً على استئصال جميع نسل الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا أنّه بعد ذلك عدل عن نيته وعفا عنهم[٣].

اختطاف عليّ بن الحسين عليهما السلام

واختطف بعض الكوفيين الإمام زين العابدين عليه السلام وأخفاه في داره، وجعل يكرمه ويحسن إليه، وكان كلما دخل عليه يجهش بالبكاء، فظن الإمام به خيراً، إلّا أنّه لم تمضِ إلّا فترة يسيرة من الزمن حتى نادى منادي ابن زياد: مَن وجد عليّ بن الحسين وأتى به فله ثلاثمائة درهم، فلمّا سمعه الكوفي أسرع إلى الإمام زين

(١) اللهوف: ٩٥.
(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٧. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٨.
(٣) الوافي في المسألة الشرقية / أمين شميل: ٣: ٢٩٨.

العابدين عليه السلام فجعل في عنقه حبلاً وربط يديه بالحبل وسلّمه إليهم وأخذ الدراهم[١].

وهذه البادرة الغريبة تعطينا صورة عن مدى تهالك ذلك المجتمع على المادة وتفانيه في الحصول عليها بأيّ طريق كان.

ندم ابن سعد

وندم الخبيث الدنس عمر بن سعد أشدّ ما يكون الندم على اقترافه لتلك الجريمة النكراء، وقد سأله بعض خواصّه عند رجوعه من كربلاء عن حاله، فقال: ما رجع أحد إلى أهله بشرّ ممّا رجعت به، أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة، وارتكبت الأمر العظيم[٢].

وماذا يفيده الندم بعدما سفك دماء العترة الطاهرة، وقطع أواصر القربى التي أمر الله بمودّتها؟!

ابن زياد يطالب ابن سعد بالكتاب

وتعرّض ابن زياد لحملة انتقادية واسعة النطاق من جميع الأوساط، وقد رام أن يجعل تبعة ذلك على ابن سعد فهو المسؤول عن اقتراف هذه الجريمة دونه، فبعث خلفه وقال له: عليّ بالكتاب.

قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب.

قال: والله لتجيئني به.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥: ٢١٢. تاريخ مدينة دمشق: ٤١: ٣٦٧. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٨. المنتظم: ٥: ٣٤٥. وهذه الرواية ممّا تفرّد بها هؤلاء المؤرخون ولم يذكرها بقية أرباب السير والتاريخ.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٤١٤ و ٤١٥. الأخبار الطوال: ٢٦٠. سير أعلام النبلاء: ٣: ٣٠٣.

فقال : بعثته والله ليقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهنّ بالمدينة ، أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدّيت حقّه .

وكان في المجلس عثمان بن زياد فقال لأخيه عبيد الله : صدق والله ، لوددت أنّه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأنّ الحسين لم يقتل .

فسكت الطاغية ولم يجبه بشيء[١] .

أمّا الكتاب الذي بعثه ابن سعد إلى يثرب ليتّقي به اللعنات التي تنصبّ عليه ، ويحمل الذنب على أميره وسيده ابن مرجانة فهذا نصه :

« من عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد .

أمّا بعد ، فإنّي لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه ، ولا لتطاوله ولا لتمنّيه السلامة والبقاء ، ولا لتقعد له عندي شافعاً ، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم ، فإنّهم لذلك مستحقّون ، فإن قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنّه عاق شاق قاطع ظلوم ، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أنت أبيت فاعتزل عملنا وجندنا ، وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإنّا قد أمرناه بأمرنا »[٢] .

التنديد بابن زياد

وندد بالطاغية لقتله ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله القريب والبعيد ، وفيما يلي بعضهم :

١ ـ مرجانة

وسخطت مرجانة على ولدها الباغي الأثيم على اقترافه لهذه الجريمة النكراء

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ١١٨ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٦٠ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٣٩١ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦١٥ . المنتظم : ٥ : ٣٣٦ .

فقالت له : يا خبيث ، قتلت ابن رسول الله ، والله لا رأيت وجه الله أبداً[١] .

٢ ـ عثمان بن زياد

وأنكر على الطاغية أخوه عثمان بن زياد ، وقال له : والله لوددت أنّه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأنّ الحسين لم يقتل[٢] .

٣ ـ معقل بن يسار

وممّن نقم على ابن مرجانة معقل بن يسار ، فقد انتقده انتقاداً لاذعاً ، وندد به وهجره .

لقد كان قتل الإمام الحسين عليه السلام من الأحداث الجسام التي اهتزّ من هولها العالم الإسلامي ، وقد استعظمه المسلمون أشدّ ما يكون الاستعظام ، فقد انتهكت فيه حرمة الرسول صلى الله عليه وآله التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء ، وقد استشعر المجرم بالإثم ؛ وذلك حينما أمره يزيد بغزو الحجاز ، فقد ذكر الطبري ، قال : كتب يزيد إلى ابن مرجانة أن اغزُ ابن الزبير ، فقال : لا أجمعهما للفاسق أبداً ، أقتل ابن بنت رسول الله وأغزو البيت[٣] .

الإنكار على ابن سعد

وأنكر الناس على ابن سعد جريمته النكراء ، فبغضوه ونبذوه ، وكان كلّما مرّ على ملأ من الناس لعنوه ، وإذا دخل الجامع خرجوا منه[٤] .

---

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ٩٨ . تهذيب التهذيب : ٢ : ٣٠٨ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٥ : ١١٨ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٦٠ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ٧ .

(٤) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ٦٨ .

الاستياء الشامل

وأحدث قتل الإمام الحسين عليه السلام استياءً شاملاً في جميع الأوساط. يقول الحصين ابن عبد الرحمن السلمي: لمّا جاءنا قتل الحسين مكثنا ثلاثة أيام كأنّ وجوهنا قد طليت رماداً[١].

ويقول هبيرة بن خزيمة أخبرت الربيع بن خثيم بقتل الحسين فتغيّر وقرأ قوله تعالى: ﴿**اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّماوَاتِ وَالأَرضِ عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيَما كَانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾[٢].

ثمّ قال: لقد قتلوا فتية لو رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأحبّهم وأطعمهم بيده وأجلسهم على فخذه[٣].

وأُخبر الحسن البصري بقتل الحسين عليه السلام فبكى حتى اختلج جنباه، وقال: وا ذلّاه لأُمّة قتل ابنُ دعيّها ـ يعني ابن مرجانة ـ ابنَ نبيّها، والله لينتقمن له جدّه وأبوه من ابن مرجانة[٤].

وقال عمرو بن بعجة: أول ذلّ دخل على العرب قتل الحسين، وادعاء زياد[٥].

لقد التاع المسلمون أشدّ ما يكون الالتياع حزناً وألماً على قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبكوا أمرَّ البكاء، فكان الإمام الشافعي يبكي أشدّ البكاء ويتلو هذه الأبيات:

تَــأَوَّهَ قَــلْبِي وَالفُــؤادُ كَـئِيبُ وَأَرَّقَ نَــومِي فَــالسُّهادُ عَــجِيبُ

(١) تهذيب التهذيب: ٢: ٣٢٩.
(٢) الطبقات الكبرى: ٦: ١٩٠.
(٣) تذكرة الخواص: ٢٤٠ و ٢٤١. الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ: ٩٤.
(٤) تذكرة الخواص: ٢٤٠. تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: ٢٨٩.
(٥) المعجم الكبير: ٣: ١٢٣، الرقم ٢٨٧٠. مجمع الزوائد: ٩: ١٦٩.

فَمَنْ مُبلِغٌ عَنِّي الحُسَينَ رِسالةً ... وَإن كَرِهَتها أَنفُسٌ وَقُلُوبُ
ذَبِيحٌ بِلَا جُرْمٍ كَأَنَّ قَمِيصَهُ ... صَبِيغٌ بِماءِ الأُرجُوانِ خَضِيبُ
وَمِمّا نَفىٰ نَومِي وَشَيَّب لُمَّتِي ... تَصارِيفُ أَيّامٍ لَهُنَّ خُطُوبُ
تَزَلزَلتِ الدُّنيا لِآلِ مُحَمَّدٍ ... وَكَادَتْ لَهُم صُمُّ الجِبالِ تَذُوبُ
يُصلّى عَلَى المَبعُوثِ مِن آلِ هَاشِمٍ ... وَيُغزَى بَنُوهُ إنَّ ذَا لَعَجِيبُ
لَئِنْ كَانَ ذَنبِي حُبُّ آلِ مُحَمّدٍ ... فَذَلِكَ ذَنبٌ لَسْتُ عَنهُ أَتُوبُ
هُمُ شُفَعائِي يَومَ حَشْرِي وَمَوقِفِي ... إِذَا مَا بَدَتْ لِلنّاظِرِينَ خُطُوبُ(١)

وقد اجتاز الشاعر ابن الهبّارية بكربلاء فجعل يبكي على الإمام الحسين وأهله عليهم السلام، ونظم هذه الأبيات:

أَحُسَينُ وَالمَبعُوثُ جَدُّكَ بِالهُدىٰ ... قَسَماً يَكُونُ الحَقُّ عَنهُ مُسائِلِي
لَو كُنتُ شَاهِدَ كَرْبَلا لَبَذَلتُ فِي ... تنفِيسِ كَربِكَ جُهدَ بَذْلِ الباذِلِ
وَسَقَيتُ حَدَّ السَّيفِ مِنْ أَعدائِكُمْ ... عَلَلاً وَحَدَّ السَّمهَرِي الذّابِلِ
لَكِنَّني أُخِّرتُ عَنكَ لِشَقْوَتِي ... فَبَلَابِلِي بَينَ الغَرِيِّ وَبابِلِ
هَبنِي حُرِمتُ النَّصرَ مِنْ أَعْدائِكُمْ ... فَأقَلُّ مِن حُزنٍ وَدَمعٍ سائِلِ

يقول المؤرخون: إنّه نام في مكانه فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه، وقال له: جزاك الله عنّي خيراً، فأبشر فإنّ الله قد كتبك ممّن جاهد بين يدي الإمام الحسين عليه السلام(٢).

وكان أول شعر رثي به الحسين عليه السلام قول عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم ابن عوف بن غالب:

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٢٤. ديوان الشافعي: ٤٨. الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ: ٩٤.

(٢) ديوان ابن الهبّاريّة: ١٧٥. تذكرة الخواص: ٢٤٥. الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ: ٩٤.

إذَا العَينُ قَرَّتْ فِي الْحَياةِ وَأَنتُمُ ... تَخافُونَ في الدُّنْيا فَأَظْلَمَ نُورُها

مَرَرتُ عَلىٰ قَبرِ الحُسَينِ بِكَربَلَا ... فَفاضَ عَلَيهِ مِن دُمُوعِي غَزِيرُها

فَمَا زِلتُ أَرثِيهِ وَأَبكِي لِشَجوِهِ ... وَيُسعِدُ عَينِي دَمعُها وَزَفِيرُها

وَبَكِيتُ مِن بَعْدِ الحُسَينِ عَصائِباً ... أَطَافَتْ بِهِ مِن جانِبَيها قُبُورُها

سَلَامٌ عَلىٰ أَهْلِ القُبُورِ بِكَربَلَا ... وَقُلَّ لَهَا مِنِّي سَلَامٌ يَزُورُها

سَلَامٌ بِآصالِ العَشِيِّ وَبِالضُّحَى ... تُؤَدِّيهِ نكباءُ الرِّياحِ وَمُورُها

وَلَا بَرِحَ الوُفّادُ زُوّارُ قَبرِهِ ... يَفُوحُ عَلَيهِم مِسْكُها وَعَبِيرُها(١)

ندم أهل الكوفة

وندم أهل الكوفة أشدّ ما يكون الندم ألماً وحزناً على ما اقترفوه من عظيم الإثم ، فهم الذين ألحوا على الإمام الحسين عليه السلام بوفودهم ورسائلهم بالقدوم إليهم ، فلمّا وافاهم خذلوه وقتلوه ، بل حتى الذين لم يشتركوا في قتاله ، فقد قال إبراهيم : لو كنت فيمن قتل الحسين بن عليّ ثمّ غفر لي ثمّ أُدخلت الجنة استحييت أن أمرّ على النبيّ صلى الله عليه وآله فينظر في وجهي(٢).

وممّن أظهر الندم منهم :

١ ـ البراء بن عازب

وندم على تركه لنصرة الإمام الحسين عليه السلام البراء بن عازب ، فقد قال له الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : « **يا بَراءُ ، أَيُقْتَلُ الْحُسَيْنُ وَأَنْتَ حِيٌّ فَلَا تَنْصُرُهُ ؟** » .

فقال البراء : لا كان ذلك يا أميرالمؤمنين .

---

(١) الأمالي / المفيد : ٣٢٤. مناقب آل أبي طالب : ٤: ١٢٣.

(٢) المعجم الكبير : ٣: ١١٢، الرقم ٢٨٢٩.

ولمّا قُتِل الإمام الحسين عليه السلام كان البراء يذكر قول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام له وهو يتحسّر ويقول: أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه[١].

٢ ـ المسيّب بن نَجَبة

وكان المسيّب بن نجبة من أشدّ الناس حسرة على عدم شهادته بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أعلن ندمه في خطابه الذي ألقاه على جموع التوّابين، فقد جاء فيه:

أمّا بعد، فإنّا قد ابتلينا بطول العمر، والتعرّض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربنا ألّا يجعلنا ممَّن يقول له غداً: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيْهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾[٢]، فإنّ أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «**الْعَمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً**» وليس فينا رجل إلّا وقد بلغه، وقد كنّا مغرمين بتزكية أنفسنا، وتقريظ شيعتنا فَوَجَدَنا اللهُ كاذبين في كل موطن من مواطن ابن بنت نبيه صلى الله عليه وآله، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله، وأعذر إلينا، فسألنا نصره عوداً وبَدْءاً وعلانية، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا؛ لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قويناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا عند ربنا، وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وآله، وقد قتل فينا ولد حبيبه ونسله؟!

لا والله لا عذر دون أن تَقتلوا قاتله والمؤلّبين عليه أو تُقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنّا عند ذلك ولا أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن...»[٣].

وقد صوّرت هذه الكلمات مدى الأسى والحزن في نفس المسيّب على ما فاته

---

(١) بحار الأنوار: ٤٠: ١٩٢. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٠: ١٥.

(٢) فاطر ٣٥: ٣٧.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٥: ٦٦ و ٦٧. الكامل في التاريخ: ٣: ٣٣٢.

من شرف التضحية مع الإمام الحسين عليه السلام .

٣ ـ شريك بن جدير التغلبي

وممّن استاء لقتل الإمام الحسين عليه السلام شريك بن جدير ، فقد كان مع الإمام علي عليه السلام ، فلمّا انقضت حرب علي عليه السلام لحق ببيت المقدس فكان به ، فلما جاءه خبر قتل الحسين عليه السلام قال : أُعاهد الله إن قدرت على كذا وكذا ، يطلب بدم الحسين عليه السلام ـ لأَقتلنّ ابن مرجانة ، أو لأموتنّ دونه(١) .

٤ ـ سليمان بن صُرَد الخزاعي

وممّن حزن أعمق الحزن على تركه لنصرة الإمام الحسين عليه السلام سليمان بن صُرَد ، فقد أخذ الألم يحزّ في نفسه ، وقد خطب في أصحابه من التوّابين ، وقال في جملة خطابه : « إنّا كنّا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبينا محمّد صلى الله عليه وآله نمنيهم النصر ونحثّهم على القدوم ، فلمّا قدموا وَنينَا وعجزنا وأدهنّا وتربّصنا حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته ، وبضعة من لحمه ودمه ؛ إذ جعل يستصرخ ويسأل النَّصَف فلا يعطى ، اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريئة للرماح حتى أقصدوه وَعَدَوا عليه فسلبوه . . . »(٢) .

٥ ـ عبيدالله بن الحرّ الجعفي

ومن أشدّ النادمين حسرة وأعظمهم أسىً عبيدالله بن الحرّ الجعفي الذي قصده الإمام الحسين عليه السلام وطلب منه النصرة فبخل بنفسه ، وقد أخذته خلجات حادة

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ٢٠٣ . تاريخ مدينة دمشق : ٣٧ : ٤٦٠ ، وفيه : « شريك بن جرير الثعلبي » .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ٦٧ و ٦٨ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٣٣ .

من تأنيب الضمير على تركه لنصرته ، وقد نظم أساه وحزنه بهذه الأبيات :

فَـيالَكِ حَسـرَةً مَا دُمْتُ حَيّاً ... تَـرَدَّدُ بَيْنَ صَـدرِي وَالتَّـراقِـي
غَـداةَ يَـقُولُ لِـي بِـالقَصرِ قَـوْلاً ... أَتَـترُكُـنا وَتَـزمَعُ بِـالفِراقِ ؟!
حُسَينٌ حِينَ يَطلبُ بَذلَ نَصْرِي ... عَـلَى أَهـلِ العَـداوَةِ وَالشِّـقاقِ
فَـلَو فَـلَقَ التَّـلَهُّفُ قَـلْبَ حَـيٍّ ... لَـهَمَّ القَـلْبُ مِـنِّي بِـانفِلَاقِ
وَلَـو واسَـيتَهُ يَـوماً بِـنَفسِي ... لَـنِلتُ كَـرامـةً يَـومَ التَّـلَاقِي
مَـعَ ابـنِ مُـحَمَّدٍ تَـفدِيهِ نَـفسِي ... فَـوَدَّعَ ثُـمَّ أَسـرَعَ بِـانطِلَاقِ
لَقَدْ فـازَ الأُولىٰ نَـصَرُوا حُسَـيناً ... وَخابَ الآخَرُونَ ذَوُو النِّفاقِ(١)

وقد صور ابن الحر في شعره ما تفيض به نفسه من الألم العميق ، فهو ما دام حيّاً تحز في نفسه الحسرات على ما فاته من شرف الشهادة بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّه لو نصره لفاز بالجنان ، كما عرض لغبطته لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين فدوه بنفوسهم ، فقد ظفروا بالأجر الجزيل والمقام العظيم عندالله .

هؤلاء بعض النادمين على تركهم لنصرة الإمام الحسين عليه السلام ، وعدم فوزهم بالشهادة بين يديه ، وحينما أُتيحت الفرصة ثاروا مع التوابين في الكوفة .

الهجرة من الكوفة

وكره سكنى الكوفة بعض الأخيار من المتحرجين في دينهم بعدما عمد أهلها إلى قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان من بينهم عبد الرحمن القضاعي النهدي ، فقد هجر الكوفة وسكن البصرة ، وقال : لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله(٢) .

لقد أثارت مذبحة كربلاء موجة عاتية من الهلع والجزع في جميع أوساط الكوفة ،

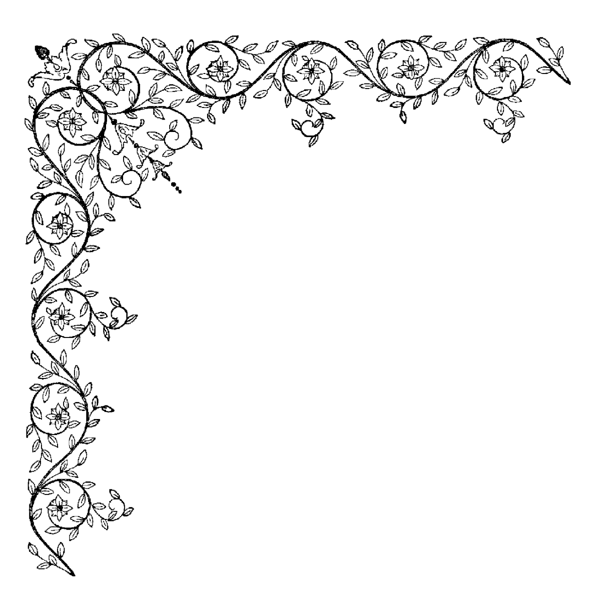
---

(١) ذوب النضار : ٧٢ و ٧٣ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ١ : ٢٢٨ .

(٢) المعارف : ٤٢٦ .

واستبان لأهلها عظم الجريمة التي اقترفوها.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن دخول سبايا أهل البيت إلى الكوفة وما رافق ذلك من الأحداث.



سَبَايَا آلِ الرَّسُولِ فِي دِمَشْقَ

وعانت عقائل الوحي ومخدرات الرسالة جميع ضروب المحن والبلاء في تلك الأيام السود التي مرّت عليهن في الكوفة ، فقد عانين مرارة الاعتقال في السجن ، وشماتة الأعداء ، وذلّ الأسر في بلد كان موطناً لشيعتهم ومركزاً لدعوتهم ، وكنّ في حالة مشجية تذوب من هولها النفوس ، ونعرض إلى سير الأحداث الأليمة التي جرت عليهن حينما أُرسلن إلى دمشق .

تسيير الرؤوس

وأمر ابن مرجانة بتسيير رؤوس العترة الطاهرة إلى دمشق بعدما جاءه الأمر من يزيد على أن يحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس مَن قتل معه وحمل أثقاله وعياله ؛ لتعرض على أهل الشام كما عرضت على أهل الكوفة ، لتمتلئ قلوب الناس فزعاً وخوفاً من بني أُمية ؛ وليكونوا عبرة لكل من تحدّثه نفسه بالخروج عليهم ، وقد سيّرت مع زَحْر بن قيس الجعفي وأبي بردة بن عوف الأزدي وطارق بن ظبيان الأزدي.

تسريح العائلة النبوية

وسُرّحت عائلة آل النبيّ صلى الله عليه وآله مع مجفر بن ثعلبة العائذي من عائذة قريش ، وشمر بن ذي الجوشن ، وقد أُوثقت بالحبال ، وأركبت على أقتاب الجمال وهنّ بحالة تقشعر منها الأبدان .

يقول عبد الباسط الفاخوري: «ثمّ إنّ عبيد الله جهّز الرأس الشريف وعليّ بن الحسين ومَن معه من حرمه بحالة تقشعر منها ومن ذكرها الأبدان، وترتعد منها مفاصل الإنسان، بل فرائص الحيوان»[١].

تشييع أهل الكوفة للأسرى

وخرجت الكوفة بجميع طبقاتها لتوديع ركب أهل البيت، وهم ما بين باكٍ ونائح، وقد غصّت طرق الكوفة بالناس وهم يبكون عامة الليل، فلم تتمكن القافلة أن تسير من كثرة الزحام، فاستغرب الإمام زين العابدين عليه السلام منهم، وراح يقول: «**هَؤُلَاءِ قَتَلُونا وَيَبْكُونَ عَلَينا!**»[٢].

وعجّت نساء هَمْدان بالبكاء والنياحة[٣] وعلا منهنّ الصراخ والعويل، وأمر شمر بن ذي الجوشن أن يُغلّ الإمام زين العابدين بغلّ في عنقه فغل[٤].

وانطلقوا بالأسرى حتى التحقوا بالقافلة التي معها الرؤوس، ولم يتكلم الإمام زين العابدين عليه السلام مع الجفاة بكلمة واحدة، ولا طلب منهم أيّ شيء طيلة الطريق[٥]، وسارت القافلة لا تلوي على شيء حتى انتهت إلى القرب من دمشق فأُقيمت هناك حتى تتزين البلد بمظهر الزهو والأفراح.

تزيين الشام

وأمرت حكومة دمشق الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والأماكن العامة والخاصة

---

(١) تحفة الأنام في مختصر تاريخ الإسلام: ٨٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٤٠. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٩٩.

(٣) الحدائق الورديّة: ١: ١٢٩.

(٤) أنساب الأشراف: ٣: ٤١٦.

(٥) الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٩.

بإظهار الزينة والفرح للنصر الذي أحرزته في قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسبي ذريته .

ويصف بعض المؤرخين تلك الزينة بقوله : « ولمّا بلغوا ـ أي أُسارى أهل البيت ـ ما دون دمشق بأربعة فراسخ ، استقبلهم أهل الشام وهم ينثرون النثار فرحاً وسروراً حتى بلغوا بهم قريب البلد ، فوقفوهم عن الدخول ثلاثة أيام ، وحبسوهم هناك حتى تتوفر زينة الشام ، وتزويقها بالحلي والحلل ، والحرير والديباج ، والفضة والذهب ، وأنواع الجواهر على صفة لم يرَ الراؤون مثلها لا قبل ذلك اليوم ولا بعده ، ثمّ خرجت الرجال والنساء والأصاغر والأكابر والوزراء والأمراء واليهود والمجوس والنصارى وسائر الملل إلى التفرّج ومعهم الطبول والدفوف والبوقات والمزامير ، وسائر آلات اللهو والطرب ، وقد كحّلوا العيون وخضّبوا الأيدي ولبسوا أفخر الملابس وتزينوا أحسن الزينة ، ولم يرَ الراؤون أشدّ احتفالاً ولا أكثر اجتماعاً منه ، حتى كأنّ الناس كلهم قد حشروا جميعاً في صعيد دمشق »[١] .

لقد أظهر ذلك المجتمع الذي تربّى على بغض أهل البيت جميع ألوان السرور والفرح بما أصابهم من القتل والسبي ، وجيء بالرأس العظيم وسط هالة من التهليل والتكبير على هذا النصر الذي أحرزه حفيد أبي سفيان ، وكان خالد بن صفوان في دمشق حينما أُتي برأس الإمام الحسين عليه السلام فأظهر الجزع والبكاء واختفى عن الناس لئلا تقبض عليه عيون بني أمية ، وهو يقول :

جَاءُوا بِرَأْسِكَ يَابنَ بِنتِ مُحَمَّدٍ ... مُتَزَمِّلاً بِدِمائِهِ تَزمِيلَا
وَكَأَنَّما بِكَ يَابنَ بِنتِ مُحَمَّدٍ ... قَتَلُوا جِهاراً عامِدِينَ رَسُولَا
قَتَلُوكَ عَطشاناً وَلَم يَتَرَقَّبُوا ... فِي قَتلِكَ التَّأوِيلَ وَالتَّنزِيلَا
وَيُكَبِّرُونَ بِأَنْ قُتِلتَ وَإِنَّمَا ... قَتَلُوا بِكَ التَّكبِيرَ وَالتَّهلِيلَا[٢]

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ١٣٦ و ١٣٧ ، ١٥٥ و ١٥٦ .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ١٢٥ و ١٢٦ . تاريخ مدينة دمشق : ١٦ : ١٨١ . ⇐

يقول سهل بن سعد الساعدي : « خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام ، فإذا أنا بمدينة مطّردة الأنهار كثيرة الأشجار قد عُلقت عليها الحجب والديباج ، والناس فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول ، فقلت في نفسي : إنّ لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن ؟ ! فرأيت قوماً يتحدّثون فقلت لهم : ألكم بالشام عيد لا نعرفه ؟

قالوا : نراك ـ يا شيخ ـ غريباً .

فقلت : أنا سهل بن سعد قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقالوا : يا سهل ما أعجبك إنّ السماء لا تمطر دماً ، والأرض لا تنخسف بأهلها !

قلت : وما ذاك ؟

فقالوا : هذا رأس الحسين يهدى من أرض العراق !

قلت : واعجباه يُهدى رأس الحسين والناس يفرحون ؟ ! فمن أي باب يدخل ؟

فأشاروا إلى باب الساعات ، فأسرع سهل إليها ، وبينما هو واقف وإذا بالرايات يتبع بعضها بعضاً ، وإذا بفارس بيده لواء منزوع السنان ، وعليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله وهو رأس ريحانته الحسين عليه السلام ، وخلفه السبايا محمولة على جمال بغير وطاء .

وبادر سهل إلى إحدى النسوة فسألها : مَن أنتِ ؟

فقالت : أنا سكينة بنت الحسين .

فقلت لها : ألكِ حاجة ؟ فأنا سهل صاحب جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله .

قالت : يا سهل ، قل لصاحب هذا الرأس أن يقدمه أمامنا حتى يشتغل الناس

⇐ تهذيب الكمال : ٦ : ٤٤٨ . البداية والنهاية : ٨ : ٢٠٠ . مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ١٠١ .
وقد اختلف في قائلها ، فقد نسبت إلى ديك الجن الشاعر ، وإلى خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي ، وكذلك نسبت إلى الجن ، وإلى هاتف من السماء .

بالنظر إليه ، ولا ينظرون إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأسرع سهل إلى حامل الرأس فأعطاه أربعمائة درهم فباعد الرأس عن النساء(١) .

الشامي مع الإمام زين العابدين عليه السلام

وانبرى شيخ قد ضللته الدعايات الكاذبة فأخذ يشق الصفوف الحاشدة حتى انتهى إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فرفع عقيرته قائلاً : الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم .

وبصر به الإمام زين العابدين عليه السلام فرآه مخدوعاً قد خفي عليه الحق ، فقال له : **يا شَيخُ ، هَلْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟**

قال : نعم .

قال عليه السلام : **أَقَرَأْتَ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿قُلْ لَاأَسْأَلُكُمْ عَلَيهِأَجراً إِلَّا المَودَّةَ فِي القُربَى ﴾(٢)، وَقَولَهُ تَعالَى : ﴿وآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ ﴾(٣) ، وَقَولَهُ تَعالىٰ : ﴿وَاعلَمُوا أَنَّمَا غَنِمتُمْ مِن شَيءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُربَى ﴾(٤) ؟**

وتهافت الشيخ فقال بصوت خافت : نعم قرأت ذلك .

قال له الإمام زين العابدين عليه السلام : **نَحْنُ وَاللهِ الْقُرْبىٰ يا شَيْخُ . أَقَرَأْتَ قَوْلَهُ تَعالىٰ : ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهِيراً ﴾(٥) ؟**

قال الشيخ : قد قرأت ذلك .

---

(١) عوالم العلوم : ١٧ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٦٠ .

(٢) الشورى ٤٢ : ٢٣ .

(٣) الإسراء ١٧ : ٢٦ .

(٤) الأنفال ٨ : ٤١ .

(٥) الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

فقال علي عليه السلام : **نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللهُ بِالتَّطْهِيرِ** .

وسرت الرعدة في أوصال الشيخ وجمد دمه ، وقال للإمام زين العابدين عليه السلام بنبرات مرتعشة : بالله عليكم أأنتم هم ؟!

فقال الإمام زين العابدين عليه السلام : **وَحَقِّ جَدِّنا رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله إِنّا لَنَحْنُ هُمْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ** .

وودّ الشيخ أنّ الأرض قد وارته ، ولم يقل تلك الكلمات القاسية ، وألقى بنفسه على الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يوسع يديه تقبيلاً ، ودموعه تجري على سحنات وجهه ، قائلاً : أنا أبرأ إلى الله ممّن قتلكم .

وطلب الشيخ منه أن يمنحه العفو والرضا فعفا عنه »[١] .

فكانت الأكثرية الساحقة من أهل الشام على غرار هذا الشيخ قد ضلّلتهم الدعاية الأُموية ، وحجبتهم عن معرفة أهل البيت عليهم السلام .

سرور يزيد

وغمرت الأفراح والمسرّات يزيد حينما وافاه النبأ بمقتل الإمام الحسين عليه السلام ، وكان في بستانه الخضراء[٢] فكبّر تكبيرة عظيمة ، ولمّا جيء بالسبايا كان مطلاً على منظر في جيرون ، فلمّا نظر إلى السبايا والرؤوس قد وضعت على الحراب امتلأ سروراً وراح يقول :

لَمّا بَدَتْ تِلْكَ الحُمُولُ وَأَشْرَقَتْ ... تِلْكَ الرُّؤُوسُ عَلىٰ رُبىٰ جَيرُونِ

نَعِبَ الغُرابُ فَقُلْتُ صِحْ أَوْ لَا تَصِحْ ... فَلَقَدْ قَضَيتُ مِنَ الرَّسُولِ دُيُونِي[٣]

لقد روّى حفيد أبي سفيان أحقاده واستوفى ثأره من ابن فاتح مكة ومحطم أوثان

---

(١) اللهوف : ١٠٢ و ١٠٣ . الصواعق المحرقة : ١٧٠ .

(٢) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان : ٣٦ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٥ : ١٩٩ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤٤٨ . تذكرة الخواص : ٢٣٥ .

قريش، فقد قتل العترة الطاهرة وسبى ذراريها تشفّياً وانتقاماً من النبيّ صلى الله عليه وآله.

رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يدي يزيد

ولما فرغ القوم من التطواف بالكوفة، ردّ عبيد الله رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى باب القصر، فدفعه إلى زحر بن قيس هو ورؤوس أصحابه، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان الأزدي، وحملوا رأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله هدية إلى الفاجر يزيد بن معاوية، وكان مع رحل الحسين وثقله مُجفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن فانطلقا بهم، ولمّا انتهوا إلى البلاط الأموي رفع مجفر عقيرته ليسمعه يزيد قائلاً: هذا مجفر بن ثعلبة أتى أميرالمؤمنين باللئام الفجرة.

فأنكر عليه يزيد ورد عليه: ما ولدت أم مجفر ألأم وأحمق، ولكنّه قاطع ظلوم[1].

وأذن يزيد للناس إذناً عاماً ليظهر لهم أنّه قهر آل النبيّ صلى الله عليه وآله، وازدحم أهل الشام على القصر وهم يعلنون فرحتهم الكبرى، ويهنونه بهذا النصر الكاذب، ووضع رأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بين يدي سليل الخيانة والإجرام فجعل ينكت بمخصرته ثغره الذي طالما كان النبيّ صلى الله عليه وآله يترشّفه، وجعل يقول متشفياً وشامتاً: قد لقيت بغيك يا حسين[2].

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٤١٥ و ٤١٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٣ و ٦٥٤. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٨. البداية والنهاية: ٨: ١٩٦. وفيها اختلاف في اسم «مجفر» فذكر بعنوان: «محقر» و «مجفّر» و «محفز»، وفي الإرشاد / المفيد: ٢: ١١٨ و ١١٩: «أنّ الذي ردّ عليه هو الإمام زين العابدين عليه السلام».

(٢) الكواكب الدرّية / المناوي: ١: ٥٦.

وجاء في تذهيب التهذيب: ١: ١٥٧ عن ابن حمزة، قال: «رأيت امرأة من أعقل الناس وأجملهن يقال لها: (ربا) حاضنة يزيد بن معاوية، وقد بلغت من العمر مائة سنة، قالت: دخل رجل على يزيد فقال له: أبشر فقد أمكنك الله من الحسين، فقد قتل وجيء برأسه ⇦

ثمّ التفت إلى مَن كان معه فقال لهم : ما كنت أظن أبا عبدالله قد بلغ هذا السن وإذا لحيته ورأسه قد نصلا من الخضاب الأسود[١] ، وتأمّل في وجه الإمام الحسين عليه السلام فغمرته هيبته ، فطفق يقول : ما رأيت مثل هذا الوجه حسناً قط ![٢] .

وراح يوسع ثغره الشريف بالضرب بقضيب كان في يده ، وهو يقول : إنّ هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المرّي :

أَبىٰ قَومُنَا أَنْ يَنصِفُونا فَأَنصَفَتْ ... قَواضِبُ فِي أَيمانِنا تَقطُرُ الدِّما

يُـفَلِّقنَ هـاماً مِـنْ رِجـالٍ أَعِـزَّةٍ ... عَلَينا وَهُمْ كَـانُوا أَعَـقَّ وَأَظْـلَما

ولم يتم كلامه حتى أنكر عليه أبو برزة الأسلمي ، فقال له : أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين ؟! أما لقد أخذ قضيبك فـي ثـغره مـأخذاً لربّـما رأيت رسـول الله صلى الله عليه وآله يرشفه ، أما إنّك يا يـزيد تـجيء يـوم القـيامة وابـن زيـاد شـفيعك ، ويـجيء هـذا ومحمّد صلى الله عليه وآله شفيعه ، ثمّ قام منصرفاً[٣] .

وكان هذا النقد اللاذع من الصحابي أول نقد يجابه به يزيد وهو في بلاطه المكتظ بالشاميين وغيرهم ، وقد تحطمت نشوة ظفره ولم يجد جواباً يتذرع به ، ثمّ توالى عليه الإنكار فاندفع يحيى بن الحكم متأثراً ، وهو يقول :

لَـهامٌ بِـجَنبِ الطَّـفِ أَدنـىٰ قَـرابَـةً ... مِنِ ابنِ زِيادِ العَبدِ ذِي الحَسَبِ الوَغْلِ

أُمَـيَّةُ أَمسـىٰ نَسْـلُهَا عَـدَدَ الحَـصا ... وَبِـنتُ رَسُـولِ اللهِ لَـيسَ لَـها نَسْـلِ

⇦ إليك ، ووضع في طست فأمر غلامه فكشفه فحين رآه أحمر وجهه ، فقلت لربا : أقرع ثـناياه بالقضيب ؟

قالت : إي والله » . سير أعلام النبلاء : ٣ : ٣١٩ .

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ ـ ٨٠) : ١٩ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٧ . تاريخ القضاعي : ٧٠ . تهذيب الكمال : ٦ : ٤٢٨ و ٤٢٩ .

(٣) أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٦ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٩٩ .

فالتاع الطاغية منه وضربه في صدره ، وقال له : اسكت لا أُمّ لك[١] . لقد تأثّر كل من يملك ضميراً حيّاً من المصائب الأليمة التي صبّها الطاغية على آل البيت عليهم السلام .

نصب الرأس في جامع دمشق

وبعد ما قضى الأثيم وطره من العبث برأس سيد شباب أهل الجنة نصبه في جامع دمشق في المكان الذي نصب فيه رأس يحيى بن زكريا[٢] ، وقد عُلّق ثلاثة أيام[٣] .

رأس الإمام الحسين عليه السلام عند نساء يزيد

وبعث الطاغية برأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نسائه ؛ ليظهر مقدرته وزهوه أمامهن ، فأخذته ابنته عاتكة وطيبته ، فأنكر يزيد ذلك وقال : ما هذا ؟

فقالت له : بعثت إلينا برأس ابن عمّي شعثاً فلممته وطيبته[٤] .

السبايا في مجلس يزيد

وسُرَّ الطاغية سروراً بالغاً بسبايا أهل البيت فأوقفهم موقف السبي بباب المسجد مبالغة في إهانتهم وإذلالهم[٥] ، وعمدت جلاوزته إلى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الصبية فربقوهم بالحبال كما تربق الأغنام ، فكان الحبل في عنق الإمام زين

---

(١) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٢٠ . المعجم الكبير : ٣ : ١١٦ ، الرقم ٢٨٤٨ . تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٣٥٢ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩٢ . وفي البيتين اختلاف في اسم القائل ، وفي البيت الثاني في أكثر المصادر فيه إقواء .

(٢) صبح الأعشى : ٤ : ١٠٠ .

(٣) تذهيب التهذيب : ١ : ١٥٧ .

(٤) أنساب الأشراف : ٣ : ٤١٦ .

(٥) مختصر تاريخ الدول : ١١٠ و ١١١ . الكواكب الدرّيّة : ١ : ٥٦ .

العابدين عليه السلام إلى عنق عمّته زينب وباقي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانوا ـ فيما يقول المؤرخون ـ كلّما قصروا عن المشي أوسعوهم ضرباً بالسياط ، وجاءوا بهم على مثل هذه الحالة التي تتصدّع من هولها الجبال ، وهم يكبّرون ويهللون فأوقفوهم بين يدي يزيد ، فالتفت الإمام زين العابدين عليه السلام فقال له : **ما ظَنُّكَ بِجَدِّنا رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لَوْ يَرانا عَلىٰ مِثْلِ هـٰذِهِ الْحالَةِ ؟!**

فتأثّر يزيد ولم يبقَ أحد في مجلسه إلّا بكى[1] .

وقد تألم الطاغية مما رأى ، فراح يقول : قبّح الله ابن مرجانة ، لو كان بينكم وبينه قرابة لما فعل بكم هذا[2] ، ثمّ أمر بالحبال فقطّعت عنهم والتفت إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له : أيه يا عليّ بن الحسين ، أبوك الذي قطع رحمي ، وجهل حقّي ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما رأيت .

فأجابه شبل الحسين عليه السلام بكل هدوء وطمأنينة بقوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الأَرضِ وَلَا فِي أنفُسِكُم إلاَّ فِي كِتَابٍ مِن قَبلِ أن نَبرَأهَا إنَّ ذلكَ عَلَى اللهِ يسِيرٌ * لِكَيلَا تَأسَوا عَلى مَا فَاتَكُم وَلاَ تَفرَحُوا بِمَا آتاكُم وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُختَالٍ فَخُورٍ** ﴾[3] .

وتميّز الطاغية غضباً وذهبت نشوة أفراحه ، وتلا قوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبَما كَسَبَتْ أَيدِيكُم** ﴾[4] .

فقال له عليه السلام : **هـٰذا في حَقِّ مَنْ ظَلَمَ لَا في حَقِّ مَنْ ظُلِمَ .**

---

(١) الإمام زين العابدين / أحمد فهمي : ٥٥ .

(٢) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٢٥ . المنتظم : ٥ : ٣٤٣ . تذكرة الخواص : ٢٣٤ .

(٣) الحديد ٥٧ : ٢٢ و ٢٣ .

(٤) الشورى ٤٢ : ٣٠ .

وزوى الإمام زين العابدين عليه السلام بوجهه عنه ولم يكلّمه[١]؛ وذلك احتقاراً له واستهانةً بشأنه.

خطاب السيدة زينب عليها السلام

وأظهر الطاغية فرحه بإبادته للعترة الطاهرة، فقد حسب أنّه قد صفا له الملك واستوسقت له الأُمور، فأخذ يهز أعطافه جذلانَ مسروراً، وتمنى حضور القتلى من أهل بيته ببدر؛ ليريهم كيف أخذ بثأرهم وانتقم من النبيّ صلى الله عليه وآله في ذريته وعترته، وراح يترنّم بأبيات ابن الزبعرى وهو مزهو:

لَيتَ أَشْياخِي بِبَدرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزرَجِ مِن وَقعِ الأَسَلْ
لأَهَلُّوا وَاستَهَلُّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قالُوا يا يَزيدُ لَا تُشَلْ
قَدْ قَتَلنا القَرمَ مِن ساداتِهِمْ ... وَعَدَلناهُ بِبَدرٍ فَاعتَدَلْ
لَعِبتْ هاشِمُ بِالمُلكِ فَلَا ... خَبَرٌ جاءَ وَلَا وَحيٌ نَزَلْ
لَستُ مِن خِندِفَ إِنْ لَمْ أَنتَقِمْ ... مِن بَنِي أحْمَدَ مَا كانَ فَعَلْ[٢]

ولمّا سمعت بطلة كربلاء هذه الأبيات التي نمّت عن كفره وسروره بقتل عترة النبيّ صلى الله عليه وآله انتقاماً منهم لقتلى بدر، وثبت تزجره وتطعن كبرياءه غير حافلة بجبروته وطغيانه، فلم يدركها الهول والفزع، وإنّما كانت مثال الشجاعة فكأنّها هي الحاكمة والمنتصرة، والطاغية هو المخذول والمغلوب على أمره، قالت عليها السلام: «الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ رَسُولِهِ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، صَدَقَ اللهُ سُبْحانَهُ حَيْثُ يَقُولُ:

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٠. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٩ و ٤٢٠. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٥.

(٢) الأمالي / الصدوق: ٢٢٩ ـ ٢٣١. اللهوف: ١٠٥ و ١٠٦. روضة الواعظين: ١٩١. مقاتل الطالبيّين: ١١٩. تذكرة الخواص: ٢٣٥. البداية والنهاية: ٨: ١٩٤.

﴿ثُـمَّ كَـانَ عَـاقِبَةَ الَّـذِينَ أَسَـاءُوا السُّـوأَى أَنْ كَـذَّبُوا بِـآيَاتِ اللهِ وَكَـانُوا بِـهَا يَستَهزِءُونَ ﴾[١]، أَظَنَنْتَ يا يَزِيدُ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنا أَقْطارَ الْأَرْضِ وَآفاقَ السَّماءِ، فَأَصْبَحْنا نُساقُ كَما تُساقُ الْأُسارىٰ أَنَّ بِنا عَلَى اللهِ هَواناً، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرامَةً، وَأَنَّ ذلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ؟ فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ في عِطْفِكَ، جَذْلَانَ مَسْرُوراً حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً، وَالْأُمُورَ مُتَّسِقَةً، وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنا وَسُلْطَانُنا، فَمَهْلاً مَهْلاً لَا تَطِشْ جَهْلاً، أَنَسِيْتَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُم خَيرٌ لِأَنفُسِهِم إنَّمَا نُملِي لَهُم لِيَزْدَادُوا إثماً وَلَهُم عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[٢].

أَمِنَ الْعَدْلِ يَابْنَ الطُّلَقاءِ تَخْدِيرُكَ حَرائِرَكَ وَإِماءَكَ وَسَوْقُكَ بَناتِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله سَبايا قَدْ هُتِكَتْ سُتُورُهُنَّ، وَأُبْدِيَتْ وُجُوهُهُنَّ، تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْداءُ مِنْ بَلَدٍ إِلىٰ بَلَدٍ، وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَناهِلِ وَالْمَعاقِلِ[٣]، وَيَتَصَفَّحُ وُجوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيٌّ، وَلَا مِنْ رِجالِهِنَّ وَلِيٌّ؟! وَكَيْفَ تُرْتَجىٰ مُراقَبَةُ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أَكْبادَ الأَزْكِياءِ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ دِماءِ الشُّهَداءِ؟! وَكَيْفَ يُسْتَبْطَأُ في بُغْضِنا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنا بِالشَّنَفِ[٤] وَالشَّنَآنِ، وَالإِحَنِ وَالْأَضْغانِ؟! ثُمَّ تَقُولُ غَيْرُ مُتَأَثِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٌ:

لَأَهَـلُّوا وَاسـتَهَلُّوا فَـرَحاً   ثُـمَّ قـالُوا يـا يَـزِيدُ لَا تُشَـلْ

مُنْحَنِياً عَلَى ثَنَايا أَبِي عَبْدِاللهِ سَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكُتُها بِمِخْصَرَتِكَ، وَكَيْفَ

---

(١) الروم ٣٠: ١٠.

(٢) آل عمران ٣: ١٧٨.

(٣) **المناهل** ـ جمع منهل ـ: وهو موضع الشرب من العيون ـ لسان العرب: ١٤: ٣١٠ ـ نهل، والمراد من يسكن فيها.

المعاقل: سكنة الحصون ـ لسان العرب: ٩: ٣٣١ ـ عقل.

(٤) **الشنف**: البغض والعداء ـ لسان العرب: ٧: ٢١٤ ـ شنف.

لَا تَـقُولُ ذلِكَ ؟! وَقَـدْ نَكَـأْتَ الْـقَرْحَةَ ، وَاسْـتَأْصَلْتَ الشَّـأْفَةَ بِـإِراقَـتِكَ دِمَـاءَ ذُرِّيَّـةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنُجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَتَـهْتِفُ بِـأَشْياخِكَ زَعَـمْتَ أَنَّكَ تُنادِيهِمْ فَلَتَرِدَنَّ وَشِيكاً مَوْرِدَهُمْ ، وَلَتَوَدَّنَّ أَنَّكَ شَـلِلْتَ وَبَكِـمْتَ ، وَلَـمْ تكُـنْ قُـلْتَ مَا قُلْتَ وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ .

اللّهُمَّ خُذْ لَنا بِحَقِّنا ، وَانْتَقِمْ مِمَّنْ ظَلَمَنا ، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنا ، وَقَتَلَ حُماتَنا .

فَوَاللهِ مَا فَرِيتَ إِلَّا جِلْدَكَ ، وَلَا حَزَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ ، وَلَتَرِدَنَّ عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ بِما تَحَمَّلْتَ مِنْ سَفْكِ دِماءِ ذُرِّيَّتِهِ ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عِتْرَتِهِ وَلُحْمَتِهِ ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُمْ ، وَيَلُمُّ شَعْثَهُمْ ، وَيَأْخُذُ بِحَقِّهِمْ : **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِـي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ ﴾**[١] .

وَحَسْبُكَ بِاللهِ حاكِماً ، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِيماً ، وَبِجَبْرَئِيلَ ظَهِيراً ، وَسَيَعْلَمُ مِنْ سَوَّلَ لَكَ وَمَكَّنَكَ مِنْ رِقابِ المُسْلِمِينَ . بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً ، وَأَيُّكُمْ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً .

وَلَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّواهِي مُخاطَبَتَكَ إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ ، وَاسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ ، وَاسْتَكْثِرُ تَوْبِيخَكَ ، لَكِنِ الْعُيُونُ عَبْرىٰ ، وَالصُّدُورُ حَرّىٰ .

فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ اللهِ النُّجَباءِ بِـحِزْبِ الشَّـيْطَانِ الطُّـلَقاءِ ، فَـهٰذِهِ الْأَيْدِي تَنْطِفُ[٢] مِنْ دِمائِنا ، وَالْأَفْواهُ تَتَحَلَّبُ مِنْ لُحُومِنا ، وَتِلْكَ الْجُثَثُ الطَّـواهِـرُ الزَّواكِي تَتَناهَبُها الْعَواسِلُ[٣] ، وَتُعَفِّرُها أُمَّهاتِ الْفَراعِلِ[٤] ، وَلَئِنِ اتَّـخَذْتَنا مَـغْنَماً ، لَتَجِدَنّا وَشِيكاً مَغْرَماً ، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَّمَتْ يَداكَ ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ ، وَإِلَى

---

(١) آل عمران ٣: ١٦٩.

(٢) **نَطَفَ** : تَلَطَّخ ـ القاموس المحيط : ١١٠٨ ـ نَطَفَ .

(٣) **العواسل** ـ جمع عاسل ـ: وهو الذئب ـ لسان العرب : ٩: ٢١٠ ـ عَسَلَ .

(٤) **الفراعل** ـ جمع فرعل ـ: ولد الضبع ـ لسان العرب : ١٠: ٢٤١ ـ فَرعَلَ .

اللهِ الْمُشْتَكىٰ وَعَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ.

فَكِدْ كَيْدَكَ، واسعَ سَعْيَكَ، وَناصِبْ جُهْدَكَ، فَوَاللهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنا، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنا، وَلَا يَرْحَضُ عَنْكَ عارُها، وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَدٌ، وَأَيّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ ؟! يَوْمَ يُنادِي الْمُنادِي أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمِينَ.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَتَمَ لِأَوَّلِنا بِالسَّعادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَلِآخِرِنا بِالشَّهادَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الثَّوابَ، وَيُوجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ، وَيُحْسِنَ عَلَيْنا الْخِلَافَةَ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَحَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»[١].

وهذا الخطاب أروع خطاب أُثر في الإسلام، وهو من متممات النهضة الحسينية الخالدة، فقد دمّرت فيه حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله جبروت الطاغية، وألحقت به الهزيمة والعار، وعرّفته أنّ دعاة الحق لا تنحني جباههم أمام الطغاة والظالمين.

يقول الإمام كاشف الغطاء رحمه الله: «أتستطيع ريشة أعظم مصوّر وأبدع ممثّل أن يمثّل لك حال يزيد وشموخه بأنفه وزهوه بعطفه وسروره وجذله باتساق الأُمور، وانتظام الملك ولذّة الفتح والظفر والتشفّي والانتقام بأحسن من ذلك التصوير والتمثيل، وهل في القدرة والإمكان لأحد أن يدفع خصمه بالحجّة والبيان والتقريع والتأنيب، ويبلغ ما بلغته ـ سلام الله عليها ـ بتلك الكلمات وهي على الحال الذي عرفت ؟! ثمّ لم تقتنع منه بذلك حتى أرادت أن تمثّل له وللحاضرين عنده ذلّة الباطل وعزّة الحق وعدم الاكتراث والمبالاة بالقوة والسلطة، والهيبة والرهبة، أرادت أن تعرّفه خسّة قدره، وضعة مقداره وشناعة فعله، ولؤم فرعه وأصله»[٢].

ويقول المرحوم توفيق الفكيكي: «تأمّل معي في هذه الخطبة النارية كيف

---

(١) اللهوف: ١٠٥ ـ ١٠٨. بلاغات النساء: ٣٥ و ٣٦. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٦٤ ـ ٦٦. الحدائق الورديّة: ١: ١٢٩ ـ ١٣١.

(٢) السياسة الحسينيّة: ٣٠.

جمعت بين فنون البلاغة، وأساليب الفصاحة، وبراعة البيان، وبين معاني الحماسة وقوة الاحتجاج وحجّة المعارضة والدفاع في سبيل الحرية والحق والعقيدة؟! بصراحة هي أنفذ من السيوف إلى أعماق القلوب، وأحدّ من وقع الأسنة في الحشا والمهج في مواطن القتال ومجالات النزال، وكان الوثوب على أنياب الأفاعي وركوب أطراف الرماح أهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصارخ الذي صرخت به ربيبة المجد والشرف في وجوه طواغيت بني أُمية وفراعنتهم في منازل عزّهم ومجالس دولتهم الهرقلية الأرستقراطية الكريهة.

ثمّ إنّ هذه الخطبة التاريخية القاصعة لا تزال تنطق ببطولات الحوراء الخالدة وجرأتها النادرة، وقد احتوت النفس القوية الحساسة الشاعرة بالمثالية الأخلاقية الرفيعة السامية، وسيبقى هذا الأدب الحي صارخاً في وجوه الطغاة الظالمين على مدى الدهر وتعاقب الأجيال وفي كل ذكرى لواقعة الطف الدامية المفجعة»[١].

محتويات الخطاب

وكان هذا الخطاب العظيم امتداداً لثورة كربلاء وتجسيداً رائعاً لقيمها الكريمة وأهدافها السامية، وقد حفل بما يلي:

أوّلاً: إنّها دللت على غرور الطاغية وطيشه، فقد حسب أنّه هو المنتصر بما يملك من القوى العسكرية التي ملأت البيداء وسدّت آفاق السماء، إلّا أنّه انتصار مؤقت، ومن طيشه أنّه حسب أنّما أحرزه من الانتصار كان لكرامة له عند الله وهوان لأهل البيت، ولم يعلم أنّ الله إنّما يملي للكافرين في هذه الدنيا من النعم ليزدادوا إثماً ولهم في الآخرة عذاب أليم.

ثانياً: إنّها نعت عليه سببه عقائل الوحي، فلم يرعَ قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم،

(١) مجلة الغريّ ـ السنة السابعة: العدد ٦.

وهو الذي مَنّ على آبائه يوم فتح مكة فكان أبوه وجدّه من الطلقاء، فلم يشكر للنبي صلى الله عليه وآله هذه اليد وكافأه بأسوء ما تكون المكافأة.

ثالثاً: إنّ الطاغية في ما اقترفه من سفكه لدماء العترة الطاهرة فإنّه مدفوع بحكم نشأته ومواريثه، فجدّته (هند) هي التي لاكت كبد سيد الشهداء حمزة عليه السلام، وجدّه أبو سفيان العدو الأوّل للإسلام، وأبوه معاوية الذي أراق دماء المسلمين وانتهك جميع ما حرّمه الله، فاقتراف الجرائم من عناصره وطباعه التي فطر عليها.

رابعاً: إنّها أنكرت عليه ما تمثّل به من الشعر الذي تمنى فيه حضور أشياخه الأُمويين ليروا كيف أخذ بثأرهم من النبيّ صلى الله عليه وآله بإبادة أبنائه، إلّا أنّه سوف يرد موردهم من الخلود في نار جهنم.

خامساً: إنّ الطاغية بسفكه لدماء العترة الطاهرة لم يسفك إلّا دمه ولم يفرِ إلّا جلده، فإنّ تلك النفوس الزكية حيّة وخالدة وقد تلفّعت بالكرامة وبلغت قمّة الشرف، وإنّه هو الذي باء بالخزي والخسران.

سادساً: إنّها عرضت إلى من مكّن الطاغية من رقاب المسلمين فهو المسؤول عمّا اقترفه من الجرائم، وقد قصدت عليها السلام مغزىً بعيداً يفهمه كل من تأمل فيه.

سابعاً: أنّها أظهرت سمو مكانتها؛ فكلّمت الطاغية كلام الأمير والحاكم، استهانت به، واستصغرت قدره، وتعالت عن حواره، وترفّعت عن مخاطبته، ولم تحفل بسلطانه، لقد كانت العقيلة على ضعفها وما ألمّ بها من المصائب أعظم قوة وأشدّ بأساً منه.

ثامناً: إنّها عرضت إلى أنّ يزيد مهما بذل من جهد لمحو ذكر أهل البيت عليهم السلام فإنّه لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً؛ لأنّهم قائمون في قلوب المسلمين وعواطفهم، وهم مع الحق والحق لابدّ أن ينتصر، وفعلاً قد انتصر الإمام الحسين عليه السلام وتحوّلت مأساته إلى مجد لا يبلغه أيّ إنسان كان، فأيّ نصر أحقّ بالبقاء وأجدر بالخلود

من النصر الذي أحرزه الإمام الحسين عليه السلام ؟!

هذا قليل من كثير ممّا جاء في هذه الخطبة التي هي آية من آيات البلاغة والفصاحة ، ومعجزة من معجزات البيان ، وهي إحدى الضربات القاضية على ملك بني أُمية .

جواب يزيد

وكان خطاب العقيلة كالصاعقة على رأس يزيد ، فقد انهار غروره وتحطّم كبرياؤه ، وحار في الجواب ، فلم يستطع أن يقول شيئاً إلّا أنّه تمثّل بقول الشاعر :

يَا صَيحَةً تُحمَدُ مِن صَوائِحْ   مَا أهْوَنَ النَّوحِ عَلَى النَّوائِحْ[١]

ولم تكن أيّة مناسبة بين ذلك الخطاب العظيم الذي أبرزت فيه عقيلة الوحي واقع يزيد ، وجرّدته من جميع القيم الإنسانية ، وبين ما تمثّل به من الشعر الذي أعلن فيه أنّ الصيحة تحمد من الصوائح ، وأنّ النوح يهون على النائحات ، فأيّ ربط موضوعي بين الأمرين .

صدى الخطاب

وأحدث خطاب العقيلة موجة عاصفة في مجلس يزيد وأشاعت في نفوس الجالسين مشاعر الحزن والأسى والتذمّر ، فقد أزاحت عنهم حجب الشبهات ونسفت كل الوسائل التي صنعها معاوية لإقامة دولته وسلطانه ، فراح يزيد يلتمس المعاذير ليبرر جريمته ، فقال لأهل الشام : أتدرون من أين أُتي ابن فاطمة ؟ وما الحامل له على ما فعل ؟ وما الذي أوقعه فيما وقع ؟

قالوا : لا .

---

(١) اللهوف : ١٠٨ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٦٦ .

قال : يزعم أنّ أباه خير من أبي ، وأُمّه فاطمة بنت رسول الله خير من أُمّي ، وجدّه رسول الله خير من جدّي ، وأنّه خير منّي ، وأحقّ بهذا الأمر .

فأمّا قوله : أبوه خير من أبي ، فقد حاجّ أبي أباه إلى الله عزّ وجلّ ، وعلم الناس أيّهما حكم له .

وأمّا قوله أُمّه خير من أُمّي فلعمري أنّ فاطمة بنت رسول الله خير من أمّي .

وأمّا قوله : جدّه خير من جدّي فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يرى أنّ لرسول الله فينا عدلاً ولا ندّاً ، ولكنّه إنّما أُتي من قلّة فقهه ولم يقرأ : **﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ... ﴾**[١] .

وقوله تعالى : **﴿وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ﴾**[٢][٣] .

لقد حسب الطاغية أنَّ منطق الفضل عند الله إنّما هو الظفر بالملك فراح يبني تفوّقه على الإمام الحسين عليه السلام بذلك ، ولم يعلم أنّه لا قيمة للملك عند الله فإنّه يهبه للبر والفاجر .

خطاب الإمام زين العابدين عليه السلام

وكان مجلس الطاغية حاشداً بجماهير الناس ، وقد أوعز يزيد إلى الخطيب أن يعتلي أعواد المنبر ؛ ليمجّد الأُمويين وينال من الإمام الحسين عليه السلام ، فاعتلى الخطيب المنبر فبالغ في الثناء على يزيد ونال من الإمام أميرالمؤمنين وولده الحسين عليهما السلام ؛ لينال هبات يزيد وعطاياه ، فانتفض الإمام زين العابدين عليه السلام وصاح به : **وَيْلَكَ أَيُّـها**

---

(١) آل عمران ٣ : ٢٦ .

(٢) البقرة ٢ : ٢٤٧ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥٧ و ٦٥٨ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩٧ .

الْخاطِبُ ، اشْتَرَيْتَ رِضا الْمَخْلُوقِ بِسَخَطِ الْخالِقِ ، فَتَبَوَّأْ مَقْعَدَكَ مِنَ النّارِ .

والتفت إلى يزيد فقال له : **أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَصعَدَ هٰذِهِ الْأَعوادَ فَأَتَكَلَّمُ بِكَلِماتٍ فِيهِنَّ للهِ رِضاً ، وَلِهٰؤلَاءِ الْجالِسِينَ أَجْرٌ وَثَوابٌ ؟**

وبهت الحاضرون وبهروا من هذا الفتى العليل الذي ردّ على الخطيب والأمير ، وقد رفض يزيد إجابته ، فألحّ عليه الجالسون بالسماح له ، ويعتبر ذلك بداية وعي عند أهل الشام .

فقال يزيد لهم : إن صعد المنبر لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان .

فقالوا له : وما مقدار ما يحسن هذا العليل ؟ !

إنّهم لا يعرفونه ، وحسبوا أنّه لا يحسن شيئاً ، ولكن الطاغية يعرفه حقاً ، فقال لهم : إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّاً .

وأخذوا يلحّون عليه ، فانصاع لقولهم وسمح للإمام زين العابدين عليه السلام ، فاعتلى أعواد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم إنّه خطب خطبة عظيمة أبكى منها العيون ، وأوجل منها القلوب ، وكان من جملة ما قاله :

« أَيُّها النّاسُ ، أُعطِينا سِتّاً ، وَفُضِّلْنا بِسَبعٍ ، أُعْطِينا الْعِلْمَ ، وَالْحِلْمَ ، وَالسَّماحَةَ ، وَالْفَصاحَةَ ، وَالشَّجاعَةَ ، وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤمِنِينَ ، وَفُضِّلْنا بِأَنَّ مِنّا النَّبِيَّ الْمُخْتارَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله ، وَمِنّا الصِّدِّيقَ ، وَمِنّا الطَّيّارَ ، وَمِنّا أَسَدَ اللهِ وَأَسَدَ الرَّسُولِ ، وَمِنّا سَيِّدَةَ نِساءِ الْعالَمِينَ فاطِمَةَ الْبَتُولَ ، وَمِنّا [سِبْطَيْ] هٰذِهِ الْأُمَّةِ [وَسَيِّدَي] شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

فَمَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي أَنْبَأْتُهُ بِحَسَبِي وَنَسَبِي ، أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمِنىٰ ، أَنا ابْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفا ، أَنا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ بِأَطْرافِ الرِّداءِ ، أَنا ابْنُ خَيْرِ مَنْ ائْتَزَرَ وَارْتَدىٰ ، أَنا ابْنُ خَيْرِ مَنِ انْتَعَلَ وَاحْتَفىٰ ،

أَنا ابْنُ خَيْرِ مَنْ طافَ وَسَعىٰ ، أَنا ابْنُ خَيْرِ مَنْ حَجَّ وَلَبّىٰ ، أَنا ابْنُ مَنْ حُمِلَ عَلَى الْبُراقِ في الْهَواءِ ، أَنا ابْنُ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقصىٰ فَسُبْحانَ مَنْ أَسْرىٰ ، أَنا ابْنُ مَنْ بَلَغَ بِهِ جَبْرَئِيلُ إِلىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ ، أَنا ابْنُ مَنْ دَنا فَتَدَلّىٰ فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ ، أَنا ابْنُ مَنْ صَلّىٰ بِمَلَائِكَةِ السَّماءِ ، أَنا ابْنُ مَنْ أَوْحىٰ إِلَيْهِ الْجَلِيلُ ما أَوْحىٰ ، أَنا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفىٰ ، أَنا ابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضىٰ ، أَنا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ خَراطِيمَ الْخَلْقِ حَتّىٰ قالُوا لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ .

أَنا ابنُ مَنْ ضَرَبَ بَينَ يَدَي رَسُولِ اللهِ بِسَيفَينِ ، وَطَعَنَ بِرُمحَين ، وَهاجَرَ الهِجرَتَينِ ، وَبايَعَ البَيعَتَينِ ، وَصَلَّى القِبْلَتَينِ ، وَقاتَلَ بِبَدرٍ وَحُنَينٍ ، وَلَم يَكفُرْ بِاللهِ طَرفَةَ عَينٍ .

أَنا ابْنُ صالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوارِثِ النَّبِيِّينَ ، وَقاطِعِ الْمُلْحِدِينَ ، وَيَعْسُوبِ الْمُسْلِمِينَ ، وَنُورِ الْمُجاهِدِينَ ، وَزَيْنِ الْعابِدِينَ ، وَتاجِ الْبَكّائِينَ ، وَأَصْبَرِ الصّابِرِينَ ، وَأَفْضَلِ الْقائِمِينَ مِنْ آلِ ياسِينَ رَسُولِ رَبِّ الْعالَمِينَ .

أَنا ابْنُ الْمَؤَيَّدِ بِجَبْرَئِيلَ الْمَنْصُورِ بِمِيكائِيلَ ، أَنا ابْنُ الْمُحامِي عَنْ حُرَمِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقاتِلِ النّاكِثِينَ وَالْقاسِطِينَ وَالْمارِقِينَ ، وَالْمُجاهِدِ أَعْداءَهُ النّاصِبِينَ ، وَأَفخَرِ مَنْ مَشىٰ مِنْ قُرَيْشٍ أَجْمَعِينَ ، وَأَوَّلِ مَنْ أَجابَ وَاسْتَجابَ لِلّٰهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَقْدَمِ السّابِقِينَ ، وَقاصِمِ الْمُعْتَدِينَ ، وَمُبِيرِ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَهْمٍ مِنْ مَرامِي اللهِ عَلَى الْمُنافِقِينَ ، وَلِسانِ حِكْمَةِ

الْعابِدِينَ. ناصِرِ دِينِ اللهِ، وَوَلِيِّ أَمْرِ اللهِ، وَبُسْتانِ حِكمَةِ اللهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِ اللهِ.

سَمِحٌ سَخِيٌّ، بُهْلُولٌ زَكِيٌّ أَبْطَحِيٌّ، رَضِيٌّ مَرْضِيٌّ، مِقْدامٌ هُمامٌ، صابِرٌ صَوّامٌ، مُهَذَّبٌ قَوّامٌ، شُجاعٌ قَمْقامٌ، قاطِعُ الْأَصْلَابِ، وَمُفَرِّقُ الْأَحْزابِ، أَرْبَطُهُمْ جَناناً، وَأَطْلَقُهُمْ عِناناً، وَأَجْرَأُهُمْ لِساناً، وَأَمْضاهُمْ عَزِيمَةً، وَأَشَدُّهُمْ شَكِيمَةً، أَسَدٌ باسِلٌ، وَغَيْثٌ هاطِلٌ، يَطْحَنُهُمْ في الْحُرُوبِ وَيَذْروهُمْ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ، لَيْثُ الْحِجازِ، وَصاحِبُ الْإِعْجازِ، وَكَبْشُ الْعِراقِ، الْإِمامُ بِالنَّصِّ وَالْإِسْتِحْقاقِ، مَكِّيٌّ مَدَنِيٌّ، أَبْطَحِيٌّ تُهامِيٌّ، خَيْفِيٌّ عَقَبِيٌّ، بَدْرِيٌّ أُحُدِيٌّ، وَشَجَرِيٌّ مُهاجِرِيٌّ. مِنَ الْعَرَبِ سَيِّدُها، وَمِنَ الْوَغىٰ لَيْثُها. وارِثُ الْمَشْعَرَيْنِ، وَأَبُو السِّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، مُظْهِرُ الْعَجائِبِ، وَمُفَرِّقُ الْكَتائِبِ، وَالشِّهابُ الثّاقِبِ، وَالنُّورُ الْعاقِبِ، أَسَدُ اللهِ الْغالِبُ، مَطْلُوبُ كُلِّ طالِبٍ، غالِبُ كُلِّ غالِبٍ، ذاكَ جَدِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالِبٍ.

أَنا ابْنُ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ، أَنا ابْنُ سَيِّدَةِ النِّساءِ، أَنا ابْنُ الطُّهْرِ الْبَتُولِ، أَنا ابْنُ بَضْعَةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وآله.

أَنا ابْنُ الْمُرَمَّلِ بِالدِّماءِ، أَنا ابْنُ ذَبِيحِ كَرْبَلاءَ، أَنا ابْنُ مَنْ بَكىٰ عَلَيْهِ الْجِنُّ في الظَّلْماءِ، وَناحَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ في الْهَواءِ[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ١٣٧ ـ ١٣٩. نفس المهموم: ٤١٠ و ٤١١. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٦٩ ـ ٧١.

ولم يزل عليه السلام يقول : أنا ، حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب ، وخشي الطاغية من وقوع الفتنة وحدوث ما لا تحمد عقباه ، فقد أوجد خطاب الإمام زين العابدين عليه السلام انقلاباً فكرياً في مجلس الطاغية ، وقد بادر بالإيعاز إلى المؤذّن أن يؤذّن ليقطع على الإمام السجاد عليه السلام كلامه ، فصاح المؤذّن : « الله أكبر » .

فقال عليه السلام : **كَبَّرْتَ كَبِيراً لَا يُقاسُ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَواسِّ ، لَا شَيْءَ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ** .

فلمّا قال المؤذّن : أشهد أن لا إله إلّا الله .

قال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام : **شَهِدَ بِها شَعْرِي وَبَشَرِي ، وَلَحْمِي وَدَمِي ، وَمُخِّي وَعَظْمِي** .

ولمّا قال المؤذّن : أشهد أنّ محمّداً رسول الله .

التفت عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى يزيد ، فقال له :

يا يَزِيدُ ، مُحَمَّدٌ هٰذا جَدِّي أَمْ جَدُّكَ ؟ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ جَدُّكَ فَقَدْ كَذِبْتَ ، وَإِنْ قُلتَ : إِنَّهُ جَدِّي فَلِمَ قَتَلْتَ عِتْرَتَهُ ؟[١] .

ووجم يزيد ولم يطق جواباً ، واستبان لأهل الشام أنّهم غارقون في الجهالة والضلالة ، وأنّ الحكم الأموي قد جهد على غوايتهم وشقائهم .

وقد اقتصر الإمام السجاد عليه السلام في خطابه على التعريف بأُسرته ونفسه ، ولم يعرض لشيء آخر ، وقد كان ذلك من أروع صور الالتفاتات وأدقّها وأعمقها ، فقد كان المجتمع الشامي لا يعرف شيئاً عن أهل البيت عليهم السلام فقد أخفت السلطة كل شيء عنهم ، وغذّتهم بالولاء لبني أُمية والحقد على أهل البيت عليهم السلام .

---

(١) الفتوح : ٥ : ١٣٣ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٦٩ ـ ٧١ .

صدى الخطاب

وأثّر خطاب الإمام تأثيراً بالغاً في أوساط أهل الشام ، فقد جعل بعضهم ينظر إلى بعض ويسر بعضهم إلى بعض بما آلوا إليه من الخيبة والخسران ، حتى تغيّرت أحوالهم مع يزيد[١] ، وأخذوا ينظرون إليه نظرة احتقار وازدراء .

الشامي مع يزيد

ونظر بعض أهل الشام إلى السيدة فاطمة بنت الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام[٢] ـ أو بنت الإمام الحسين عليهما السلام[٣] ـ فقال ليزيد : هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي .

وسرت الرعدة بجسمها ، فاحتمت بعمّتها العقيلة زينب مستجيرة بها ، وانبرت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله فصاحت بالرجل : كذبت ولؤمت ، ما ذلك لك ، ولا لأميرك .

واستشاط يزيد غضباً لعدم مبالاة العقيلة به واستهانتها بشأنه .

فقال لها : كذبتِ ، إنّ ذلك لي ، ولو شئت لفعلت .

فنهرته العقيلة متحدّية له قائلة : كلا والله ، ما جعل لك ذلك ، إلّا أن تخرج من ملّتنا ، وتدين بغير ديننا .

وتميّز الطاغية غيظاً حيث تحدّته العقيلة أمام أشراف أهل الشام فصاح بها : إيّاي تستقبلين بهذا ؟ إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك .

وانبرت العقيلة غير حافلة بسلطانه ولا بقدرته على البطش والانتقام ، فردت عليه بثقة قائلة: بدين الله ودين أبي وجدّي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً .

---

(١) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام : ١٢٨ .

(٢) المنتظم : ٥ : ٣٤٣ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩٦ .

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٦٢ .

وأزالت العقيلة بهذا الكلام الستار الذي تستّر به يزيد بقتله للحسين عليه السلام وأهل بيته من أنّهم خوارج خرجوا على إمام زمانهم.

ولم يجد الرجس جواباً فقال وهو مغيظ محنق: كذبتِ يا عدوّة الله.

ولم تجد شقيقة الإمام الحسين عليه السلام جواباً تحسم به مهاترات يزيد غير أنّها قالت: أنت أمير مسلّط، تشتم ظلماً، وتقهر بسلطانك.

وتهافت غضب الطاغية وأطرق برأسه إلى الأرض، وأعاد الشامي كلامه إلى يزيد وكرر الشامي هذه المحاورة وفاطمة شديدة اللصوق بعمتها، فصاح به يزيد: وهب الله لك حتفاً قاضياً[1].

لقد احتفظت عقيلة الوحي بقواها الذاتية في تلك المحن الشاقّة، وقابلت أعداء الإسلام بإرادتها الصلبة الواعية التي ورثتها من جدّها الرسول صلى الله عليه وآله.

يقول بعض الكتّاب: وقد حققت زينب وهي في ضعفها واستكانتها أول نصر حاسم على الطغاة، وهم في سلطانهم وقوّتهم، فقد أفحمته المرّة بعد المرّة، وقد أظهرت للملأ جهله، كما كشفت عن قلة فقهه في شؤون الدين فإنّ نساء المسلمين لا يصح مطلقاً اعتبارهن سبايا ومعاملتهن معاملة السبي في الحروب.

وأكبر الظنّ أنّ هذا الخطاب من الشامي كان فاتحة انتقاد ليزيد، وبداية لتسرب الوعي عند الشاميين، وآية ذلك أنّه كان يكفيه ردّ الحوراء على يزيد بذلك الردّ الذي أخرجته عن ربقة الإسلام إن استجاب لطلب الشامي، ووقوع الشجار العنيف بين الحوراء ويزيد، ممّا يشعر منه أنّ طلب الشامي كان مقصوداً لأجل بلورة الرأي العام وفضح يزيد، لا سيما أنّ هذا الطلب كان بعد خطاب السيدة زينب وخطاب الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد أحدثا وعياً عاماً وموجة عاتية من السخط في مجلس يزيد.

---

(١) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢١. بحار الأنوار: ٤٥: ١٣٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٦. تاريخ مدينة دمشق: ٦٩: ١٧٧. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٩٩.

الإمام السجّاد عليه السلام مع المنهال

والتقى الإمام زين العابدين عليه السلام بالمنهال بن عمرو فبادر إليه قائلاً: كيف أمسيت يابن رسول الله ؟

قال عليه السلام : **أَمْسَيْنا كَبَني إِسْرائِيلَ في آلِ فِرْعَوْنَ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَهُمْ . يا مِنْهالُ ، أَمْسَتِ الْعَرَبُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْعَجَمِ بِأَنَّ مُحَمَّداً مِنْهُمْ ، وَأَمْسَتْ قُرَيْشٌ تَفتَخِرُ عَلَى سائِرِ الْعَرَبِ بَأَنَّ مُحَمَّداً مِنها ، وَأَمْسَيْنا أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ مَغْصُوبُونَ مَظْلُومُونَ ، مَقْهُورُون مُقَتَّلُونَ ، مَثْبُورُونَ مَطْرُودُونَ فَإِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ**[1] .

لقد كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله المصدر الأصيل لشرف الأُمّة العربية الذي تفتخر به ، فهو الذي خطط للعرب حياة سادوا فيها جميع شعوب الأرض ، وبنى لهم دولة كانت من أعزّ دول العالم وأمنعها ، فكان جزاؤه منهم أن عمدت قريش التي تفاخر العرب بأنّ محمّداً منها إلى قتل ذرّيته واستئصال شأفتهم وسبي نسائهم ، فهل هذا هو جزاء المنقذ والمحرر لهم ؟ !

النياحة على الإمام الحسين عليه السلام

وطلبت بنات رسول الله صلى الله عليه وآله من الطاغية أن يفرد لهنّ بيتاً ليقمن فيه مأتماً على سيد الشهداء ، فقد نخر الحزن قلوبهن ، ولم يكن بالمستطاع أن يبدين بما ألمّ بهنَّ من عظيم الأسى والشجون خوفاً من الجلاوزة الجفاة الذين جهدوا على منعهن من البكاء والنياحة على أبي عبدالله . وقد أُثرَ عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال : «**كُلَّما دَمِعَتْ عَيْنُ واحِدٍ مِنّا قَرَعُوا رَأْسَهُ بِالرُّمْحِ**» .

واستجاب يزيد لذلك فأفرد لهن بيتاً ، فلم تبقَ هاشمية ولا قرشية إلّا لبست

---

(١) الفتوح : ٥: ١٣٣ . مقتل الحسين عليه السلام /الخوارزمي : ٢: ٧٢. تاريخ مدينة دمشق : ٤١: ٣٩٦.

السواد حزناً على الإمام الحسين عليه السلام، وخلدن بنات الرسالة إلى النياحة سبعة أيام، وهنّ يندبن سيد الشهداء بأشجى ندبة[١]، وينحن على الكواكب من نجوم آل عبد المطلب، وقد ذابت الأرض من حرارة دموعهن.

مكافأة ابن مرجانة

وشكر الطاغية يزيد لابن مرجانة قتله ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وبالغ في تقديره وتكريمه[٢]، فاستدعاه للحضور عنده في دمشق ليجازيه على ذلك، وكتب إليه ما يلي: «أمّا بعد، فإنّك قد ارتفعت إلى غاية أنت فيها، كما قال الأوّل:

رُفِعتَ فَجاوَزتَ السَّحابَ وَفَوقَهُ ... فَمَا لَكَ إِلَّا مُرتَقَى الشَّمسِ مَقعَدُ

فإذا وقفت على كتابي فأقدم عليَّ لأُجازيك على ما فعلت»[٣].

وسافر الوضيع ابن زياد مع أعضاء حكومته إلى دمشق، ولمّا انتهى إليها خرج لاستقباله جميع بني أُمية، ولمّا دخل على يزيد قام إليه واعتنقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه على سرير ملكه، وقال للمغنّي غنِّ وللساقي اسقِ: ثمّ قال:

إِسقِنِي شُربَةً تُرَوِّي فُؤادِي ... ثُمَّ مِلْ وَاسقِ مِثلَها ابْنَ زِيادِ

صاحِبَ السِّرِّ وَالأَمانَةِ عِنْدِي ... وَلِتَسدِيدِ مَغنَمِي وَجِهادِي

قاتِلَ الخارِجِي أَعْنِي حُسَيناً ... وَمُبِيدَ الأَعداءِ وَالحُسّادِ[٤]

وأقام ابن مرجانة شهراً فأوصله بألف ألف درهم[٥]، ومثلها لعمر بن سعد،

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ١٩٦. عوالم العلوم: ١٧: ٤٢٢. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٨.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ٣٠٠.

(٣) شرح الأخبار: ٣: ٢٥٣.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٦٠.

(٥) الفتوح: ٥: ١٣٥.

وأطلق له خراج العراق سنة[١]، وقد بالغ في مودته فأدخله على نسائه وعياله[٢]، ولمّا وفد أخوه مسلم بن زياد على يزيد بجّله وكرّمه تقديراً لأخيه عبيد الله، وقال له: لقد وجبت محبتكم على آل أبي سفيان. ونادمه يومه بأسره، وولاه بلاد خراسان[٣].

لقد شكر لآل زياد إبادتهم آل رسول الله، وقد حسب أنّهم قد مهّدوا له الملك والسلطان، ولم يعلم أنّهم هدموا ملكه ونسفوا سلطانه وأخلدوا له الخزي والعار.

ندم الطاغية

وبعد أن نقم المسلمون على الطاغية بقتله لريحانة رسول الله ﷺ ندم على ذلك وحاول أن يلصق تبعة تلك الجريمة بابن مرجانة، وراح يقول: ما كان عليّ لو احتملت الأذى وأنزلته ـ يعني الحسين ـ معي في داري، وحكّمته فيما يريد، وإن كان عليّ في ذلك وكف ووهن في سلطاني حفظاً لرسول الله ﷺ ورعاية لحقّه وقرابته؟! لعن الله ابن مرجانة فقد بغّضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فبغضني البَرُّ والفاجر بما استعظم الناس في قتلي حسيناً، مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه[٤].

وأكبر الظن أنّه إنّما قال ذلك ليبرّئ نفسه من المسؤولية أمام المسلمين، ولو كان نادماً في قرارة نفسه لانتقم منه وعزله، ولما شكره وأجزل له العطاء وقرّبه، فقد روى البلاذري أنّ يزيد كتب إلى ابن زياد:

«أمّا بعد، فزد أهل الكوفة أهل السمع والطاعة في أُعطياتهم مائة مائة»[٥]؛

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٦٠. ينابيع المودّة: ٣: ٢٩. الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ: ٨٥.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ١٠٦.

(٣) الفتوح: ٥: ١٣٦.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٥. الكامل في التاريخ: ٣: ٣٠٠.

(٥) أنساب الأشراف: ٣: ٤٢٠.

وذلك ممّا يدل على رضاه وعدم ندمه فيما اقترفه .

قال الدكتور طه حسين في (الفتنة الكبرى) : « والرواة يزعمون أنّ يزيد تبرّأ من قتل الحسين وألقى عبء هذا الإثم على ابن مرجانة عبيدالله بن زياد ، ولكنّا لا نراه لام ابن زياد ولا عاقبه ولا عزله عن عمله كلّه أو بعضه ، ومن قبله قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه ثمّ ألقى عبء قتلهم على زياد ، وقال : حمّلني ابن سميّة فاحتملت »[١] .

المنكرون والناقمون

وسخط المسلمون وغيرهم أشدّ ما يكون السخط على يزيد على قتله لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أنكر عليه جمع من الأحرار ، وفيما يلي بعضهم :

١ ـ ممثل ملك الروم

وكان في مجلس يزيد ممثل ملك الروم ، فلمّا رأى رأس الإمام الحسين عليه السلام بين يديه بهر من ذلك وراح يقول له : رأس من هذا ؟

- رأس الحسين .
- مَن الحسين ؟
- ابن فاطمة .
- مَن فاطمة ؟
- بنت رسول الله .
- نبيّكم ؟!
- نعم .

---

(١) الفتنة الكبرى ، عليّ وبنوه (ضمن المجموعة الكاملة) : ٤ : ٦٧٠ .

وفزع من ذلك وصاح به : تبّاً لكم ولدينكم ، وحقّ المسيح إنّكم على باطل ، إنّ عندنا في بعض الجزائر ديراً فيه حافر حمار ركبه المسيح فنحن نحجّ إليه في كل عام من مسيرة شهور وسنين ، ونحمل إليه النذور والأموال ، ونعظّمه أكثر ممّا تعظمون كعبتكم ، أفٍ لكم »[١].

ثمّ قام من عنده وهو غضبان قد أفزعه ذلك المنظر الرهيب .

٢ ـ حبر يهودي

وكان حبر يهودي في مجلس الطاغية ، فلمّا خطب الإمام زين العابدين عليه السلام خطبته البليغة التي أثارت الحماس وأيقظت المجتمع ، التفت الحبر إلى يزيد قائلاً : من هذا الغلام ؟

- عليّ بن الحسين .
- مَن الحسين ؟
- ابن عليّ بن أبي طالب .
- مَن أُمّه ؟
- بنت محمّد .

يا سبحان الله ! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه ، بئسما خلفتموه في ذريته ، فوالله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً لظننت أنّا كنّا نعبده من دون ربّنا ، وأنتم فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه وقتلتموه ، سوءة لكم من أُمّة .

وغضب الطاغية وأمر به فوجئ[٢] في حلقه ، فقام الحبر وقد رفع عقيرته قائلاً :

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٧٢ و ٧٣. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ١٠١. تذكرة الخواص : ٢٣٦. الصواعق المحرقة : ١٩٩. الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ : ٨٩.

(٢) **وجِئ** : ضَرَبَ ودقّ ـ لسان العرب : ١٥ : ٢١٤ ـ وجأ .

إن شئتم فاقتلوني ، إنّي وجدت في التوراة من قتل ذرية نبي فلا يزال ملعوناً أبداً ما بقي ، فإذا مات أصلاه الله نار جهنم[١] .

٣ ـ قيصر ملك الروم

وتوالت صيحات الإنكار على يزيد ، وكان ممّن أنكر عليه قيصر ملك الروم ، فقد كتب إليه : قتلتم نبياً أو ابن نبيّ[٢] .

٤ ـ رأس الجالوت

ومن الناقمين على يزيد رأس الجالوت ، فقد قال لمحمد بن عبد الرحمن : إنّ بيني وبين داود سبعين أباً ، وإنّ اليهود تعظّمني وتحترمني ، وأنتم قتلتم ابن بنت نبيكم[٣] .

٥ ـ واثلة بن الأسقع

ولما جيء برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الشام كان الصحابي واثلة بن الأسقع هناك فتميّز غيظاً ، فالتقى به رجل من أهل الشام ، فاندفع يقول : لا أزال أُحبّ علياً والحسن والحسين وفاطمة أبداً بعدما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيهم ما قال .

قال : ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم ؟

فقال : جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في منزل أُمّ سلمة ، فجاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبّله ثم جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبّله ،

---

(١) الفتوح : ٥ : ١٣٢ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٧١ . الحدائق الورديّة : ١ : ١٣١ .

(٢) المحاسن والمساوئ / البيهقي : ١ : ٤٦ .

(٣) الطبقات الكبرى : ٨٨ . العقد الفريد : ٤ : ٣٨٣ . تذكرة الخواص : ٢٣٦ . جواهر المطالب : ١٣٦ . الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ : ٩٠ .

ثمّ جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه ، ثمّ دعا بعليّ فجاء ، وجعل عليهم كساءً خيبرياً كأنّي أنظر إليه ، ثمّ قال : « ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ البَيْتِ وَيُطَهِرَكُم تَطهِيراً**﴾[1] »[2].

٦ ـ ابن عباس

ومن أشدّ الناقمين على يزيد عبدالله بن عباس ، فقد كتب إليه يزيد يستميل ودّه ويطلب منه مؤازرته على ابن الزبير ، فكتب إليه ابن عباس هذه الرسالة :

« أمّا بعد ، فقد جاءني كتابك ، فأمّا تركي بيعة ابن الزبير فوالله ما أرجو بذلك برَّك ولا حمدك ؛ لكنّ الله بالذي أنوي عليم ، وزعمت أنّك لست بناسٍ برّي ، فاحبس أيّها الإنسان برّك عنّي فإنّي حابس عنك برّي ، وسألت أن أُحبب الناس إليك ، وأُبغّضهم وأُخذّلهم لابن الزبير فلا ولا سرور ولا كرامة ، كيف وقد قتلت حسيناً وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام ؟! غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرمّلين بالدماء ، مسلوبين بالعراء ، مقتولين بالظماء ، لا مكفّنين ولا موسّدين ، تسفي عليهم الرياح ، وينشئ بهم عرج البطاح ، حتى أتاح الله لهم بقوم لم يشركوا في دمائهم كفّنوهم وأجنّوهم[3] ، وبي والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست .

فما أنسى من الأشياء فلست بناس اطّرادك حسيناً من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حرم الله ، وتسييرك الخيول إليه ، فما زلت بذلك حتى أشخصته إلى العراق فخرج

---

(١) الأحزاب ٣٣ : ٣٣.

(٢) العمدة / ابن البطريق : ٣٤. شواهد التنزيل : ٢ : ٤٣ و ٤٤ ، الحديث ٦٩٠. أُسد الغابة : ١ : ٤٩٨.

(٣) **أجنّوهم** : ستروهم ـ القاموس المحيط : ٤ : ٢١٠ ـ جنن .

خائفاً يترقّب ، فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، فطلب إليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته ، وتعاونتم عليه كأنّكم قتلتم أهل بيت من الترك والكفر ، فلا شيء أعجب عندي من طلبتك ودّي وقد قتلت ولد أبي ، وسيفك يقطر من دمي ، وأنت أحد ثاري ، ولا يعجبك أن ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوماً ، والسلام »[١] .

وحفلت هذه الرسالة باتهام يزيد بأنّه الذي أشخص الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق ليقتله ، وأنّه لم يخرج إلّا لمطاردة جيوش يزيد في المدينة وفي مكة ، ولم يكن خروجه إلى العراق استجابة منه لأهل الكوفة ، وإنّما أرغمته جيوش يزيد على ذلك . وهناك رسالة من يزيد إلى ابن الحنفية واجتماعه به وما دار بينهما ذكرها الخوارزمي (في مقتل الحسين عليه السلام)[٢] .

٧ـ ابن الزبير

ومن المنكرين على الأُمويين عبدالله بن الزبير بقتلهم للإمام الحسين عليه السلام ، فقد خطب في مكة فقال : « إنّ أهل العراق غدر فجر ، وإنّ أهل الكوفة شرار أهل العراق ، وإنّهم دعوا حسيناً لينصروه ويولّوه عليهم ، فلمّا قدم عليهم ثاروا عليه فقتلوه ، وقالوا له : أمّا أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية فيمضي فيك حكمه ، وأمّا أن تحارب ؛ فرأى واللهِ أنّه هو وأصحابه قليل في كثير ، وإن كان الله عزّ وجلّ لم يطلع على الغيب أحداً أنّه مقتول ، ولكنّه اختار الميتة الكريمة على

---

(١) تذكرة الخواص : ٢٤٧ و ٢٤٨ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٣١٨ . ورواه اليعقوبي في تاريخه : ٢ : ١٦٢ و ١٦٤ . بصورة أخرى ذكر فيه الأحداث المروعة التي اقترفها معاوية ويزيد .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٧٩ .

الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً وأخزى قاتله ...»[١].

وإنّما أبدى ابن الزبير الأسى على قتل الإمام الحسين عليه السلام تصنّعاً وتقرّباً لعامة المسلمين ، فقد كان في قرارة نفسه مسروراً ؛ لأنّه تخلّص من أعظم مناوئيه ، ولو كان مؤمناً بما قاله لما آوى قتلة الحسين ، فقد ركن إليه والتحق به كل من سلم من قبضة المختار كشبث بن ربعي وغيره ، وقد رحب بهم وزج بهم لقتال المختار .

٨ ـ عبدالله بن عمر

ومن الناقمين على يزيد في قتله الحسين عليه السلام عبدالله بن عمر قال الشيخ المجلسي : قال العلامة رحمه الله : روى البلاذري قال : لمّا قتل الحسين عليه السلام كتب عبدالله ابن عمر إلى يزيد بن معاوية : أمّا بعد ، فقد عظمت الرزيّة ، وجلّت المصيبة ، وحدث في الإسلام حدث عظيم ، ولا يوم كيوم الحسين .

فكتب إليه يزيد : أمّا بعد ، يا أحمق ، فإنّنا جئنا إلى بيوت منجّدة وفرش ممهّدة ووسائد منضّدة فقاتلنا عنها ، فإن يكن الحق لنا فعن حقّنا قاتلنا ، وإن يكن الحق لغيرنا فأبوك أوّل مَن سنّ هذا وابتزّ واستأثر بالحق على أهله[٢] .

نقل البلاذري عن ابن أبي نعيم قال : سأل رجل ابن عمر عن دم البعوض يصيب المحرم ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : أنا من أهل العراق ، قال : واعجباً من قوم يسألون عن دم البعوض وقد سفكوا دم ابن بنت نبيّهم[٣] .

٩ ـ أبو برزة

ومن المنكرين على يزيد الصحابي أبو برزة الأسلمي حينما رآه ينكت بمخصرته

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٦٧ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٠٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٥ : ٣٢٨ .

(٣) أنساب الأشراف : ٣ : ٢٢٧ .

رأس الإمام الحسين عليه السلام ، وقد أشرنا إلى حديثه في البحوث السابقة .

١٠ ـ الحسن البصري

ومن الناقمين على الحكم الأموي الحسن البصري فإنّه حينما بلغه مقتل الحسين عليه السلام بكى وانتحب ، وقال : واحسرتاه ماذا لقيت هذه الأُمّة ؟! قَتَلَ ابن دعيّها ابن نبيّها ، اللهم كن له بالمرصاد ﴿**وَسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[١] .

١١ ـ الربيع بن خُثَيم

وذكر أنّ الربيع مكث عشرين سنة لايتكلم إلى أن قتل الحسين عليه السلام فسُمعت منه كلمة واحدة . قال لمّا بلغه ذلك : أوقد فعلوها ؟! ثمّ قال : ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّماوَاتِ وَالأَرضِ عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَينَ عِبَادِكَ فِيَما كَانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾[٢] ، ثمّ عاد إلى السكوت حتى مات[٣] .

١٢ ـ الأُسرة الأُموية

وتفاقم الأمر على يزيد ، وتوالت عليه صيحات المنكرين ، فقد نقمت عليه أُسرته ، ومن بينها :

١ ـ يحيى بن الحكم

وكان من أشدّ المنكرين عليه يحيى بن الحكم ، فقد نقده في مجلسه ، وقد دفع يزيد في صدره وأوعز إلى شرطته بإخراجه ، وقد ذكرنا نصّ كلامه فيما تقدّم .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٦ : ٦٥٥ . الشعراء ٢٦ : ٢٢٧ .

(٢) الزمر ٣٩ : ٤٦ .

(٣) شرح الأخبار : ٣ : ١٧٢ . الطبقات الكبرى : ٦ : ١٩٠ . شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٧ : ٩٣ .

٢ ـ عاتكة بنت يزيد

وأنكرت عليه عاتكة ابنته حينما أرسل الرأس إلى حرمه ونسائه فأخذته عاتكة فطيبته ، وقالت : رأس ابن عمّي ، وقد أشرنا إلى كلامها في البحوث السابقة .

٣ ـ هند بنت عبدالله

وكانت هند بنت عبدالله بن عامر في بيت أميرالمؤمنين علي عليه السلام حين قتل أبوها عبدالله في حروب المسلمين وربّاها علي عليه السلام حتى كبرت ، ثمّ صارت بعد قتله في بيت ابنه الحسن عليه السلام ، ثمّ زوّجها معاوية لابنه يزيد[١] ، وقد نقمت هند هذه على زوجها يزيد فقد فزعت إلى مجلسه وهي مذعورة وقد رفعت صوتها : رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على باب دارنا **!**

فأسرع إليها الطاغية ، وأسدل عليها حجابها ، وقال لها : فاعولي عليه يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش عجّل عليه ابن زياد[٢] .

٤ ـ معاوية بن يزيد

وذكر السيد هاشم معروف في كتابه (سيرة الأئمة) : أنّ معاوية بن يزيد بكى بكاءً شديداً ولمّا سئل عن سبب بكائه وحزنه ، قال : لا أبكي على ما فات وإنّما أبكي كمداً على ما سيأتي على بني أُميّة[٣] .

ونقم معاوية على أبيه يزيد كما نقم على جدّه معاوية ، وقد رفض الخلافة وزهد في الحكم ، وقد خطب في أهل الشام فندد في جدّه وأبيه ، وقال : ألا إنّ جدّي

---

(١) زينب بن عليّ / عبدالعزيز سيد الأهل : ٩.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٦٥٨ و ٦٥٩. تاريخ مدينة دمشق : ٦٢ : ٨٤ و ٨٥. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٧٤.

(٣) سيرة الأئمّة الاثني عشر / الحسني : ٢ : ٨١.

معاوية نازع الأمر مَن كان أولى به منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وقديمه وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً، وأوّلهم إيماناً، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج ابنته، جعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، فهما بقية رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النبيين، فركب جدّي منه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه، ثمّ قلّد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه.

ثمّ بكى وقال: إنّ من أعظم الأُمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وأباح الحرم وخرب الكعبة[1].

وتهدّم ملك آل أبي سفيان على يد معاوية بن يزيد، وما كان ينشده جدّه من استقرار الملك ودوامه في بيته، فقد نسف قتل الإمام الحسين عليه السلام جميع ما أسسه معاوية وبناه يزيد، فقد أحلّ ملكهم دار البوار.

ويقول المؤرخون: إنّ بني أُمية قد قامت قيامتهم على أثر خطاب معاوية الذي فضح فيه جدّه وأباه، فعمدوا إلى مؤدبه عمر المقصوص فقالوا له: أنت علمته هذا، ولقنته إيّاه وصددته عن الخلافة وزيّنت له حبّ عليّ وأولاده، وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسّنت له البدع حتى نطق بما نطق، وقال بما قال.

فأنكر عمر ذلك، وقال: والله ما فعلته ولكنّه مجبول ومطبوع على حبّ عليّ، فلم يقبلوا ذلك منه وأخذوه فدفنوه حيّاً[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٦٩. جواهر المطالب: ١٣٣. النجوم الزاهرة: ١: ١٦٤. الصواعق المحرقة: ٢٢٤.

(٢) حياة الحيوان الكبرى / الدميري: ١: ٨٩.

٥ ـ عمر بن عبدالعزيز

وقال عمر بن عبدالعزيز : لو كنت ممّن قتل الحسين وقيل لي : ادخل الجنّة لما دخلتها خشية أن يراني رسول الله .

مخاريق وأباطيل

وحاول بعض المتعصبين لبني أمية قديماً وحديثاً تنزيه يزيد وتبريره من قتله لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وإلقاء التبعة والمسؤولية على ابن مرجانة ، وقد دعاهم لذلك الجهل والعصبية العمياء التي حرفتهم عن الحق وألقتهم في شرّ عظيم ، ومن بين هؤلاء :

١ ـ ابن تيمية

وعظم حظّ يزيد عند ابن تيمية ، فكان من أصلب المدافعين عنه ، فأنكر أن يكون قد أمر بقتل الحسين وبالغ بحرارة في الدفاع عنه ، وقال : « فيزيد لم يأمر بقتل الحسين ، ولا حمل رأسه بين يديه ، ولا نكت بالقضيب على ثناياه ، بل الذي جرى هذا منه هو عبيد الله بن زياد ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري ، ولا طيف برأسه في الدنيا ، ولا سبي أحد من أهل الحسين »[١] .

وهذا القول ممّا يدعو إلى السخرية والاستهزاء به ، فقد تنكّر للضرورات التي لا يشك فيها كل من يملك وعيه واختياره ، فقد أعرض عن جميع ما ذكره المؤرخون من اقتراف يزيد لهذه الجريمة النكراء التي لا يقره عليها من يحمل وعياً دينياً أو روحاً إسلامية .

وقد عرف ابن تيمية بالتعصب المقيت حتى أعرض عن آرائه كل باحث حرّ

---

(١) سؤال في يزيد بن معاوية / ابن تيميّة : ١٦ .

وكاتب في التاريخ والبحوث الإسلامية .

٢ ـ محمّد الغزّالي

ومن المؤسف أن الغزّالي قد هام حبّاً بيزيد ، وغالى في الإخلاص له والدفاع عنه ، فقال : « ما صح قتله ـ يعني يزيد للحسين ـ ولا أمره به ـ يعني لم يأمر يزيد بن مرجانة بقتله ـ ولا رضاه بذلك ، ومتى لم يصح ذلك عنده لم يجز أن يظن ذلك به ، فإنّ إساءة الظن بالمسلم حرام ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[1] »[2] .

وسفّ الغزّالي في كلامه على غير هدىً ، فقد تنكّر للبديهيات كما تنكّر لها زميله ابن تيمية ، فهؤلاء المؤرخون أجمعوا على أنّ يزيد هو الذي أوعز لابن مرجانة بقتل الإمام الحسين عليه السلام وشدد عليه في ذلك ، وهدده بنفيه من آل أبي سفيان وإلحاقه بجدّه عبيد الرومي إن لم يخلص في حربه للإمام الحسين عليه السلام ، والواقع الذي لا مراء فيه أنّ يزيد أمر بالقتل وابن زياد سمع وأطاع فجمع وجنّد وابن سعد قاد وباشر .

٣ ـ ابن العربي

وعرف ابن العربي بالبغض والكراهية لأهل البيت عليهم السلام ، وقد ذهب إلى أنّ يزيد إمام زمانه وخليفة الله في أرضه ، وخروج الإمام الحسين عليه السلام عليه كان غير مشروع ، وأنّ الحسين قتل بشريعة جدّه[3] .

إنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام على يزيد غير مشروع في نظر ابن العربي ، فماذا يقول في خروج معاوية على الخليفة الشرعي عليّ بن أبي طالب ؟ ! وقد بايعه الذين

---

(١) الحجرات ٤٩ : ١٢ .

(٢) وفيات الأعيان : ٣ : ٢٨٨ .

(٣) العواصم : ٢٣٢ .

بايعوا الخلفاء الثلاثة من المهاجرين والأنصار، ولا أدري كيف تمّت البيعة ليزيد ؟! فقد استعمل معاوية في سبيلها الوعد والوعيد والإرهاب والترغيب بكل ما أُوتي من الدهاء والأعوان.

حفنة من التراب عليه وعلى كل منحرف عن الحق وضالّ عن الطريق. بأيّ منطق كان يزيد القرود والفهود إمام المسلمين وخليفة الله في الأرض، أبقتله لسيد شباب أهل الجنة، أم بإباحته لمدينة الرسولﷺ وحرقه للكعبة كان إماماً للمسلمين ؟! وقد سمع عمر بن عبد العزيز شخصاً وصف يزيد بأميرالمؤمنين فأمر بضربه عشرين سوطاً[(١)].

إنّ الدفاع عن يزيد وإضفاء الشرعية على حكومته، وتبريره من الإثم في قتله لريحانة رسول اللهﷺ إنّما هو دفاع عن المنكر، ودفاع عن الباطل، فيزيد وأمثاله من حكام الأُمويين والعباسيين هم الذين عملوا على تأخير المسلمين وجرّوا لهم الفتن والخطوب وألقوهم في شرّ عظيم.

٤ ـ ابن حجر

وانكر ابن حجر الهيتمي رضا يزيد أو أمره بقتل الحسين[(٢)]، وقد ساقته العصبية العمياء إلى هذا القول الذي يتنافى مع البديهيات من أنّ ابن مرجانة كان مجرّد آلة من دون أن يكون له أيّ رأي أو إرادة في قتل الإمام الحسينعليه السلام، وقد قال لمسافر ابن شريح اليشكري: أمّا قتلي الحسين فإنّه أشار عليّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله[(٣)]، فلم يقدم ابن زياد على قتل الإمام الحسينعليه السلام إلّا بعد أن هدده يزيد بالقتل

---

(١) تهذيب التهذيب: ١١: ٣١٧. الصواعق المحرقة: ٢٢١. شذرات الذهب: ١: ٦٩.

(٢) الفتاوى الحديثة: ٩٣.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣: ٣٢٤.

إن لم يستجب له.

٥ ـ أنيس زكريّا

ودافع أنيس زكريا النصولي بحرارة عن يزيد، فقال: «لا شك أنّ يزيد لم يفكر البتة بقتل الحسين، ولم يأمل أن تتطور المسألة العلوية فتلعب هذا الدور المهيب، ويقدم ابن زياد للفتك به»(١).

٦ ـ الدكتور النجار

وممّن نزّه يزيد الدكتور محمّد النجّار فقال: «ولا يتحمّل يزيد بن معاوية شيئاً من هذه التبعة ـ يعني تبعة قتل الحسين ـ لأنّه على الرغم من أنّ تأريخه ملطّخ بالسواد إلّا أنّه ـ فيما يبدو ـ بريء من تهمة التحريض على قتل الحسين»(٢).

إنّ دفاع هؤلاء عن سيدهم يزيد كان مبعثه الروح الدموية المترعة بها نفوسهم، والحقد العارم لذرية رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

٧ ـ محمّد عزّة دروزة

ومن أصلب المدافعين عن يزيد في هذا العصر محمّد عزّة دروزة، فقد أشاد بيزيد ونزّهه من هذه الجريمة، كما نفى المسؤولية عن ابن زياد وسائر القوات المسلحة التي قتلت الحسين، وألقى باللائمة على الإمام الحسين عليه السلام، قال: «وليس هناك ما يبرر نسبة قتل الحسين إلى يزيد، فهو لم يأمر بقتاله فضلاً عن قتله، وكل ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل إلّا إذا قاتل، ومثل هذا القول يصح بالنسبة لعبيد الله ابن زياد، فكل ما أمر به أن يحاط به ولا يقاتل إلّا إذا قاتل، وأن يؤتى به ليضع يده

---

(١) الدولة الأموية في الشام: ٥٨.

(٢) الدولة الأُمويّة في الشرق: ١٠٤.

في يده أو يبايع ليزيد صاحب البيعة الشرعية ، بل إنّ هذا يصح قوله بالنسبة لأُمراء القوات المسلحة التي جرى بينها وبين الحسين وجماعته قتال ، فإنّهم ظلوا ملتزمين بما أُمروا به ، بل وكانوا يرغبون أشدّ الرغبة في أن يعافيهم الله من الابتلاء بقتاله فضلاً عن قتله ، ويبذلون جهدهم في إقناعه بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد ، فإذا كان الحسين أبى أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون وقاوم بالقوة فمقابلته وقتاله من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً »[1] .

ويرى دروزة أنّ قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة كان سائغاً من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية .

لا أكاد أعتقد أنّ السفاكين الجلاّدين من قتلة الإمام الحسين عليه السلام أكثر حقداً وعداءً عليه من هذا الإنسان الذي ران الباطل على ضميره فماج في تيارات سحيقة من المنكر والإثم .

آراء صائبة

١ ـ رأي الدكتور طه حسين

ويرى طه حسين أنّ يزيد مسؤول عن إراقة دماء الإمام الحسين عليه السلام ، وليس من الصحيح القول بأنّ تبعة هذه الجريمة ملقاة على ابن مرجانة ، قال : « والرواة يزعمون أنّ يزيد تبرّأ من قتل الحسين على هذا النحو فألقى عبء هذا الإثم على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد ، ولكنّا لا نراه لامَ ابن زياد ولا عاقبه ، ولا عزله عن عمله كله أو بعضه ، ومن قبله معاوية قتل حجر بن عدي وأصحابه ، ثمّ ألقى عبء قتلهم على زياد وقال : حمّلني ابن سمية فاحتملت »[2] .

---

(١) تاريخ الجنس العربي : ٨ : ٣٨٣ .

(٢) الفتنة الكبرى ، علي وبنوه (ضمن المجموعة الكاملة) : ٤ : ٦٧٠ .

إنّ ابن زياد لم يفعل ما فعل إلّا بأمر قاطع من يزيد ، ولو كان لم يرضَ بذلك لحاسبه على جريمته وما جلس وإياه في مجلس الشراب ، ولما أجزل له في العطاء فإنّ ذلك يدلّ على رضاه بقتل الحسين عليه السلام وعدم ندمه على مرارة المذبحة وهول الجناية .

وقال طه حسين في كتاب (الأدب والنقد) : « أمّا يزيد فقد كان صورة لجدّه أبي سفيان ، كان رجل عصبية وقوّة وفتك وسخط على الإسلام ، وما سنّه للناس من السنن »[١] .

٢ ـ رأي التفتازاني

قال التفتازاني : « اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر به أو أجازه أو رضي به ... والحق أنّ رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك ، وإهانته أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا تواتر معناه ، وإن كان تفصيله آحاداً ، فنحن لا نتوقّف في شأنه بل في كفره لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه »[٢] .

٣ ـ رأي اليافعي

ويقول العلامة اليافعي : « وأمّا حكم من قتل الحسين أو أمر بقتله ممّن استحل ذلك فهو كافر »[٣] .

٤ ـ رأي أحمد بن حنبل

وأفتى أحمد بن حنبل بالإمساك عن لعن يزيد ، يقول أبو طالب : سألت أحمد

---

(١) الأدب والنقد : ١ : ١٢٤ .

(٢) شذرات الذهب : ١ : ٦٨ و ٦٩ .

(٣) عنه في شذرات الذهب : ١ : ٦٩ .

عمّن نال من يزيد بن معاوية فقال: لا تتكلم في هذا، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لعن المؤمن كقتله[١]. ومن الغريب هذه الفتيا فقد جعل مدركها الحديث النبوي وهو لا ينطبق على يزيد، فإنّه لا نصيب له من الإيمان والإسلام بعد اقترافه للجرائم الفظيعة كإبادة العترة الطاهرة، وإباحة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وحرق الكعبة المقدّسة، فإنّ كل واحدة من هذه الموبقات تخرجه من حضيرة الإسلام.

وقد أنكر على أحمد ولده صالح فقد قال له: إنّ قوماً ينسبونا إلى تولي يزيد؟ فقال له: وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله؟

فقال له ولده: ولِمَ لا تلعنه؟

قال: ومتى رأيتني لعنت أحداً؟

فقال: يا أبةِ، ولِمَ لا يُلعن من لعنه الله في كتابه؟

قال: وأين لعن الله يزيد؟

فقال: في قوله تعالى: ﴿**فَهَل عَسَيتُم إنْ تَوَلَّيتُم أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وتُقَطِّعُوا أَرحَامَكم * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ**﴾[٢]، فهل يكون فساد أعظم من القتل؟! وأمسك أحمد عن الجواب[٣].

٥ ـ رأي المعتضد العباسي

وأصدر المعتضد العباسي كتاباً نشر فيه مخازي بني أُمية، وأشاد فيه بآل البيت عليهم السلام وأمر بإذاعته ونشره في النوادي الحكومية والشعبية والمجتمعات العامة أيام الجمعات والأعياد، وقد جاء فيه ممّا يخص يزيد:

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية / شمس الدين الحنبلي: ١: ٣٠٤.

(٢) محمّد صلى الله عليه وآله ٤٧: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ: ٩٥. الصواعق المحرقة: ٢٢٢.

ولمّا تكن الخلافة إلى يزيد طلب متحفزاً يطلب بثأر المشركين من المسلمين، فأوقع بأهل المدينة وقعة الحرّة، الوقعة التي لم تمرّ على البشرية مثلها، ولا على المسلمين أفضع وأبشع منها، فشفا عند نفسه غليله، وظنّ أنّه انتقم لأشياخه من أولياء الله، وبلغ الثأر لأعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله.

وأضاف يقول: ثمّ إنّ أغلظ ما انتهك وأعظم ما اجترم سفكه لدم الحسين بن عليّ مع علمه بموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسماعه منه أنّه قال: «**الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ رَيْحانَتايَ مِنَ الدُّنْيا**»، «**الحَسَنُ والحُسَينُ سَيِّدا شَبابِ أَهلِ الجَنَّةِ**»، اجتراء منه على الله ورسوله وعداوة منه لهما، فما خاف من عمله ذلك نقمة ولا راقبه في معصية[١].

لقد كان قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من أعظم الأحداث الجسام التي روّع بها المسلمون وامتحنوا بها امتحاناً شاقاً وعسيراً، كما أنّها من أفجع الأحداث العالمية، فقد كانت القسوة التي قوبلت بها عترة النبيّ صلى الله عليه وآله من أفظع ما جرى في تاريخ العالم.

فقد مارس أُولئك الجفاة الممسوخون من جيش يزيد جميع ضروب الخسّة وألوان اللؤم، وتنكّروا لجميع القيم الإنسانية والأعراف السائدة، وما قننه الناس من معاني الفضيلة والأخلاق، فقتلوا الرجال والأطفال والنساء بعد أن حرموهم من الماء، ومثّلوا بتلك الجثث الزواكي، وحملوا الرؤوس الطاهرة على الحراب، وسبوا ودائع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على أقتاب الجمال يطاف بهنّ في الأقطار والأمصار؛ ليظهر الطاغية قهره لآل النبيّ صلى الله عليه وآله وتغلّبه عليهم، وكل هذه الأحداث جرت بأمره وإلحاحه، فهو المسؤول عنها.

أمّا ابن زياد فلم يكن سوى آلة وأداة بيده، ومنفّذ لرغباته كما دللنا على ذلك في البحوث السابقة.

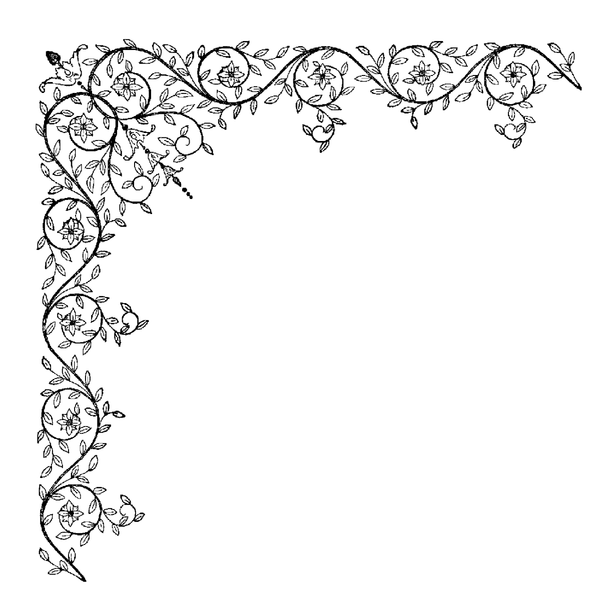
إنّ تنزيه يزيد، وإلقاء المسؤولية على ابن مرجانة ما هو إلّا لون من ألوان

---

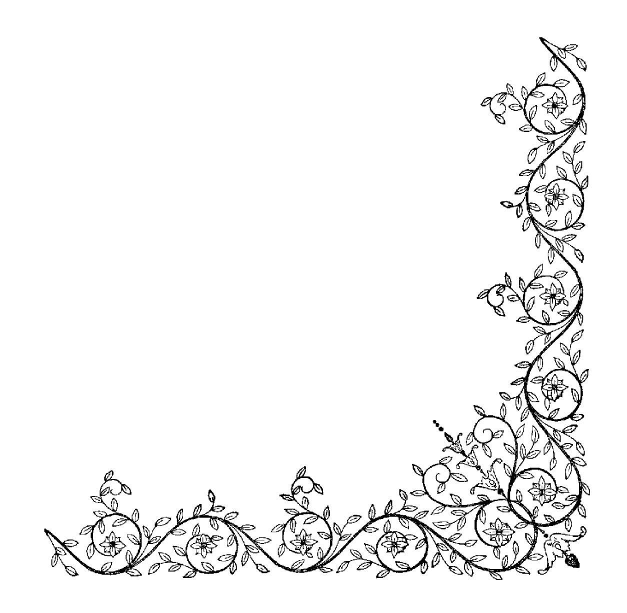
(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٥: ١٧٨.

الانحراف عن الحق ، والانقياد للعصبية العمياء التي لا يخضع لها من يملك وعيه واختياره .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عمّا قيل في تبرير يزيد من المخاريق والأباطيل ، وما أُثر من الأعلام في تجريم يزيد وتحميله المسؤولية في إراقة دم الإمام الحسين عليه السلام .



الرَّحيلُ إلى يَثْرِب



ولم يطل مكث أهل البيت في دمشق، فقد خشي يزيد من وقوع الفتنة، واضطراب الرأي العام، ووقوع ما لا تحمد عقباه، فقد أحدث خطاب العقيلة زينب عليها السلام وخطاب الإمام زين العابدين عليه السلام انقلاباً فكرياً في جميع الأوساط، فقد أنارت تلك الخطب المشرقة العقول، وأثارت العواطف وأصبحت حديث الأندية والمجالس فكانت تغلي كالحمم على تلك الدولة الغاشمة وهي تنذر بانفجار شعبي يكتسح دولة يزيد، فقد عرّفت أهل الشام لؤم يزيد، وخبث عنصره، وقلبت الرأي العام عليه، فَجُوبِه بالنقد حتى في مجلسه، وسقط اجتماعياً وذهبت مكانته من النفوس.

اعتذار الطاغية من زين العابدين عليه السلام

ودعا الطاغية الإمام زين العابدين عليه السلام فأبدى له معاذيره، وألقى المسؤولية في هذه الجريمة على ابن مرجانة قائلاً: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أنّي صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلّا أعطيته إياها، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت. يا بني، كاتبني بكل حاجة تكون لك، وأنّه سيكون في قومك أُمور فلا تدخل معهم[1].

(١) إعلام الورى: ١: ٤٧٥ و ٤٧٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٦. الكامل في التاريخ: ⇦

وأعرض عنه الإمام زين العابدين عليه السلام فلم يجبه بشيء ، فقد عرف واقع اعتذاره ، وأنّه كان تهرّباً ممّا لحقه من العار والخزي .

عرض الأموال لآل البيت عليهم السلام

وأمر الطاغية بأنطاع من الإبريسم ففرشت في مجلسه ، وصبّ عليها أموالاً كثيرة ، وقدّمها لآل البيت لتكون دية لقتلاهم ، وعوضاً لأموالهم التي نهبت في كربلاء ، فقال : خذوا هذا المال عوض ما أصابكم .

إلّا أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أبى وأصرّ على يزيد بأن يعاد إليهم ما سلب منهم ، وكان عجيباً منه أن يهتم بما سلب منهم بعد الذي جرى عليهم ، ورفض عوضها ، وقال : « **وَإِنَّما طَلَبْتُ مِنْكَ ما أُخِذَ مِنّا ؛ لِأَنَّ فِيْهِ مِغْزَلَ فاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَمِقْنَعَتَها وِقِلَادَتَها وَقَمِيصَها** » ، فعند ذلك أدرك يزيد إصرار الإمام السجاد عليه السلام على هذا الطلب ، فأمر برد ذلك[(١)] .

ردّ السيدة أُمّ كلثوم

والتاعت شقيقة الإمام الحسين عليه السلام السيدة أُمّ كلثوم وتميّزت غيظاً فصاحت به ، وقالت : ما أقلّ حياءك ، وأصلف وجهك ، تقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم[(٢)] .

وقالت سكينة : والله ما رأيت أقسى قلباً من يزيد ، ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شرّاً منه ، ولا أجفى منه[(٣)] .

⇦ ٣ : ٣٠٠ . البداية والنهاية : ٨ : ١٩٧ . سير أعلام النبلاء : ٣ : ٣٢٠ . تذهيب التهذيب : ١ : ١٥٧ .

(١) مثير الأحزان / ابن نما : ٨٥ . اللهوف : ١١٣ . بحار الأنوار : ٤٥ : ١٤٤ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٥ : ١٩٧ . عوالم العلوم : ١٧ : ٤٢٣ .

(٣) الأمالي / الصدوق : ٢٣٠ و ٢٣١ ، الحديث ٢٤٢ . عوالم العلوم : ١٧ : ٣٩٦ .

وباء يزيد بالفشل ، فقد حسب أنّ أهل البيت عليهم السلام تغريهم المادة ، ولم يعلم أنّهم من صنائع الله قد أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

طلبة الإمام زين العابدين عليه السلام

وعرض الطاغية على الإمام زين العابدين عليه السلام أن يعرض عليه حاجته فقال عليه السلام : **أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُرِيَنِي وَجْهَ أَبي ، وَأَن تُعِيدَ عَلَى النِّساءِ ما أُخِذَ مِنْهُنَّ فَفِيها مَوارِيثُ الْآباءِ وَالْأُمَّهاتِ ، وَإِذا كُنتَ تُرِيدُ قَتْلِي فَأَرْسِلْ مَعَ الْعِيالِ مَنْ يُؤَدِّي بِهِنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ**(١) .

وأكبر الظن أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أراد من رؤية رأس أبيه أن يعطيه الرأس الشريف ليواريه ، ولكن الطاغية لم يجبه إلى ذلك ، فقد أمر أن يطاف به في جميع أنحاء البلاد لإشاعة الذعر والفزع بين الناس ، وحتى يكون عبرة لكل من يخرج عليه ، وأمّا طلبه عليه السلام بأن يعيد على النساء ما أُخذ منهن فلم يرد بذلك الحلي والحلل وغيرها من الأموال التي نهبت منهن في يوم كربلاء ، وإنّما أراد أن يردّ عليهم المواريث النفيسة التي ورثوها من جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله كعمامته ودرعه وسيفه ، وغير ذلك ممّا هو أثمن من المال .

وأطرق الطاغية برأسه إلى الأرض يفكّر في طلب الإمام زين العابدين عليه السلام ، ثمّ رفع رأسه وقال له : أمّا وجه أبيك فلن تراه ، وأمّا ما أُخذ منكم فيردّ إليكم ، وأمّا النسوة فلا يردّهنّ غيرك ، وقد عفوت عن قتلك(٢) .

السفر إلى يثرب

وعهد الطاغية إلى النعمان بن بشير أن يقوم برعاية ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله ،

---

(١) اللهوف : ١١٣ .

(٢) اللهوف : ١١٣ . عوالم العلوم : ١٧ : ٤٤٤ و ٤٤٥ .

ويصحبهم إلى يثرب[١]، وأمر بإخراجهم من دمشق ليلاً خوفاً من الفتنة، واضطراب الأوضاع[٢].

وصول النبأ إلى يثرب

وانتهت أنباء الكارثة الكبرى إلى يثرب قبل وصول السبايا إليها، وقد حمل النبأ عبد الملك بن الحارث السلمي بأمر من ابن زياد، وقد أخذ يجدّ في السير حتى انتهى إليها، وقد أعياه السفر فأسرع إلى حاكم المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، وقد لقيه رجل فرابه ما هو فيه من الارتباك فأسرع إليه قائلاً: ما الخبر؟

قال: الخبر عند الأمير.

وفطن الرجل لهول الأمر فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قتل والله الحسين، صدقت أُمّ سلمة بما نبّأت به.

ووافى رسول ابن زياد حاكم المدينة فأخبره بمقتل الإمام الحسين عليه السلام، فاهتزّ فرحاً وسروراً وراح يقول: واعية بواعية عثمان.

وأمر الأشدق بإذاعة ذلك بين الناس فهرعوا وقد علاهم البكاء نحو الجامع النبوي ليتعرّفوا على تفصيل الحادث الأليم[٣].

خطاب الأشدق

واعتلى الطاغية عمرو بن سعيد الأشدق أعواد المنبر وهو يهزّ أعطافه مسروراً بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وقد أظهر أحقاده وأضغانه، فقال: أيُّها الناس، إنّها لدمة

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٦. الكامل في التاريخ: ٣: ٣٠٠.

(٢) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١٢٨.

(٣) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٣. أنساب الأشراف: ٣: ٤١٧. تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٩.

بلدمة ، وصدمة بصدمة ، كم خطبة بعد خطبة ﴿ **حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ** ﴾(١) ، واللهِ لوددت أنّ رأسه في بدنه ، وروحه في جسده . أحياناً كان يسبنا ونمدحه ، ويقطعنا ونصله ؛ كعادتنا وعادته ولم يكن من أمره ما كان ، ولكن كيف نصنع بمن سلّ سيفه علينا يريد قتلنا إلّا أن ندفعه عن أنفسنا ؟ !

وقطع عليه عبدالله بن السائب خطابه الذي أظهر فيه الشماتة بقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : لو كانت فاطمة حيّة ورأت رأس الحسين لبكت عليه .

وكان هذا الاستنكار بداية نقد يجابه به والي المدينة وهو يخطب ، وقد لذعه نقده فصاح به : نحن أحقّ بفاطمة منك ؛ أبوها عمّنا ، وزوجها أخونا ، وأُمّها ابنتنا ، ولو كانت فاطمة حيّة لبكت عينها ، وما لامت من قتله(٢) .

وقد شذّ الأشدق في قوله عن جميع الأعراف الاجتماعية ، فقد زعم أنّ فاطمة لو كانت حيّة لما لامت قاتل ولدها ، بل من المؤكّد عنده إنّها تبارك القاتل الأثيم ؛ لأنّ بذلك دعماً للحكم الأموي وبسطاً لسلطانهم الذي يحمل جميع الاتجاهات الجاهلية .

إنّ فاطمة لو كانت حيّة وشاهدت فلذة كبدها على صعيد كربلاء وهو يعاني من الخطوب والكوارث التي لم تجرِ على أيّ إنسان لذابت نفسها حسرات .

وقد روى علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : « **تُحْشَرُ ابْنَتِي فاطِمَةُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمَعَها ثِيابٌ مَصْبُوغَةٌ بِدَمٍ فَتَتَعَلَّقُ بِقائِمَةٍ مِن قَوائِمِ الْعَرْشِ ، فَتَقُولُ : يا عَدْلُ أُحْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ قاتِلِ وَلَدِي ، فَيَحْكُمُ لِابْنَتِي وَرَبِّ الْجَنَّةِ** »(٣) .

---

(١) القمر ٥٤ : ٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٤٥ : ١٢٢ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤٣٧ ـ ٤٣٨ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٧٦ و ٧٧ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٣ : ٢٢٠ . الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ : ٩٣ .

فجيعة الهاشميين

ووقع النبأ المؤلم بقتل الإمام الحسين عليه السلام كالصاعقة على رؤوس الهاشميين، فقد علا الصراخ والعويل من بيوتهم، وخرجت السيدة زينب بنت عقيل[١] ناشرة شعرها، وهي تصيح: وامحمّداه، واحسيناه، وا إخوتاه وا أُهيلاه.

وجعلت تنظم ذوب روحها بأبيات تخاطب بها المسلمين قائلة:

مَاذا تَقُولُونَ إن قالَ النَّبِيُّ لَكُمْ ... مَاذا فَعَلتُمْ وأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ
بِأَهلِ بَيْتِي وَأَنْصارِي أَمَا لَكُمُ ... عَهْدٌ كَرِيمٌ أَما تُوفُونَ بِالذِّمَمِ
ذُرِّيَتِي وَبَنُو عَمِّي بِمَضيعَةٍ ... مِنهُم أُسارىٰ وَقَتلىٰ ضُرِّجُوا بِدَمِ
مَا كَانَ هٰذَا جَزائِي إِذْ نَصَحتُ لَكُمْ ... أَنْ تَخلُفُونِي بِسُوءٍ في ذَوِي رَحِمِي[٢]

فأجابها أبو الأسود وهو غارق في البكاء والشجون، نقول: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِر لَنَا وَتَرْحَمنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ** ﴾[٣].

وعلاه الجزع وراح يقول:

أَقُولُ وَزادَنِي حَنَقاً وَغَيظاً ... أَزالَ اللهُ مُلْكَ بَنِي زِيادِ
وَأَبعَدَهُمْ كَما غَدَروا وَخانُوا ... كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ وَقَومُ عادِ

---

(١) زينب بنت عقيل تزوّجت بعلي بن ركانة من بني عبد المطلب أولدت منه ولداً، ومن بناتها عبدة، وهي أُمّ أبي البختري القاضي المشهور ـ أنساب الأشراف: ٣: ٤٢١.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٤٢٠. تاريخ مدينة دمشق: ٦٩: ١٧٨ و ١٧٩. تذكرة الخواص: ٢٤٠.
وقد ورد الشعر في الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٤، وروضة الواعظين: ١٦٣، أنّه لأُم لقمان بنت عقيل. وفي بعض المصادر: نسبه لامرأة من بني عبدالمطلب ولم يسمها.

(٣) الأعراف ٧: ٢٣.

وَلَا رَجَعَتْ رَكـائِبُهُمْ إِلَـيهِمْ إذا قَفَّتْ إِلىٰ يَـوْمِ التَّـنادِ[١]

وساد البكاء، وعمّت اللوعة، وانتشر الحزن في جميع أنحاء يثرب، فلم يرَ أكثر باكٍ ولا باكية من ذلك اليوم.

مأتم عبدالله بن جعفر رضي الله عنه

وأقام عبدالله بن جعفر رضي الله عنه مأتماً للعزاء على ابن عمّه الحسين عليه السلام، فجعل الناس يفدون عليه يعزّونه بمصابه الأليم. ويقول المؤرخون: إنّه كان له مولىً يسمى: أبا اللّسلاس فقال له: هذا ما لقينا من الحسين.

وقد حسب الغبي أنّه يتقرّب إليه بذلك؛ لأنّه لولا الإمام الحسين عليه السلام لما استشهد ولداه، ولمّا سمع ابن جعفر مقالته حذفه بنعله، قائلاً: يابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟! والله لو شهدته لأحببت ألاّ أُفارقه حتى أُقتل معه، والله إنّه لممّا يسخّي نفسي عنهما، ويهوّن عليَّ المصاب بهما أنّهما أُصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيينِ له صابرينِ معه.

وأقبل على حضّار مجلسه فقال لهم: الحمد لله، لقد عزّ عليّ مصرع الحسين ألّا أكن آسيت حسيناً بيديّ فلقد آساه وَلَديّ[٢].

وكان سبب تأخره عن حضور الطف ذهاب بصره.

رزية ابن عبّاس

ورزئ ابن عباس أشدّ ما تكون الرزية محنة وألماً حينما سمع بقتل الإمام

---

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ٣٣٦. المعجم الكبير: ٣: ١١٨، الرقم ٢٨٥٣. مجمع الزوائد: ٩: ٢٠٠.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ١٢٤، كشف الغمّة: ١: ٦٠٨. وفيهما: «أنّ المولى هو أبو السلاسل». تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٦٠. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٧٦.

الحسين عليه السلام ، وكان في البيت الحرام فقد أسرّ إليه شخص ، وعرّفه بالحادث المؤلم ، فذعر واسترجع فقيل له : ما حدث يا أبا العباس ؟

فقال : مصيبة عظيمة نحتسبها عند الله .

ثمّ أجهش بالبكاء ، وانصرف إلى منزله حزيناً كئيباً ، وأقام مأتماً في بيته ، فأقبل عليه الناس يعزّونه بمصابه العظيم ويشاركونه الأسى واللوعة[١] .

المِسْوَر مع ابن الزبير

ولما جاء ناعي الحسين عليه السلام إلى مكة التقى المِسْوَر بابن الزبير ، فقال المِسْور : قد جاء ما كنت تتمنى من موت الحسين بن عليّ .

فراوغ ابن الزبير ، وقال : يا أبا عبد الرحمن تقول لي هذا ؟! فوالله ليته ما بقي بـ(الجَمّاء)[٢] حجر ، والله ما تمنيت ذلك له .

وردّ عليه المِسْور : أنت اشرت عليه بالخروج إلى غير وجه .

قال : نعم ، أشرت عليه ولم أدرِ أنّه يقتل ، ولم يكن بيدي أجله ، ولقد جئت ابن عباس فعزيته ، فعرفت أنّ ذلك يثقل عليه منّي ، ولو أنّي تركت تعزيته قال : مثلي يترك لا يعزيني بحسين ، فما أصنع ؟ أخوالي وَغِرَت صدورهم عليّ ، وما أدري على أيّ شيء ؟!

فأسدى له المِسْور النصيحة ، وقال له : ما حاجتك إلى ذكر ما مضى وبثّه ؟! دع الأُمور تمضي ، وبرّ أخوالك فأبوك أحمد عندهم منك[٣] .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٣٨ و ٢٣٩ .

(٢) **الجمّاء :** هضبة قرب المدينة ـ معجم البلدان : ٢ : ١٨٤ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٣٩ .

رأس الإمام الحسين عليه السلام في يثرب

وذهب بعض المؤرخين إلى أنّ الطاغية بعث برأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يثرب لإشاعة الرعب والخوف، والقضاء على كل حركة ضدّه، وجيء بالرأس الشريف إلى حاكم المدينة عمرو بن سعيد الأشدق فأنكر ذلك وقال: وددت والله أنّ أميرالمؤمنين لم يبعث إلينا برأسه.

وكان في مجلسه الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم فصاح به: بئس ما قلت! هاته. وأخذ الوزغ الرأس الشريف وجعل يهزّ أعطافه بِشْراً وسروراً، وهو يقول بشماتة:

يَا حَبَّذَا بُـردُكَ فِـي اليَـدَينِ   وَلَونُكَ الأَحْمَرُ فِي الخَدَّينِ

وجيء بالرأس العظيم فنصب في جامع الرسول صلى الله عليه وآله، وصرخت نساء آل أبي طالب وهرعن إلى القبر الشريف ببكاء وعويل، فقال مروان:

عَجَّتْ نِسَـاءُ بَـنِي زِيَـادٍ عَـجَّةً   كَعَجِيجِ نِسوَتِنَا غَدَاةَ الأَرنَبِ[(١)]

وراح مروان يبدي أفراحه حينما سمع عويل الهاشميات قائلاً: والله، لكأنّي أنظر إلى أيام عثمان[(٢)].

والتفت إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمّد، يوم بيوم بدر[(٣)].

---

(١) **غداة الأرنب**: هي وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب، وهو بيتٌ من قصيدة لعمرو بن معديكرب. وأراد الأشدق أن يمثّل نساء أهل البيت عليهم السلام أنّهن عججن بالبكاء كعجيج نساء مشركي قريش بمصاب من قتل في بدر ـ تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٦٥٩.

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ٥: ١٠١.

(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٤: ٧٢. وممّن ذكر وصول الرأس إلى يثرب البلاذري في أنساب الأشراف: ٣: ٤١٧ ـ ٤١٩. والقاضي النعمان المصري في شرح الأخبار: ٣: ١٦٠ ـ ١٦٢.

لقد ظهرت الأحقاد الأُموية ، وظهر أنّها لا تؤمن بالإسلام وأنّها محتفظة بجاهليتها الأولى ، وقد استوفت ثأرها من النبيّ صلى الله عليه وآله بإبادتها لعترته .

عودة السبايا إلى كربلاء

وصرّحت بعض المصادر أنّ سبايا آل البيت عليهم السلام طلبوا من الوفد الموكّل بحراستهم أن يعرّج بهم إلى كربلاء ليجددوا عهداً بقبر سيد الشهداء ، فلبّوا طلبهم فانعطفوا إلى كربلاء ، ولمّا انتهوا إليها استقبلت العلويات مرقد أبي عبدالله عليه السلام بالصراخ والعويل ، وسالت الدموع كل مسيل ، وقضين ثلاثة أيامٍ بلياليها كنّ من أثقل الليالي وأوجعها على أهل البيت ، فلم تهدأ لهم عبرة حتى بحّت الأصوات وفتّتت القلوب .

وتصرّح بعض المصادر أنّ الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري قد وفد إلى التشرّف بزيارة قبر أبي عبدالله عليه السلام ، فالتقى به الإمام زين العابدين عليه السلام وأخذ يحدّثه عمّا جرى عليهم من صنوف الرزايا والنكبات ، ثمّ غادروا كربلاء متوجّهين إلى يثرب[١] .

إلى يثرب

واتجه موكب أُسارى أهل البيت إلى يثرب فأخذ يجدّ في السير لا يلوي على شيء ، وقد جللته الأحزان والآلام ، وقد غامت عيون بنات رسول الله صلى الله عليه وآله بالدموع وهنّ ينحن على فقد الأحبة ويذكرن بمزيد اللوعة ما جرى عليهن في الأسر من الذل والهوان .

وكانت يثرب قبل قدوم السبايا إليها ترفل في ثياب الحزن على أُمّ المؤمنين

---

(١) اللهوف : ١١٤ . عوالم العلوم : ١٧ : ٤٤٦ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤٦٧ . تيسير المطالب في أمالي أبي طالب : ٩٣ . الحدائق الورديّة : ١ : ١٣٣ .

السيدة أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد ماتت بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام بشهر حزناً وكمداً عليه[١]، وهي التي أنبأت الناس عن مقتله.

نعي بشر للإمام الحسين عليه السلام

ولمّا وصل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرب من يثرب نزل فضرب فسطاطه وأنزل عمّاته وأخواته، والتفت إلى بشر بن حذلم فقال له: **يا بِشْرُ، رَحِمَ اللهُ أَباكَ لَقَدْ كانَ شاعِراً، فَهَلْ تَقدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ مِنْهُ؟**

قال: بلى يابن رسول الله إنّي لشاعر.

فقال عليه السلام: **ادْخُلِ الْمَدِينَةَ وَانْعَ أَبا عَبْدِاللهِ.**

وانطلق بشر إلى المدينة، فلمّا انتهى إلى الجامع النبوي رفع صوته مشفوعاً بالبكاء، وهو يقول:

يَا أَهْلَ يَثرِبَ لَا مُقامَ لَكُم بِها ... قُتِلَ الحُسَينُ فَأَدمُعِي مِدرَارُ

الجِسْمُ مِنهُ بِكرْبَلَاءَ مُضَرَّجٌ ... وَالرَّأْسُ مِنهُ عَلَى القَناةِ يُدارُ

وهرعت الجماهير نحو الجامع النبوي وهي ما بين نائح وصائح تنتظر من بشر المزيد من الأنباء، فالتفت إليهم وهو غارق بالبكاء قائلاً: هذا عليّ بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، وأنا رسوله إليكم أُعرّفكم مكانه.

وعجّ الناس بالبكاء وانطلقوا مسرعين يستقبلون آل الرسول صلى الله عليه وآله الذي برّ بدينهم ودنياهم، وانتشر الحزن وعمّت الكآبة جميع الأوساط، فكان ذلك اليوم ـ كما وصفه المؤرخون ـ كاليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وازدحم الناس على الإمام زين العابدين عليه السلام وهم يعزّونه بمصابه الأليم،

---

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ١٠٣. سير أعلام النبلاء: ٢: ٢٠٢.

(٢) اللهوف: ١١٥.

ويشاركونه الأسى واللوعة.

خطاب الإمام زين العابدين عليه السلام

ورأى الإمام زين العابدين عليه السلام أن يحدّث الناس بما جرى عليهم من عظيم الرزايا والنكبات، وما عانوه من ذلّ الأسر والهوان، ولم يكن باستطاعته أن يقوم خطيباً فقد ألمّت به الأمراض، وانهكته الآلام، فجيء له بكرسي فجلس عليه، فقال عليه السلام:

«الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، الرَّحْمـٰنِ الرَّحِيم، مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، بارِئِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، الَّذِي بَعُدَ فارْتَفَعَ فِي السَّماواتِ الْعُلىٰ، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجوىٰ، نَحْمُدُهُ عَلىٰ عَظائِمِ الْأُمُورِ، وَفَجائِعِ الدُّهُورِ، وَأَلَمِ الْفَجائِعِ وَمَضاضَةِ اللَّواذِعِ، وَجَلِيلِ الرُّزْءِ، وَعَظِيمِ الْمَصائِبِ، الْفاظِعَةِ الْكاظَّةِ، الْفادِحَةِ الْجائِحَةِ.

أَيُّها الْقَوْمُ، إِنَّ اللهَ تَعالَى ابْتَلَانا بِمَصائِبَ جَلِيلَةٍ، وَثَلْمَةٍ فِي الْإِسلَامِ عَظِيمَةٍ، قُتِلَ أَبُو عَبْدِاللهِ الْحُسَيْنُ وَعِترَتُهُ، وَسُبِيَتْ نِساؤُهُ وَصِبْيَتُهُ، وَدارُوا بِرَأْسِهِ فِي الْبُلْدانِ مِنْ فَوْقِ عامِلِ السِّنانِ، وَهـٰذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتِي لَا مِثْلَها رَزِيَّةٌ.

أَيُّها النّاسُ، فَأَيُّ رِجالَاتٍ مِنْكُمْ يُسَرُّونَ بَعْدَ قَتْلِهِ؟! أَمْ أَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحْزَنُ مِنْ أَجْلِهِ؟! أَمْ أَيَّةُ عَيْنٍ مِنْكُمْ تَحْبِسُ دَمْعَها، وَتَضِنُّ عَنِ انْهِمالِها؟! فَلَقَدْ بَكَتِ السَّبْعُ الشِّدادُ لِقَتْلِهِ، وَبَكَتِ الْبِحارُ بِأَمواجِها، وَالسَّماواتُ بِأَرْكانِها، وَالْأَرْضُ بِأَرْجائِها، وَالْأَشْجارُ بِأَغْصانِها، وَالْحِيتانُ فِي لُجَجِ الْبِحارِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَأَهْلُ السَّماواتِ أَجْمَعُونَ.

أَيُّها النّاسُ، أَيُّ قَلْبٍ لَا يَنْصَدِعُ لِقَتْلِهِ، أَمْ أَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحِنُّ إِلَيْهِ، أَم أَيُّ

سَمْع يَسْمَعُ بِهـٰذِهِ الثَّلْمَةِ الَّتِي ثُلِمَتْ في الْإِسْلَامِ وَلَا يَصَمُّ.

أَيُّها النّاسُ، أَصْبَحْنا مُشَرَّدِينَ مَطْرُودِينَ مَذودِينَ شاسِعِينَ عَنِ الْأَمْصارِ كَأَنَّنا أَوْلَادُ تُرْكٍ وَكابُلَ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْناهُ، وَلَا مَكْرُوهٍ ارْتَكَبْناهُ، وَلَا ثَلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمْناها، ما سَمِعْنا بِهـٰذا في آبائِنا الْأَوَّلِينَ إِنَّ هـٰذا إِلَّا اخْتِلَاقٌ[1].

وَاللهِ لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ في قِتالِنا كَما تَقَدَّمَ إِلَيهِمْ في الْوَصِيَّةِ بِنا لَما زادُوا عَلىٰ ما فَعَلُوا بِنا، فَإِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَها وَأَفْجَعَها، وَأَكَظَّها وَأَفْظَعَها، وَأَمَرَّها وَأَفْدَحَها فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُ ما أَصابَنا وَما بَلَغَ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ»[2].

وعرض الإمام زين العابدين عليه السلام في خطابه إلى الخطوب السود التي عانتها الأُسرة النبوية، وما جرى عليها من الظلم الهائل، وانبرى إليه صوحان بن صعصعة فألقى إليه معاذيره؛ لأنّه كان زَمِناً، فقبل الإمام زين العابدين عليه السلام عذره وترحّم على أبيه.

ثمّ دخل الإمام زين العابدين عليه السلام مع عمّاته وأخواته إلى يثرب وقد احتفت به الجماهير وقد علا منها البكاء والصراخ، ولمّا انتهوا إلى الجامع النبوي أخذت عقيلة آل أبي طالب بعضادتي باب المسجد، وجعلت تخاطب جدّها الرسول صلى الله عليه وآله قائلة: يا جداه إنّي ناعية إليك أخي الحسين[3].

وخلدت بنات رسول الله إلى الحزن فأقمن المآتم على سيد الشهداء ولبسن

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ ص ٣٨: ٧.

(٢) اللهوف: ١١٦ ـ ١١٨.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم: ٤٨٨.

السواد وأخذن يندبنه بأقسى وأشجى ما تكون الندبة.

مكافأة الحرس

وشكرت العلويات رئيس الحرس الذي قام برعايتهن من دمشق إلى يثرب، فقد قام لهن بخدمات جليلة تقتضي مكافأته، فقالت فاطمة بنت الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام لأُختها زينب: لقد أحسن هذا الرجل إلينا، فهل لك أن نصله بشيء؟

فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلّا حليّنا.

فقالت لها: نعم، هو ما تقولين.

وأخرجتا سوارين ودملجين لهما وبعثتا بهما إليه، واعتذرتا في أدب، وتأثّر الرجل من هذا الكرم الغامر وهو يعلم ما هنّ فيه من ضيق شديد، فردّه إليهما وقال باحترام: لو كان الذي صنعت للدنيا لكان في هذا ما يرضيني، ولكن والله ما فعلته إلّا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

حزن الإمام زين العابدين عليه السلام

وخلد الإمام زين العابدين عليه السلام إلى البكاء على أبيه ليلاً ونهاراً، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**بَكىٰ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلىٰ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عِشْرِينَ سَنَةً ...، وَما وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعامٌ إِلَّا بَكىٰ**»[٢].

وعذله بعض مواليه فقال له: إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين.

فقال له الإمام زين العابدين عليه السلام برفق: **يا هـٰذا**، ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٣].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٦٥٦ و ٦٥٧. الكامل في التاريخ: ٣: ٣٠٠.

(٢) كامل الزيارات: ٢١٣، الحديث ١. اللهوف: ١٢١. الخصال ٢: ٥١٨، الحديث ٤.

(٣) يوسف ١٢: ٨٦.

إنَّ يَعْقُوبَ كانَ نَبِيّاً فَغَيَّبَ اللهُ عَنْهُ واحِداً مِنْ أَوْلادِهِ ـ وَعِنْدَهُ اثْنا عَشَرَ وَلَداً ـ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَيٌّ فَبَكىٰ عَلَيْهِ حَتَّى ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ ، وَإِنِّي نَظَرْتُ إِلىٰ أَبِي وَإِخْوَتِي وَعُمُومَتِي وَصَحْبِي مَقْتُولِينَ حَوْلِي ، فَكَيْفَ يَنْقَضِي حُزْنِي ؟! وَإِنِّي لَأَذْكُرُ مَصْرَعَ بَنِي فاطِمَةَ إِلَّا خَنَقَتْنِي الْعَبْرَةُ ، وَإِذا نَظَرْتُ إِلىٰ عَمّاتِي وَأَخَواتِي ذَكَرْتُ فِرارَهُنَّ مِنْ خَيْمَةٍ إِلىٰ خَيْمَةٍ »[١].

وكان عليه السلام يشحذ النفوس بالحقد على الظالمين والكراهية ليزيد ويهيئها للثورة عندما يجيء وقتها ، وقد ساهمت عمّته زينب الكبرى عليها السلام في هذا النوع من التحرّك السياسي المغلّف بهذا اللون من الحزن المثير لعواطف الجماهير وغضبها ونقمتها على يزيد وحكومته ، وخيّم على المدينة جو من القلق ينذر بتفجير الموقف بين حين وآخر ، ممّا دعا عمرو بن سعيد الأشدق بصفته المسؤول الأول في المدينة ليزيد بن معاوية ـ أن يكتب إليه كتاباً يكشف له فيه ما ينجم عن مواقف العقيلة زينب بنت علي من أخطار تحيط به وبعرشه ، وممّا جاء فيه :

إنّ وجودها بين أهل المدينة يهيج الخواطر وهي فصيحة عاقلة لبيبة ، وقد عزمت هي ومن معها على الثورة لتأخذ بثأر أخيها الحسين .

فكتب إليه في جوابه يأمره أن يضع حدّاً لنشاطها ويفرّق بينها وبين الناس[٢].

رثاء الشعراء

وأخذ الشعراء ينظمون بقلوب ملؤها الحزن والألم ، ويصفون تلك الديار المطهرة التي خلت من أقمارها ، يقول سليمان بن قتّة :

مَرَرْتُ عَلىٰ أَبياتِ آلِ مُحَمَّدٍ   فَلَمْ أَرَها أَمْثالَها يَومَ حَلَّتِ

---

(١) اللهوف : ١٢٢ . مقتل الحسين عليه السلام / المقرّم : ٤٨٩ . وقريب منه في حلية الأولياء : ٣ : ١٣٨ .

(٢) زينب الكبرى / النقدي : ١٤٢ . بطلة كربلاء / بنت الشاطئ : ١٢٢ .

فَـــلَا يُــــبعِدُ اللهُ الدِّيـــارَ وَأَهْـلَها   وَإِنْ أَصبَحتْ مِن أَهْلِها قَدْ تخلّتِ[١]
وَإِنَّ قَـتِيلَ الطَّـفِ مِـن آلِ هـاشِمٍ   أَذَلَّ رِقـــابَ المُســـلِمِينَ فَـذَلَّتِ
وَكَـــانُوا رَجــاءً ثُــمَّ صــارُوا رَزِيَّـةً   فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزايا وَجَـلَّتِ[٢]

وفيها يقول دِعْبل الخزاعي :

مَدارِسُ آياتٍ خَلَتْ مِن تِـلَاوَةٍ   وَمَنزِلُ وَحيٍ مُقْفِرُ العَرَصاتَ[٣]

الإمام زين العابدين عليه السلام يسدد عدات أبيه عليه السلام

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قام بتسديد عدات أبيه عليه السلام ، فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام : « **إِنَّ الْحُسَيْنَ قُتِلَ ، وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام باعَ ضَيْعَةً لَهُ بِثَلَاثِمائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ؛ لِيَقْضِيَ بَعْضَ الشُّؤُونِ وَعِداتٍ كانَتْ عَلَيْهِ** »[٤] .

لوعة الهاشميين

وحزن الهاشميون على سيد الشهداء أشدّ ما يكون الحزن واللوعة ، فاستمروا في النياحة عليه ثلاث سنين ، وكان المِسْوَر بن مخرمة وأبو هريرة والمشيخة من أصحاب رسول الله يأتون متسترين فيستمعون ندبتهم ، ويبكون بكاءً مراً[٥] .

وروي أنّه « لمّا قتل الحسين بن علي عليهما السلام لبست نساء بني هاشم السواد

(١) أُسد الغابة : ١ : ٤٩٩ .

(٢) اللهوف : ١٢٠ . مناقب آل أبي طالب : ٤ : ١١٧ . مثير الأحزان : ٨٨ . الكامل في اللغة والأدب : ١ : ١٨٩ . تاريخ مدينة دمشق : ١٤ : ٢٥٩ و ٢٦٠ . مروج الذهب : ٣ : ٦٤ . تهذيب الكمال : ٦ : ٤٤٧ . مقاتل الطالبيّين : ١٢٠ .

(٣) ديوان دعبل بن علي الخزاعي : ١٣١ . الأغاني : ٢٠ : ١١٥ .

(٤) وسائل الشيعة : ١٨ : ٣٢٢ و ٣٢٣ ، الباب ٣ من أبواب الدين والقرض ، الحديث ١٢ .

(٥) دعائم الإسلام : ١ : ٢٣٠ .

والمسوح ، وكنّ لايشتكين من حرّ ولا برد ، وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام يعمل لهنّ الطعام للمأتم »[١] .

حزن العقيلة

وخلدت عقيلة آل أبي طالب إلى البكاء والنياحة على انقراض أهلها[٢] ، وكانت لا تجفّ لها عبرة ، ولا تفتر عن البكاء ، وكلما نظرت إلى ابن أخيها زين العابدين عليه السلام يزداد وجيبها وحزنها[٣] ، وقد نخبت المصائب قلبها حتى صارت كأنّها جثّة هامدة ، ولم تبقَ بعد الكارثة إلّا سنتين حتى سمت روحها إلى الرفيق الأعلى .

لوعة الرباب

ووَجَدَتْ عليه زوجته الرباب وَجْداً شديداً ، وحزنت عليه حزناً عميقاً ، وقد أبدت من الوفاء مالم يُرَ مثله ، وقد خطبها الأشراف من قريش فأبت وقالت : ماكنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبقيت بعده سنة لم يظلّها سقف حتى ماتت كمداً[٤] .

ويقول المؤرخون : إنّها رثته رثاءً حزيناً ، فقالت فيه :

إنَّ الَّذِي كَانَ نُوراً يُستَضاءُ بِهِ ... بِكَربَلاءَ قَتِيلٌ غَيْرُ مَدفُونِ

سِبطَ النَّبِيِّ جَزاكَ اللهُ صالِحَةً ... عَنّا وَجُنِّبتَ خُسرانَ المَوازِينِ

قَد كُنْتَ لِي جَبَلاً صَعْباً أَلُوذُ بِهِ ... وَكُنْتَ تَصحَبُنا بِالرَّحمِ وَالدِّينِ

---

(١) المحاسن : ٢ : ١٩٥ ، الحديث ١٥٦٤ .

(٢) الوافي في المسألة الشرقية : ١ : ٤٣ .

(٣) عوالم العلوم : ١٧ : ٤٢٤ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٠٠ . جواهر المطالب : ١٤١ .

مَن لِليَتامىٰ وَمَنْ لِلسّائِلِينَ وَمَنْ ... يُغنِي وَيَأْوِي إِلَيهِ كُلُّ مِسْكِينِ

وَاللهِ لَا أَبتَغِي صِهَراً بِصِهرِكُمُ ... حَتَّى أُغيَّبُ بَينَ الرَّملِ وَالطِّينِ(١)

ويقول بعض المؤرخين : إنّها أقامت على قبره الشريف سنة ، ثمّ انصرفت وهي تقول :

إِلَى الحَولِ ثُمَّ اسمُ السَّلَامِ عَلَيكُما ... وَمَن يَبكِ حَولاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ(٢)

وهذا القول بعيد ، فإنَّ العائلة الحسينية بعد اليوم العاشر كلّها رحلت من كربلاء ، ولم يتخلّف أحد منها حسبما أجمع عليه المؤرخون .

وبلغ من وفاء أزواجه أنّ زوجته السيدة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تنوح عليه ، وقد رثته بذوب روحها قائلة :

وَاحُسَيناً فَلَا نَسِيتُ حُسَيناً ... أَقْصَدَتْهُ أَسِنَّةُ الأَعداءِ

غَادَرُوهُ بِكَربَلَاءَ صَرِيعاً ... لَا سَقَى الغَيثُ جانِبَي كَربَلَاءِ(٣)

أحزان أُمّ البنين

وخلدت أُمّ البنين إلى البكاء والنياحة على أبنائها البررة الذين استشهدوا مع أخيهم الإمام الحسين عليه السلام ، فقد نخب الحزن قلبها ، وراحت تبكيهم بذوب روحها .

ويقول بعض المؤرخين : إنّها كانت تخرج إلى البقيع فتندبهم بأشجى وأوجع

---

(١) الأغاني : ١٦ : ١٠٥ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٦٩ : ١١٩ و ١٢٠ . البداية والنهاية : ٨ : ٢١٢ ، وهو بيت من قصيدة للبيد العامري ، وقد تمثلت به الرباب . وقيل : تمثلت به فاطمة بنت الحسين عليهما السلام عند وفاة زوجها الحسن بن الحسن عليهما السلام .

(٣) معجم البلدان : ٤ : ٥٠٥ ـ كربلاء . وفي تذكرة الخواص : ٢٣٣ و ٢٣٤ . ولواعج الأشجان : ٢٢٠ ـ ٢٢٣ ، أنّ البيتين للرباب بنت امرئ القيس .

ما تكون الندبة، وكان الناس يجتمعون حولها فيسمعون رثاءها الحزين لأبنائها فيبكون، وكان ممّن يجيء لذلك مروان بن الحكم فيتأثّر على قساوة قلبه وشدّة عداوته لأهل البيت.

مصير الرأس العظيم

وانطوت السنون والأجيال والناس يتساءلون بلهفة أين دفن رأس الإمام الحسين عليه السلام؟ بعدما أصبح جسده الطاهر مزاراً في كربلاء يطوف به الناس متفقين ومختلفين، وقدكثرت أقوال المؤرخين في المكان الذي حظي به. وقد ذكر العلاّمة الشيخ عبدالواحد المظفّر أنّ الأقوال تبلغ ستة عشر قولاً[١]، وهذه بعضها:

أوّلاً: في كربلاء

والمشهور عند الشيعة الإمامية أنّ الرأس العظيم أُعيد إلى كربلاء، ودفن مع الجسد الطاهر، وقد ذكر السيد رضي الدين عليّ بن طاووس أنّ عمل الطائفة على ذلك[٢].

وممّن نصّ على ذلك المجلسي[٣]، وابن نما[٤].

كما اشتهر ذلك عند فريق كبير من علماء السنة[٥].

وممّا لا شبهة فيه أنّ علماء الشيعة الإمامية معنيّون بالاهتمام والبحث عن هذه

---

(١) بطل العلقمي: ٣: ٢٧١ ـ ٣٠٦.

(٢) اللهوف: ١١٤.

(٣) بحار الأنوار: ٤٥: ١٤٥.

(٤) مثير الأحزان: ٥٨.

(٥) الإتحاف بحب الأشراف / الشبراوي: ١٢. تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٢٣٨. الآثار الباقية / البيروني: ١: ٣٣١. عجائب المخلوقات / القزويني: ٦٧، وغيرهم.

الجهة أكثر من غيرهم، فهم أدرى بواقع الحال، وأكثر وقوفاً عليه من أيّ باحث آخر.

أمّا كيفية نقل الرؤوس الشريفة إلى كربلاء ودفنها مع الأجساد الطاهرة فـفيما نحسب أنّه يحتمل أحد أمرين:

١ ـ إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام التمس من يزيد أن يسمح له بذلك فأجابه إليه، وقد أخذ يزيد يتطلّب مرضاة الإمام زين العابدين عليه السلام بعد أن نقم عليه المسلمون وكرهوا خلافته، وعلى هذا فيطرح ما روي أنّ الإمام السجاد عليه السلام لمّا طلب منه أن يريه وجه أبيه لم يجبه إلى ذلك، ويحتمل أنّه أجابه إليه بعد رفضه.

٢ ـ إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام طلب من حاكم المدينة حينما حملت إليه الرؤوس أن يواريها مع الأجساد فأجابه إلى ذلك، فأخذها ورجع إلى كربلاء وواراها مع الأجساد الطاهرة.

ثانياً: في البقيع

وذهب فريق من المؤرخين إلى أنّ الرأس الشريف دفنه حاكم المدينة في البقيع إلى جانب أُمّه عليها السلام[١].

ثالثاً: في النجف

وأُثرت مجموعة من الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام تنصّ على أنّ الرأس الشريف دفن في الغري، وهذه بعضها:

١ ـ روى يزيد بن عمرو بن طلحة قال: «قال لي أبو عبدالله عليه السلام وهو بالحيرة: **أَما تُريدُ ما وَعَدْتُكَ؟**

---

(١) المنتظم: ٥: ٣٤٤. مرآة الجنان: ١: ١٠٩. البداية والنهاية: ٨: ٢٠٦. وسيلة المآل: ١٩٤. شذرات الذهب: ١: ٦٧.

قلت: بلى ـ يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام ـ قال: فركب وركب إسماعيل وركبت معهما حتى إذا جاز الثوية[١]، وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض نزل، ونزل إسماعيل، ونزلت معهما فصلّى وصلّى إسماعيل وصلّيت، فقال لإسماعيل: **قُمْ فَسَلِّمْ عَلىٰ جَدِّكَ الْحُسَيْنِ**.

فقلت: جعلت فداك أليس الحسين عليه السلام بكربلاء؟!

فقال: **نَعَمْ، وَلَكِنْ لَمّا حُمِلَ رَأْسُهُ سَرَقَهُ مَولىً لَنا فَدَفَنَهُ بِجَنْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ**»[٢].

٢ ـ روى أبان بن تغلب قال: «كنت مع أبي عبدالله عليه السلام فمرّ بظهر الكوفة فصلّى ركعتين، ثمّ تقدّم قليلاً فصلّى ركعتين، ثمّ سار قليلاً فنزل فصلى ركعتين. ثمّ قال: **هٰذا مَوْضِعُ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ**.

قلت: جعلت فداك، والموضعين اللذين صلّيت فيهما، قال: **مَوْضِعُ رَأْسِ الْحُسَيْنِ** عليه السلام**، وَمَوْضِعُ مَنْزِلِ الْقائِمِ**»[٣].

٣ ـ روى عليّ بن أسباط بسنده قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: **إِنَّكَ إِذا أَتَيْتَ الْغَرِيَّ رَأَيْتَ قَبْرَينِ: قَبْراً كَبِيراً وَقَبْراً صَغِيراً، أَمّا الْكَبِيرُ فَقَبْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنينَ** عليه السلام**، وَأَمّا الصَّغِيرُ فَرَأْسُ الْحُسَيْنِ** عليه السلام»[٤].

هذه بعض الأخبار التي تصرّح بأنّ الرأس الشريف قد دفن في الغري، ولكن التعبير في بعضها بأنّه موضع الرأس لا يدل على أنّه قد دفن فيه.

---

(١) **الثوية:** وتعرف بكميل الآن، وفيها قبر كميل النخعي صاحب الإمام علي عليه السلام، وكانت سجناً للنعمان، ثمّ صارت مقبرة لأهل الكوفة ـ معجم البلدان: ٢: ١٠١ و ١٠٢.

(٢) الكافي: ٤: ٥٥٩، الحديث ١. وسائل الشيعة: ١٤: ٤٠٠، الباب ٣٢ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٣.

(٣) الكافي: ٤: ٥٥٩، الحديث ٢.

(٤) وسائل الشيعة: ١٤: ٤٠٢، الباب ٣٤ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٧.

رابعاً: في دمشق

وذهب جمهور من المؤرخين إلى أنّ الرأس الشريف قد دفن في دمشق، قال في (الإتحاف بحبّ الأشراف): حكي عن سليمان بن عبدالملك أنّه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وكان يكرمه، فسأل الحسن البصري عن ذلك، فقال: لعلّك فعلت إلى أهل بيته معروفاً، فقال: إنّي وجدت رأس السيد الحسين ـ رضي الله عنه ـ في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسة أثواب من الديباج وصليت عليه في جماعة من أصحابي فقبرته، فقال الحسن البصري: إنّ النبيّ رضي عنك بسبب ذلك[١].

وقد اختلفوا في المكان الذي حظي به، وهذه بعض الأقوال:

١ ـ دفن في حائط بدمشق.

٢ ـ في دار الإمارة.

٣ ـ في المقبرة[٢].

٤ ـ في داخل باب الفراديس، ويعرف بمسجد الرأس[٣].

٥ ـ في جامع دمشق[٤].

وهناك أقوال أُخر غير هذه.

خامساً: في فارس

ذكر ذلك أحمد عطية[٥] وهو قول شاذ لم يذكره أحد من المؤرخين.

---

(١) الإتحاف بحبّ الأشراف: ٧٠ و ٧١.

(٢) أنساب الأشراف: ٣: ٤١٩.

(٣) البداية والنهاية: ٨: ٢٠٦.

(٤) تاريخ الصحابة / أحمد بن حيان التميمي: ١٤ (مخطوط).

(٥) دائرة المعارف الحديثة: ١٥٢.

سادساً: في مصر

وذهب بعض المؤرخين إلى أنّ الرأس الشريف قد حظيت به القاهرة[(١)]، أمّا كيفية نقله لها، ففيها قولان:

١ ـ ما ذكره الشعراني أنّ العقيلة زينب عليها السلام نقلته إلى مصر ودفنته فيه[(٢)]. وهذا القول شاذ لا يعوّل عليه.

٢ ـ ما أفاده المقريزي: أنّه نقل من عسقلان إلى مصر سنة (٥٤٨هـ) في اليوم الثامن من شهر جمادى الآخرة، وقد نقله سيف المملكة مع القاضي المؤتمن ابن مسكين، وجرى له استقبال ضخم[(٣)].

هذه بعض الأقوال التي ذكرت في مواراة الرأس العظيم، وقد شيد في أغلبها مزار يطوف به المسلمون، وهو من مواضع الاعتزاز والفخر لكل بلد حظي بهذه النسبة.

وعلى أيّة حال، فالإمام الحسين عليه السلام قائم في عواطف الناس وقلوبهم، ففي أعماق النفوس قبره وذكره، فهو أسمى صورة قدّسها الناس في جميع الأحقاب والآباد.

وقد سئل أبو بكر الآلوسي عن موضع رأس الحسين عليه السلام فقال:

لَا تَطْلُبُوا المَولَى الحُسَينَ ... بِشَرقِ أَرضٍ أَو بِغَربِ
وَدَعُوا الجَمِيعَ وَعَرِّجُوا ... نَحوِي فَمَشهَدُهُ بِقَلبِي[(٤)]

---

(١) الغدير: ٥: ١٨٥.

(٢) الطبقات الكبرى / الشعراني: ٤٢.

(٣) الخطط المقريزيّة: ١: ٤٢٧. نور الأبصار: ٢٦٩. الغدير: ٤: ٣٤٩.

(٤) البابليّات: ٤: ١٢٨. تذكرة الخواص: ٢٣٩ و ٢٤٠.

وقال الحاج مهدي الفلوجي :

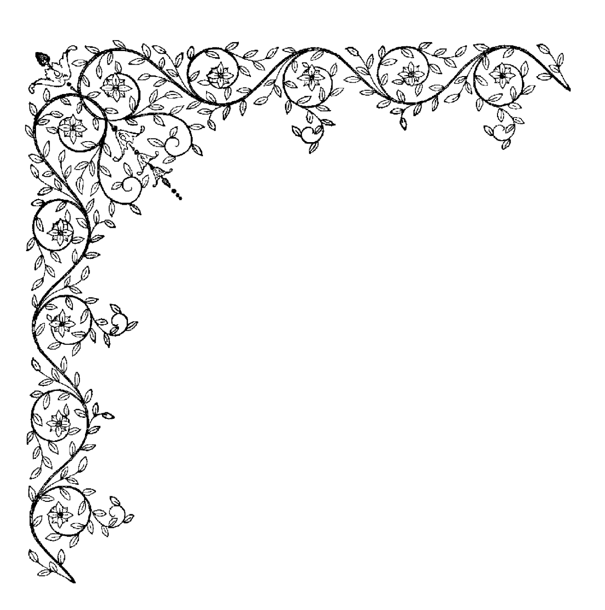
لَا تَـطْلُبُوا رَأْسَ الحُسَـينِ فَـإِنَّهُ　　　لَا فـي حِـمىً ثـاوٍ وَلَا فـي وادِ

لَكِـنَّما صَـفوَ الوَلَاءِ يَـدلُّكُمْ　　　فِي أَنَّهُ الْمَقْبُورُ وَسطَ فُؤادِي (١)

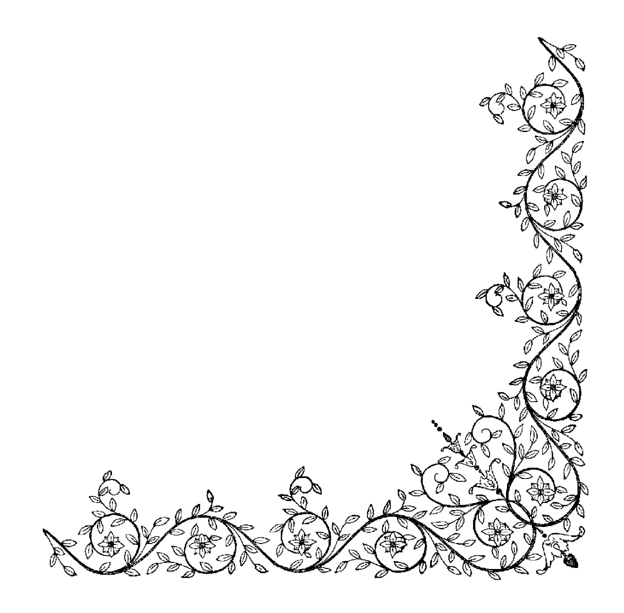
لقد احتل الإمام الحسين عليه السلام مشاعر الناس وثوى في أفئدتهم فهاموا في حبّه وتقديسه ، وقد فجعوا بما جرى عليه من عظيم الرزايا والخطوب ، وظلّت رزيته تنخر في القلوب ، وتذوب النفوس من هولها أسىً وحزناً ، وهم يحجّون لكل مرقد يحمل شرف الانتساب بأنّه مرقد رأسه ، وقد ازدحم المرقد العظيم بالقاهرة بالزائرين وهم يتبرّكون به ، ويعدّون زيارته من أفضل الطاعات والقربات إلى الله تعالى .

---

(١) البابليّات : ٤ : ١٢٨ . شعراء الحلّة : ٥ : ٣٧١ .



مُعْطِيَاتُ الثَّوْرَةِ



وليس في تاريخ هذه الدنيا ثورة هزّت العالم ، ومجّدت الحق ، وسجّلت فخراً للإنسان مثل ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، فجميع فصولها نور ، وكل آفاقها شرف ومجد ، وقد حفلت بالدروس الخالدة عن العقيدة التي لا تضعف ، والإيمان الذي لا يقهر ، والإباء الذي لا يذل . وقد فتحت لأُمم العالم وشعوب الأرض عصراً جديداً اتسم بروح الثورة والتمرّد على الظلم والطغيان ، ومقاومة الاضطهاد ومناهضة الفساد .

وَلَرُبَّ نَصرٍ عادَ شَرَّ هَـزِيمَةٍ   تَرَكَتْ بُيُوتَ الظَّالِمِينَ طُلُولَا

لقد كانت ثـورة أبـي الأحـرار هـي الثـورة الأُولى فـي التـاريخ البشـري ، وذلك بما حققته من المكاسب على الصعيد الفكري والاجتماعي والسياسي ، والتي كان من بينها :

انتصار القضية الإسلامية

وأحرز الإمام العظيم بشهادته النصر الهائل الذي لم يحرزه أيّ ثائر في الأرض ، فقد انتصرت أهدافه ومبادؤه التي ناضل من أجلها ، وكان من أهمّها انتصار القضية الإسلامية في صراعها السافر مع الأُموية التي عبثت بـمقدّرات الإسـلام ، وراحت تستأصل جميع جذوره حتى لم يعد له أيّ ظل على واقع الحياة ، وقد أخذ الإمام الحسين عليه السلام على عاتقه مصير الدين الإسلامي فاستشهد في سبيله ، وقد أعاد ـ سلام الله عليه ـ للإسلام نضارته ، وأزال عنه الخطر الجاثم عليه .

يقول الفيلسوف الألماني (ماربين) : «لا يشك صاحب الوجدان ـ إذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصر ، وكيفية نجاح بني أُمية في مقاصدهم ، واستيلائهم على جميع طبقات الناس ـ وتزلزل المسلمين .

إنّ الحسين قد أحيا بقتله دين جدّه وقوانين الإسلام ، ولو لم تقع تلك الواقعة ، ولم تظهر تلك الحسّيات الصادقة بين المسلمين ... ولولا قتل الحسين لم يكن الإسلام على ما هو عليه قطعاً ، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ حديث العهد» .

ويكفي الإمام الحسين عليه السلام ربحاً في شهادته أنّه أحيا الإسلام وفداه بدمه ، وقد أشار إلى ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام حينما سأله إبراهيم بن طلحة بن عبيدالله ، فقال له : من الغالب ؟

فقال عليه السلام : **إذا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَذِّنْ وَأَقِمْ تَعْرِفُ الْغالِبَ** »[1] .

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام هو المنتصر والغالب ؛ لأنّه أعاد للإسلام حياته ونضارته ، فكان هو المجدد ، ولعل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عنى هذه الجهة بقوله : « **حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ** »[2] .

إنّه لولا تضحية الإمام الحسين عليه السلام لضاعت جميع جهود الرسول صلى الله عليه وآله وما جاء به من خير وبركة ورحمة للناس ، فإنّ بني أُمية حملوا معول الهدم على جميع المبادئ التي جاء بها هذا الدين فأعلنوا الكفر والإلحاد ، وساسوا الناس بسياسة لا ظل فيها لحكم القرآن .

---

(١) الأمالي / الطوسي : ٦٧٧ ، الحديث ١٤٣٢ .

(٢) الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٢٧ . أوائل المقالات : ١٧٨ . شرح الأخبار : ٣ : ١١٢ . بحار الأنوار : ٤٣ : ٢٧١ . سنن الترمذي : ٥ : ٦١٧ ، الحديث ٣٧٧٥ . سنن ابن ماجة : ١ : ٥١ ، الحديث ١٤٤ .

هزيمة الأُمويين

وكان من أوليات ما أحرزه الإمام الحسين عليه السلام من الانتصارات الرائعة هزيمته للأُمويين ، فقد نسفت تضحيته جميع الأُسس والقواعد التي أقامها معاوية لتوطيد الملك في آل أبي سفيان .

يقول بعض الكُتّاب : « إنّ ما بناه معاوية لابنه يزيد في أعوام هدمه الحسين في أيام ، ونظر الناس إلى الخليفة نظرة الأفن والاستهتار فنفر المسلمون من سياسته ، ولصوق هذا بدولتهم ، ووسمه الواسمون بسمات الخديعة والمكر والظلم والجور ، وذلك كله بفضل هدي الحسين ، وحسن سمته ، وما رسمه من سياسة حكيمة في الوقوف أمام ظلمهم ، وما اختطه من خطّة قويمة في دفع عنتهم وبغيهم ، وما أبداه في حركاته من حزم وإيثار »(١) .

لقد أطاح الإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة بتلك الرؤوس التي نفخها الكِبر وأثقلها الغرور ، وأعماها الطيش .

يقول السيد مير علي الهندي : إنّ مذبحة كربلاء قد هزّت العالم الإسلامي هزّاً عنيفاً ممّا ساعد على تقويض دعائم الدولة الأُموية(٢) .

أمّا مظاهر الهزيمة الأُموية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ، فهي :

أوّلاً : تجريدهم من الواقع الإسلامي

لقد عملت مجزرة كربلاء الرهيبة على تجريد الأمويّين من الإطار الإسلامي ، وأثبتت أنّهم على وثنيتهم وجاهليتهم ، فإنّ ما جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله من الإبادة الشاملة بعد أن حرّمت عليهم القيادة العسكرية الماء ، وما جرى على ريحانة

---

(١) ريحانة الرسول : ١٧٦ .

(٢) مختصر تاريخ العرب : ٩٣ .

رسول الله صلى الله عليه وآله من التمثيل بعد القتل ، وسبي حرائر النبوة وعقائل الوحي يطاف بهن من بلد إلى بلد ، وهنّ بحالة تقشعر منها الأبدان ليظهروا قهر آل النبيّ صلى الله عليه وآله ، وإبداء التشفّي منهم أمام الرأي العام ، وما تمثّل به يزيد من الشعر الذي أنكر فيه نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وأنّه إنّما أباد عترته طلباً بثأر من قتل من الأُمويين في واقعة بدر كل ذلك قد جرّد الأُمويين من كل نزعة إسلامية ، ودلل على مروقهم من الدين .

ثانياً : شيوع النقمة والإنكار عليهم

وكان من مظاهر الهزيمة الساحقة التي مُني بها الأُمويون شيوع النقمة والإنكار عليهم في جميع الأوساط ، فقد تعالت موجات عارمة من الإنكار على يزيد حتى من عائلته وأُسرته ، وقد فزع من ذلك أشدّ ما يكون الفزع ، وندم على ما اقترفه ، وساءت العلاقة بينه وبين ابن مرجانة فيما يقول المؤرخون .

ثالثاً : تحوّل الخلافة عن بني أُمية

وهزمت ثورة الإمام الحسين عليه السلام الحكم الأموي ، ونسفت جميع معالمه ، وجعلته يعيش في ثورات متلاحقة قامت بها الشيعة وغيرهم ؛ حتى انهار صرح ذلك الحكم الأسود بقيام الدولة العباسية ، وسنذكر عرضاً لذلك .

التدليل على واقع أهل البيت عليهم السلام

ودللت ثورة أبي الشهداء عليه السلام على الواقع المشرق لأهل البيت ، وكشفت للعالم الإسلامي الطاقات الهائلة التي يملكونها من الثبات على الحق ، والصمود أمام الأحداث ، وتبني القضايا المصيرية للأُمة ، ممّا جعلت جمهرة المسلمين يكنون لهم أعظم الودّ وخالص الحبّ والولاء .

لقد أظهرت كارثة كربلاء للعيان أنّ أهل البيت هم المثل الأعلى للقيادة الروحية والزمنية لهذه الأُمة ، وأنّهم الروّاد للحق والعدل في الأرض .

تركيز التشيع

ومن معطيات الثورة الحسينية أنّها ركّزت التشيع في إطاره العقائدي وأصبح عقيدة راسخة في نفوس الشيعة. يقول فيليب حتّي: «إنّ الحركة الشيعية ولدت في العاشر من المحرم، ومنذ ذلك اليوم أصبح عقد الإمامة لذرية عليّ سنةً لها في عقائد الشيعة، ما لنبوة محمّد صلى الله عليه وآله من قدر الإسلام»[1].

ويقول بعض المستشرقين: «لولا مقتل الحسين لما كانت هناك شيعة في الإسلام»[2].

ويقول (سترثمان): «لقد كانت دماء الحسين التي سالت على سيوف القوات الحكومية هي النواة التي أنبتت العقيدة الشيعية أكثر من دماء عليّ الذي اغتالته يد متآمر خارجي».

ويقول الشيخ التستري: «إنّه لو لم يتحمّل الإمام الحسين عليه السلام لهذه المصائب لم يظهر دين للشيعة؛ وذلك لأنّ بني أُمية لمّا استولوا على البلاد وأظهروا الفساد، وسعوا في إخفاء الحق، حتى شبّهوا الأمر على الناس، فجعلوا سبّ عليّ عليه السلام من أجزاء الصلاة، وأدخلوا في أذهان الناس أنّ بني أُمية أئمة الإسلام، ورسخ ذلك في عقائد الناس من زمن طفولتهم حيث إنّهم ألقوا ذلك إلى المعلمين ليفيدوا الأطفال في مكاتبهم ومدارسهم، فاعتقد الناس حقيقة أنّ هؤلاء أئمة الدين، وأنّ مخالفهم على ضلال... ولمّا قتل الإمام الحسين عليه السلام بتلك الكيفية وسبيت عياله تنبّه الناس إلى أنّ هؤلاء لو كانوا أئمة حق ما فعلوا ذلك، وأنّ فعلهم لا يطابق ديناً ولا مذهباً ولا عدلاً ولا يطابق جور الجائرين»[3].

---

(١) تاريخ العرب: ٢٥١.

(٢) الحسين بن علي / عمر أبو النصر: ١٠.

(٣) الخصائص الحسينيّة: ٨٣.

لقد أذكت تلك الدماء الزاكية روح الولاء والإخلاص لأهل البيت عند جمهور المسلمين ، وقد انضمّ تحت لوائهم في ذلك العصر الكثيرون ممّن كانوا يقفون موقف الحياد بين الأحزاب المتطاحنة على الحصول على الحكم[١] .

إنّ ما جرى على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من المصائب المذهلة قد حيّر العقول ، وطاش بالألباب ، وأذهل كل كائن حي .

توحيد صفوف الشيعة

وعملت كارثة كربلاء على توحيد صفوف الشيعة ، وخلق روح التضامن فيما بينهم بعد أن كان ينقصهم الحماس وبذل النفس في الدفاع عمّا يؤمنون به من أنّ الخلافة حق شرعي خاص لأهل البيت ، وقد تبدّل ذلك الشعور فكانوا أقوى قوة فعّالة تصدّت للإطاحة بحكم الأُمويين ، فقد هبّوا جميعاً وشعارهم : « يا لثارات الحسين »[٢] .

يقول بعض الكتاب : « لقد كان هذا الحادث البشع المنكر مذكياً للتشيع إلى أقصى حد ، وكان عاملاً على وحدة الشيعة وحماسهم لنصرة مذهبهم ، وسبباً في ثوراتهم الجارفة ليثأروا من قتلة الحسين »[٣] .

وأكّد ذلك (برو كلمان) بقوله : « لقد أذكت تلك الدماء التي روّت أرض كربلاء روح التشيع في نفوس الشيعة ، وجعلتهم يشعرون بوجوب توحيد صفوفهم » .

لقد أثارت مذبحة كربلاء العواطف والأحزان في نفوس الشيعة ، وجعلتهم يؤمنون قبل كل شيء بضرورة اتحادهم للأخذ بثأر الإمام العظيم الذي ثار من أجل

---

(١) اتّجاهات الشعر العربي : ٣٠.

(٢) اللهوف : ١٧٢. تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ٩٢.

(٣) أدب السياسة في العصر الأموي : ٤٠.

العدل وإعادة حقوق المظلومين والمضطهدين .

تكوين الحس الاجتماعي

وعملت نهضة الإمام الحسين عليه السلام على تكوين الحسّ الاجتماعي وخلق روح الثورة في النفوس ، وقد تغيّرت الأُمّة تغييراً كاملاً فتسلّحت بعد خمودها بقوة الإيمان وقوة العزم والتصميم ، وتحررت من جميع السلبيات التي كانت ملمّة بها ، فقد أخذت تنادي بحقوقها ، وتعمل جاهدة على إسقاط الحكم الأموي ، وهي تقدّم بسخاء القرابين في ثورات متلاحقة تمثّل سخطها العارم وكراهيتها الشاملة لبني أُمية ، ولم يعد هناك أيّ ظلّ للخوف والفزع فيهم ، حتى اكتسحت مشاعر الزهو الأموي ، وأطاحت بجبروت الأُمويين وطغيانهم .

لقد قلبت ثورة الإمام الحسين عليه السلام مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت سائدة في الأُمة إلى مبادئ الثورة والنضال والتحرّر من ربقة الذل والعبودية ، فقد أعطتهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام قوة دافعة ، وأمدّتهم بروح وثّابة لمقارعة الظلم والطغيان .

تفجير المواهب

ومن معطيات الثورة الحسينية أنّها فجّرت المواهب والعبقريات ، فبرزت طاقات هائلة من الأدب الرفيع في طليعة الأدب العالمي رقّة وروعة وجمالاً .

لقد حفل أدب الثورة الحسينية بأروع ما حفل به الأدب السياسي في الإسلام ، ففيه مناجم أخّاذة تعد من أوفر المناجم الفكرية عطاءً وأغزرها فناً ، ومن بين ما حفل به :

أوّلاً : الإشادة بالعدالة الاجتماعية والقيم الإنسانية التي ناضل من أجلها الإمام العظيم .

ثانياً : شجب الظلم ومقارعة الطغيان ، ومناهضة الغرور والطيش .

ثالثاً: بعث المجتمع نحو العزّة والإباء اقتداءً بالإمام الحسين عليه السلام سيد الأُباة ورائد الكرامة الإنسانية.

رابعاً: عرض الاتجاهات الفكرية والعقائدية التي يحملها الإمام العظيم.

خامساً: تمجيد الإمام الحسين عليه السلام بما لم يمجّد به أحد من شهداء الإصلاح الاجتماعي، فقد تفاعلت مبادؤه مع عواطف شعراء الشيعة، وأدركوا المدّ الإنساني في نهضته الخالدة فراحوا يقدّسونه بأروع ما يقدّس به أيّ مصلح اجتماعي في الأرض.

سادساً: الحطّ من الأُمويين والتشهير بجرائمهم المعادية للإسلام.

سابعاً: عرض ما جرى على أهل البيت من المحن والخطوب.

يقول السيد محمّد سيد الكيلاني: «جاء الأدب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد».

ويقول: «كانت مجزرة كربلاء التي قتل فيها الحسين وما حل بالعلويين بعدها دافعاً قوياً للشعراء أنطقهم بكثير من القصائد التي تسيل العبرات، وتذيب القلوب، وتفتت الأكباد، ولا غرابة في ذلك؛ فهي صدىً لتلك الدماء التي سفكت بغير حساب، والأشلاء التي تناثرت وتركت على الأرض طعاماً للطير... وقد كثر الشعر في رثاء آل البيت كثرة هائلة، وكله صادر من أعماق النفوس، منبعث من قرارة الأفئدة، فكان للأدب العربي من ذلك ثروة لا تقدّر»(١).

ثامناً: جمال الروعة في أدب الثورة الحسينية وحرارة العاطفة.

يقول بعض الكتّاب: «والشعر الذي رثي فيه الحسين حار ملتهب؛ لأنّه تعبير عن عواطف قوية، وتنفيس عن نفوس متأججة ثائرة؛ فهم غضاب ساخطون؛ لأنّ

---

(١) أثر التشيّع في الأدب العربي: ٢٣.

بني أُمية سلبوهم حقّهم وغصبوهم مكانهم ، فصوّروا غضبهم في شعر حانق على الأُمويين »[١] .

إنّ الشعر الحسيني يمثّل الصدق في وصف العاطفة الملتهبة ، وإنّ أصحابه لم يكونوا متكلفين ولا منتحلين ، وإنّما كانوا متألمين أشدّ ما يكون التألم ، فيصفون الإمام الحسين عليه السلام وصفاً صادقاً ، لقد كان ذلك الأدب الحي من أثرى ألوان الأدب العالمي ، ومن أبرز القيم الثقافية في الإسلام .

وممّا تجدر الإشارة إليه إلى أنّ الأدب الحسيني لم يصطبغ بهذه الصبغة ويتبوّء مكانه الأعلى في الأدب الإسلامي إلّا بعد حقبة طويلة من الزمن ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما ذكره أبو الفرج من أنّ الشعراء كانوا لا يقدمون على رثاء الحسين مخافة من بني أُمية[٢] .

منابر الوعظ والتوجيه

ومن أروع النتائج التي حققتها ثورة أبي الأحرار هي المنابر الحسينية التي أصبحت منطلقاً لتوجيه الأُمة وإرشادها ؛ وذلك بما يبثه السادة الخطباء من الوعظ والإرشاد وعرض مأساة أبي الشهداء عليه السلام التي هي من أروع الدروس وأثمنها للتضحية في سبيل الحق والعدل ، وقد وصف الكاتب الألماني (مارتن) هذه المنابر بأنّها من أهم الأسباب لتقدّم المسلمين إن هم أحسنوا تنظيمها والاستفادة منها .

إنّ مأساة أبي عبدالله عليه السلام جزء لا يتجزأ من رسالة الإسلام ، وهي تمثّل كفاحه ونضاله ضد الطغاة ووقوفه إلى جانب المظلومين والمضطهدين .

ويقول (جون إشرا) : « إنّ مأساة الحسين تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد

---

(١) أدب السياسة : ١٨٩ .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ١٢١ .

في سبيل العدل الاجتماعي ».

إنّ المنابر الحسينية من أهم المكاسب ومن أروع المعطيات في ثورة الحسين عليه السلام، فقد عملت على غرس النزعات الخيّرة في النفوس وإبعادها عن عوامل الشذوذ والانحراف، وتوجيهها الوجهة الصالحة التي تتسم بالاستقامة وحسن السلوك، كما إنّها من المدارس السيّارة لنشر الإيمان بالله وإذاعة القيم الإسلامية بين الناس.

امتداد الثورة

لقد أثارت كارثة كربلاء موجة رهيبة من القلق النفسي والانفعالات العميقة سيطرت على نفوس المسلمين، ودفعتهم إلى العمل السياسي والتكتل الاجتماعي للإطاحة بالحكم الأموي، والانتقام من السفاكين المجرمين.

لقد كانت الأرض تستعر حرباً منذ قتل الحسين عليه السلام، فقد هبّت الشعوب الإسلامية كالمارد الجبّار وهي تعلن سخطها العارم على الحكم الأموي وتعمل على إسقاطه[١]، ومن بين هذه الثورات:

الأُولى: ثورة عبدالله بن عفيف

وهي أول ثورة في الكوفة بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام مباشرة، قام بها البطل العظيم عبدالله بن عفيف الأزدي، فكان أول من أطلق شرارة الثورة، وأحال النصر الكاذب الذي أحرزه ابن مرجانة إلى هزيمة، وقد تحدثنا عن الأزديين وشرطة ابن مرجانة، وذكرنا ذلك في البحوث السابقة.

الثانية: ثورة ابن الزبير

ثم تحصّن عبدالله بن الزبير في البيت الحرام، وقد مال الناس إليه بعد مقتل

---

(١) الذهب المسبوك / المقريزي: ٢٧.

الحسين عليه السلام ، وكان أمير مكة من قبل يزيد عمرو بن سعيد الأشدق فعزله يزيد وولّى عليها الوليد بن عتبة ؛ لأنّ الأخبار كانت تأتي يزيد بأنّ الأشدق كان يناصح لابن الزبير ، وبعد عزله ذهب إلى الشام وأخبر يزيد بأنّه غير متمكّن من قتال ابن الزبير ؛ لأنّ أهل مكة كانوا يناصحونه ويهابونه ، وقد مال معه أصحاب نجدة بن عامر الحنفي وهم الخوارج ، فلذلك لم يستطع الأشدق المحاربة[١] .

الثالثة: ثورة المدينة

والشيء المحقق أنّ الثورة في يثرب كانت امتداداً لثورة أبي الشهداء عليه السلام ، فقد كانت النفوس تغلي كالمرجل غيظاً وحنقاً على يزيد لانتهاكه حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله في قتله لعترته وسبيه لذراريه .

وقد أفعمت القلوب حزناً وألماً حينما رجعت سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة وجعلت تقص على أهلها ما جرى على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من عظيم الرزايا وفوادح الخطوب ، وما عانته عقائل النبوة ومخدّرات الوحي من الأسر والسبي .

لقد كانت شقيقة الإمام الحسين عليه السلام وحفيدة الرسول صلى الله عليه وآله زينب تلهب العواطف للطلب بثأر أخيها .

وقد رأى أهل المدينة أنّ الخروج على يزيد واجب شرعي فخلعوا بيعته رسمياً وأعلنوا الثورة على حكومته ، وقد عهد يزيد إلى المجرم الأثيم مسلم بن عقبة المري ـ وسمي بـ (مسرف) لإيغاله بدماء المسلمين ـ باحتلال يثرب ، وضم إليه جيشاً مكثّفاً قوامه اثنا عشر ألفاً من أهل الشام ، وقد أمره أن يبيحها لجنده ثلاثة أيام يصنعون بأهلها ما يشاءون وينهبون من أموالهم ما يحبّون .

وزحف الأثيم مسرف بجنوده إلى المدينة فاحتلها ، وقد أباحها لجنده ثلاثة أيام

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٦٧٠ ـ ٦٧٣ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٠٦ ـ ٣٠٨ .

وقد أطلق العنان لوحشيته فراح يعمل السيف في أهالي يثرب وكأنهم الأغنام، وقد استباحوا قتل الأطفال أمام أعين الأُمّهات بصورة مفجعة، ونهبوا الأموال لم يردعهم حشمة ولا إجلال لقبر النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد قتلوا ونهبوا واستباحوا كل ما حرّمه الله، ثمّ أخذ البيعة من أهلها على أنّهم خَوَلٌ ليزيد ومن أبى ضُربت عنقه[١]. وقد حدثت من الرزايا في تلك الواقعة ما تذوب منه النفوس، وقد ذكر المؤرخون صوراً مروّعة ومحزنة ممّا حل بالمدنيين، فكانت هذه الكارثة كفاجعة كربلاء، وقد دفعت الشعوب الإسلامية إلى التكتل السياسي للعمل ضدّ الحكم الأموي والإطاحة به.

الرابعة: ثورة التوابين

وندم أهل الكوفة أشدّ الندم على خذلانهم للإمام الحسين عليه السلام وجعلوا يتلاومون على ما اقترفوه من عظيم الإثم، وقد أجمعوا على إقرارهم بالذنب في خذلانه ولزوم التكفير عنه بالمطالبة بثأره، وقد خاطب أحدهم ابنته فقال لها: يا بنية، إنّ أباك يفرّ من ذنبه إلى ربّه[٢].

وقد عقدوا مؤتمراً في منزل سليمان بن صُرَد الخزاعي وهو شيخ الشيعة، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وذو السابقة والقدم في الإسلام، فقد تداولوا الحديث فيما بينهم ورأوا أنّه لا يغسل عنهم العار والإثم إلّا بقتل من قتل الإمام الحسين عليه السلام.

وقد أُلقيت في المؤتمر عدّة خطب حماسية وهي تدعو إلى التلاحم ووحدة الصف للأخذ بثأر الإمام العظيم، وكان انعقاد المؤتمر ـ فيما يقول المؤرخون ـ في سنة (٦١هـ) وهي السنة التي قتل فيها الإمام الحسين عليه السلام[٣].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥: ١٧.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٥: ٩٢.

(٣) أنساب الأشراف: ٦: ٣٦٤ ـ ٣٦٦.

قرارات المؤتمر

واتخذ المؤتمر بالإجماع عدّة قرارات، ومن بينها:

١ ـ انتخاب سليمان بن صُرَد قائداً عاماً للثورة ليتولى وضع المخططات السياسية والعسكرية[١].

٢ ـ مراسلة المناطق التي تضم الشيعة في العراق وخارجه وإعلامها بما أجمعوا عليه من الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام والمطالبة بالانضمام إليهم[٢].

٣ ـ تأجيل الثورة إلى مدة أربع سنين على أن تكون السنوات الأربع فترة تأهب واستعداد للقتال[٣].

٤ ـ أن تكون النخيلة هي المركز الرئيسي الذي تعلن فيه الثورة[٤].

٥ ـ إحاطة الثورة بالسرِّ والكتمان[٥].

وتفرق أعضاء المؤتمر وكان عددهم ـ فيما يقول المؤرخون ـ مائة شخص، وقد أخذوا يواصلون العمل فيجمعون التبرّعات لشراء الأسلحة، ويدعون الناس إلى الالتفاف حولهم والانضمام إليهم.

إعلان الثورة

وفي سنة (٦٥هـ) أعلن التوابون ثورتهم العارمة على الحكم الأموي وكان عددهم ـ فيما يقول المؤرخون ـ أربعة آلاف، وقد أرسل زعيم الثورة سليمان بن صُرَد إلى الكوفة الحكيم بن منقذ الكندي والوليد بن عصير الكناني وأمرهما أن يجوبا

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥: ٦٧.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٥: ٧٠.

(٣) و (٤) أنساب الأشراف: ٦: ٣٦٦.

(٥) الكامل في التاريخ: ٣: ٣٣٤.

مدينة الكوفة ويناديا بشعار الثورة : « يا لثارات الحسين »[١] .

وحينما انتهيا إليها ناديا بذلك ، ولأوّل مرّة دوّى هذا النداء المؤثّر في سماء الكوفة فكان كالصاعقة على رؤوس السفاكين المجرمين ، كما كان بلسماً لقلوب المؤمنين والمسلمين ، وقد التحق قسم كبير من الناس بالنخيلة ، فخطب فيهم سليمان ابن صُرَد خطاباً مؤثّراً ، وأعرب لهم أنّه لا ينشد مغنماً أو مكسباً ، وإنّما يلتمس وجه الله والدار الآخرة ، ويرجو أن يكفّر الله عنه وعن إخوانه ما اقترفوه من عظيم الذنب في خذلانهم لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله .

الثورة في كربلاء

وصمم التوابون على المضي إلى كربلاء لزيارة قبر أبي الشهداء عليه السلام ليعلنوا التوبة إلى الله عند مرقده[٢] .

وسارت كتائب التوابين إلى كربلاء ، فلمّا وصلوا إليها صاحوا صيحة واحدة « يا حسين » ، وأغرورقت عيونهم بالبكاء والنحيب ، وأخذوا يتضرّعون إلى الله ليتوب عليهم ويغفر لهم ، وقد قالوا عند ضريح الإمام : اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد ، المهدي ابن المهدي ، الصدّيق ابن الصدّيق .

اللهم إنّا نشهدك أنّا على دينهم وسبيلهم ، وأعداء قاتليهم ، وأولياء محبيهم .

اللهم إنّا خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منّا وتب علينا ، فارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصدّيقين ، وإنّا نُشهدك إنّا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين[٣] .

---

(١) أنساب الأشراف : ٦ : ٣٦٨ . تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ٩٢ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ٩٧ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٤١ .

وازدحموا على القبر الشريف أكثر من الازدحام على الحجر الأسود وهم يبكون ويتضرّعون إلى الله ليغفر ذنوبهم ويمنحهم التوبة ، ثمّ رحلوا إلى الأنبار .

المسير إلى عين الوردة

وسارت كتائب التوّابين حتى انتهت إلى عين الوردة[١] فأقامت فيها ، وزحفت إليهم جنود أهل الشام والتحمت معهم التحاماً رهيباً ، وجرت بينهما أعنف المعارك وأشدّها ضراوة ، ومُني الجيشان بخسائر كبيرة في الأرواح ، واستشهد قادة التوّابين كسليمان بن صُرَد ، والمسيب بن نَجَبة ، وعبدالله بن سعد ، وغيرهم .

ولمّا رأى التوابون أنّهم لا قدرة لهم على مقابلة أهل الشام ، تركوا ساحة القتال ، ورجعوا في غلس الليل إلى الكوفة ، ولم تتعقبهم جيوش أهل الشام ، وقد مضى كل إلى بلده ، وانتهت بذلك معركة التوابين ، وقد أدخلت الفزع على الأُمويين ، وكبّدتهم أفدح الخسائر .

وقد رثى شهداء التوابين أعشى همدان في قصيدة طويلة ، منها :

فَجاءَهُمُ جَمْعٌ مِنَ الشّامِ بَعْدَهُ ... جُمُوعٌ كَمَوْجِ البَحْرِ مِنْ كُلِّ جانِبِ

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى أُبِيدَتْ سُراتُهُمْ ... فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ ثَمَّ غَيْرُ عَصائِبِ

وَغُودِرَ أَهْلُ الصَّبْرِ صَرْعىٰ فَأَصْبَحُوا ... تُعاوِرَهُمْ رِيحُ الصَّبا وَالجَنائِبِ[٢]

الخامسة : ثورة المختار

والمختار من أشهر الشخصيات العربية التي عرفها التاريخ الإسلامي ، وقد لعب

---

(١) **عين الوردة** : وهي رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة ، وبها كانت الوقعة بين التوّابين من أهل الكوفة في قتل الحسين بن علي عليهما السلام ، وأهل الشام وعبيد الله بن زياد في سنة (٦٥هـ) . المشترك وضعاً والمفترق صقعاً : ٣٢٠ و ٣٢١ .

(٢) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٤٧٢ و ٤٧٣ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٤٦ .

دوراً خطيراً في الأحداث السياسية والاجتماعية في ذلك العصر، كما كان من ألمع السياسيين في رسم المخططات ووضع المناهج والسيطرة على الموقف، وقد أثبتت كفاءته أنّه رجل الفكر والعمل.

يقول بعض الكتّاب عنه: «إنّه كان على جانب كبير من الدراية بعلم النفس والإلمام بوسائل الدعاية والإعلام، فقد كان يخاطب عواطف الناس كما كان يخاطب عقولهم، وكان لا يكتفي بوسائل الدعاية المعروفة حينئذٍ كالخطابة والشعر، بل لجأ إلى وسائل كثيرة للدعاية منها التمثيل والمظاهرات والإشاعات، كما لجأ إلى ما نسميه الآن بالانقلاب العسكري حينما انتزع الكوفة من ابن الزبير»[١].

وكان علماً من أعلام الشيعة، وسيفاً من سيوف آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يتحرّق أشدّ ما يكون التحرّق ألماً وجزعاً على العترة الطاهرة التي أبادتها سيوف الباطل، وقد سعى جاهداً للاستيلاء على الحكم لا لرغبة فيه، وإنّما ليأخذ ثأر آل البيت عليهم السلام وينتقم من قتلتهم. وكان شعار الثورة «يالثارات الحسين»، وكان معه الصحابي أبو الطفيل شاعر كنانة وحامل راية علي عليه السلام في بعض حروبه، وقد خرج مع المختار مطالباً بدم الإمام الحسين عليه السلام، ولعبد العزيز بن يحيى الجلودي كتاب (أخبار أبي الطفيل) في سيرته[٢].

وقد اتُهم هذا العملاق العظيم باتهامات رخيصة كاتهامه بادعاء النبوة وغيرها من النسب الباطلة التي هي بعيدة عنه وهو بريء منها، وإنّما اتهموه بذلك؛ لأنّه طلب بثأر الإمام العظيم، وزعزع كيان الدولة الأُموية، وأسقط هيبة حكمها وساوى بين العرب والموالي، فلم يميّز أحداً على أحد، وقد رام السير في أيام حكمه على ضوء منهاج سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والاقتداء بسلوكه في سياسته

(١) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: ٤٣.

(٢) الأعلام: ٤: ٢٦.

الاقتصادية والاجتماعية.

وكان على جانب كبير من التقوى والحريجة في الدين. ويقول المؤرخون: إنّه كان في أيام حكومته القصيرة الأمد يكثر من الصوم شكراً لله تعالى على توفيقه للأخذ بثأر العترة الطاهرة، وإبادته للأرجاس من السفاكين المجرمين.

لقد ألصقوا بهذا العملاق العظيم التهم الزائفة للحط من شأنه والتقليل من أهميته، وإنّا بعد دراستنا لشؤونه رأيناه من أفذاذ التاريخ ومن أعلام الأُمة الإسلامية بما يملك من طاقات هائلة من الفضل والتقوى، وأصالة الفكر وعمق الرأي وحسن التدبير قلّ أن يتصف بمثلها عظماء الرجال وعباقرة الدهر.

وكان بودّي أن أُطيل الوقوف للتحدّث عن معالم شخصيته الكريمة، والتحدّث عن ثورته وكيفية استيلائه على الحكم، إلّا أنّ ذلك يستدعي وضع كتاب خاص به، وعسى أن أُوفّق إلى ذلك إن شاء الله، وقبل أن أقفل الحديث عنه أُشير على سبيل الإيجاز إلى بعض الجهات التي تمتّ إلى الموضوع.

فزع السفاكين المجرمين

وساد الرعب واستولى الخوف على نفوس السفاكين المجرمين من قتلة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كانوا على يقين أنّ ثورة المختار إنّما قامت للانتقام منهم، فهام بعضهم من خوفه في البيداء ولم يعلم له خبر، وفر آخرون إلى عبد الملك ليحميهم من سطوة المختار وغضبه، وقد خاطبه عبدالملك بن الحجّاج التغلبي ـ وقد جاء إليه لاجئاً ـ قائلاً:

أَدنُو لِترْحَمَنِي وَتَرتُقَ خَلَّتِي   وَأَراكَ تَدفَعَنِي فَأَينَ المَدْفَعُ

وجاء إليه يوماً فقال له: إنّي هربت إليك من العراق.

فصاح به عبد الملك بن مروان: كذبت، ليس لنا هربت، ولكن هربت من دم

الحسين ، وخفت على دمك فلجأت إلينا [١] .

كما هرب بعضهم إلى ابن الزبير وانضمّ إلى جيشه وقاتل معه لا إيماناً بقضيته ولكن خوفاً من المختار ، وقد عمد المختار إلى هدم دورهم والاستيلاء على جميع ممتلكاتهم ، وقد هدم دار محمّد بن الأشعث ، وأخذ أنقاضها وبنى بها دار الشهيد العظيم حجر بن عدي ، وكان قد هدمها زياد ابن أبيه [٢] .

وأمّا الخبيث الدنس عمر بن سعد فقد قبع في بيته فزعاً مرعوباً ، وهو يزجّ بالشخصيات للتوسّط لدى المختار في أخذ الأمان له والعفو عنه ، وكتب له المختار الأمان بشرط ألاّ يحدث حدثاً ، ولكنّه وارى في ذلك وأراد ألاّ يدخل الكنيف .

لقد أرعب المختار قلوب المجرمين من قتلة الإمام الحسين عليه السلام حتى زلزلت الأرض تحت أقدامهم واجتاحتهم موجات عاتية من الخوف والإرهاب ، فلم يهنأ أحد منهم بعيش فقد خيّم عليهم شبح الموت .

الإبادة الشاملة

وأسرع المختار إلى تنفيذ حكم الإعدام بكل من اشترك في قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد جهد على الانتقام منهم وتطهير الأرض من أُولئك الأرجاس ، وقد قتل منهم ـ فيما يقول الطبري ـ في يوم واحد مائتين وثمانين رجلاً ، ولم يفلت أحد من قادتهم وزعمائهم ، فقتل المجرم الخبيث عبيد الله بن زياد ، وعمر بن سعد مع ولده حفص ، وقتل الأبرص شمر بن ذي الجوشن ، ورميت جيفته إلى الكلاب ، وقتل قيس بن الأشعث والحصين بن تميم ، وشبث بن ربعي وغيرهم [٣] .

---

(١) عيون الأخبار ١ : ١٠٣ و ١٠٤ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٧٢ .

(٣) الأخبار الطوال : ٢٩٩ ـ ٣٠٥ . تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ١٦٨ ـ ١٨٠ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٦٤ ـ ٣٧١ .

وقد استجاب الله دعوة الإمام العظيم في أُولئك السفاكين المجرمين فقتلهم قتلة بقتلة، وسقاهم كأساً مصبّرة، وانتقم منهم كأشد ما يكون الانتقام، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[1].

ويقول الزهري: «لم يبقَ ممّن قتله ـ يعني الحسين عليه‌السلام ـ أحدٌ إلّا من عوقب في الدنيا، إمّا بقتل، أو عمىً، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدة يسيرة»[2].

لقد حقّت عليهم كلمة العذاب في الدنيا، وهم في نار جهنم خالدون، لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن ثورة المختار التي هي من أنبل الثورات وأكثرها أصالة في الإسلام، فقد استهدفت الأخذ بثأر العترة الطاهرة التي هي عِدْل القرآن الكريم ـ حسبما يقول الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ كما استهدفت نشر المساواة والعدالة الاجتماعية بين الناس.

فتحيات من الله ورضوان على المختار يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

استمرار الثورة

ولم يؤدِ القضاء على ثورة المختار من قبل ابن الزبير إلى ضعف الروح الثورية عند الشيعة، فقد كانت هناك ثورات أُخرى فجّرها أحفاد الإمام الحسين عليه‌السلام، وأحفاد أخيه الإمام الحسن عليه‌السلام، فقد هبّ لمقارعة الظلم والجور الثائر العظيم زيد بن عليّ، وأشعل نار الثورة من بعده ولده يحيى وهما يناديان بمبادئ الإمام الحسين عليه‌السلام ويطالبان بثأره، واستمرت الثورات حتى تدفّقت الرايات السوداء مع طلائع الجيوش

---

(١) هود ١١: ١٠٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٩٥. ينابيع المودّة: ٣: ٢٣.

الإسلامية بقيادة أبي مسلم الخراساني فأطاحت بالعرش الأموي، وقضت على معالم زهوه وجبروته.

وبهذا ينتهي بنا البحث ـ بإيجاز ـ عن معطيات الثورة التي تحققت على الصعيد الفكري والاجتماعي، وبها تطوى الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب، وأُكرر ما أعلنته غير مرّة من أنّ هذا المجهود بما فيه من سعة وشمول واستيعاب فإنّه لا يمثّل إلّا صفحة من حياة هذا الإمام العظيم الذي احتلّ مشاعر الناس وعواطفهم، وقام في قلوبهم وأفكارهم. وإنّي على ثقة أنّ جميع ما أُلّف فيه وما سيؤلّف لا يستوعب جميع نواحي شخصيته، أو يلم بواقع حياته التي هي امتداد لحياة جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وما ينشده من الخير والتوجيه لصالح الإنسان.

المصادر

القرآن الكريم

الآثار الباقية .... أبو الريحان محمّد بن أحمد البيروني

آثار البلاد وأخبار العباد .... زكريا بن محمّد بن محمود القزويني

الآداب الشرعية والمنح المرعية .... شمس الدين الحنبلي

إبصار العين .... الشيخ محمّد السماوي

أبناء الرسول في كربلاء .... خالد محمّد خالد

ابن رشد وفلسفته .... فرج أنطون

أبو الشهداء .... عباس محمود العقاد

اتجاهات الشعر العربي .... محمّد مصطفى هدارة

الإتحاف بحبّ الأشراف ...... الشيخ عبد الله بن محمّد بن عامر الشبراوي

أثر الأُسرة والمجتمع في الأحداث .... منظّمة اليونسكو

أثر التشيع في الأدب العربي .... محمّد سيد الكيلاني

الاحتجاج .... أحمد بن علي الطبرسي

الأحكام السلطانية .... القاضي أبو يعلى الفراء ، والماوردي

أخبار الدول وآثار الأُول .... أحمد بن يوسف القرماني

الأخبار الطوال .... أحمد بن داود الدينوري ابن قتيبة

الأخبار الموفقيات .... الزبير بن بكار

الإختصاص .... الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد

الإدارة الإسلاميّة .... محمّد كرد علي

أدباء العرب .... بطرس البستاني

أدب السياسة في العصر الأموي .... أحمد محمّد الحوفي

أدب الطف .... السيد جواد شبر

الأدب والنقد .... الدكتور طه حسين

الأربعين .... الشيخ بهاء الدين محمّد بن الحسين العاملي

الإرشاد .... الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد

إرشاد القلوب .... أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي الواعظ

أسباب النزول .... علي بن أحمد الواحدي النيسابوري

الاستيعاب في معرفة الأصحاب .... يوسف بن عبدالله بن عبد البر المالكي

أُسد الغابة في معرفة الصحابة .. عز الدين علي بن محمّد بن الأثير الجزري

أسرار الحكماء .... جمال الدين ياقوت المستعصمي

الإسلام والحضارة العربية .... محمّد كرد علي

الإصابة في تمييز الصحابة ...... شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني

الأُصول العامة للفقه المقارن .... السيد محمّد تقي الحكيم

الإعجاز والإيجاز .... أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

الأعلام .... خير الدين الزركلي

أعلام الدين .... أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي الواعظ

أعلام النساء .... الدكتور عمر رضا كحالة

إعلام الورى بأعلام الهدى .... أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

أعيان الشيعة .... السيد محسن الأمين العاملي

الأغاني .... أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

ألف باء .... أبو الحجاج يوسف بن محمّد البلوي

الإفادة في تاريخ الأئمة السادة (م) ... يحيى بن الحسين العلوي الهاروني

إقبال الأعمال .... رضي الدين علي بن موسى بن طاووس#

أقرب الموارد .... سعيد الخوري الشرتوني

الأمالي .... السيد الشريف علي بن الحسين المرتضى

الأمالي .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق

الأمالي .... الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد

الأمالي وذيله .... إسماعيل بن القاسم القالي

الإمامة والسياسة .... عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

الإمام زين العابدين عليه السلام .... أحمد فهمي

إمتاع الأسماع .... تقي الدين أحمد المقريزي

الأنساب .... أبو سعد عبد الكريم بن محمّد السمعاني

أنساب الأشراف .... أحمد بن يحيي بن جابر البلاذري

أوائل المقالات .... الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد

الإيضاح .... أبو محمّد الفضل بن شاذان الأزدي

....

البابليات .... الشيخ محمّد علي اليعقوبي

بحار الأنوار .... الشيخ محمّد باقر المجلسي

بحر الأنساب .... عميد الدين الحسيني النجفي

البحر المحيط .... أبو حيان الأندلسي الغرناطي

البداية والنهاية .... إسماعيل بن عمر بن كثير

البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (م) .... عماد الدين الأصفهاني

بصائر الدرجات .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الصفار

بطل العلقمي .... الشيخ عبد الواحد المظفر

بطلة كربلاء .... عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ

بغية النبلاء .... السيد عبد الحسين بن علي الكليدار
بلاغات النساء .... أحمد بن أبي طاهر طيفور
البلد الأمين .... تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي
البيان والتبيين .... عمرو بن بحر الجاحظ

....

التاج الجامع للأصول .... الشيخ منصور علي ناصيف
تاج العروس .... محب الدين محمّد مرتضى الزبيدي
التاج في أخلاق الملوك .... عمرو بن بحر الجاحظ
تاريخ آداب اللغة العربية .... جرجي زيدان
تاريخ ابن خلدون .... عبدالرحمن بن محمّد بن خلدون الحضرمي
تاريخ ابن الوردي .... زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي
تاريخ أبي الفداء .... عماد الدين إسماعيل بن علي أبو الفداء
تاريخ الأدب العربي .... ريجيس بلاشر
تاريخ الإسلام السياسي .... حسن إبراهيم حسن
التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .... أحمد شلبي
تاريخ إيران .... السير پرسي سايكس
تاريخ بغداد .... أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي
تاريخ التمدّن الإسلامي .... جرجي زيدان
تاريخ الثقات .... أحمد بن عبدالله العجلي
تاريخ الجنس العربي .... محمّد عزة دروزة
تاريخ الخلفاء .... جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
تاريخ الخلفاء .... المؤلف مجهول
تاريخ الخميس .... حسن بن محمّد الديار بكري
تاريخ خليفة بن خياط .... خليفة بن خياط العصفري البصري

تاريخ الدول الإسلاميّة .... أحمد بن زيني دحلان
تاريخ الدولة العربية .... يوليوس فلهوزن
التاريخ السياسي للدولة العربية .... عبد المنعم ماجد
تاريخ الشعوب الإسلامية .... كارل بروكلمان
تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي .... علي حسني الخربوطلي
تاريخ العرب .... فيليب حتّي
تاريخ العرب السياسي .... إبراهيم بيضون ، وسهيل زكار
تاريخ الصحابة (م) .... أبو حيان أحمد التميمي
تاريخ الطبري .... أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري
تاريخ الفلسفة في الإسلام .... ت ج . دي بور
تاريخ القضاعي (م) .... محمّد بن سلامة القضاعي
تاريخ مدينة دمشق .... أبوالقاسم علي بن الحسين ابن عساكر
تاريخ المدينة المنورة .... أبو زيد عمر بن شبة النميري
التاريخ الكبير .... محمّد بن إسماعيل البخاري
تاريخ المظفري (م) .... إبراهيم بن عبدالله الحموي
تاريخ اليعقوبي .... أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي
التبيان في تفسير القرآن ...... الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي
تجارب الأمم .... أبو علي أحمد بن محمّد مسكويه
تحفة الأنام في مختصر تاريخ الإسلام الشيخ عبد الباسط بن علي الفاخوري
تحف العقول .... الشيخ الحسن بن علي الحراني
تحفة الأزهار وزلال الأنهار (م) .... ضامن بن شدقم الحسيني المدني
تخطيط مدينة الكوفة .... الدكتور كاظم الجنابي
تذكرة الحفّاظ .... شمس الدين الذهبي
التذكرة الحمدونية .... أبو المعالي محمّد البغدادي ابن حمدون

تذكرة الخواص .... سبط ابن الجوزي

تذهيب التهذيب (م) .... شمس الدين الذهبي

التطوّر والتجديد في الشعر الأموي .... شوقي ضيف

تطهير الجنان واللسان .... شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني

تفسير البرهان .... السيد هاشم البحراني

تفسير البغوي .... أبو محمّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

تفسير البيضاوي .... عبدالله بن عمر الشيرازي

تفسير الجلالين .... جلال الدين عبدالرحمن السيوطي

تفسير روح المعاني .... محمود الآلوسي

تفسير العسكري .... المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام

تفسير العياشي .... أبو النضر محمّد بن مسعود العياشي

تفسير القرآن العظيم .... أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي

تفسير القمي .... الشيخ علي بن إبراهيم القمي

التفسير الكبير .... فخر الدين أبو عبدالله محمّد بن عمر الرازي

تفسير الكشّاف .... محمود بن عمر الزمخشري

تفسير الماوردي .... أبو الحسن علي بن محمّد الماوردي البصري

تفسير المنار .... محمّد رشيد رضا

تفسير النهر المادّ .... أبو حيان الأندلسي الغرناطي

التكيف النفسي .... مصطفى فهمي

تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون .... صلاح الدين الصفدي

تنقيح المقال .... الشيخ عبدالله المامقاني

تهذيب الأحكام .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي

تهذيب الأسماء واللغات .... محيي الدين يحيى النووي

تهذيب التهذيب .... شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني

تهذيب الكمال .... جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي

التوحيد .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق

تلخيص المستدرك .... شمس الدين الذهبي

توضيح الغامض في أسرار السنن والفرائض .... الشيخ عبد الواحد المظفر

تيسير الوصول إلى جامع الأصول . عبدالرحمن الزبيدي الشيباني ابن الديبع

....

الثائر الأوّل في الإسلام .... محمّد عبد الباقي سرور

الثاقب في المناقب (م) .... الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد

الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة (م) ...... جلال الدين السيوطي

ثمار القلوب .... عبد الملك بن محمّد الثعالبي

ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ... الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق

....

جامع الأخبار .... الشيخ محمّد بن محمّد السبزواري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ...... أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري

جامع السعادات .... الشيخ محمّد مهدي النراقي

الجامع الصغير .... جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

الجامع في الأدب العربي .... حنا الفاخوري

الجامع لأحكام القرآن .... أبوعبدالله محمّد بن أحمد القرطبي

الجامع الكبير .... جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

الجرح والتعديل .... عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي

الجمل .... الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد

جمهرة اللغة .... أبو بكر محمّد بن دريد

جمهرة خطب العرب .... أحمد زكي صفوة

جنة المأوى .... الإمام محمّد الحسين كاشف الغطاء

جواهر الكلام .... الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر
جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ ...... شمس الدين محمّد الدمشقي
الجوهرة في نسب الإمام علي وآله .... محمّد بن أبي بكر التلمساني
جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام ... السيد محمود القراغولي البغدادي
....
حجّة السعادة في حجة الشهادة (م) ...... حسن بن علي إعتماد السلطنة
الحدائق الوردية .... حميد بن زيد اليماني
الحركات الفكرية في الإسلام .... بندلي جوزة
الحسين بن عليّ .... علي جلال الحسيني
الحسين بن عليّ .... الشيخ عبدالله العلائلي
الحسين بن علي .... عمر أبو النصر
الحضارة الإسلامية .... آدم متز
الحضارة الإسلامية .... خدا بخش
حقائق الأخبار عن دول البحار .... إسماعيل سرهنك
حلية الأولياء .... أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني
حماة الإسلام .... مصطفى بن محمّد نجيب
حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام .... باقر شريف القرشي (المؤلف)
حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام .... باقر شريف القرشي (المؤلف)
الحياة الاجتماعيةوالاقتصادية في الكوفة .... محمّد حسين الزبيدي
حياة الحيوان .... كمال الدين محمّد بن موسى الدميري
حياة الشعر في الكوفة .... يوسف خليف
الحيوان .... عمرو بن بحر الجاحظ
....
الخرائج والجرائح .... سعيد بن هبة الله الراوندي

الخراج .... يحيى بن آدم القرشي
الخراج وصنعة الكتابة .... قدامة بن جعفر الكاتب
خزانة الأدب .... عبد القادر بن عمر البغدادي
الخصائص الحسينية .... الشيخ جعفر التستري
الخصائص الكبرى .... جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
الخصال .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق
الخطابة في صدر الإسلام .... محمّد طاهر درويش
خطط الكوفة .... لويس ماسينيون
الخطط المقريزية .... تقي الدين أحمد المقريزي
الخلافة الإسلامية .... توماس آرنولد
خلاصة الأقوال .... العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي
الخلافة والدولة في العصر الأموي .... محمّد حلمي
الخوارج والشيعة .... يوليوس فلهوزن

....

دائرة المعارف .... بطرس البستاني
دائرة المعارف الحديثة .... أحمد عطية
دائرة المعارف الإسلامية .... محمّد فريد وجدي
دائرة المعارف الإسلامية البريطانية .... فنسنك ، وآخرون
درة الناصحين .... عثمان بن حسن الخويري
الدرجات الرفيعة .... السيد علي خان المدني
درر الأبكار (م) .... أبو الفتح بن صدقة
الدر المسلوك (م) .... محمّد بن الحسن الحر العاملي
الدر المنثور .... جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
الدر النضيد .... أحمد بن يحيى الهروي

الدر النظيم .... يوسف بن حاتم الشامي العاملي
الدروس الشرعية .... محمّد بن مكي العاملي الشهيد الأول
دعائم الإسلام .... أبو حنيفة النعمان بن محمّد المغربي
الدعوات .... فضل الله بن عبيدالله الراوندي
دلائل الإمامة .... محمّد بن جرير بن رستم الطبري
الدمعة الساكبة .... الشيخ محمّد باقر البهبهاني
الدولة الأُموية في الشام .... أنيس زكريا النصولي
الدولة الأُموية في الشرق .... محمّد النجار
ديوان ابن نباتة .... أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي
ديوان ابن الهبارية .... محمّد بن محمّد بن صالح ابن الهبارية
ديوان أبي الأسود .... أبو الأسود الدؤلي
ديوان أبي تمام .... أبو تمام حبيب بن أوس الطائي
ديوان الأخطل .... غياث بن غوث الأخطل
ديوان الأعشى .... ميمون بن قيس الأعشى
ديوان الجواهري .... محمّد مهدي الجواهري
ديوان الحطيئة .... جرول بن أوس العبسي
ديوان دعبل الخزاعي .... دعبل بن علي الخزاعي
ديوان السيد حيدر .... السيد حيدر بن سليمان الحلي
ديوان الشافعي .... محمّد بن إدريس الشافعي
ديوان الفرزدق .... همام بن غالب الفرزدق
ديوان النعمان بن بشير .... النعمان بن بشير الأنصاري
ديوان الهذليين .... جمع: محمّد محمود بن التلاميد الشنقيطي
ديوان الوائلي .... الشيخ أحمد الوائلي
....

ذخائر العقبى .... محبّ الدين أحمد بن عبدالله الطبري
ذخيرة الدارين .... السيد مجيد الحائري
الذرّية الطاهرة .... محمّد بن أحمد الدولابي
الذريعة إلى تصانيف الشيعة .... محمّد محسن أقا بزرك الطهراني
ذكرى الحسين عليه السلام .... الشيخ حبيب العاملي
الذهب المسبوك .... تقي الدين أحمد المقريزي
ذوب النضار .... جعفر بن محمّد بن نما الحلي
....
ربيع الأبرار .... جار الله محمود بن عمر الزمخشري
رجال الكشّي .... محمّد بن عمر الكشّي
رجال النجاشي .... الشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي
رحلة إلى العراق .... جيمس بكنغهام
رحلة بنيامين .... ترجمة عزار حداد
رسائل الجاحظ .... عمرو بن بحر الجاحظ
الرسائل العشر .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي
رسائل المرتضى .... السيد الشريف علي بن الحسين المرتضى
رسالة الغفران .... أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعري
روح الإسلام .... السيد مير علي الهندي
روح البيان .... إسماعيل حقّي
روضات الجنّات .... محمّد باقر الموسوي الخونساري
روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان ... الشيخ محمّد الموصلي الرفاعي
روضة الواعظين .... محمّد بن الفتال النيسابوري
رياض الأحزان .... الشيخ جعفر بن محمّد ابن نما الحلي
الرياض النضرة في مناقب العشرة أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري

ريحانة الرسول .... أحمد فهمي

....

زاد المعاد .... الشيخ محمّد باقر المجلسي

زهر الآداب وثمر الألباب .... أبوإسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني

زينب بنت عليّ .... عبد العزيز سيد الأهل

زينب الكبرى .... الشيخ جعفر بن محمّد النقدي

زينب وأخبار الزينبيات .... جمال الدين أبوالفضل أحمد بن مهنا العبيدلي

....

سبط الرسول .... عبد الحفيظ أبو السعود

السرائر .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن إدريس الحلي

سر السلسلة العلوية .... أبو نصر سهل بن عبدالله البخاري

سفينة بحار الأنوار .... الشيخ عباس القمّي

سمط النجوم العوالي .... عبد الملك العصامي

سنن ابن ماجة .... محمّد بن يزيد القزويني

سنن أبي داود .... أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني

سنن الترمذي .... محمّد بن عيسى الترمذي

السنن الكبرى .... أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي

السنن الكبرى .... عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي

سؤال في يزيد بن معاوية .... تقي الدين أحمد بن تيمية

السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات .... فان فلوتن

السياسة الحسينية .... الإمام محمّد الحسين كاشف الغطاء

السياسة عند العرب .... عمر أبو النصر

سيد شباب أهل الجنة الحسين بن عليّ .... حسين محمّد يوسف

سير أعلام النبلاء .... شمس الدين الذهبي

سيرة الأئمة الاثني عشر .... هاشم معروف الحسني
السيرة الحلبية .... علي بن برهان الدين الحلبي
السيرة النبوية .... أبو محمّد عبدالملك بن هشام الحميري
سبل الهدى والرشاد .... محمّد بن يوسف الصالحي الشامي
....
الشافي في الإمامة .... السيد الشريف علي بن الحسين المرتضى
شذرات الذهب .... أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي
شرح الأخبار .... القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمّد المصري
شرح نهج البلاغة .... عزالدين عبدالحميد بن أبيالحديد المعتزلي
شرح شافية أبي فراس (م) .... محمّد بن أمير الحاج الحسيني
شعراء الحلة .... علي الخاقاني
شعراء الغري .... علي الخاقاني
شعراء النصرانية بعد الإسلام .... لويس شيخو اليسوعي
الشهيد مسلم بن عقيل .... السيد عبد الرزاق المقرّم
شواهد التنزيل .... عبيدالله بن عبدالله الحاكم الحسكاني
شيخ المضيرة أبو هريرة .... محمود أبو ريّة
الشيعة في الميزان .... محمّد جواد مغنية
....
صبح الأعشى .... أحمد بن علي القلقشندي
الصحاح .... إسماعيل بن حماد الجوهري
صحيح البخاري .... محمّد بن إسماعيل البخاري
صحيح مسلم .... مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
الصراع بين الموالي والعرب .... بديع شريف
الصراع بين الموالي ومبادئ الإسلام .... نوري جعفر

الصراط السوي في مناقب آل النبيّ (م) ...... محمود الشيخاني القادري
الصراط المستقيم .... الشيخ علي بن يونس العاملي
صفوة الصفوة .... أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي
صلح الإمام الحسن عليه السلام .... الشيخ راضي آل ياسين
الصناعتين .... أبو هلال العسكري
الصواعق المحرقة .... شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني
....
الطبقات الكبرى .... أبوعبدالله محمّد بن سعد الزهري
الطبقات الكبرى .... أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني
الطرائف .... رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس
....
عجائب المخلوقات .... زكريا بن محمّد القزويني
العدد القوية .... رضي الدين علي بن المطهر الحلي
العصبية القبلية .... الدكتور إحسان النص
عقد الآل في مناقب الآل .... الشيخ أحمد بن سليمان البحراني
العقد الفريد .... أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي
العقيدة والشريعة في الإسلام .... إجناس جولد تسيهر
علل الشرائع .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق
علم الاجتماع .... عبد الحميد لطفي
علم النفس العسكري .... عباس الحسني
عليٌّ وبنوه .... الدكتور طه حسين
العمدة .... يحيى بن الحسن الأسدي ابن البطريق
عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ..... جمال‌الدين الحسيني ابن عنبة
العواصم من القواصم .... أبو بكر محمّد بن عبدالله بن العربي

عوالم العلوم .... الشيخ عبدالله البحراني
عوالي اللآلىء .... الشيخ محمّد بن أبي جمهور الأحسائي
العين .... الخليل بن أحمد الفراهيدي
عيون الأخبار .... عبدالله بن مسلم بن قتيبة
عيون أخبار الرضا عليه السلام .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق
عيون الأخبار وفنون الآثار .... الداعي عماد الدين القرشي

....

الغارات .... إبراهيم بن محمّد بن هلال الثقفي
الغدير .... الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني
الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية .... عبدالله سلوم السامرائي

....

الفائق في غريب الحديث .... جار الله محمود بن عمر الزمخشري
الفتاوى الحديثة .... أبو بكر محمّد بن عبدالله بن العربي
فتح الباري .... أحمد بن حجر العسقلاني
الفتنة الكبرى .... الدكتور طه حسين
الفتوح .... أحمد بن أعثم الكوفي
الفتوحات الإسلامية .... أحمد بن زيني دحلان
فتوح البلدان .... أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري
الفخري .... محمّد بن علي بن الطقطقي
الفَرق بين الفِرق .... عبد القاهر البغدادي
الفصول المختارة .... السيد الشريف علي بن الحسين المرتضى
الفصول المهمّة .... علي بن محمّد ابن الصبّاغ
فضائل الإمام أميرالمؤمنين .... عبدالله بن أحمد بن حنبل
فضائل الخمسة من الصحاح الستة ...... مرتضى الحسيني الفيروز آبادي

فضائل الصحابة .... أحمد بن حنبل الشيباني

فضل زيارة الحسين عليه السلام (م) .... محمّد بن علي العلوي الشجري

فقه الرضا عليه السلام .... المنسوب للإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام

الفوائد الرجالية .... السيد محمّد مهدي بحر العلوم

فوات الوفيات .... محمّد بن شاكر الكتبي

فِّهرست ابن النديم .... محمّد بن إسحاق النديم

فهرست الطوسي .... الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي

فيض القدير شرح الجامع الصغير .... محمّد عبد الرؤوف المناوي

....

قاموس الرجال .... الشيخ محمّد تقي التستري

القاموس المحيط .... مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي

قرب الإسناد .... عبدالله بن جعفر الحميري

القصائد الهاشميات والقصائد العلويات . الكميت بن زيد ، ابن أبي الحديد

قصص العرب .... محمّد جاد المولى ، وغيره

قمر بني هاشم .... السيد عبد الرزاق المقرم

....

الكافي .... أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني

كامل الزيارات .... جعفر بن محمّد بن قولويه

الكامل في التاريخ .... عز الدين علي بن محمّد الشيباني ابن الأثير

الكامل في اللغة والأدب .... أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد

كتاب سليم بن قيس .... سليم بن قيس الهلالي

كشف الظنون .... حاجي مصطفى بن عبدالله خليفة

كشف الغمة في معرفة الأئمة .... علي بن عيسى الإربلي

كفاية الأثر .... علي بن محمّد القمي

كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب   محمّد بن يوسف القرشي الكنجي
الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء .... الإمام عبد الحسين شرف الدين
كمال الدين وتمام النعمة .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق
كنز الدقائق .... الشيخ محمّد بن محمّد رضا المشهدي
كنز العمال .... علاء الدين علي المتقي الهندي
كنز الفوائد .... أبو الفتح محمّد بن علي الكراجكي
الكنى والأسماء .... أبو بشر الدولابي
الكنى والألقاب .... الشيخ عباس بن محمّد رضا القمي
الكواكب الدرّية في مناقب الصوفية .... محمّد عبد الرؤوف المناوي

....

لسان العرب .... محمّد بن منظور
لسان الميزان .... أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
اللهوف في قتلى الطفوف .... رضي الدين علي بن موسى بن طاووس
لواعج الاشجان .... السيد محسن الأمين العاملي

....

ما نزل في القرآن في أهل البيت (م) .... الحسين بن الحكم
مثير الأحزان .... جعفر بن محمّد بن نما الحلي
المجازات النبوية .... الشريف محمّد بن الحسين الرضي
المجتبى .... محمّد بن الحسن بن دريد
المجتمعات الإسلامية في القرن الأوّل .... شكري فيصل
مجلة البلاغ .... محمّد حسن آل ياسين
مجلة الغري .... عبدالرضا آل كاشف الغطاء شيخ العراقين
مجمع الأمثال .... أحمد بن محمّد الميداني
مجمع البحرين .... الشيخ فخرالدين الطريحي

مجمع البيان في تفسير القرآن .... الفضل بن الحسن الطبرسي
مجمع الزوائد .... علي بن أبي بكر الهيثمي
مجموعة ورّام .... الشيخ أبو الحسين ورّام بن أبي فراس
المحاسن .... أحمد بن محمّد البرقي
المحاسن والمساوئ .... إبراهيم بن محمّد البيهقي
محاضرات الأوائل والأواخر .... علي درّة الحنفي
محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية .... الشيخ محمّد الخضري
المحبّر .... محمّد بن حبيب البغدادي
المحيط في اللغة .... الصاحب إسماعيل بن عباد
مختصر تاريخ العرب .... السيد مير علي الهندي
مختصر كتاب البلدان ...... أحمد بن محمّد الهمداني المعرف بابن الفقيه
مدينة الحسين .... محمّد حسين الكليدار
المراجعات .... الإمام عبد الحسين شرف الدين
مرآة الجنان .... عبدالله بن أسعد اليافعي
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (م) .... سبط ابن الجوزي
مروج الذهب .... علي بن الحسين المسعودي
المزار .... الشيخ محمّد بن المشهدي
مستدرك الوسائل .... الميرزا حسين النوري الطبرسي
مستدرك على الصحيحين .... محمّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري
مسند أحمد بن حنبل .... أحمد بن حنبل الشيباني
مسند الإمام زيد .... الإمام زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام
مسند الفردوس (م) .... شهردار بن شيرويه الديلمي
مسند أبي يعلى الموصلي .... أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي
المشترك وضعاً والمفترق صقعاً .... ياقوت الحموي

مشكل الآثار .... أحمد بن محمّد الطحاوي
مصابيح السنّة .... أبو محمّد الحسين البغوي
مصباح المتهجد .... إبراهيم بن علي الكفعمي
مطالب السؤول .... كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي
معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة .... الفيض الكاشاني
المعارف .... عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري
مع الحسين في نهضته .... أسد حيدر
مع الركب الحسيني .... عزة الله المولائي ، محمّد جعفر الطبسي
معالي السبطين .... محمّد مهدي الحائري
معاني الأخبار .... الشيخ أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق
معاوية في الميزان .... عباس محمود العقّاد
معجم ابن الأعرابي .... أحمد بن محمّد بن زياد بن الأعرابي
معجم الأُدباء .... ياقوت الحموي
المعجم الأوسط .... أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني
معجم البلدان .... ياقوت الحموي
معجم الشعراء .... محمّد بن عمران المرزباني
المعجم الكبير .... سليمان بن أحمد الطبراني
معجم رجال الحديث .... الإمام أبو القاسم الموسوي الخوئي
معجم قبائل العرب .... الدكتور عمر رضا كحالة
معجم ما استعجم .... عبدالله البكري الأندلسي
المعيار والموازنة .... أبو جعفر محمّد الإسكافي المعتزلي
مفاتيح الجنان .... الشيخ عباس القمي
مفتاح الأفكار .... أحمد مفتاح
مقاتل الطالبيين .... أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

مقامات الحريري .... القاسم بن عليّ الحريري
مقتل الحسين عليه السلام .... الموفق بن أحمد للخوارزمي
مقتل الحسين عليه السلام .... عبد الرزاق المقرّم
مقتل الحسين عليه السلام .... لوط بن يحيى أبو مخنف
المقنعة .... الشيخ محمّد بن محمّد النعمان المفيد
ملحمة الغدير .... بولس سلامة
الملل والنحل .... محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني
المناقب .... الموفق بن أحمد الخوارزمي
مناقب آل أبي طالب .... محمّد بن علي بن شهرآشوب
مناقب علي بن أبي طالب .... علي بن محمّد الشافعي ابن المغازلي
المناقب والمثالب .... القاضي النعمان بن محمّد المصري
المنتخب .... الشيخ فخر الدين الطريحي
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم .... عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
منتهى الآمال .... الشيخ عباس بن محمّد رضا القمي
المنجد في اللغة .... لويس معلوف
من معالم الحق .... الشيخ محمّد الغزالي
المنمق في أخبار قريش .... محمّد بن حبيب البغدادي
منهاج السنة النبوية .... تقي الدين أحمد بن تيمية
مواهب الجليل .... محمّد المغربي المعروف بالحطاب الرعيني
المواهب اللدنية .... أحمد بن محمّد القسطلاني
المورد .... منير البعلبكي
الموطأ .... الإمام مالك بن أنس
ميزان الاعتدال .... شمس الدين الذهبي

....

النجوم الزاهرة .... يوسف بن تغري بردي

النزاع والتخاصم .... أحمد بن علي المقريزي

نزهة المجالس .... عبد الرحمن الصفوي

نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق .... يوسف رزق الله غنيمة

نزهة الناظر وتنبيه الخاطر .... الحسين بن محمّد الحلواني

نساء لهنّ في التاريخ الإسلامي نصيب .... علي إبراهيم حسن

نسب قريش .... مصعب بن عبدالله الزبيري

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية .... محمّد بن عقيل العلوي

النصّ والاجتهاد .... السيد عبد الحسين شرف الدين

نظام الأُسرة في الإسلام .... باقر شريف القرشي (المؤلف)

النظام التربوي في الإسلام .... باقر شريف القرشي (المؤلف)

نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية .... أحمد محمود صبحي

النظم الإسلامية .... ديمومين موريس غود فروا

نظم درر السمطين .... محمّد بن يوسف الزرندي الحنفي

نفس المهموم .... الشيخ عباس بن محمّد رضا القمّي

النقود الإسلامية .... أحمد بن علي المقريزي

النكت الاعتقادية .... الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد

نور الأبصار .... الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي

نهاية الإرب .... أحمد بن عبد الوهاب النويري

النهاية في غريب الحديث والأثر . أبو السعادات المبارك الجزري ابن الأثير

نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة .... الشيخ محمّد باقر المحمودي

نهضة الحسين .... هبة الدين الشهرستاني

....

الهفوات النادرة .... أبو الحسن محمّد بن هلال الصابي

الهداية الكبرى .... الحسين بن حمدان الحضيني

....

الوافي في المسألة الشرقية .... أمين إبراهيم شمّيل

الوزراء والكتّاب .... محمّد بن عبدوس الجهشياري

وسائل الشيعة .... محمّد بن الحسن الحرّ العاملي

وسيلة الدارين .... السيد إبراهيم الزنجاني

وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل (م) ...... شهاب الدين أحمد بن الفضل

الوصية الكبرى .... تقي الدين أحمد بن تيمية

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ..... عليّ بن عبدالله بن أحمد السمهودي

وفيات الأعيان .... أحمد بن محمّد بن خلّكان

وقعة الجمل .... محمّد بن زكريا

وقعة الطف .... لوط بن يحيى أبو مخنف

وقعة صفين .... نصر بن مزاحم المنقري

الولاة والقضاة .... أبو عمر محمّد بن يوسف الكندي

....

ينابيع المودة .... سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي

المحتويات

اختيار الهجرة إلى العراق

مشفقون ومندّدون

الرّحلة إلى العراق

٤٣ ـ ٩٤

في كربلاء

زحف الكوفة للحرب

مع المعسكرين
١٠٥ ـ ١٤٦

المأساة الخالدة

١٦٥ ـ ٢٠٦


مصارع الأصحاب

مصارع العترة الطاهرة عليهم السلام

٢٤٩ ـ ٢٧٩

مصرع الإمام العظيم عليه السلام

٢٨١ ـ ٣٣٨

سبايا أهل البيت عليهم السلام في الكوفة

٣٣٩ ـ ٣٧٢

سبايا آل الرسول في دمشق

٣٧٣ ـ ٤١٩

الرحيل إلى يثرب

٤٢١ ـ ٤٤٦

مُعْطيات الثَّوْرَة

٤٤٧ ـ ٤٦٨